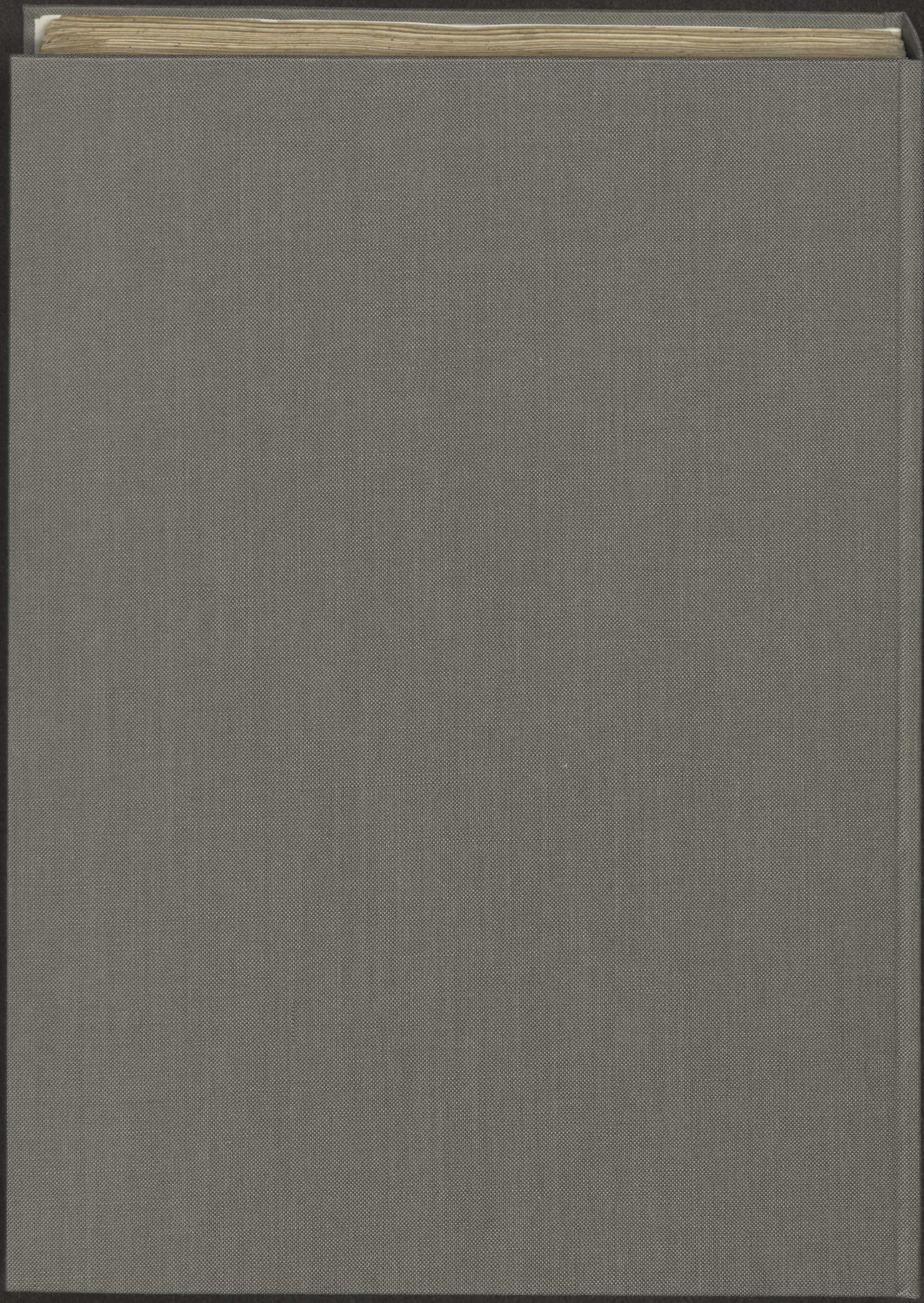
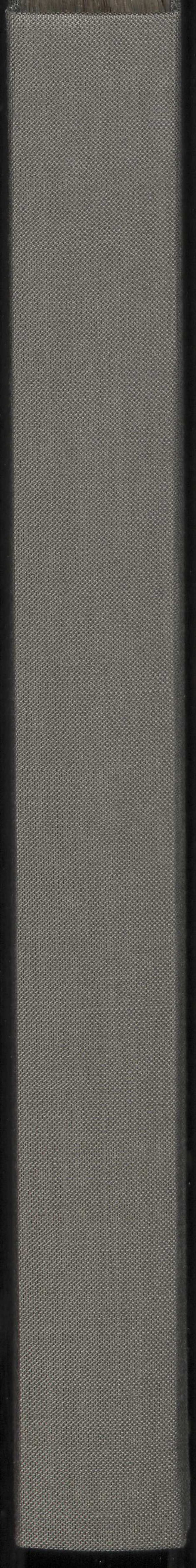
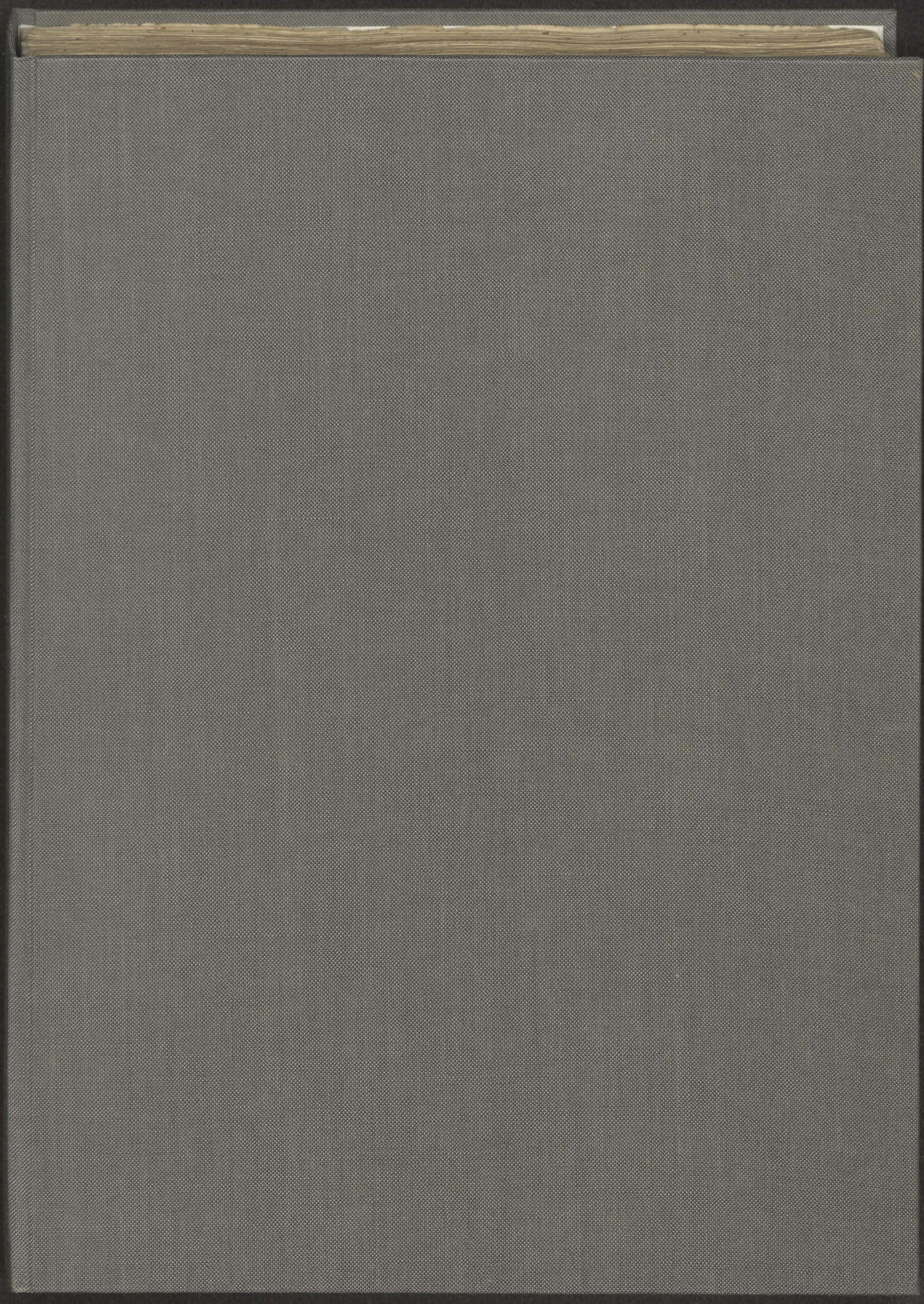








R. Basset MS 23



Hort by Cod. Or. 14.023

UNIVERSITÉ DE FRANCE

ACADÉMIE D'ALGER

ÉCOLE DES LETTRES

DIRECTION

N°

Objet :

Alger, le april 74 19

gemil by Brill

Le ms. A quoique plus élégant est beaucoup moins correct que B

f. 1 v. ذكر بني العباس وسبب ظهورها

La moitié du f. 1 du ms. B est arrachée en sorte que le titre manque

Le chapitre commence par une citation d'Aktham b. Ṣaifi sur les mérites des Abbasides – Histoire d'Abbâs auprès du Prophète : ses qualités affirmées par Omar – et une citation du poète Ibn Harthamah

f. 2 r. وكان لعباس ثلاث يعدها (1) اذا ما جناب الحي اصبح اشهبا — tawîl

بسلسلة تنهى السفيه وجفنة تروح فيكسوها السنام المرعبا

وحلة عصب لا تزال معدة لعارض يرثوبه (2) قد تهدبا

1) le ms. B a à tort للعباس – quoique la rime soit ici en ا, il faut la rétablir en ب comme dans le ms. B – Cf. du reste la glose de A قوله المرعب يعني المقطع — 2 B. لعارض يرثوبه

Marques de respect que lui donnaient Abou Bekr, 'Omar et 'Othman

Discours de 'Omar et d'El 'Abbâs

– v. Famille d'El 'Abbâs : sa mère – mort d'El 'Abbâs ; ses enfants

Courte biographie de 'Abd allah l'aîné

f. 3 r. —

Anecdotes à propos de 'Ali fils aîné de 'Abd allah (mort en 117)

(– v. Citation du vers de Djarir

فاني لارض عبد شمس وما قطعت وارض الطوال البيض من آل هاشم

'Ali et 'Abd el Malik b. Merouân

Vers de 'Aïchah fille de 'Abd allah b. 'Abd el Medân عبد المدان à l'occasion du meurtre de deux fils qu'elle avait eus de 'Obeïd allah b. el 'Abbâs, par Bisr (بسر) b. Abi Arṭât

يا من احس بنيّ اللذين هما كالدرتين تشظى عنهما الصدف

يا من احس بنيّ اللذين هما سمعي وطرفي فطرفي اليوم مختطف

يا من احس بنيّ اللذين هما مخ العظام فمخي اليوم [illegible]

بنات بسرا و ما صدقت ما زعموا ~~مشدودة وعظيم~~ من قولهم ومن الافك الذى اقترف

انى الحى على وحاط قلبي مرهفة مشدودة وعظيم الافك يعترف

من ذا وامله جراه مفجعة على صبيين غابا اذ مضى السلف

1) B حرا — والبة H — 2) A

~~Renseignements sur Bas… b. ……~~ Enfants de ʿAli b. ʿAbd allah

fA v°

—

Anecdote de Moh.^d b. ʿAli avec Moh.^d fils de Ibn el Hanifyah

Son mariage sous ʿOmar b. Abd el Aziz – Naissance de ses fils Abd allah b. Es Saffah et ʿAbd allah el Mansour

1

[illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

ذكر بني العباس وسبب ظهورهم



قال الكتم بن صفي حججت مرة فرأيت بني عبد المطلب كأنهم بروج فضة وكان عما يمهم الرؤية وكان العباس رضي الله عنه من بينهم كطلعة البدر فسألت عنهم فقيل لي هؤلاء بنو عبد المطلب فقلت إن الله إذا أراد أن يبني دولة أنبت لها مثل هؤلاء هذا غرس الله لا غرس البشر وحج قس بن ساعدة فرآهم فقال والله ليكونن لهؤلاء نبو عظيم وأمر جسيم **وكان** العباس رضي الله عنه وكنيته أبو الفضل كان رئيسا في الجاهلية وكان يقوم بالسقاية والرفادة في الجاهلية فأقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك في الإسلام وكانت له عمارة المسجد الحرام ولا يقول فيه هجرا فكان يحملهم على عمارته في الخير لا يستطيعون لذلك امتناعا لأن ملأ قريش اجتمعوا وتعاقدوا على ذلك فكانوا له أعوانا عليه وسلموا ذلك إليه وكان رضي الله عنه من أوسع الناس صدرا وأكرمهم أخلاقا وأحلمهم وكان له ثياب لعاري قريش وجفنة لجائعهم وسلسلة لعاصيهم وجاء الإسلام وهو كذلك **فقال** عمر رضي الله عنه هذا والله هو الشرف يطعم الجائع ويكسي العريان ويؤدب الجاهل وفيه وفي جفنته وكسوته وسلسلته يقول ابن زهر ثمة

وكان

وكان للعباس ثلاث يعدها ۞ إذا ما جناب الحي أصبح أشهما
بسلسلة تنهى السفيه وجفنة ۞ تروح فيكسوها السنام المركما
وحلة عصب لا تزال معدة ۞ لعار ضي بر ثوبه قد تهدما

قوله المرعب يعني المقطع وكان متى لقيه أبو بكر أو عمر أو عثمان رضي الله عنهم أجمعين في خلافتهم وهم ركبان وهو ماشي ترجلوا إليه حتى ينصرف إجلالا له واستسقى به عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند ما أجدبت الأرض وذلك أن كعب الأحبار رضي الله عنه قال لعمر إن بني إسرائيل كانوا إذا قحطوا استسقوا بعصبة الأنبياء عليهم السلام فقال عمر هذا العباس بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصنو أبيه وسيد بني هاشم بيننا **ثم** شكى إليه عمر ما فيه الناس فصعد عمر والعباس رضي الله عنهما على المنبر فقال عمر رضي الله عنه **اللهم** إنا توجهنا إليك بعم نبيك عليه السلام وصنو أبيه فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ثم قال يا أبا الفضل قم فقال بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه **اللهم** إن عندك سحابا وعندك ماء فانشر السحاب ثم أنزل الماء علينا فاشدد به الأصل وأطل به الفرع وأدر به الضرع **اللهم** إنك لم تنزل بلاء إلا بذنب ولم تكشفه إلا بتوبة وقد توجه بي القوم إليك لمكاني من نبيك عليه السلام **اللهم** فاسقنا به الغيث اللهم إنا شفعنا في أنفسنا وأهلينا اللهم شفعنا عمن لا ينطق من بهائمنا وأنعامنا **اللهم** اسقنا سقيا وادعا نافعا طبقا سحا عاما اللهم إنا لا نرجو إلا إياك ولا ندعو غيرك ولا نرغب إلا إليك اللهم إليك نشكو جوع كل جائع وعري كل عار وخوف كل خائف وضعف كل ضعيف في دعاء كثير قال فأرخت السماء عزاليها فجاءت بأمثال الجبال حتى استوت الوهاد والآكام فأخصبت الأرض وعاش الناس فقال عمر رضي الله عنه نعم هذه الوسيلة إلى الله تعالى والمكانة منه **وكان رضي الله عنه** أسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين وقيل بثلاث سنين أمه امرأة من النمر بن قاسط اسمها نتلة ويقال نثيلة

بنت خباب بن كليب بن مالك بن عمر بن عامر بن زيد مناة بن عامر وهو الضحيان
بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي
بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وهي أول عربية كست
البيت الحرام الحرير والديباج وأصناف الكسوة وذلك أن العباس ضل وهو
صبي صغير فنذرت إن وجدته أن تكسو البيت الحرام فوجدته ففعلت وتوفي
بالمدينة يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب وقيل بل من شهر
رمضان المعظم سنة اثنين وثلاثين وصلى عليه عثمان بن عفان رضي الله عنه
وعنهم أجمعين ودفن بالبقيع وهو ابن ثمان وثمانين سنة وقيل ابن تسع
وثمانين أدرك في الإسلام اثنين وثلاثين سنة وفي الجاهلية ستا وخمسين سنة
وكان له من الولد عبد الله الحبر والفضل الردف وبه كان يكنى أبا الفضل
وعبيد الله الجواد وقثم شهد سمرقند واستشهد بها زمن معاوية وكان
خرج إليها مع سعد بن عثمان بن عفان رضي الله عنه ومعبد وعبد الرحمن
ابنا العباس شهداء في إفريقية مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح زمن عثمان وقتلا بها
وأم حبيب ابنة واحدة أمهم أم الفضل واسمها لبابة بنت الهلالية أخت
ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم بنت الحارث بن حزن بن بجير بن هرم
بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن صعصعة بن بكر بن هوازن بن منصور
بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان
وهي أول امرأة أسلمت بعد خديجة بنت خويلد رضي الله عنهما
بمكة وتمام وكثير والحارث وآمنة وصفية لأمهات أولاد وكان
مولد عبد الله في الشعب قبل خروج بني هاشم منه وذلك قبل الهجرة بثلاث
سنين وسير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا له ومسح على صدره
ورأسه وتفل في فيه وقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فأجيبت فيه
دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يكنى بأبي العباس وقبض النبي
صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشر سنين وقيل ابن ثلاث عشرة وعاش رضي الله عنه
حتى كبر وعمي وتوفي بالطائف في فتنة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه

بسنة

في سنة ثمان وستين من الهجرة وهو ابن اثنين وسبعين سنة وصلى عليه محمد بن الحنفية
رضي الله عنه وضرب عليه خباء ثلاثة أيام وكان يصفر لحيته ولما جعل
في لحده أتى طائر أبيض فسقط في قبره وغاب فلم ير خارجا منه فلما دفن تليت
هذه الآية على شفير القبر لا يدرى من تلاها يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك
راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ومطرت السماء على قبره
ثلاثة أيام وخلف من الولد ستة علي وهو أكبرهم أمه زرعة بنت مشرح الكندية
ثم أحد بني وليعة ولد ليلة قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه سنة أربعين وكان
أفقه بنيه وأكرمهم وأحلمهم ولما سماه بعلي أخذ عنه معاوية بن أبي سفيان
فقال له لم سميته عليا فقال تبركا باسم ابن عمه فقال له معاوية أبا محمد فكان
أشبه الناس بعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما ويروى
أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه افتقد عبد الله ابن عباس رضي الله عنه في وقت
صلاة الظهر فقال لأصحابه ما بال ابن العباس لم يحضر فقالوا له ولد له مولود فلما
صلى علي رضي الله عنه قال امضوا بنا إليه فأتاه فهنأه فقال له شكرت الواهب
وبورك لك في الموهوب ما سميته قال ويجوز لي أن أسميه حتى تسميه فأمر به فأخرج
إليه فأخذه فحنكه ودعا له ورده إليه وقال له خذ إليك أبا الأملاك فسميه
عليا وكنيه بأبي الحسن فقال معاوية ليس لكم اسمه وكنيته قد كنيته أبا محمد
فجرت عليه بالعقب والشرف بني على هذا وكان سيدا شريفا بليغا جميلا طويلا
حتى كان يتعجب الناس من طوله فقال رجل سمعهم يا سبحان الله كيف ينقص
الناس لقد أدركنا العباس بن عبد المطلب يطوف بهذا البيت كأنه فسطاط
أبيض لطوله وروي أنه طاف بالبيت وهنالك عجوز قديمة وعلي هذا قد فرع
الناس فقيل لها هو علي بن عبد الله بن العباس فقالت لا إله إلا الله إن الناس ليرذلون
عهدي بالعباس يطوف بالبيت كأنه فسطاط أبيض فذكر ذلك لعلي بن
عبد الله رضي الله عنه فقال كنت إلى منكب أبي وكان أبي إلى منكب جدي
وكان العباس إلى منكب أبيه عبد المطلب وبنو هاشم موصوفون بالطول
وفي ذلك يقول جرير

بانه لا رضي عبد شمس وما قضت ∴ وارضى الطوال البيض من ال هاشم

وكان علي هذا من اعبد الناس ذكر انه كان يصلي في كل يوم الف ركعة فقيل انه كان له خمسماية اصل زيتون فكان يصلي في كل يوم الى كل اصل منها ركعتين فكان يدعى ذا الثفنات وهي ما اصاب الارض من اعضاء البعير كالركبتين والسعدانة وهي الكركرة واصول الفخذين وجاء له رجل في حاجة فقال له جيتك في حاجة لا تكلفك لولا تزروك فغضب علي بن عبد الله وقال له اذا لا تقضي لك حاجة امثلي يسئل حاجة او يوقف في حاجة لا تكلفني ولا تزروني

وكان عبد الملك ابن مروان يكرم عليا هذا ويقدمه فحضر له ذات يوم وقد اهدي لعبد الملك جارية من خراسان وفص وسيف فقال له عبد الملك يا ابا محمد ان حاضر الهدية شريك فيها فاختر من الثلاثة واحدا فاختار الجارية وكانت تسمى سعدا وهي من رهط الصغ من سبيهم من رهط عجيف بن عنبسة وكان عنده يوما اذ اتاه كتاب الحجاج ان عبد الرحمن ابن الاشعث خرج اليه بسجستان ودعى الناس الى نفسه وقصد العراق فخرج عبد الملك وقال على خالد بن يزيد وكان عنده علم من النجامة والملاحم والكهانة فقال له ما ترى في هذا فقال له ما اسمه وما موضع قيامه فاخبره فقال له ما هذا الذي يخاف منه فانه تالف فلا يجزع امير المومنين منه ونظر الشيخ علي بن عبد الله بن العباس وتبسم فقال له عبد الملك قد نرا يا ابا محمد ان دولتنا تنقضي بقيام قوم علينا يظهرون فلا نعلم ما يكون فاقيمت الصلاة وقطع كلامه فلما تقدم عبد الملك ليصلي بالناس خلى خالد بالشيخ علي بن عبد الله وقال له في سر ليس يخرب ملك هولاء غير ولدك ومتى يخرج من صلبك وتقوم له الدعوة بمرو من خراسان فقال له الشيخ علي بن عبد الله هذا محال ولعب وساله الا يذكر هذا البشر فضحك خالد وكتمه ثم دخل بعد ذلك على عبد الملك بن مروان فرفع راسه واجلسه معه ورحب به وساله ان يرحل معه الى الشام فعجل فاحسن اليه واكرمه واسكنه في دار يفي به وكان يحضر مايدته كل يوم الى ان طلق عبد الملك بنت عبد الله بن جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه فارسلت

اليه

اليه وقالت له يا ابن عمي انا هاهنا غريبة وانت اولى بي فتزوجها فتغير عليه قلب عبد الملك فقال له ذات يوم قد كبر سني وكثر اهلي وضاق ذرعي فانظر لي موضعا من الشام اجمع فيه ولدي وانفرد به عنك فقال له تخير وكان عنده ان من الحميمة يقوم الخليفة منهم المسمى عبد الله فقال له علي ذكر لي موضع بالقرب منك يقال له الحميمة وشكر لي طيب زرعه ونمو ضرعه فقال له هو لك فخرج اليه وبنى فيه دارا ومسجدا وجمع فيه بنيه واهل بيته وسكنه ومات بالحميمة سنة سبع عشرة ومائة وهو ابن ثمانين سنة في خلافة هشام وترك من البنين اثنى عشر محمد امه العالية بنت عبد الله بن العباس وام العالية عايشة بنت عبد الله بن عبد المدان واسم عبد المدان عمر بن الديان واسم الديان يزيد بن النغ ابن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب الحارثي وكان وفد عبد الله بن عبد المدان على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد الحارث بن كعب فقال له من انت فقال انا عبد الحجر فقال له بل انت عبد الله قال نعم واسلم وعايشة ابنته هي التي قتل ولديها بسر بن ابي برطات في حين دخوله اليمن وخبره فيه مشهور وهما ابنا عبيد الله بن العباس فاخذهما من تحت ذيلها وكانت وارثهما به فقتلهما وفي ذلك تقول عايشة

يا من احس ببنيي اللذين هما ∴ كالدرتين تشظا عنهما الصدف
يا من احس ببنيي اللذين هما ∴ سمعي وطرفي فطرفي اليوم مختطف
يا من احس بنيي اللذين هما ∴ مخ العظام فعظمي اليوم مزدهف
بنات بسرا وما صدقت ما زعموا ∴ من قولهم ومن الافك الذي اقترف
انحى على ودجي ابني مرهفة ∴ مشحوذة وعظيم الافك يقترف
من ذل والهة حرا مفجعة ∴ على صبيين غابا اذ مضى السلف

وكان بسر بن ارطات من الصحابة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم احاديث وعسى الله ان يغفر له فانه يغفر ما دون الشرك لمن يشاء ومن ابناء علي بن عبد الله داوود وعيسى لام ولد وسليمان وصالح لام ولد اسمها سعدا وهي التي تقدم ذكرها اعطاها له عبد الملك بن مروان وعبد الله بن علي هو صاحب

مروان وقاتله وسيأتي خبرهما في موضعه ان شاء الله تعالى واسماعيل وعبد الصمد
لام ولد واسحاق واحمد وعلي ويعقوب لامهات اولاد وتوفي بالحميمة رحمه
الله تعالى وصلى عليه ابنه الكبير محمد وكان محمد هذا سيد ولده وهو ابو الخلفاء
وكان محمد بن الحنفية قد اسر اليه ابوه علي بن ابي طالب رضي الله عنه في بني العباس
ذكر علي بن ابي طالب انه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ولي سليمان
بن عبد الملك اتاه ليهنيه بالخلافة فلما رجع من عنده زعم بعض الناس انه
دس عليه في بعض الطريق من سمه فلما احس بالهلاك قال احملوني الى ابن عمي
محمد بن علي بن عبد الله بن العباس فحمل اليه فدفع اليه صحيفة فيها صفة
قيامهم وكيفيته ووقته قال فيها اذا كان سنة خمس وعشرين ومائة فلمت
فبأرض خراسان وقدموا بالرايات السود وكان لبني العباس صفوها ولعدوهم
كدرها الى ان تقوم الساعة بعد ان يلي من بني امية ثلاثة عشر رجلا فاذا اختلفت
سيوفهم ووثب حمار الجزيرة على الامارة يعني بحمار الجزيرة مروان بن محمد
وغلب على الشام ظهرت الرايات ويقوم الاكبر من خراسان بالدليل والبرهان
قلوبهم كزبر الحديد وشعورهم الى المناكب لبست لهم رأفة على عدوهم
اسماؤهم الكنى وسكناهم القرى فيتم له الامر سنة ثلاث وثلاثين ومائة ولا
يزال الملك فيهم حتى يطلع النجم ذو الذوائب **وكان** فيها ان القائم
بالامر عبد الله هذا ما كان في الصحيفة بخط امير المومنين علي بن ابي طالب
رضي الله عنه **ثم** توفي محمد بن الحنفية عند محمد بن علي ولم يكن
لمحمد بن علي اذ ذاك من الولد غير ابراهيم وكان بنو امية منعوه من
التزويج في بني الحارث للحديث المروي في التزويج من بني العباس في بني
الحارث ابن كعب وان الخلافة تكون في ولده فلما ولي الخلافة عمر بن عبد
العزيز رضي الله عنه اباح ذلك فجاءه محمد بن علي فقال اني اردت ان اتزوج
ابنة خالتي من بني الحارث بن كعب افتاذن لي فقال عمر بن عبد العزيز تزوج
رحمك الله من احببت فتزوجها فولد عبد الله بن السفاح وولد ايضا
عبد الله الذي يقال له المنصور ولم يزل محمد بن علي متحفظا عليهما كثيرا

بهما

بهما حتى مات واوصى بهما اخوهما الاكبر ابراهيم وهو الذي يقال له الامام
وذكر ابن برمك ابن اسبنديار وهو جد البرامكة وكان قد سار
الى هشام بن عبد الملك فرأى محمد بن علي هذا قد قدم على هشام بن عبد
الملك فقال من هذا فقالوا ابن عم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال
ليكونن لولده شأن عظيم فسمع خالد ابن برمك كلام ابيه فسار
الى محمد بن علي فقال جعلني الله فداك يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا احببت ان تكون في حرمة بك فقبله محمد بن علي وانصرف الى بلخ
وقد ظهرت شيعة بني هاشم بخراسان وقال له محمد يا خالد سيكون
لك ولولدك في دولتنا حظ **وكان** محمد هذا يقول بعشرين
في كل خير اذا جازت المائة يكون خير ان شاء الله فلما قربت وجه اليه
رسولا من مواليه يقال له سالم بن الغازي من الحميمة الى خراسان وامره ان يبث
خبرهم هناك وانهم في قائم الحبالة فقال فمضى الرسول وبث وحدث
ولم يخف احد هذا حتى نما الى الكبير والصغير من الشيعة خبرهم ولم
يذكروا اسم احد ولا عرف احد ابن محمد ولا من هو فشاع ذلك
في كل ناد وعند كل حاضر وباد وجعلوا يقولون قد اظلكم
المهدي والرضى من ال محمد عليه السلام وغشيكم وقته وانتم غافلون
حتى شاع ذلك في المدر والاحياء والناس بين مصدق ومكذب ولم يزل
يبث ذلك حتى قدم الموضع الذي حد له وقد تبعه خلق كثير وكلهم
قد روى حديثا وسمع خبرا وحصل في نفسه منه شيء وكان اول ما
اجابه الى ذلك سليمان بن كثير الخزاعي وعيسى بن ماهان ومالك ابن
الهيثم وزياد بن صالح وقحطبة بن شبيب الحروري وموسى ابن كعب
ولاهز بن قريظ والقاسم بن مجاشع وابو النجم بن عمران هؤلاء المشاهير
ورؤساء تلك البلاد وامراؤها وممن لا يعرف اسمه بشر بن كثير
فاقام الرجل بينهم مدة يذكرهم ويحضهم حتى مات ولم يفصح
لهم بخبره فبقوا في حيرة من امره ولم يدروا من يكشف لهم عن مكانه

ولا من يعرفهم موضع استتكانه ولا يعلمون الى من يفزعون اذا دهمهم امر
فاتفق رأيهم ان يتفرقوا في البلاد ويجتمعوا في الموسم عند الحج فمضت طائفة
منهم الى الكوفة وفيهم سليمان بن كثير وقحطبة بن شبيب فوجدوا
فيهما شيعة اخرى فاخبروهم القصة ووصول الرجل اليهم وموته عندهم
فلم يجدوا عند القوم غير الدعوة للرضى من آل محمد صلى الله عليه وسلم
وان بني امية فسقة لا تخالطا عنهم وقالوا لهم ان رجلا اتانا بمثل ما اتاكم
به ولم يفصح لنا بخبر وكان محمد بن علي قد بث رسله في الاقاليم
الاربع الحجاز والعراق والشام وخراسان بدعوة مجهولة خوفا على نفسه
حتى تتم المدة التي تضمنتها الصحيفة ثم اجتمعوا في الموسم وحجوا
فوجدوا طائفة اخرى هنالك تقول بقولهم وليس عندهم صحة خبر
واجتمعوا ومضوا الى جعفر بن محمد بن الحنفية وسالوه فقال لهم الحق ثم
الحق واخطأتم المفصل سيروا الى الشام واقصدوا الحميمة ففيها
شيخنا وجليلنا وابن عمنا ومن هذا الامر فيه وفي عقبه الى ان تقوم
الساعة وهو محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وكان جعفر
هذا يمن بهذه اليد على ابي العباس السفاح وصدقه ابو جعفر المنصور
وشهد له بها فسار هؤلاء حتى اتوا الحميمة فانزلهم وحدثوه
الحديث الذي بلغهم وموت الداعي وانهم يقولون في حيرة حتى اخرجهم
منها جعفر بن محمد بن الحنفية فقال لهم محمد بن علي انا ضالتكم
المنشودة وبغيتكم الموجودة فكشفهم على سر ما عنده غير
انه نظر فيهم الى صفة ابي مسلم فلم يجده فعلم انه سياتي فيما بعد
فسالوه ان يكونوا دعاته الى خراسان وان ياتوه في كل عام بزكواتهم
وخراجهم وان يستمدوا برايه حتى تتم المدة فاباح لهم ذلك
فسالوه ان يقدم عليهم رجلا يختاره اما منهم والامر عنده يكون
نقيبا عليهم فكتب الى ابي عكرمة زياد بن درهم الصادق وكان
من خيار شيعته بالكوفة فامره ان يمضي معهم على القيام بالدعوة

له سرا لا وجد اسمه وصفته عندهم وان يظهر الدعوة للرضى
من آل محمد صلى الله عليه وسلم فمضوا الى الكوفة واتوا الرجل
فسر بذلك سرورا عظيما ونهض معهم ولم يزل يدعوا ويجمع
ويكاتبه في كل وقت حتى قدم اسد بن عبد الله القسري عاملا
على خراسان من قبل هشام بن عبد الملك فبلغه خبرهم وانهم يسبون
هشاما ويلعنونه وسائر بني امية في ادبار الصلوات فقبض على ابي عكرمة
وقتله مع رجلين من اصحابه واوثق الباقين ولم يزل يتتبع من سمع
انه يميل اليهم او هو منهم فاذا ظفر باحد منهم قتله وصلبه
او يقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وهم لا يرجعون عن دعوتهم
ولا يفترون بل يزيدون ويكثرون الى ان فشا خبرهم في جميع البلاد
وتحدث الناس بهم وسارت به الركبان وكتبوا الى محمد بن علي يعلمونه
بما فيه من قتل نقيبهم واصحابه ويسالونه ان يقدم عليهم نقيبا
داعيا غيره فبعث اليهم رجلا من خاصته يقال له كثير بن سعيد
فاقام فيهم ثلاث سنين ثم رجع زائرا الى محمد بن علي فاخبره الخبر
كله وصحة مذهبهم فيه فساله عن صفة ابي مسلم هل راها في
احد هنالك فقال لا فبعث غيره نقيبا وهو عمار بن داوود فغير
اسمه وسماه خداش بن يزيد فدعاهم لاشياء فلما سمع هشام هذا
اخذه منه المقيم المقعد وكتب الى يوسف بن عمر الثقفي عامله
على اليمن ان استعمل على اليمن ثقتك واشخص الى العراق وثب على خالد
فقيده وابعث به الينا وابق عليها واليا فمضى اليه فاخذه فكان
اخذه سببا لتمام الامر اذ كان اشد الناس على الشيعة فاراحهم الله
منه ولما بلغ اخاه اسد ما جرى على اخيه وكان واليا على خراسان
فسدت نيته على بني امية وترك الكشف والبحث عن الشيعة وستر
عليهم فظهرت دعوتهم وقويت شوكتهم ونطق شعراؤهم
فاول من نطق بمدحهم النعمان بن وهب العبدي فقال

ليس في حب غادة وطلاء ∴ ولا حب فتية ومدام
بل هواي الذي أكن وأخفي ∴ لبني هاشم فروع الأنام
والمصيبين ما أخطا الناس ∴ ومرسي قواعد الإسلام
فضلوا الناس في الحدود وسادوا ∴ كل ملك يعد من نسل سام
ليس مثل عبد الملك أو كوليد ∴ أو سليمان بعد أو كهشام
أخلص الله لي هواي لهم مما ∴ عشت وكانوا في الأنام هشام

وقال أيضا في ذلك الكميت بن زيد

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب ∴ ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب
ولكن إلى البيض الذين نحبهم ∴ إلى الله فيما نالني أتقرب
بني هاشم رهط النبي فإنهم ∴ بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب
ومالي إلا آل أحمد شيعة ∴ ومالي إلا مذهب الحق مذهب

قال ثم سرت بهذا الشعر الركبان وفشا في البلدان وكتب محمد بن علي إلى شيعته بخراسان أما بعد فإن ظهور الحق قد قرب ونجم الباطل قد غرب وبدا أوائله وظهرت مخايله فثقوا بالله واصبروا إن الله مع الصابرين وقدموا عليكم من خياركم اثني عشر نقيبا واتبعوهم بسبعين نجيبا وانهضوا إلى خفافا وثقالا ركبانا ورجالا والسلام قال فقدموا على أنفسكم اثني عشر رجلا من خيارهم وهم سليمان بن كثير الخزاعي ومالك الخزاعي وطلحة وأبو الحكم وحمزة وقحطبة والأعز بن مشاجع والأهر لم يكن يدعوهم إليها من تقدم فإنكى ول فقال لهم يمحو الله ما يشاء ويثبت فصدقوه فأقام فيهم مدة إلى أن نما خبره إلى الأمير أسد فأخذه وقطع لسانه واشتد طلبه على الشيعة وأخذ سليمان ومالكا وأخذ بهما الأولون فقتل منهم وسجن وسألهم أن يخبروه بهذا الرجل الذي يدعونه الرضى فقالوا ما نعرفه فضربهم بالسياط فلم يقروا بشيء فتركهم ونهض سليمان ابن كثير وجماعة إلى محمد بن علي فأخبروه الخبر فقال سخطي عليكم أوجب هذا فقالوا وما الذنب

فقال

فقال فقولكم من عند الله حدا شر ما جاء به مما بدل وغير قالوا أنت وجهته أمينا فصدقناه وكان محمد بن علي هو الذي أمره أن يبدل عليهم حتى يرى هل يطيعونه في حال السخط والرضى أو لا فقالوا له نحن بين أمرك ونهيك فصدقهم وغفر لهم وقدم عليهم رجلا يقال له بكر بن وائل فمضى حتى قدم على الشيعة فأقام فيهم مدة وكتبه تترى بما يظهر له من الأمر حتى انتهى خبره إلى الأمير أسد بن عبد الله فأخذه وقوما معه فقطع أيدي بعضهم وضرب آخرين بالسوط وسجن آخرين ولم يكن يقر له واحد منهم بشيء وكان بكر بن وائل قبل موته كتب إلى محمد بن علي أن هاهنا رجلا رئيسا يعرف بأبي سلمة وهو شديد الميل إليكم والمحبة فيكم وهو نعم النصير فكتب إليه محمد بن علي وقدمه على القوم وبشره أن الله يخصه منهم وأن الأمر قد قرب ويتم على يديك ويكون لولدي عبد الله بن الحارثية وسماه في كتابه وزير آل محمد صلى الله عليه وسلم فدعي به حتى مات وكان عاملا على العراق أبو هشام خالد بن عبد الله القسري أخو أسد فوشى إليه به هناز العي أو حسان النكسي وقال له منه توتني ونخشى عليه فتركه في حبسه ومضى إلى هشام فقال له إن خالدا يقول والله لئن لم يتعقد الأخوال فيمن لهذا الأمر رجلا من آل محمد عليه السلام ولأملأن الأرض خيلا ورجالا قال ثم اختار سبعين رجلا نجيبا منهم حميد بن قحطبة وأخوه الحسن ولم يكن في النقباء ولا في النجباء ذو علة ولا أعور ولا أعرج ولا قبيح الوجه ولا كوسج ولا من في آبائه صناعة خسيسة كالحياكة وشبههما ونهضوا إليه وإنما أمرهم بهذا عسى أن يجد فيهم صفة أبي مسلم القائم بالدعوة المذكورة في الصحيفة التي تتم على يديه وكان أبو مسلم رجلا من أصبهان واسمه عبد الرحمن بن عثمان العجلي وانتقل من أصبهان إلى مرو من خراسان وكان يسعى في توهين أمر بني أمية والدعاء إلى ولد العباس حتى تمت الخلافة لهم وكان أبوه قد هرب من خراج لزمه

فأتى عيسى ابن معقل العجلي فخدمه وولده عنده ابو مسلم وكان عيسى
ممن يميل الى بني هشام وكثيرا ما كان يسمعه ابو مسلم يذكرهم ويفو
ضهم ويعظمهم ويثني عليهم ويميل اليهم فشب ابو مسلم وقد رسخ
هذا الكلام في نفسه وكان له صديق يعرف بموسى بن عيسى السراج
وكان ابو مسلم اسكافا خرازا للخف فعرف به من الصنعة فرآه يوما
ينظر في آلة السفر مع السبعين نجيبا اذ كان معينا فيهم فقال له الى اين
تمضي فقال له موسى بن عيسى لزيارة امامنا من آل محمد صلى الله عليه وسلم
فقال ابو موسى والله اني لاحب هذا الاسم فهل لي ان امضي معك فقال له
موسى على بركة الله فحملوا زكواتهم وخراجهم وذلك مائة الف
درهم ومضوا حتى قدموا عليه وسلموا فرءا فيهم الصفة التي
عنده في الصحيفة في ابي مسلم فقربه منه وساله عن اسمه ونسبه
وسنه فعرفه واثبته فقربه واكرمه واكبره فلما رأى النقباء ذلك فهتوا
وذلك لصغر سنه وخمول قدره فقال لهم الامام هذا صاحب الدعوة
والقائم بها رحمكم الله وهو ضالتي المنشودة وبغيتي المفقودة
وكان سن ابي مسلم اذ ذاك ثمانية عشر عاما فلما عزموا
على الانصراف جمعهم وقدمه عليهم وقال لهم هذا سيدكم
ومقامي فيكم وانتم لا ترونني بعد هذا ابدا وقد استخلفت عليكم
لابني ابراهيم يربي اخوته وهو ميت لاحوبي والعلامة في امامكم
تكون عند ابي مسلم ثم خلا به واوصاه واخبره ما يكون وعرفه
كيف يكون ومتى يكون وامره ان يشاور ابنه ابراهيم بعده حتى يكبر
ابو العباس فماتوا حسدا له ولم يمكنهم الا السمع والطاعة للامام
ومضوا حتى قدموا خراسان فلم يستقر بهم القرار حتى بلغهم موت
الامام محمد بن علي رحمه الله فصدقوا الخبر وكان موته سنة ست
وعشرين ومائة وهو ابن ثمان وستين سنة ولما حضرته الوفاة عهد
الى ابنه ابراهيم انه نائب عنه حتى يكبر الصغير من ولده ودفع الصحيفة

اليه

اليه واوصاه واخبره بما يكون فصلى عليه ودفنه فبلغ خبره الى الشيعة فعظم
عليهم موته واقاموا الماتم واعزوا فيه فصبرهم ابو مسلم وسكنهم
ولما بلغ ابو مسلم خبر ابراهيم الامام وثباته بعد ابيه جمع
مالا ضمه وهدية وضم اليه بعض الشيعة ومضى حتى قدم على الامام
ابراهيم فسلم عليه بالامامة وعزاه في ابيه وشاوره في امره فابقاه
وعهد اليه ورجع الى قومه النقباء يحسدونه وكان اشدهم عليه سليمان
بن كثير وكان يقول هذا جزاؤنا على ما نالنا من الشلات والعذاب والضرب
ان قدم علينا صبيا صغيرا والله لقد عرفت بالدعوة قبل ان يخلق فقال له
ابو مسلم حين سمع مقاله انت لعمر الله اولى بها واحق لكن الامام
اعلم مني ومنك وقد راى هذا صلاحا وقد نقم المهاجرون على رسول الله
صلى الله عليه وسلم لتقديمه اسامة بن زيد عليهم وانا راجع اليه حتى
يرى ما يصنع وقام منصرفا فدفعه سليمان في صدره دفعة القاه بها في الارض
فقام ابو مسلم واخذ دواة كانت بين ايديهم فضرب بها سليمان
في وجهه فشجه وسال دمه على لحيته فاصاب القوم معه منه رعب فلم
يجسر عليه منهم احد غير انهم مسحوا دم سليمان وقالوا انت ظالمه
وهو المخطئ على يده فقبلها واصلحوا بينهم وانصرفوا فلان لهم ابو
مسلم جانبه وغالطهم وقومهم وقربهم حتى احبوه وانحاشوا اليه
فاجمعهم وتسامع الناس به فاقبلوا اليه من كل ناحية وكثر الوفود
عليه **وكان ابراهيم** الامام يكاتبه ويامره وينهاه الى ان وقع كتابه
في يد عامل مروان على خراسان وهو نصر بن سيار فبعثه الى مروان فعظم
عليه ذلك وكان يظن الدعوة لاحد الطالبين فبعث الى ابراهيم من
اخذه من الحميمة وسجنه فلما بلغ امره الى ابي مسلم وذلك يوم الجمعة
في شهر رمضان سنة ثلاثين ومائة جمع ناسه واحتفل وقام خطيبا واخبرهم
بسجن الامام وقال لاخفاء بعد اليوم واخرج اللواء السحاب الذي كان اعطاه
محمد بن علي ونشره وعقد على نفسه على رمح طوله ستة عشر ذراعا

وأظهر الدعوة لبني العباس دعوة مجهولة لم يسم أحدا وأخرج راية
سوداء كان أعطاها له محمد أيضا وكان أمره متى قام يلبس السواد حزنا
وحدادا على هذا الأمر الذي سلبوه أهله وهم أحق به وكان اسمهم في الصحيفة
السودة وكان في الراية مكتوب بالذهب أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا
وإن الله على نصرهم لقدير **ثم** إن أبا مسلم لبس السواد وتعمم
به وتردى وأمر قومه بذلك فكان أول من سود من أهل خراسان أهل نيسابور
بدا بذلك أسيد ابن عبد الله **ثم** كان أول لابس له بعد أبي مسلم مالك الخزاعي
فقال له أبو مسلم أنت أول من سود على آل محمد والله لتكونن لك التقدمة
ما بقيت فولاه تقدمة العسكر فكانت له حتى مات فلما كان يوم
عيد الفطر اجتمعوا وصلى بهم فقيههم القاسم بن مجاشع وخطب
لبني العباس بمرو وترحم على من سلف منهم ودعا لإبراهيم ولعن بني أمية
ورضي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فكانت أول خطبة لبني
العباس في الدنيا ووجه خطبة إلى بلخ ونواحيها وبث رسله في سائر البلاد
خراسان وأمرهم أن يظهروا الدعوة لبني العباس وكتب إلى أمير خراسان
نصر بن سيار أما بعد فإن الله عيّر أقواما في كتابه العزيز حيث قال
وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى
الأمم إلى قوله ولن تجد لسنة الله تحويلا والسلام قال فغضب لذلك نصر
وعظم عليه وأطال الفكرة فيه وقال والله ما بعد هذا خير ثم جهز
عسكرا جرارا وقدم عليه مولى له اسمه يزيد وبعثه إلى حرب أبي مسلم
وكتب إلى مروان أما بعد فإن الصغير إن لم يقمع كبير وإن القليل إن لم
يقطع كثير وليس في كل عام يثمر النخل ولا في كل زمان ينبت الزرع وإن خراسان
كالجراد إذا سجا يحسبه الغر نهرا وإذا اصطفى فالموت بين فكيه وقليل من
ينجو منه وقد نجت منه ودانيت أخرى فإن كان أمير المومنين عرف داء في
قلبه أوله فبل أن يعدا ووالله إنه لأعدى من نطف الحرب وأضرم من النار
في الحطب ولا يقل أمير المومنين إلى غد فإن غدا لم يلف منتظرا وقد قلت

في ذلك شعرا

أرى خلل الرماد وميض جمر * فيوشك أن يكون لها ضرام
فإن النار بالعود بن تذكى * وإن الحرب أولها الكلام
فإن لم تطفئوها تجن حربا * مشمرة يشيب لها الغلام
أقول من التعجب ليت شعري * أأيقاظ أمية أم نيام
فإن كانوا لحينهم نياما * فقل قوموا فقد حان القيام

قال وأنفذ الكتاب مع ثقته فأجابه مروان قد فهم أمير المومنين
كتابك وقرأ شعرك ولا والله لا يشك أمير المومنين أن أمرك كله حاضرة
وغائبه بيد الله والذي أراد به إذا شاء ابتلى وإذا شاء عفى وليس يصيب الإنسان
من حيث يرتجي ولا يصاب من حيث يتقي ولكنها مواقع أقدار ومبالغ آجال
وقد أنفذ أمير المومنين كتابك إلى يزيد بن عمرو بن هبيرة وأمره أن يكون اهتمامه
بك كاهتمام أمير المومنين بحسبك والسلام **فقال نصر**
بن سيار فكلامي إلى غير كاف وكان ابن هبيرة أميرا على العراق ويروى أنه
بلغ الكتاب إلى مروان وكتب إلى عمر ابن هبيرة فكان ابن هبيرة متى وقع
كتاب نصر بن سيار بيده كتمه عن مروان لميله إلى بني هاشم وحسده
لنصر فلما بلغ الكتاب إلى مروان أخذه المقيم المقعد فأنفذ إليه جوابه
أن اطفها ولو بدمك لئلا تتضرم وأنا مرورايك فقال نصر لبعض
خاصته أما صاحبنا فإنه أعلمنا أنه لا نصرة عنده فبعث العسكر
إلى قتال أبي مسلم وجعله جواب كتابه له فلما بلغ أبا مسلم أن العسكر
توجه إليه جمع عسكره وعقد اللواء لمالك الخزاعي ووجهه
في عدة قليلة للقاء ذلك العسكر الجرار وقال لهم اشعروا قلوبكم
الجراءة فإنها سبب الظفر وأكثروا ذكر الضغائن فإنها تبعث على الإقدام
والزموا الطاعة فإنها حصن المحارب قال فالتقينا في موضع يقال له غرب
بالقرب من سمرقند فما هو إلا أن رأوا أهل خراسان الرايات السود ولوا منهزمين
فاتبعتهم الخيل وأخذ أمير العسكر وبعث له الأسارى والرؤوس وقام هو

بنظري

بموضعه حتى ياتيه الاذن قال فلما بلغ ابا مسلم كتابه سر بذلك وكتب
عليه وعلم امرهم في اقبال وقال ليزيد الماشور ان شئت اقمت معنا وان شئت
انصرفت الى قومك فقال ايها الامير نمضي حتى نخبرهم بما رايت
من كرمك وقيامك بالحق وما انت عليه قال فالطفه واكرمه ليخبر
قومه بما راى فيميل الناس اليه فسار الرجل الى قومه فلما وصل الى نصر
اعلمه بما عاين وما شاهد من فضل ابي مسلم وكرمه وعدله في رعيته
قال فزهد اكثر الناس في نصر والله يا ملعون ما تركك الاسكاف الا لهزال
الامر وفساد الرعية وهذه اول حرب جرت بين الحيين فكانت لهم
وخرج على نصر رجل من روساء تلك البلاد يقال له جديع بن علي
بن الكرماني ودعا الى نفسه فكان ذلك تمام الامر لابي مسلم لان
نصرا اشتغل به عنه وجرت بينهم حروب حتى تقوت شوكة ابي مسلم
وكثرت جيوشه وامواله ثم اصطلحا واتفقا على محاربة ابي مسلم
فلما بلغه ذلك سار بنفسه قاصدا لهما فلما قرب منهما تغلو
نصرا وكتب الى مروان ان مدني باهل الشام والعراق فان قدرت فان الامر
عظيم جدا وهون عنده امر ابن الكرماني وعظم امر ابي مسلم
وادرج في كتابه كتاب ابي مسلم اليه بالاية من كتاب الله العجلية
قبل الحرب فراجعه مروان انا اذا دهمنا امر في هذه البلاد كانت
عمدتنا على عسكر الشام فاكتب بما عندك وشد من نفسك
واحسم هذه المادة والسلام قال فعلم نصر انه قد خذل
وخذل فقال انا لله وانا اليه راجعون ذهبت والله خراسان وسيذهب
مروان فراجعه الامر اعظم مما يظنه امير المومنين واكثر
من كان معي علي وانا بين عدوين فانظر لنفسك فاني انا ميت
لا محالة والسلام فكتب مروان الى اميره على العراق وهو ابن هبيرة
المذكور ان مد نصرا بعسكر من اهل العراق قال فداخلته النفاسة
ان يكون من تحت يد نصر فكتب اليه اني ناظر في ذلك وكتب ابو مسلم

على لسان الامام ابراهيم اليه اما بعد فان نصرا وان ذاد بنا بالعداوة فلا تقطع
يدك منه ولا تياس من فتنته لانه امس الناس الينا رحما ولا بد له من الرجوع
الينا ويكون له بذلك السابقة عندنا والسلام واعطاه لثقة وامره
ان يتعرض لعسكر نصر كانه وارد من الشام فاخذ يقول اتيت
من الشام بهذا الكتاب وانا مجتاز لا ادري والله ما فيه واستوجرت عليه
فاخذ الكتاب ومضى وتعرض لهم فاخذوه على انه جاسوس
ثم فتشوه فوجدوا الكتاب عنده فحملوه الى نصر فساله عن خبره
فاخبره فتركه وقرا الكتاب فتحير وانكسر عما كان عليه من
الجد فاقام ابو مسلم اياما وكتب الى نصر اما بعد فاني محب فيك
عارف بقدرك وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت
جهلت هذه المدة حتى اتتني كتب امامنا رضي الله عنه
يخبرني بذلك ويوصيني على حسن المعاشرة لك وموالاتك والسلام
قال فلما قرا نصر كتابه علم ان الكتاب الاول صحيح وبقي
متحيرا لا يدري ما يصنع والحرب في خلال ذلك مضطرمة بينه وبين
ابن الكرماني والناس يفرون في كل عام من عسكره ومن
عسكر ابن الكرماني الى ابي مسلم لكرمه واقباله ويقولون له
اهجم على القوم فانهم لا يفقهون لك فيقول دعوهم حتى يتقاتلوا
فانهم كلهم عدو لنا يعني عسكر نصر وعسكر ابن
الكرماني ثم كتب الى ابن الكرماني يدعوه للدخول في الدعوة
ويكون المقدم فيها والزعيم بها ويبقى له ولعقبه الشرف والذكر
مع مرور الاحقاب فاجابه الى ذلك وركن اليه فلما علم بذلك
نصر كتب الى ابن الكرماني لا يغرك هذا الساحر الشيطان بسحره
والله ما يريد منك الا ضرب عنقك فهلم لك في الموادعة والصلح
معي على ان يكون نصف الجباية والخراج لك فجنح اليه محبة في
الولاية فرحل نصر قافلا حتى دخل مرو وبلد ابي مسلم ونزل دار

الامارة فشق ذلك على ابي مسلم وبقا حايرا خوفا ان يجتمعا عليه جميعا
فيبيد امر اجتمع اليه فلا يتم له مراد ورحل ايضا ابن الكرماني نحو
مرو لاكمال صلحه مع نصر وكتب اليه ان القني في سر لتمام الصلح فراجعه
نصر نحن قد اعطيناك عهد الله وهذا لا يكون سرا فادخل
المسجد الجامع وانا اجمع القضاة والفقهاء ويكتبون بيننا عهدا
قال فدخل ابن الكرماني الجامع واجتمع اليه الناس ينتظرون نصرا
قال فبعث نصر رجلا من قواده يسمى الحارث وقال له امض الى هذا
الكلب وهو مطمين فاوقع به واقتله في الجامع قال فهجم عليه الحارث
وهو مطمين فاوقع به وبرجاله فهم ابن الكرماني بالهروب فطعنه
الحارث فخر صريعا وحز راسه واحتمله الى نصر فصلبه وامر بضرب
الطبل وسر بذلك سرورا عظيما فقتل ابن الكرماني مع دخول
بلد ابي مسلم فبلغ ابا مسلم هذا فاكتاب وحزن ثم ثاب اليه
حزمه وراب اليه قلبه وعزمه وسار نحو نصر راجيا للظفر به
والنصر عليه فلما كان منه على يوم فتح بيوت الاموال واعطى
من عنده اعطاء اخرق به العوايد ولا يمتنع على طالب منه
ولا وارد فلما انتهى ذلك الى جند نصر نسلوا فطووا عنه تساقط
الفراش واتوا ابا مسلم فجاد على الجميع واربى صنيعه كل صنيع
حتى لم يبق مع نصر من رجاله غير النزر وقد كتب اكثرهم
الى ابي مسلم راغبين في الامان طالبين العفو والغفران ثم قدم عليه
ابن بسام وكان مختصا بنصر اختصاص الكبير بالبنان العشر
فاكرمه ابو مسلم واحسن اليه واحبه ومال اليه فعند ذلك عاد
فرح نصر ترحا وسروره كلحا ثم هرب عنه ولد الكرماني
المقتول واتى ابا مسلم في عدة من رجال ابيه فقدمه ابو مسلم
على عسكر ضخم وامره ان يسير الى محاربة نصر طالبا له بثار ابيه
واجتهد في النزال عليه حتى اخرجه من مرو حتف انفه ورحل ابو مسلم

فدخلها

فدخلها وهو يتلو هذه الاية ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها
فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه ثم جمع الناس واخذ
بيعتهم لبني العباس وولى حرسه خالد بن عثمان وجعل على شرطته
مالك بن الهيثم وعلى القضاء القاسم بن مجاشع وعلى الدواوين والكتابة
كامل بن كامل وجعل لكل واحد منهم الف درهم رزقا ورحل نصر
الى الجبال فبعث اليه ابو مسلم لاهز بن قريظ واشياخا معه بلا مال
الى ان وصل وبايع فاجابه الى ذلك واناب وسالهم ان يدخل الى حشمه
في صبحهم فقال لاهز يا موسى فتامل نصر قوله فعلم انه انما اراد قول
الله تعالى يا موسى ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك
من الناصحين فلبس لامته وركب وتركهم فاخبروا بسيره فانصرفوا
واخبروا ابا مسلم فقال هل خلا به احد قيل له لا قال هل كلمه احد
قالوا لا غير ان لاهزا قال في نفسه يا موسى قال هو عدو والله هربه
اضربوا عنقه فضربت عنقه وامر بتثقيف ما ترك من الاموال نصر
والخزاين والنسوان ومن صناديد رجاله اربعة وعشرون منهم كاتبه
البختري وصاحب شرطته سالم بن احوز وغيرهم من خيار مضر
فشاور فيهم طلحة بن رزيق فقال له اجعل صوطك السيف وسجنك
القبر فامر بضرب رقابهم ومضى نظر الى طوس فحصنها وترك فيها
عاملا وانصرف الى نيسابور فاستوطنها فجهز ابو مسلم عسكرا وقدم
عليه خالد بن ابراهيم وبعثه الى بلخ فلما قرب منها هرب
عاملها زياد بن يزيد بن عبد الله القسري فدخلها خالد وكتب
بالفتح الى ابي مسلم فراجعه اني موجه اليك ابن الكرماني فاذا وافاك
فاقتله ثم امر بكتب عهد ابن الكرماني على بلخ وانفذه اليه
فلما وصل امر خالد بقتله وقتل من معه فقتلوا عن اخرهم
وقدم على ابي مسلم قحطبة بزيارة ابراهيم الامام في سجنه
وقد اعطاه لواء وامره ان يعقده عليه وينهض الى حرب نصر

وولاية العراق فقدمه ابو مسلم على العسكر وعقد عليه اللواء
وانفذه الى قتال نصر فبلغ طوس فهرب منها عامل نصر ودخلها
قحطبة وقتل من وجد فيها من رجال نصر وذلك نحو عشرة الاف
وقد تبعه نحو خمسين الفا وقصد نيسابور وعلى مقدمته اسيد الخزاعي
وعلى ميمنته مقاتل بن حكيم وعلى ميسرته ابنه الحسن بن قحطبة
وعلى ساقته خالد بن برمك واقام هو في القلب فلما قرب من نيسابور
اخرج اليه نصر ابنه تميما في عسكر ضخم والتقيا فلما رايا اصحاب
نصر الرايات السود جزعوا فحملت عليهم مقدمة قحطبة
ثم ميمنته فتبعه والناس عن تميم وانهزموا فاخذ عليهم السيف
وقتل تميم وصناديد رجاله واستباح قحطبة جميع الاموال
والعدد واعطى منها خالد بن برمك جملة فلما انتهى الفعل
الى نصر خرج هاربا من نيسابور حتى اتى قومس فرءا انها لا تحمله
فرحل الى جرجان وكان بها نباتة ابن حنظلة عامل لابن هبيرة
امير العراق فرحل قحطبة في اثره حتى اتى جرجان فخرج اليه
نصر ونباتة بن حنظلة بعساكر العراق وعساكرها يسلة عظيمة
حتى لم يقع منها جيش قحطبة بمنزلة الربع فهابهم جيش
قحطبة فحرضهم وجرهم وقال لهم كونوا على ثقة
بان يكونوا لكم طعمة بهذا الخبر عن الامام ثم امر الميمنة
فحملت ثم امر الميسرة فحملت فانهزم القوم سراعا وولوا اوزاعا
وقتل نباتة بن حنظلة وقتل معه نحو عشرين الفا من اصحابه وفر
نصر نحو قومس وبعث الى ابن هبيرة ان مدني بعسكر العراق والا فان
توانيك قبل لحينك قال فغضب ابن هبيرة وسجن رسله فكتب نصر
الى مروان اني كتبت الى ابن هبيرة ليمدني فسجن رسلي وانا بمنزلة
من خرج من بيته الى حجرته ثم الى داره ثم الى فنائه فان لم ادرك خرجت
من فنائي ثم لا اعود اليه ابدا فكتب الى مروان الى ابن هبيرة

يخوفه على ما فعله فرسل نصر ويامره ان يلطفهم ويسير اليه بنفسه في
عسكر العراق اجمع وكتب الى نصر يعلمه بما كتب به لابن هبيرة
ويصبره ويشكره فبلغ ذلك قحطبة فعاجله ووجه اليه ابنه الحسن
ففر نصر امامه حتى نزل الري وكتب الى مروان يعلمه بخروجه من
خراسان وان هذا الامر الذي ازعجه سينمو حتى يملا البلاد ويفني جميع
العباد وكتب في اخره بهذه الابيات

انا وما نكتم من امرنا ∴ كالثور اذ قرب للباخع
او كالتي يحسبها اهلها ∴ عذراء بكرا وهي في التاسع
كنا نرجيها وقد مزقت ∴ واتسع الخرق على الراقع
كالثوب اذ انهج فيه البلى ∴ اعيا على ذي الحيلة الصانع

قال ثم فر نصر على وجهه وجد في فراره حتى
وهى جسمه ومات حسرة بعد يومين من موافاته الى الري فتفرق اصحابه
يمينا وشمالا وتشتتوا ورحل قحطبة الى قومس فدخلها وانفذ ابنه الحسن الى الري
فهرب عاملها حبيب النهشلي ومن كان بها من اهل الشام واهلها
ودخل الحسن ثم لحقه ابوه قحطبة واستقر بها وكتب الى ابو مسلم بالفتح
وبموت نصر ويخبره انه مقيم بالري ويساله ان يقرب منه قال فجمع ابو مسلم
من بقي معه في عسكره وخرج من مرو ونزل نيسابور واخذ بيعة اهلها
واجنادها لبني العباس وانفذ قحطبة ولده الحسن الى همدان واقام هو بالري
فهرب عامله مالك بن ادهم ومن معه من اهل الشام فدخلها الحسن فلما
بلغ ابن هبيرة هذا الحال جهز عسكره الاعظم المسمى عسكر
الطواويس وعقد اللواء على ولده داوود وامره ان يقصد قحطبة بالري
فرحل داوود ونزل كرمان في مائة الف عنان فخرج قحطبة ونزل اصبهان
قاصدا نحو داوود فتلاقيا واقتتلا طويلا وصبر الفريقين فلما راى قحطبة
ثبات داود وصبره ترجل عن فرسه وترجل اصحابه وجثوا على الركب
واشرعوا نحوهم الرماح ومشوا اليهم زحفا حتى خالطوهم فانهزموا

ولم يلو احد على احد وقتلوا قتلا ذريعا وحوى قحطبة المضارب بما فيها
واستباح عسكرهم فاصاب فيه مالا عظيما وكراعا وسلاحا
غزيرا والفوا في كل مضرب ازقاقا من الخمر وطنابير واربة وكتب بهذا
الفتح الى ابي موسى فسر بذلك سرورا عظيما وحزن ابن هبيرة وجزع
جزعا شديدا ثم وجه قحطبة خازم بن خزيمة في عسكر
الى حلوان فهرب عاملها ابن العلاء الكندي فدخلها خازم واصاب بها مالا
جليلا فلما رأى مروان هذا علم ان الشر قد قرب منه وكان بحران فجمع
عساكر الشام باسرها وعساكر الرملة والعراق والجزيرة وامر بني امية
وجمع امراء بني امية وسائر رجاله حيث كانوا واولاده وحمل
بيوت امواله على العجل ورحل حتى نزل الموصل فامر بحفر الخنادق وتحصين
الاسوار على كل بلد خطر عليه ثم سار حتى نزل الزاب وابو مسلم
في خلال ذلك يفتح بلاد خراسان بلدا بلدا ويأخذ اموالها وبيعة اهلها
للقائم من بني العباس حتى استولى على كور خراسان كلها فلما بلغ
قحطبة خروجه نكر اليه مخافة الى العراق حتى نزل حلوان ثم عبر
دجلة ونزل الانبار ثم رحل نحو الكوفة فلما بلغ ابن هبيرة ذلك اخذ
في الرجوع الى الكوفة فلما بلغ قحطبة الخبر جد في السير ليلا ونهارا رجاء
ان يسبقه اليها حتى عبر المخاضة الكبرى قريبا من الكوفة عند غروب
الشمس واقتحم عليها من غير دليل فاصبح القوم وقد فقدوا اميرهم
قحطبة ولم يعلموا له خبرا ولا وجدوا له اثرا فاختلف الناس فيه فقال
قائل ابتلعه التمساح وزعم معن بن زائدة انه لقيه في المخاضة وحده
فطعنه طعنة اسقطه بها والذي عليه الجمهور انه عثرت به فرسه
في بلوعة فغاب فيها كما جرى لابيه شبيب فاجتمع راي قواده
وجميع اجناده على ان قدموا عليهم ابنه الحسن وعقدوا عليه اللواء
ولما بلغ ابن هبيرة موت قحطبة قال عجبا من عسكر هازم وراعيهم
ميت فلما بلغ مروان موت قحطبة قال هذا والله هو الادبار

يهزم ميتا وحيا ثم رحل الحسن بن قحطبة وسار حتى نزل قريبا
من الكوفة وقد دخلها ابن هبيرة فاخرج الى الحسن عسكرا وقدم
عليه ابن نباتة في الخبر ما اظل عليهم الحسن بن قحطبة فانهزم ابن نباتة
حتى نحو باب ابن هبيرة وكان ردءا له فعند ذلك انهزم ابن هبيرة بانهزام
ابن نباتة ومضى على وجهه حتى قطع الجسر واحتوى ابن قحطبة على
الغنائم والاموال والعدد والمواشي والمماليك وسار قاصدا الى الكوفة
فنزل العباسية على فرسخ منها فهرب مستخلف ابن هبيرة عليها وهو
ابن بسر العجلي هرب في الليل فجمع خالد بن عبد الله القسري الناس وانسهم
وامرهم بالطاعة لبني العباس فاجابوه الى ذلك وكتب الى ابن
قحطبة ادخل الى بلدك فكلنا طاعة وخرج يوما اخر فتلقاه
وسلم البلد اليه فدخله ونزل دار الامارة وسال عن ابي سلمة وهو
حفص بن سليمان الخلال الهمداني الصيرفي صاحب محمد بن علي
فقيل له هو في دار مستترا فسار اليه بنفسه وسلم عليه بالامارة ودفع
اليه اللواء وعقد له عليه وسلم البلد اليه وتركه واليا واوصاه باكرام
محمد بن خالد القسري ومشاركته في الراي ومبرته وسار نحو ابن هبيرة
في جماعة القواد وامراء الاجناد وفرق العمال على ما اطاع له من
البلاد ووجه اخاه حميد الى مداين كسرى ووجه للاهواز
ابن بسام وكان عليها عبد الواحد ابن هبيرة اخو يزيد الامير
فهرب منها وقصد البصرة وهو فيها في غمار الناس فكتب ابو
سلمة الى سفيان بن يزيد بن المهلب الى البصرة ان قم بالدعوة في البصرة
للقائم من بني العباس وخذ بيعة اهلها واثبت عليها واليا ان شاء الله
وثب على ابن هبيرة وعلى الامير بها قيس الهلالي فاحبسهما والسلام
فلما وصله الكتاب بعث الى قيس ان اخرج من دار الامارة فانك
معزول فامتنع من ذلك فجمع سفيان خاصته ومن هناك من الشيعة وزحف
اليه فقاتله في القصر فخرج اليه قيس وابن هبيرة فانهزم ابن المهلب

وفر الى القصر الابيض وبعث يزيد بن هبيرة من واسط لقيس بن حرضه ويشكره
على وقوفه مع اخيه وان ابراهيم الامام لما طال عليه سجنه كتب
الى ابي مسلم مستقصرا له لتاخره عنه وقلة اهتمامه بسجنه ان حمار
الجزيرة يعني مروان قد اشتغل بنفسه فانهض اليه خفيفا وثقيلا والسلام
قال فوقع الكتاب في يد مروان فاحفظه عليه وامر بابراهيم
ان يدخل راسه في جراب مملو نورة حتى يموت اشد موتة وان يقتل
معه العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وعبد الله بن عمر
بن عبد العزيز وكانا محبوسين معه لانه خافهما وكان سبب
سجن مروان للامام ابراهيم انه وكل من رجاله من يثق به لضبط الطرق
فجاءه بعضهم برسول ابي مسلم الى الامام ابراهيم وعنده كتابه
اليه معلما له بما مال اليه امره وبما استفتح من البلاد فلما وقف عليه
قال للرسول لا ترع كم دفع اليك ابو مسلم قال كذا وكذا قال هذه
عشرة الاف درهم اليك وسر بالكتاب الى ابراهيم ولا تعلمه
اني رايتك ولا رايتني وخذ جوابه وايتني به ولك عندي في مثل ذلك
ولك امان الله التام العام قال فنهض الرسول بالكتاب الى ابراهيم فراجعه
فيه بخطه بيده يامره فيه بالجد والاجتهاد والحيلة على عدوه
وغير ذلك من امره ونهيه وفي اخره

دونك امر قد بدت اشراطه ‏ ‏ ‏ ان السبيل واضح صراطه
لم يبق الا السيف واختراطه

قال فاخذ الرسول الكتاب واتى به الى مروان فلما قراه كتب الى
الوليد بن معاوية بن عبد الملك واليه بدمشق يامره ان يكتب الى عامل
البلقاء المعروفة بالحميمة فياخذ ابراهيم بن محمد بشده وثاقه
ويبعث به اليه في كل كتيبة فوجه اليه الوليد بذلك فوجه
عامل البلقاء اليه من اخذه وقيده وجاء به الى الوليد فوجه الوليد الى مروان
فلما مثل بين يديه استفهمه عن قيام ابي مسلم بدعوته فانكر ذلك

فقال

فقال له مروان يا منافق اليس هذا كتابك الى ابي مسلم جوابا عن كتابه اليك
واخرج اليه الرسول وقال له اتعرف هذا فلما راه امسك وعلم انه اوتي
من مامنه وان الحيلة قد انت عليه فامر بسجنه مع جماعة من بني هاشم
وبني امية منهم عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان والعباس بن
الوليد بن عبد الملك بن مروان ومن بني هاشم عيسى بن علي وعبد الله
بن علي وعيسى بن موسى اذ كان مروان خشي ان يقوموا عليه فلما
ايقن ابراهيم الامام بالموت كتب عهده لاخيه ابي العباس وبعث به في
سر مع ثقته وهو سابق الخوارزمي مولاه واوصاه ان حدث به حادث ان يدفع
السير الى ابي العباس بوصيته فلما قتل سار سابق الى بني العباس فدفع اليه الو
صية واوصاه فيها بستر هذا فاطلع ابو العباس عليها جماعة من اهل
بيته وكتب الامام ابراهيم ايضا الى ابي مسلم والى سائر شيعته مثل ابي سلمة
الخلال والحسن بن قحطبة وغيرهم من الامراء يامرهم ويوصيهم
باشياء واعلمهم انه عهد الى اخيه ابي العباس فيسمعوا منه ويطيعوه
ثم قتل رحمه الله بعد ان اقام في الحبس سنتين بحران وكانت وفاته سنة
ثلاثين ومائة وقيل سنة احدى وثلاثين وهو ابن اثنين وخمسين سنة وكان
مولده سنة ثمان وسبعين قتل غما بالنورة دس راسه فيها فاقبل يضطرب
برجليه حتى هدئ ولما بلغ ابو موسى موته قال رحمه الله كلما قال في
الله حق لا ريبة فيه وقد رايناه عيانا وهذا الوقت الذي حده لنا لتمام الامر
وظهور الدولة العباسية ان شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين
ولما كان سجن الامام ابراهيم فر ابو العباس السفاح واخوه ابو جعفر
المنصور وعماهما عبد الصمد وعبد الله ابنا علي وتخبسوا في الاخبية
فمروا على ماء من مياه بني تميم فنزلوا عليه فاذا امراتان مقبلتان الى الماء
فوقفتا عليهم وقالتا ما راينا اكرم ولا اصبح من خليفة ولا امير قال فانتهرهما
عبد الله بن علي وقال لهما كفا عنا ما نريد ان منا قالتا اي وابيك ان هذا
لخليفة واشارتا الى السفاح وان هذا الامير واشارتا الى ابي جعفر المنصور

ولتطلبنها انت واشار الى عبد الله ابن علي وليظفرن بك هذا واشار الى ابي جعفر
وليقتلنك فانتهى وهما وسارا الى الكوفة فلما انتهوا الى دومة الجندل لقيهم
داوود بن علي وموسى ابنه وهما منصرفان من العراق الى الحميمة فسالهم داوود
عن سيرهم فاخبره ابو العباس بسببه واعلمه بحركة خراسان بسببهم مع
ابي مسلم وانه يريد الوثوب بالكوفة فقال له داوود يا ابا العباس تثب بالكوفة
ومروان شيخ بني امية وزعيمهم ومعه اهل الشام والجزيرة فضلا عن
اهل العراق وابن هبيرة شيخ العرب بالعراق فقال ابو العباس يا عماه من احب
الحياة ذل وتمثل بقول الشاعر

وما ميتة ان متها غير عاجز ۞ بعار اذا ما غالت النفس غولها

فالتفت داوود الى ابنه موسى فقال اي بني صدق عمك ارجع بنا معه
نحيا اعزاء ونموت كراما فانصرفوا معه فلما وصلوا الى الكوفة سالوا
عن ابي سلمة فقصدوه فاخلاهم دارا في زاوية البلد وذلك في صفر
سنة اثنين وثلاثين ومائة وجعلهم فيها ليلا واجرى عليهم نفقتهم
ولم يعرف بهم احد ولا ترك ان يتصرف لهم بشر ومتى وجهوا اليه في شيء
نظر لهم فيه ومتى سالوه عن خروجهم وظهورهم يقول لهم ما هذا
وقتكم ابن هبيرة قريب منا ومروان وقد بلغنا انه واصل الينا وكانت
هذه الاعذار منه حيرة بها عنهم لانه كان مائلا الى علي بن ابي طالب
رضي الله عنه وكان مذهبه تقديم احدهم وذلك انه لما بلغه موت
الامام ابراهيم خاف انتقاض الامر عليه فبعث محمد بن عبد الرحمن
بن اسلم مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي عبد الله جعفر بن
محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين
وعبد الله بن الحسن ايضا وكتب معه اليهما كتابا على نسخة واحدة
يدعو كل واحد منهما الى الشخوص اليه ليصرف الدعوة اليه وياخذ بيعة
اهل خراسان له وهو يقول لهم العجل العجل ولا تكونن كوافد عاد
قال فقدم رسوله محمد بن عبد الرحمن المدينة على ابي عبد الله جعفر

بن

بن محمد فلقيه ليلا فاعلمه انه رسول ابي سلمة اليه ودفع له الكتاب فقال
ابو عبد الله وما انا وابو سلمة ابو سلمة شيعة لغيري فقال له الرسول اقرا
كتابه واجبه بما رايت فدعا ابو عبد الله بسراج فاحرق الكتاب
وقال للرسول عرف صاحبك بما رايت ثم تمثل ببيت الكميت حيث يقول

ايا موقدا نارا لغيرك ضوءها ۞ ويا حاطبا في حبل غيرك تحطب

قال فخرج الرسول من عنده واتى عبد الله بن الحسن فدفع اليه الكتاب
فقبله وقراه وابتهج به فلما كان بالغد ركب حمارا ونزل على ابي عبد الله
جعفر بن محمد الصادق فلما رآه ابو عبد الله اكبر مجيئه وكان عبد الله
اسن منه فقال يا ابا محمد امر حدث ما جاء بك قال نعم هو اجل من ان يوصف
فقال وما هو يا ابا محمد قال هذا كتاب ابي سلمة الي يدعوني الى ما قبله فقد
قدمت عليه شيعتنا من خراسان فقال له ابو عبد الله يا ابا محمد ومتى كان
اهل خراسان شيعة لك انت بعثت ابا مسلم الى خراسان وانت امرته بلبس
السواد وهؤلاء الذين قدموا العراق انت كنت سبب قدومهم او وجهت بهم
او هل تعرف منهم احدا فنازعه عبد الله الكلام الى ان قال له انما يريد
القوم ابني محمدا لانه مهدي هذه الامة فقال له ابو عبد الله والله ما هذا
الا نصح مني لك ولقد كتب الي ابو سلمة بمثل ما كتب به اليك فلم يجد
رسوله عندي ما وجد عندك ولقد حرقت كتابه من قبل ان اقراه قال
فانصرف عبد الله من عنده مغضبا ولم ينصرف رسول ابي سلمة اليه الا
بعد ان بويع لابي العباس السفاح بالخلافة رحم الله الكاتب والقارئ والمؤلف
والسامع وجميع المسلمين امين

ذكر ابي العباس السفاح ومقتل مروان بن محمد

ولما بلغ ابو مسلم موت ابراهيم الامام استخلف على
سمرقند ومن هو من عماله وجميع من قدر عليه من الاجناد ودنا من
العراق متكشفا عن حال ابي العباس السفاح وموضعه ووجه ابا الجهم

خاصته الى الكوفة ووجه ابا حميد ايضا واوصاهم ليتجسسوا هل وصل
اليها امر الامام محمد اباه كان اعلمه ان بها يكون قيامه ومنها يظهر
امره فوصلها ابو الجهم وكان يسال الناس ويتجسس فلا يجد له عند احد خبرا
فاتى الى ابي سلمة وقال له الامير ابو مسلم بعثني اليك متكشفا عن امر الامام
الخليفة من ولد محمد الامام وهو الصغير منهم هل وصل اليكم امره فقال له
ما عندي منهم علم وما هذا وقت ظهوره حتى توخذ واسط لان ابن
هبيرة ومروان قريب منه في امم لا تحصى فتركه ولم ييأس وجعل يسال
حتى لقي يوما في سكك الكوفة ابا حميد سابقا الخوارزمي وهو مولى
لبني العباس فقال له ما صنع موالينا واين استقر اليوم فقال له سابق لهم معك
في البلد مدة ينتظرونك لانهم بلغهم انك بعثك ابو مسلم لتكشف
لهم عن خبرهم وقد ثبطهم هذا الرجل ابو سلمة عن الظهور
واستبد بالامر لنفسه فقال له وكيف الوصول اليهم فقال له اقرب مني اليك
اقف هنا حتى اتيك فمضى اليهم واخبرهم خبره وكانت عند
القوم صفته وخبره قديما وحديثا فقال له يا سابق هو ضالتنا المنشودة
وطلبتنا المفقودة علينا به الساعة قال فرجع اليه سابق وادخله عليهم
فسلم بالخلافة وجلس فاخبرهم ان ابا مسلم بعثه متجسسا اخبارهم وانه
كتب الى الحسن بن قحطبة ان سر الى الكوفة واسال عن الصغير من اولاد
محمد الامام الذي اسمه كذا وكذا وكنيته كذا ونعته كذا فاذا وجدته
فبايع له بالخلافة فهو امير المومنين احب ابو سلمة او كره فقالوا له
عجل بالمسير اليه وكان بالقرب من الكوفة معسكرا خوفا من ابن هبيرة فوصل
اليه وناوله كتاب ابي مسلم فقال له واين صاحب هذا الاسم وانا في الوقوف
عليه فقال له هو مختلف في دار بالكوفة مع ثلاثة عشر رجلا من اخوته
واهل بيته وكان من بني العباس في تلك الدار ابو العباس السفاح واخوه
ابو جعفر المنصور ويحيى اخوهما هولاء بنو محمد بن علي بن عبد الله
بن العباس وعبد الله وسليمان وداوود وصالح وعيسى واسماعيل

وعبد الصمد وموسى وبنو ابراهيم محمد وعبد الله وعبد الوهاب
فاقاموا في تلك الدار ايام الفتنة نيفا واربعين يوما بعد ولاية ابي سلمة على
الكوفة وظهور دعوتهم وامرهم مكتوم على شيعتهم لا يعرف بهم احد
قال فلما سمع ذلك الحسن بن قحطبة كبر واستخلف على عسكره
اخاه حميدا ونهض بنفسه نحو الكوفة في خمسة الاف فارس حتى اتى البلد
ليلا وترك الجيش خارج البلد ومضى في جول رجاله حتى اتى الدار وما عند
ابي سلمة منه خبر فلما دخل عليهم قال ايكم بنو العباس قال ابو جعفر
كلنا بنو العباس وكان واحد منهم قد طالبها لنفسه فقال ايكم اولاد محمد
بن علي الامام قال ابو جعفر عند ذلك علم القوم انهم لا حظ لهم في الخلافة
ورفعت انا واخي ابو العباس واخونا يحيى روسنا وقلنا نحن بنو محمد الامام
فقال ايكم عبد الله قال ابو جعفر فعندها ايقن اخونا يحيى انه خارج
عن الخلافة ولم يبق الا انا وابو العباس وكلانا عبد الله لان ابانا محمدا الامام
وجد في الصحيفة ان الخليفة يكون اسمه عبد الله فلما ولدت له سماني
عبد الله فلما لم يجد في العلامة وولد له اخي ابو العباس ووجد فيه العلامة
فسماه عبد الله قال ابو جعفر فلم يبق من طمع فيها غيري لاني
عبد الله واخي الصغير هذا عبد الله قال فايكم ابن الحارثية قال ابو جعفر
فعندها يئست من الخلافة وعلمت انها لابي العباس اخي فقال له انا ابن الحارثية
فقال له اكشف لي عن ظهرك لارى العلامة فكشف عن ظهره فلما
راها قبلها وقال له امدد يدك ابايعك فانت امير المومنين فبايعه وكبر
وكبرنا ثم سل سيفه وقال لنا بايعوا امامكم فلم يبق منا احد الا بايعه
بيعة صحيحة وسلم عليه بالخلافة ثم ادخل عليه من كان معه من وجوه
الاجناد فبايعوه وقد طلعت الشمس فقاد له فرسا اشهب من خيل ابيه
قحطبة فركبه وكذلك لاخوته واخيه واعمامه وبني عمه خيولا
فركبوا معه بعد ان لبس السواد وسودنا كلنا معه ومضى به الى المسجد
الجامع الاعظم بالكوفة وما عند ابي سلمة علم حتى سمع التكبير

فقال ما هذا قيل له الناس يبايعون امير المومنين من ولد العباس فنهض الى الجامع
وقد صعد ابو العباس المنبر والناس يبايعونه فقال الحسن بن قحطبة ان لم يسلم
ابو سلمة عليه بالخلافة فاضربوا عنقه فجاء ابو سلمة فسلم عليه بالخلافة
وبايعها عليه فقال له ابو الجهم على رغم انفك فقال له هذا كان غرضي
لاكنكم عجلتم علينا وسبقتمونا اليه فاغلظ عليه ابو الجهم فقال له
ابو العباس صه وعظم ابا سلمة وامره ان ينصرف الى مضاربه وامارته
وكان قد عسكر بخارج المدينة فانصرف وكان ابو العباس محموما
فقصد المنبر وصعد معه داود تحته لانه كان افصحهم كي يتم
الخطبة اذا غلب على ابي العباس الحمى واجتمع الناس من الكوفة ومن
عسكر ابي سلمة وعسكر ابن قحطبة حتى ضاق بهم الفضاء وحمى بحر
انفسهم الهوى فقام ابو العباس فخطب وافيا فهرح الناس وقال
احييت السنة يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بنو امية يخطبون
جلوسا فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
ثم قال ايها الناس نحن بيت النبوءة ومعدن الرسالة الذين اصطفاهم الله واجتباهم
واختارهم وارتضاهم اقرب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمهم
به رحما ابونا العباس الحبر وجدنا عبد المطلب شد الله بنا ازر الاسلام
وبنا ركنه والزمنا كلمة التقوى فكنا احق بها واهلها وبعث منا
سيد الاولين والاخرين وخاتم النبيين محمدا صلى الله عليه وسلم الى يوم
الدين وجعله حريصا علينا بالمومنين رءوفا رحيما اذهب عنا الرجس
اهل البيت وطهرنا تطهيرا ولم يسئلنا عليه اجرا الا المودة في القربى
وجعلنا مع نفسه ورسوله بالسواء في الغنايم فقال تبارك وتعلى
ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى تكرمة منه
وفضلا علينا والله ذو الفضل العظيم فافتنت علينا وظلمنا وقد
سودنا انفسنا حتى ننصر ونعان وانتم ولاتنا وشيعتنا ودعاتنا وامراء هذا
الامر بكم اظهر الله الحق واخمد الباطل اما ترون انفسكم في اقبال

وعدوكم

وعدوكم في ادبار ولن تغني عنهم فئتهم شيئا ولو كثرت وان الله مع
المومنين ولاكن امهلهم فلما اسفونا انتقمنا منهم ومن الله على الذين
استضعفوا في الارض وجعلهم ايمة وجعلهم الوارثين ومكن لهم في
الارض فختمتم بنا كما استفتح بنا من قبل وقد زدت في اعطيتكم مائة
درهم لكل رجل وانا السفاح ثم غلبت عليه الحمى فجلس فقام داود
عمه فقال الا ان حنادس الظلم قد انقشعت وشمس الحق قد طلعت ولاح
النور من موضعه وطلع البدر الى مطلعه وعاد السهم الى منزعه
واخذ القوس باريها ونزع الحلة عاريها وانا والله ما قمنا في هذا الامر
اشرا ولا بطرا الا غيرة من فسوق بني امية وجورهم ولقد كانت قلوبنا
تتقصد مما من قتلكم وظلمكم وذلكم ونحن ناخذ فيكم
ان شاء الله بالكتاب والسنة فتبا لمن اثر العاجلة على الاجلة والفانية على
الباقية ركبوا العظايم وجاوروا في الاحكام واحتملوا الاثام ومرحوا
في اعنة المعاصي واخذوا بالذوايب والنواصي وقد جعلوا الفيء في الغني
والمغانم في المحارم حتى اتاهم باس الله بياتا وهم نائمون فتبا لهم وتعسا
وبعدا وسحقا قد ابدل الله لكم مروان بحبيب الرحمن الا وانه ما طلع منبركم
هذا بعد علي بن ابي طالب رضي الله عنه مثل امير المومنين هذا ونحن
نسلمها لعيسى بن مريم عليه السلام والخلافة فينا الى ان تقوم الساعة
اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم فنزل فازدحم الناس على ابي
العباس يبايعونه حتى لم يبق واحد الا بايعه فرحا مستبشرا طايعا
غير كاره وامر اخاه ابا جعفر ان يخرج فياخذ بيعة العامة وباقي الاجناد
ففعل ثم ركب ابو العباس وانصرف ودخل قصر الامارة وذلك يوم
الجمعة لست خلون من شهر ربيع الاخر سنة اثنين وثلاثين ومائة وجلس
في موضع علي بن ابي طالب رضي الله عنه ثم رجع فصلى بالناس الجمعة
وخطب خطبة ثانية فكانت في ذلك اليوم خطبتان فكانت اول
جمعة واول خطبة خطب فيها لابي العباس وهو حاضر ثم اقام ابو العباس

ثلاثة ايام وعسكر وخرج بنفسه في جيش عرمرم وسار ثلاثة ايام حتى نزل
الهاشمية ثم فرق عساكره فوجه اخاه ابا جعفر المنصور مع الحسن
بن قحطبة بعسكره الى واسط لقتال ابن هبيرة ووجه موسى بن عيسى
الى المداين مع حميد بن قحطبة في عسكره واستخلف على الكوفة عمه
داوود وبقي هو في عسكر ابي سلمة وسرادقه وابو سلمة معه فيه وبينهما
شنآن وهو متغير عليه حتى عرف في وجهه
فلما بلغه خبر ابي العباس وهو بحران رحل عنها قاصدا ابا العباس بالهاشمية
ومروان في مائة الف راكب ومثلها رجالة فنزل منزلا قريبا فسال عن اسمه
فقيل له بلوا فقال بل بشرا وعلوا فتطير به ثم رحل عنها حتى اتى الموصل
وقرب من ابي العباس **فلما** وصل خبره الى ابي العباس جمع اهل بيته وقال
ايكم يلقى مروان فهو الخليفة من بعدي فقال له عمه عبد الله انا يا امير
المومنين كفو له ولامثاله قال له نعم كذلك قال الامام ابراهيم
اخلماد مع ابي الصهبة حين سجنه مروان وامرني ان استتر حتى اتي الكوفة
قال فاختار ابو العباس من عسكره اثني عشر الفا وقدم عليهم
عمه عبد المذكور وعقد اللواء على راسه ودفعه اليه بعد ان سوده وسود
الويته وبنوده وقال له سر على بركة الله وانا من ورايك ونحن الغالبون
ان شاء الله ثم انشد السفاح

يا آل مروان ان الله مهلككم ... ومبدل امنكم خوفا وتشريدا
لا عمر الله من انسالكم احدا ... وبثكم في بلاد الخوف تطريدا

قال ثم دفع السفاح هاذين البيتين الى رجل وامره ان يقوم على
الجبل وينشدهما ليلا حتى يسمعه مروان وجيشه ثم يهرب وينصرف قال
ففعل ذلك الرجل حتى سمعه الجيش فدخل الرعب والخوف في قلوبهم
فسار عبد الله بن علي لليلتين خلتا من جمادى الاخرة سنة اثنين وثلاثين
ومائة وجد حتى نزل الزاب فرتب جيشه وجعل على ميمنته ابا الجهم وعلى
ميسرته اوس بن عدي وعلى مقدمته حباس بن حبيب الطائي وعلى ساقته

قصير

قصير بن محمد وصار هو في القلب فعبر المخاضة التي كانت بينهما ونزل معه
في صفة واحدة فبعث مروان ابنه عبيد الله في عسكر وامره ان يعقد جسرا
ويحفر خندقا بينهما فقدم اليه عبد الله بن علي ابو محمد المخراق وابن عماري
اربعة الاف فارس وامره بقتالهم ففعل فانهزم المخراق وقتل من جيشه بشر
كثير واخذ المخراق اسيرا وبعث به عبيد الله مع جماعة الى ابيه مروان
فقال له مروان انت مخراق فقال لا قال اوتعرفه قال نعم فنظر الى راس من تلك الرؤوس
التي حملت مع الاسرى مقطوعة فقال هذا هو مخراق ففرح مروان وامر بالراس
فصلب وترك مخراق **قال** فلما بلغ عبد الله بن علي خبر الهزيمة
قال لاصحابه سيروا بنا اليهم وهم في فرح الهزيمة مشغولون ملتهون فرحل
عبد الله حتى نازلهم فركب مروان وصف بهم فلما اشرف عليهم عبد الله
وعساكره وهم مسودون هابهم ورعب رعبا شديدا حتى اضطربت
رجلاه في الركابين فقال له وزيره وكاتبه عبد الحميد ما هذا الذي ارى
من امير المومنين الضرب الى اللقاء جزع من القوم فقال بلى والله جزع
من القوم فقال له وكيف هذا وانت اعز خيلا منهم في مائة الف وهم شرذمة
قليلون فقال والله لقد كنت اود ان اكون في قلتهم ويكون في سعدهم
ويكون لهم هذا الجمع مع ادبار لا كران قاتلونا قبل ان تزول الشمس
فما لنا ايام وان قاتلونا بعد زوال الشمس فهي لنا حتى نسلمها لعيسى بن
مريم عليه السلام ثم بعث مروان رسولا لعبد الله بن علي بان هذا وقت
الهاجرة وانما السنة في القتال بعد الزوال فهل لك في الراحة حتى تزول الشمس
فبعث اليه عبد الله تقول انخدعني يا ابن الخنا والله لا زالت الشمس الا برماحي
ان شاء الله وامر الميمنة ان تحمل فحملت ثم امر الميسرة ان تحمل فحملت وامر
مروان اهل الشام ان يحملوا فحملوا حملة عظيمة وصدقوا في حملتهم
حتى كشفوا اصحاب عبد الله بن علي كشفة قبيحة وازالوهم عن مراكزهم
وتكاثروا عليهم وولوا عليهم الحملات في ساعة واحدة اربعة
عشر مرة فلما راى عبد الله شدة دفاع القوم وصدق قتالهم تدرع

وامر عسكره ان يتقدموا وقال لهم موعدكم واياكم القبة الحمراء وهي قبة
مروان ثم حمل في القوم وعمل فيهم بالسيف ما يعجز عنه الوصف ولم يزل
يضرب فيهم حتى انتهى الى القبة الحمراء وهو فسطاط مروان ثم رجعوا
وهم ينادون يالثارات قال ولما راى مروان ذلك قال لقضاعة احملوا فقالوا
حتى تحمل بنو سليم فقال لغطفان احملوا فقالوا حتى تحمل بنو عامر فقال
لصاحب شرطته اضربوا اعناقهم فقال ما سمعوا منك فكيف اقدر
على ضرب اعناقهم فقال له والله لادعا فيك غدا ان شاء الله فقال له والله
لقد كنت اود ذلك وتنقل الى غد امرا ناهيا فبينما هم في ذلك الكلام
اذ قيل لمروان بيت المال الصغير قد نهبت فابعث اليه من يحميه فامر من
يمضي اليه يحميه فقيل له ماله الا انت فمضى اليه ليحميه فقيل له بيت المال
الكبير الذي تركت ينهب فرجع فقيل له سرادقك قد انتهبت اليه
الهزيمة فمضى اليه فوجد الهزيمة قد الجات الناس الى الجسر وذلك
يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الاخرة من العام
المذكور فتكاثروا عليه فانقطع فمات اكثر اجناده غرقا ومنهم
ابراهيم المخلوع بن الوليد بن عبد الملك اخو يزيد الناقص وغرق
من بني امية في ذلك اليوم ثلاثمائة رجل دون من غرق من ساير الناس
وكان سبب هزيمتهم ان مروان لما نهض ليحمي بيت المال
راوا اصحاب البنود قد مالت فظنوا انه قد انهزم فانهزموا وعقد عبد الله
جسر الجوز وراءهم فلما راى مروان انهزام جيشه وادبارهم جمع عبيده
وحشمه وبنيه وخاصته في نحو اربعة آلاف رجل وقصد السماوة
راجيا ان ياتي مصر فجلس عبد الله على الجسر وهو يتلوا هذه الاية واذ فرقنا
بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون واقام عبد
الله بن علي في المضارب ثلاثة ايام يجمع الاموال والاثاث والسلاح
والكراع حتى كاد ان يفوته مروان وهو ياخذ البيعة من الناس لابي العباس
السفاح فتكلمت في ذلك الخطباء وانشدت الشعراء بخراسان

فقال احدهم

لج الفرار بمروان فقلت له   عاد الظلوم ظليما همه الهرب
اين الفرار وترك الملك اذ ذهبت   يد الهوينا فلا دين ولا حسب
شبيه فرعون في ظلم وفي غرور   وفي نداه فكلب دونه كلب

قال وكتب عبد الله بالفتح الى ابي العباس السفاح وانه ناهض
في اثر مروان وجهز عسكرا وقدم ابا عون وامره بالجد في اثر مروان
حتى يحول بينه وبين الخوص في مصر فلما بلغ كتاب الفتح الى السفاح سجد
وكبر وتلا قوله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود الاية وامر لكل من
حضر الهزيمة بالف درهم ورحل عبد الله في اثر مقدمته ابا عون طالبا
لمروان حتى اتى حلوان فخرج اليه عاملها ابان بن محمد اخو مروان لابسا
السواد فبايع للسفاح وسال الامان فامنه عبد الله واخذ بيعة اهلها
وخلف عامله ورحل حتى اتى الجزيرة فامن اهلها واخذ بيعتهم وترك
عامله فيها ومضى على وجهه حتى اتى حمص فتلقاه اهلها بالسمع
والطاعة فامنهم واخذ بيعتهم وترك فيها خليفة وقصد
دمشق حتى نزلها وبها من صميم امية وغيرهم خلق كثير يزيدون
على مائة الف مقاتل لانها دار مملكتهم وفيها الوليد بن معاوية
ابن عبد الملك خليفة مروان وابن عمه وصهره فدعاهم الى البيعة
للسفاح فلم يفعلوا فحاصرهم وقاتلهم قتالا شديدا ونصب
عليهم المجانيق حتى هدم السور ودخلها بالسيف فقتل خلقا
كثيرا من بني امية وممن يقول بقولهم ويميل اليهم ووجه الوليد
بن معاوية ابن عبد الملك وعبد الجبار بن يزيد بن عبد الملك و
معهم بعض بني امية الى السفاح فامر بقتلهم وصلبهم وامر
بهدم سورها كله وخلف عليها عامله وسار نحو مصر يريد
مروان فنزل الاردن فاخذها ثم رحل فنزل فلسطين فاخذها ولم يزل
في فتح ونصر حتى فتح الشام كله ولما لحق ابو عون عبد الملك

بن يزيد وعامر بن اسماعيل المذحجي وهما قائدان لمروان وكان ذلك في بنا
من مصر بموضع يقال له ابو صير من قرى مصر التحقت الخيل بمروان وعن
قول ما نزل بفواده وانهما حالا بينه وبين نسائه فلما سمع ذلك امر
بضرب سرادقه وجمع فيه بناته وحشمه واخذ الة حربه ووقف وقد
وطن نفسه للموت فلما كان بين العشاءين عشية عسكر ابي عون
وقد دويت طبوله حتى جاوبتها تلك الجبال فلما اشرفوا عليه كبروا
ونادوا يا للثارات ابراهيم فقال مروان لاحد عبيده امض الى هذا الرجل
وقل له الله الله في الحريم وقد كان عبد الله اوصى ابا عون بما يراجعه
فاوصل اليه الكلام فقال له علينا في ستر حرمك حق فنحن نسترها
ولنا في دمك حق فنحن نريقه فرجع اليه الغلام فاعلمه بما قال فقال
مروان علمت انهم يقتلونني بابراهيم والان قد طاب الموت قال
فعند ذلك تفرق الناس عنه حتى اولاده ولم يبق معه غير النساء
والصبيان والصقالبة فجرد سيفه وقاتل على سرادقه حتى مات قتيلا قتله
عامر بن اسماعيل فخرج حاجبه ابو مفراض وكان ايضا حاجبا لابيه
وهو شيخ مسن فقال ايكم الامير عبد الله بن علي فقالوا له هو قريب
فقال مولانا امير المومنين مروان امرني ان ادفع هذه البردة بردة
النبي صلى الله عليه وسلم حملها اليه وقال هو احفظ بردة ان يكرمه حتى
يوصلها الى اميرهم فقال له امض اليه وابعث معه من يوصله اليه
وذكر ايضا ان عامر بن اسماعيل لما قتل مروان اراد الدخول الى
المضرب الذي له وفيه نساؤه وبناته فاذا الخادم لمروان قد سل سيفه
وعاد يريد الدخول عليهن فاخذ الخادم السيف واراد ضرب عنقه
فصاح به ابو عون واراد ان يبطش به فقال له الخادم والله انك ان قتلتني
ليفقدن ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابو عون
فما بالك اشهرت السيف قال ان مولانا امرني اذا هو قتل ان اضرب رقاب
بناته ونسائه فقال له انظر هل ما تقول حقا من ميراث رسول الله صلى الله

عليه وسلم فقال اتبعوني فان كذبت فاقتلوني قال فاتبعوه الى موضع رمل بجهة
على القرية فقال احفروا هاهنا فحفروا فاذا القعب والبردة والقضيب والمصحف
قد كان دفن ذلك مروان حسدا منه لئلا يصل اليهم بنو هاشم فوجه
بهما عامر الى عبد الله بن علي فوجه بهما عبد الله الى ابي العباس السفاح
فتداولته خلفاء بني العباس ونزل ابو عون وقطع راس مروان وجعله
في طشت ذهب كان في سرادق مروان وجلس في مرتبته ووجد الشمع
فيه يزهر فقال لهم هنا ما يوكل فقالوا هنا الطعام المعد لمولاي لعشائه
حاضر فقال هاتوه فاتوه به فاكل ثم قال للصقالبة ادخلوا على حشم
مروان واحدة واحدة فجعل يسالهن عن حالهن ويبصرهن حتى لم يبق
غير بنية صغيرة من بناته فابت ان تخرج اليه فاقسم لابد من وصولها
فاتوا بها عنوة فلما دخلت عليه قالت له يا عار قومه اما قنعت
ان جلست مجلس مروان واكلت طعامه وراسه بين يديك حتى كشفت
حرمه اما علمت ان الذي شاء عليه بهذا قادر على ان يخسف بك عن قريب
او لك من الله يوم ثم خرجت فكان قولها له ذلك طيرة والعياذ
بالله وذلك ان عبد الله بن علي وافى سرادق مروان فاخبر بما فعله ابو
عون فساءه ذلك واحزنه فدخل اليهن حيث كن وقبل برهن وسهن
وصبرهن ووعدهن عن ابي العباس خيرا ثم احضر ابا عون وامر
بضرب عنقه رضا لهن منصرفا للقاء امير المومنين وكتب اليه قد
اتبعنا عدو الله مروان الجعدي حتى لجا الى بلد اخيه فرعون فقتل هنالك
ثم وجه اليه براسه مع اخاه صالح ابن علي وكان قتله ليلة الاحد
لثلاث بقين من ذي الحجة سنة اثنين وثلاثين ومائة وله ثمان وخمسون
سنة وقيل ستة وخمسون وكانت ولايته الى ان بويع السفاح خمس
سنين وشهرا واحدا وقيل شهرا وثلث والى ان قتل خمس سنين وعشرة
اشهر وهو اخر خلفاء بني امية بالمشرق وعفى الله للكاتب والقارئ
والمستمع ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

ولما قتل مروان بويع لأبي العباس السفاح وهو عبد الله بن محمد
بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهم أجمعين بويع له بالخلافة
العجيبة التامة بالكوفة سنة اثنين وثلاثين ومائة وقيل في جمادى الآخرة
وقيل في النصف من شهر ربيع الآخر وقيل ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت
من السنة المذكورة وسنه إذ ذاك ثمان وعشرون سنة يكنى أبا العباس
ولقبه السفاح لقب بذلك لما سفح من دماء بني أمية أمه ريطة بنت عبيد الله
بن عبد الله بن المدان الحارثية كانت تحت عبد الملك بن مروان وكان له
منها الحجاج بن عبد الملك ففارقها وخلف عليها بعده محمد بن علي
فولدت منه أبا العباس السفاح هذا وعبيد الله وداوود وميمونة
وكان أبيض جميلا معتدل الجسم أقنى الكحل كثيف اللحية مدور هالة وفرة
استوزر أبا سلمة حفص بن سليمان الخلال وهو أول من لقب بالخليفة
ثم قتل أبا سلمة واستوزر خالد بن برمك وقيل أبا الجهم بن عطية وا
ستكتب أبا أيوب سليمان بن مخلد المرزباني الأهواز وقيل أبا زياد واستقضى
ابن أبي ليلى ثم يحيى ثم سعيد وجعل حاجبه أبا غسان صالح بن الهيثم
وقيل عبد الجبار بن عبد الرحمن وكلواذه مولاه نوفلا وأمّر على خراسان
أبا مسلم وتسمى القيم بأمر ربي وكان نقش خاتمه الله ثقة عبد الله
وبه يؤمن وكان سريع الغضب قريب الرضا جوادا سديد الرأي كريم
الأخلاق وصولا للرحم شجاعا كثير الندمان محبا في سماع القيان
لا كن من خلف ستار تشبيها بملوك الفرس ما وعد قط موعدا فأ
خّرها ولا قام من مجلسه حتى يقضيها ووصل عبد الله بن الحسين بن الحسن
رضي الله عنهما وعن أبيهما بألفي ألف درهم وهو أول خليفة وصل
بهذا العدد الجم فلما سار عبد الله إلى المدينة دخل الناس يهنونه
ويدعون لأبي العباس فقال لهم ما شكركم رجلا أعطانا بعض حقنا
وبان بأجمعه ودخل عليه عبد الله هذا يوما ومجلسه أحسن ما كان
ببني هاشم والشيعة وكان مع عبد الله مصحف فلا شبق الناس ان يتجل

عليه

21

عليه بشيء ويكرهون ذلك في شيخ من بني هاشم أو يقبل بجوابه فيكون ذلك
نقصا به وعارا عليه فأقبل عليه السفاح غير مغضب ولا منزعج وقال له
إن جدي عليا كان خيرا مني وأعدل وولي هذا الأمر فما أعطى جديك
الحسن والحسين رضي الله عنهما شيئا وكانا خيرا منك وكان الواجب
أن أعطيك مثله فإن كنت قد فعلت فقد أنصفتك وإن كنت قد زدتك
فما هذا جزائي منك قال فلم يرد عليه عبد الله جوابا وتعجب الناس من
فصاحته وجوابه له ولما أتي برأس مروان الجعدي ووضع بين يديه
سجد فأطال السجود ثم رفع رأسه فقال الحمد لله الذي أظفرني بك وأظهرني
عليك ثم قال ما أبالي متى طرقني الموت وقد قتلت بالحسين وبني أبيه
مئين وأحرقت شلو هشام بابن عمي زيد بن علي وقتلت مروان بأخي
إبراهيم وتمثل حينئذ السفاح

لو يشربون دمي لم يرو شاربهم • ولا دماؤهم جمعا يروينني

قال ثم سجد ثانية وأطال السجود ثم جلس وقد أسفر وجهه وتمثل
بقول جده العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه من أبيات حيث يقول

أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت … قواطع في أيماننا تقطر الدما
تورثن من أشياخ صدق تقدموا … بهن إلى يوم الوغا فتقدما
إذا خالطت هام الرجال تركنها … كبيض نعام في الوغا قد تحطما

قال وأسرف في قتل بني أمية بسبب قتلهم الحسين بن علي رضي الله عنهما
وقتل زيد وإبراهيم الإمام ولم يزل السفاح يعمل فيهم بالسيف حتى لم يبق
منهم أحدا ولذلك قلوا فالمكثر يقول قتل منهم أربعين ألفا والمقل
يقول عشرين ألفا وأخذ نفسه بمحو آثارهم وتغيير معالمهم وشعارهم
حتى أخرب البركة التي صنع هشام بمكة وكان هشام فضلها على
بئر زمزم وافتخر بها وقال في بعض خطبه قد أبدل الله لكم الماء الأجاج
بالعذب القراح فعظم هذا على الفضلاء بمكة وتواصوا ألا يشرب منهم
واحد حتى غاضت وأتى الله بالسفاح فأخربها قال ولما دانت له الدنيا وبايع له

ابن هبيرة لخروجه الى ابي جعفر وتسليمه عليه بالامارة وتخليه له عن واسط وسير له
معن الى السفاح واخذ له الامان منه ابقاه على حاله فاقام معه سميعا مطيعا
عشرة اشهر ثم ان السفاح امر اخاه ابا جعفر بقتله فقتله غدرا بعد
الامان وسنه اربعون سنة ثم سار حتى اجتمع بعمه عبد الله ودوخ بلاد
الشام كلها واتى دمشق واخذ بيعة اهلها واستكتب الكتاب وجند
الاجناد واتخذ العمال وولى عمه داود على الحجاز فاقام عليها واليا
سنة وحج بالناس واقام الموسم وهو اول موسم اقيم لبني العباس وذلك في سنة
اثنين وثلاثين ثم مرض داود ومات وولى السفاح ابا مسلم على خراسان
بعد ان جاءه وبايعه وولى ابا سلمة الخلال على العراق ثم كتب الى ابي مسلم
اني تغيرت على ابي سلمة ونريد رايك فيه فكتب اليه من في نفسك منه
شيء فاقتله ولا تشتغل سري باحد فراجعه ان انظر انت في قتله فبعث
اليه ابو مسلم من رصده ثم خرج من داره ليلا يصلي بالناس فقتله فوجد
ابو سلمة عند الصباح مقتولا ملقى على وجهه ولم يعلم قاتله
فعظم ذلك على الناس وجد فرو كتب بقتله الى السفاح فاظهر عليه
التوجع واكثر فيه التفجع وقال قتلته الازارقة لا شك فيه وقد ذكر
ان ابا مسلم السراج كتب الى ابي العباس السفاح يشير عليه بقتل ابي سلمة
وكان في نفس السفاح فيه شيء بسبب رومه رد الامور عنه الى غيره
فكتب اليه ابو مسلم وهو يقول قد احل الله لك يا امير دمه لانه نكث
وغير وبدل فقال السفاح ما كنت لافتتح دولتي بقتل رجل من
شيعتي لا سيما مثل ابي سلمة وهو صاحب هذه الدعوة وقد عرض
بنفسه وبذل مهجته وانفق ماله ونصح امامه وناضل عدوه فلا افسد
كبير احسانه وعظيم بلائه وصالح ايامه بزلة كانت منه وهي
خطرة من خطرات الشيطان وغفلة من غفلات الانسان فقال اخوه
ابو جعفر وداود عمه وقد كان ابو مسلم كتب اليهما ليشيروا
على السفاح بقتله فينبغي ان تحترس منه يا امير المومنين فانا لا نامنه عليك

فقال

سلمة

فقال كلا اني لا امنه في ليلي ونهاري وسري وجهاري ووحدي وجماعتي فلما اتصل
قوله بابي مسلم اكبره واعظمه وخاف من ناحية ابي مسلم ان يقصده
بالمكروه فوجه جماعة من ثقات اصحابه في استعمال الحيلة في قتل
ابي سلمة **وكان** ابو العباس يانس بابي سلمة ويسمر عنده لانه كان
فكها ممتعا دينا عالما بالسياسة والتدبير فانصرف ابو سلمة ليلة من
عند ابي العباس على عادته من مدينة الانبار وليس معه احد فوثب عليه
اصحاب ابي مسلم فقتلوه فلما اتصل خبره بالسفاح تمثل عند ذلك فقال
الى النار فليذهب ومن كان مثله ∴ على اي شيء فاتنا منه نأسف
قال وكان يسمى وزير آل محمد وابو مسلم امير آل محمد قال
ولما قتل حسبما ذكرنا قال في ذلك احد الشعراء هذين البيتين مما يليق
بالقـــوم ∴

ان المساءة قد تسر وربما ∴ كان السرور بما كرهت جديرا
ان الوزير وزير آل محمد ∴ اودى فمن يشناك كان وزيرا

قال وقدم على السفاح خالد بن برمك ومعه ابو الجهم بن عطية
وموسى ابن كعب وكان خالد بن برمك فلما كلمه وراى فصاحته
اعجب به فتوهمه من العرب فقال له ممن الرجل فقال له مولاك خالد
بن برمك وقص عليه قصته ولقاءه لابيه محمد بن علي وما قال له وقال
انك كما قال الكميت

وما لي الا آل احمد شيعة ∴ وما لي الا مشعب الحق مشعب

قال فقربه ابو العباس وادناه وخصه وولاه وولاه ديوان الخراج وجعل
عنده محل الوزير وكان دفع ابو العباس ابنته ريطة الى خالد ابن برمك
حتى ارضعتها زوجته بنت يزيد بلبان ام يحيى وهي ابنة خالد وارضعت
ام سلمة زوجة ابي العباس ام يحيى بن خالد بلبان ابنتها ريطة فقال
ابو العباس يوما لخالد الم ترض يا ابن برمك حتى استعبدتني فوجل
من ذلك وقال انا عبدك يا امير المومنين فقال له كانت ريطة ابنتي

وام يحيى ابنتي في فراش واحد وهما نائمتان فتكشفتا فرددت
عليهما اللحاف بيدي فقبل يدي وشكرني ولم يزل عنده على منزلته
الى ان توفي ابو العباس وسنذكر نكتة من اخبار البرامكة في
موضعها من هذا الكتاب ان شاء الله اذ كان لهم في الدولة العباسية
ظهور وذكر مشهور ولم يكن احد من الخلفاء يحب مسامرة الرجال
مثل ابي العباس السفاح وكان كثيرا ما يقول انما العجب ممن يترك
ان يزداد علما ويختار ان يزداد جهلا فقال له ابو بكر الهذلي ما
تاويل هذا يا امير المومنين قال يترك مجالسة مثلك وامثال اصحابك ويدخل
الى امراته او جاريته فلا يزال يسمع سخفا ويرى نقصا فقال له الهذلي
لذلك فضلكم الله رب العالمين وجعل منكم خاتم النبيين
صلى الله عليه وعلى اله الطيبين وكان لا ينصرف عنه احد
من ندمائه ولا ممن يحبه الا بصلة من مال او كسوة ويقول لا يكون
سرورنا معجلا ومكافاة من سرنا او اطربنا موجلا وخطب
يوما فارتج عليه فقال ايها الناس ان اللسان بضعة من الانسان
يكل بكلاله اذا كل وينفسح بانفساحه اذا انفسح ونحن امراء
الكلام منا تفرعت فروعه وعلينا تهدلت غصونه الا وانا
لا نتكلم هذرا ولا نسكت حصرا بل نتكلم موبدين ونسكت
مستعبرين ودخل عليه خالد بن صفوان وكان منقطعا اليه وكان
من اهل الادب البارع والادراك الغريب قال فقلت له يا امير المومنين
ارايت ان تامر بالاحتفاظ بالستر واني القي اليك شيئا فيه نصحك قال
يا غلمان احتفظوا بالستر ثم قال لي يا خالد قم بنصيحتك فقلت
يا امير المومنين اني فكرت في هذا الامر الذي ساقه الله اليك ومن به عليك
فرايتك ابعد الناس من لذته واتعب الخلق كلهم واشغلهم قال
وكيف ذلك يا خالد قلت اقتصارك من الدنيا على امراة واحدة ان
ان مرضت مرضت لمرضها وان وعكت وعكت لوعكها وتركت

البيض المشتهيات لبياضها والخمرية التي تراد لحمرتها والسمينة المبتغاة
لوطئها وتركت الرشيقة الرخيمة والدعجاء النجلاء والكحلاء والشهلاء فقال
لي يا خالد ان هذا كلام ما مر على مسمعي قبل اليوم ثم اني بعد ذلك استا
ذنته في الانصراف فاذن لي فخرجت فدخلت عليه ام سلمة زوجته
وهو ينكت بالقلم فقالت يا امير المومنين اراك واجما فما الحال انتقضت
عليك ظروفك قال كلا قالت فكسر عليك خراج قال كلا قالت
اخرج عليك عدو قال كلا قالت ففيم هذا الاطراق فقال كلام
القاه الي خالد بن صفوان ثم سرد قوله كله عليها فقالت له
فما قلت لابن الزانية قال اولها ويحك ينصحني وتشتميه فقامت من عنده
مسرعة فبعثت الى مائة من مواليها فقالت لهم كيف انالكم قالوا
خير سيدتي فجزاك الله عنا خير الجزاء قالت فلمثل هذا اليوم كنت
اعدكم وادخركم فامضوا جميعا او تفرقوا فحيث ما وجدتم
خالد بن صفوان فصيروا اعضاءه عضوا عضوا حتى يسقط
عليه مقطعا في هذه المقصورة قال خالد فبينما انا واقف مع
اخواني اذ اقبل رجال كامثال الجبال بايديهم دبابيس الحديد فلما
راوني اوما القوم كلهم الي وقد كان نمي الي بعض الخبر فهمزت
بغلتي وهجمت على منزل صديق لي وتركت البغلة واغلقت الباب
في وجوههم فضربوا البغلة بتلك الدبابيس والعمد حتى هرسوها
واقمت نيفا وثلاثين يوما لا تظلني سماء ولا تقلني ارض اتنقل في منازل
اخواني خوفا من وقوع غيرها علي فاني لجالس ذات يوم اذ هجم علي
قوم فقالوا اجب امير المومنين فقمت لا املك من نفسي شيئا حتى اذا
دخلت على السفاح في ذلك المجلس واذا عين تلحظني من وراء الستر
فقلت هذه والله ام سلمة فقال لي السفاح يا خالد ما رايتك منذ نيف
وثلاثين يوما قلت قطعتني علة كنت فيها قال فعليل لا يكون في منزله
ويطوف في منازل اخوانه فليس بعليل ثم قال لي كنت القيت الي كلاما

في اخر مجلس كنت فيه عنده فاعاده علي قلت نعم يا امير المومنين
كنت اخبرتك ان العرب اشتقت الضرائر من اسم الضر وان الضرائر شر
الذخائر والامهات ابغض المنازل وانه لن يجمع رجل بين امراتين الا كان بين
جمرتين تحرق كل واحدة منهن بمعنى غير معنى صاحبتها قال
ليس هذا هو قلت بلى يا امير المومنين قال انظر نظرا حسنا وتفكر قلت
نعم يا امير المومنين واخبرتك ان الثلاث اذا اجتمعن كن كالثوم في القدر
المحرقة والبلية الموبقة يتغايرن فلا يرضين فان رضين عليهن ابليس
فقطب وجهه وقال برئت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان
هذا الذي الفيته اني قلت بلى يا امير المومنين واخبرتك ان الاربعة
هم ووصب وهم وكرب وانما صاحبهن بين حاجة تطلب وبلية
ترتقب ان خلا بواحدة منهن خاف شر الباقيات وان اثرها كن اعداء له
الى الممات نعم واخبرتك ايضا ان بني مخزوم ريحانة العرب وانف كنانة
وبيت قريش وان عندك ريحانة الرياحين وسيدة نساء العالمين
وحدثتني انك تهم بالتزوج فقلت لك هيهات تضرب في حديد
بارد ليس ذلك بكائن الى اخر الزمان الغابر قال ويحك يا غالب تستعمل
الكذب الفاحش قلت فمع سيوف النجارية ودبابيسهم لعب قال اذهب
فانت اكذب الناس قلت فايما احب الي اكذب ام تقتلني ام سلمة
وانت لا تخيبني واومات الى الستر فاستلقى على فراشه ضاحكا وقال لي
اخرج قبحك الله ثم ارتفع الضحك من وراء الستر فانصرفت الى منزلي
واذا خادم لام سلمة قد جاءت بخمس بدر دراهم وخمس ثياب وخمس
مهار كسبها وقالت تقول لك ام سلمة خذ هذا والزم ما سمعنا لك
منك اليوم واياك والفضول وام سلمة هذه بنت يعقوب ابن عبد الله
بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة
بن كعب بن لؤي القرشي المخزومي كانت عند عبد العزيز ابن
الوليد بن عبد الملك بن مروان فهلك عنها ثم كانت عند هشام

ابن عبد الملك فهلك عنها فبينما هي ذات يوم جالسة في الجبانة اذ مر
بها ابو العباس السفاح وكان وسيما جميلا فسالت عنه فنسب لها فارسلت
اليه مولاة لها تعرض عليه ان يتزوجها وقالت لها قولي له هذه سبعمائة
دينار اوجه بها اليك وكان لها مال عظيم وجوهر جسيم فاتته المولاة
فعرضت عليه ذلك فقال لها اني مملق لا مال عندي فدفعت اليه المال
فانعم لها واقبل الى اخيها فساله تزويجها فزوجه اياها فاصدقها
خمسمائة دينار واهدى لها مائتي دينار ودخل بها من ليلته فاذا بها على
منصة فصعد اليها فاذا كل عضو منها مكلل بالجوهر فلم يصل
اليها فدعت بعض جواريها ونزلت فغيرت لبستها ولبست ثيابا
مصبغة وامرت جارية ففرشت لها فراشا على الارض فلم يصل اليها
فقالت له لا يضرك هذا كذلك الرجال يصيبهم ما اصابك فلم تزل
به حتى وصل اليها من ليلته وحظيت عنده وحلف لها الا يتزوج عليها
ولا يتسرى فولدت له محمد وريطة وغلبت عليه غلبة شديدة حتى
كان ما يقطع امرا دون مشورتها فلما افضت الخلافة اليه وفى لها
بما حلف فما تزوج عليها ولا تسرى حتى مات رحمه الله ثم
ان ابا العباس السفاح جمع من بقي من بني امية ومن كان في جميع
البلدان مختفيا فبلغوا مع صبيانهم ثمانين فدخلوا عليه فسلموا بالخلافة
وفيهم العمر بن الوليد ابن عبد الملك فاجلسه معه على السرير
اكراما له وساله عن حاله وصبره وصبر من كان معه اذ دخل وهو على
ان يومنهم ويعفو عنهم اذ دخل عليه شاعر خراسان فوجهه
ابو مسلم ليحرض السفاح على قتل بني امية ويحذره ويوصيه فانشد وهو
يقول

قد اتتك الوفود من عبد شمس ... بالف ابان يعملون المطيا
لا يغرنك ما ترى من رجال ... ان تحت الضلوع داء دويا
فضع السيف وارفع السوط حتى ... لا ترى فوق ظهرها امويا

لا تزعن بهم حفاظا على الدين ◆ فلقد كان دينهم سامريا
فاقتل القوم كلهم اجمعين ◆ وخز بالسفيه منهم بريا

قال فتنفس السفاح الصعدا والتفت الى الغمر وقال له كيف ترى هذا الشعر فنكص الخير على لسانه فقال له حسن غير ان شاعر بني امية خير منه حيث قال ◆

شمسوا العداوة حتى يستقاد لهم ◆ واعظم الناس احلاما اذا قدروا

قال فغضب السفاح ومن حضر معه من اهل بيته وقالوا لهم تحدثهم نفوسهم بالرياسة فاحفظه ذلك وارمى بقلنسوته عن راسه وقال لمن حوله من عبيده شانكم واياهم فتناولهم بالسيوف حتى لم يبق منهم الا الغمر لكونه جالسا معه فقال له السفاح ما اظن الامير يختار الحياة بعد هولاء القوم فقال لا فامر به فاقيم وضربت عنقه وجروا بارجلهم في ساحة القصر وعليهم سراويلات من الوشي ولم يكن لمن سلم من بني امية ملجا ولا منجا غير سليمان بن علي عم امير المومنين كان حربا عليهم رووفا بهم فكل من وصل اليه منهم ستر عليه واكرمه واخذ له امانا حتى كان يسميه ابو مسلم كهف الاباق فلما كثر ورودهم عليه خاف من ابي العباس فبعث اليه اما بعد فان امير المومنين اعزه الله لم يجاز بني امية على ارحامهم وانما جازاهم على عقوقهم وقد انتقم الله منهم واراح وقد دب الي منهم ذابة فسترت عليهم واويتهم ثقة مني بكرم امير المومنين واخلاقه الحسان واكرامه في ورعي الى جلالته في امان عام لهم لانهم ما شهدوا كفاحا ولا شهروا سلاحا ولا كثروا جمعا ولا كان منهم في وقعة وقعا فكتب لهم السفاح ولمن بقي منهم امانا تاما عاما وكان ممن اختفى من بني امية ابراهيم بن سليمان حتى اخذ له داود بن العباس امانا وكان ابراهيم رجلا عاملا محدثا فخص بابي العباس السفاح فقال له يوما حدثني عما مر بك في اختفائك قال كنت يا امير المومنين مختفيا بالحيرة في منزل شارع على الصحراء فبينما انا على ظهر بيت اذ نظرت الى اعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة فوقع في روعي انها تريدني فخرجت من الدار متنكرا حتى اتيت الكوفة ولا اعرف بها احدا اختفي عنده فبقيت متحيرا فاذا انا بباب كبير ودرجة واسعة فدخلت فيها فاذا انا برجل وسيم حسن الهيئة على فرس قد دخل الدرجة ومعه جماعة من غلمانه واتباعه فقال لي من انت وما حاجتك فقلت رجل مختف يخاف على دمه استجار بمنزلك فادخلني منزله ثم صيرني في حجرة تلي حرمه فكنت عنده في كل ما احب من مطعم ومشرب وملبس لا يسالني عن شيء من حالي الا انه يركب في كل يوم ركبة فقلت له يوما مالي اراك تديم الركوب ففيم ذلك فقال ابراهيم بن سليمان قتل ابي صبرا وقد بلغني انه مختف وانا اطلبه لادرك منه ثاري فكثر والله تعجبي من حيث ساقني القدر الى الاختفاء في منزل من يطلبني وكرهت الحياة فسالت الرجل عن اسمه واسم ابيه فاخبرني فعرفت ان الخبر صحيح واني كنت قتلت اباه صبرا فقلت يا هذا قد وجب علي حقك ومن حقك ان ادلك على خصمك واقرب عليك الخطوة قال وما ذاك قلت انا ابراهيم بن سليمان قاتل ابيك صبرا فخذ بثارك فقال اني احسبك رجلا امضه الاختفاء فاحببت الموت قلت بلى الحق ما قلت لك انا قتلته في يوم كذا وكذا فلما عرف صدقي اصفر وجهه واحمرت عيناه واطرق مليا ثم قال اما انت فستلقى ابي فياخذ بثاره منك واما انا فغير مخفر بقتلك فاخرج عني فلست امن نفسي عليك واعطاني الف دينار وخرجت من عنده فهذا اكرم رجل رايته بعد امير المومنين وكان سليمان بن هشام بن عبد الملك قد فر امام مروان الى السند فلما بلغه موت مروان ووعد السفاح وتحققه عفوه وامانه لمن بقي من بني امية قدم ودخل على السفاح فسلم بالخلافة عليه وبايعه فوفى به من نفسه واكرمه وكان يحضر مجلسه ومايدته ومنادمته لما وجده اديبا فصيحا حسن الاخلاق فكان متى اتى المجلس امر السفاح ان يثنى له وسادة ونمرقة بعدها او كرسي يجلس عليه

بعد ان ثبت عنده بغض مروان فيه وذلك السبب ميله لبني هاشم هذا سبب
اكرامه له فشق ذلك على بني العباس وسائر اهل الدولة تنفي بيه اياه فكتب اليه
ابو مسلم اما بعد فقد بلغني ما فيه ابن الاحوال عند امير المومنين فاذا كان
وليكم وعدوكم عندكم بمنزلة واحدة فمتى يرجو الفلاح من اخلص
لكم المحبة وطالبا رعدوكم وانت تعلم انه لمن ابغض الناس فيكم وقد
فسدت قلوب اكثر اهل خراسان لذلك فاقتله قتله الله والسلام قال فلم يعبا
ابو العباس بكتابه ولا جاوبه بشيء فاخبر به سليمان فانشـــشر

عبد شمس قد كان صنوا بنو … مناف وهما بعد ذا لأم واب
ولكم فضل علينا ولنا … بكم فضل على كل العرب

قال فاعجبه واكرمه وكان متى ذكر هشام ابوه في مجلس
السفاح اوذكره هو ترحم عليه ولم ينكر السفاح عليه اكراما له فعظم
ذلك على ابي مسلم فامر احد الشعراء ان يقول قصيدة تتضمن ما جرا على بني
هاشم من بني امية سيما من هشام وقتله زيد بن علي ويحيى ابنه ويحرضه
على قتل من بقي عليه منهم ولا يبقي منهم وان الناس قد انكروا
ابقاءه على من بقي منهم وامره ان ينشده في كل يوم من الشعر في هذا المعنى
حيث ما دخل عليه فبينما هو يوم جالس عنده ومعه داود وايوب ولداه
اذا استاذن الحاجب على شاعر خراسان فاذن له فدخل فوجد القوم على ما
ذكرنا فانـــشر

يا ابن بيت المطهر من الرجس … ويا ذخر طالب الحاجات
اي حين اغتفلت اي حين … اذا غصصنا بالريق في اللهوات
اظماتنا بنو امية حتى … فلق الجهد باللقا الساعات
استباحوا ديارنا ونفونا … عن جناب وهتكوا الحرمات
كيف بالعفو عنهم وقد يمل … قتلوا بالضرب والمثلات
قتلوا سبط احمد ظلما … لا غفر الذنب غافر السيئات
ابن زيد وابن يحيى بن زيد … يا لها من مصيبة وترات

والامام

والامام الذي اصيب بحران … امام التقى وراس الهداة
لا تزال الصدور الهمة ملا … لم تنل من امية الثارات
فاقتل الشمط من امية والمر … د وشر الشاملات بالغارات
حض الشر يا امية فانعي … عبد شمس فاحر والزفرات
انعم زمان ملكك بشرا … ونعيم ايامنا هيهات

قال فتنفس السفاح الصعداء وتغير لونه وجعل ينكت في البساط بمخصرة
كانت في يده حتى اثار منها عجاجا فتكلم على لسان سليمان الشقي المكتوب
فقال بالله ندفع ملال نطيق هذا يحرضك على قتلي وانت تريده في هذه
الساعة فاعزم على ما تريد وعسى ان تقدم ابنائي قدامي احتسبهما
عند الله قال فحرك كلامه من السفاح ساكنا وقال يا ابا الجهم خذ
بيد ابنيه واقتله بعدهما فقتلهما معا وقيل ان سديفا مولى ابي العباس
السفاح دخل عليه وعنده ابراهيم بن هشام هذا وقد ادناه واعطاه
كما ذكرنا وتناول ابراهيم يد السفاح فقبلها فلما رأى ذلك سديف اقبل
على ابي العباس السفاح فانـــشر

لا يغرنك ما ترى من رجال … ان تحت الضلوع داء دويا
فضع السيف وارفع السوط حتى … لا ترى فوق ظهرها امويا

قال فاقبل عليه سليمان وقال قتلتني ايها الشيخ قاتلك الله فقام
ابو العباس ودخل فاخذ المنديل قد القي في عنق سليمان ثم جر فقتل
فقال شاعر بني امية في ذلك

ولقد ابصرت لو ينفعني … عبرا والدهر ياتي بالعجب
ابن رؤسا عبد شمس ابنهم … ابن اهل الباع منهم والحسب
كل سامي العز محمود الجرا … واضح الغرة بر منتخب
لم تكن ايديهم عندكم … ما فعلتم ءال عبد المطلب
ان تجروا الامر منهم سبقا … يا لقومي للزمان المنقلب
ان هذا الدهر لا جد له … بخيار الناس يوما ينقلب

قال فبلغ هذا الشعر ابا العباس فسال عن قايله فلم يعرف فكسى من جنه
ولانت سطوته وكان ابو مسلم قد كتب الى ابي العباس يستاذنه في القدوم
عليه للحج فاجابه ان يقدم في خمسماية من الجند فكتب اليه ابو مسلم
اني قد وترت الناس ولست آمن على نفسي فكتب اليه ان اقبل في الف فانما انت
في سلطان اهلك ودولتك وطريق مكة لا تحتمل العسكر فشخص ابو
مسلم في ثمانية الاف ومعه الخزاين والاموال فخلفها بالري وشخص الى السفاح
في الف وذلك في سنة ست وثلاثين ومائة فامر ابو العباس الناس بتلقيه فتلقوه
فلما دخل على ابي العباس اعظمه واكرمه فاستاذنه في الحج فقال لولا
ان ابا جعفر يحج هذا العام لاستعملناك على الموسم فانزله قريبا منه فكان
ياتيه في كل يوم فيسلم عليه وكان ابو جعفر واجدا على ابي مسلم
لان ابا العباس كان بعثه الى ابي مسلم بعد ما صفت له الامور بولاية
العهد من بعده وبالولاية على خراسان واخذ البيعة لابي العباس ولابي
جعفر من بعده فاستخف ابو مسلم بابي جعفر في ذلك الوجه ولم يحتفل
به فلما قدم على ابي العباس اخبره بما كان من استخفاف ابي مسلم
فلما قدم ابو مسلم على ابي العباس قال له ابو جعفر يا امير المومنين اطعني
واقتل ابا مسلم فوالله ان في راسه لغدرا فاحذره فقال يا اخي قد عرفت
بلاءه وما كان منه فقال ابو جعفر انما كان بدولتنا ولو بعثت عبدا
حبشيا لقام مقامه فقال له ابو العباس وكيف لنا بقتله قال اذا دخل
عليك وحادثته واقبل عليك دخلت فضربته من خلفه ضربة اتى بها
على نفسه فقال ابو العباس فكيف باصحابه الذين يوثرونه على دينهم
ودنياهم قال يؤول ذلك كله الى ما تريد ولو علموا انه قتل هربوا وذلوا
قال يا اخي عزمت عليك لا كففت عن هذا فقال اخاف والله ان لم
تتغده اليوم تعشاك غدا قال فدونكه انت اعلم قال فخرج ابو جعفر
من عنده عازما على ذلك فندم ابو العباس وارسل الى ابي جعفر لا
تفعل ذلك الامر وقيل انه لما اذن لابي جعفر في قتل ابي مسلم دخل ابو سلمة

عليه

عليه فبعث ابو العباس خصيا له فقال له اذهب فانظر ماذا صنع ابو جعفر
فاتاه فوجده محتبيا بسيفه فقال الخصي اجلس امير المومنين فقال له قد تهيا
للجلوس ثم رجع الخصي الى ابي العباس فاخبره بما راى من ابي جعفر فرده اليه وقال
له قل له الامر الذي عزمت عليه لا تنفذه قال فكف ابو جعفر فلما خرج
ابو جعفر للحج خرج معه ابو مسلم فلما انقضى الموسم اقبل ابو جعفر وابو
مسلم منصرفين فلما كان ابو جعفر بير البستان وذات عرق اتاه كتاب
بموت ابي العباس السفاح وكان تقدم ابا مسلم بمرحلة فكتب اليه انه
قد حدث امر فالعجل العجل فاتاه الرسول فاخبره فاقبل حتى لحق به
واعلمه بموت ابي العباس فاقبل معه الى الكوفة
السنة عقد ابو العباس لاخيه ابي جعفر الخلافة من بعده لعيسى ابن موسى
بن محمد بن علي وصير العهد بذلك في ثوب وختم عليه بخاتمه وخواتم
اهل بيته ودفعه الى عيسى ابن موسى فكانت خلافته اربع سنين وكان
بويع قبل قتل مروان بسبعة اشهر وقيل بثمانية ومات بالانبار في مدينته
التي بناها وذلك يوم الاحد لاثني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة
سنة ست وثلاثين ومائة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وقيل ابن ست وثلاثين
وكان اخر ما تكلم به رب لا الى النار وما خلف اكثر من تسع جباب واربعة
اقبية وخمس سراويلات واربعة طيالس وثلاث مطارف خز وبالله
التوفيق لا رب غيره ولا معبود سواه

ذكر ابي جعفر المنصور

هو عبد الله بن محمد بن علي يكنى ابا جعفر ولقب نفسه المنصور بالله
وهو اول خليفة فتح هذا الباب في تغيير الالقاب لم يسبقه احد من خلفاء
بني امية ولا سواهم اليها واقتدى به من اتى بعده من ولده وعقب عليها
جميع الخلفاء امه ام ولد اسمها سلامة بنت بشير البربري ولدته في ذي الحجة
سنة خمس وتسعين قال المسعودي ذكر عن سلامة ام المنصور

انها قالت رأيت لما حملت بأبي جعفر كأن أسدا خرج من قبلي فأقعى وزأر وضرب
بذنبه فأقبلت إليه الأسود من كل جانب فكلما انتهى إليه أسد منها سجد له
بويع يوم توفي أخوه السفاح وهو بطريق مكة أخذ له البيعة
عمه عيسى بن علي وهو ابن اثنين وأربعين سنة وكان طويلا أسمر نحيفا خفيف
العارضين أشيب وذكر أنه كان يخضب شيبه في كل شهر بألف مثقال مسك
وزيره أبو عطية الباهلي ثم أبو أيوب المورياني ثم الربيع مولاه ووزر له خالد
بن برمك في مدة يسيرة **وحاجبه** الربيع بن يونس مولاه ثم استوزره
ثم عيسى مولاه وكاتبه الفضل بن سليمان الطوسي وكتب له ابن المقفع
وقضاته عبيد الله بن محمد بن صفوان وشريك ابن عبد الله والحسن
بن عمارة والحسن بن أرطاة ويحيى بن سعيد وعثمان التيمي وسوار بن عبد
الله وصاحب شرطته وحرسه عبد الجبار بن عبد الرحمن نقش خاتمه
الحمد لله وقيل نقشه بالله **بنوه** محمد المهدي وجعفر وصالح وسليمان
وعيسى ويعقوب والقاسم وعبد العزيز والعباس والعالية **وكان**
أبو جعفر حازما شديد الرأي قد حنكته الأيام وجرت عليه منها ضروب
وأحكام وكان فظا غليظا لا مقصوص جناح ذا جد غير مشوب
بهزل ماضي العزيمة في الليل صاحب كيد ومكر وخديعة وغدر وليس
بخيل من شيء ذو شجاعة وبلاغة كان يعطي الجزيل والخطير إذا لم يكن
عطاؤه تبذيرا **قال زيد** مولى عيسى بن نهيك دعاني المنصور
بعد موت أبيه فقال لي كم خلف الوزير من المال قلت ألف دينار أو نحوها
قال وأين هي قلت أنفقتها في مأتم فاستعظم ذلك وقال أنفقت في مأتم
ألف دينار ما العجب هذا ثم قال كم خلف من البنات فقلت ستا فأطرق ساعة
ثم رفع رأسه وقال اغد إلى باب المهدي فغدوت فقيل لي معك بغال فقلت
لم أومر بذلك ولا أدري لماذا عين فأعطيت مائة ألف دينار وثمانين ألف
دينار وأمرت أن أدفع لكل واحدة من بنات عيسى ثلاثين ألف دينار ثم دعاني
فقال لي قبضت ما أمرنا به لبنات أبي زيد قلت نعم يا أمير المؤمنين قال اغد

علي بأكفائهن حتى أزوجهن منهم فدخلت عليه بثلاثة من ولد المكي وثلاثة
من أولاد نهيك فأنكحهن منهم على ثلاثين ألف وأمر أن يحمل إليهن صدقاتهن
من ماله وأمرني أن أشتري لهن مما أمر لهن به ضياعا تكون معيشتهن منها
ففعلت وقال الهيثم ابن علي فرق أبو جعفر على جماعة من أهل بيته
في يوم واحد عشرين ألف دينار وأمر لكل واحد من أعمامه ألف ألف درهم
لا يعلم أن خليفة قبله ولا بعده وصل بهذا أحد ولم يشتغل بمعاطاة
مدام ولا مجالسة ندام ذو نفس أبية شامخة وهمة علية باذخة لم يحتج
إلى سكنى مدينة كان بناها غيره فلم يزل مرتادا لمكان يبنيه فلم يجد
أحسن هواء ولا أوسع فضاء ولا أعذب ماء من موضع بغداد لكونه بين
الدجلة والفرات وأطيب تربة للزراعة وأنواع الغراسة فاختصها باقتراره
على اختياره بمجاورتها أمنية المتمني المشتاق بالأمثال تضرب بها في جميع
الآفاق ولأنه بنى فيها خمسمائة ألف حمام وست مائة ألف حانوت فكان
يذبح فيها في كل يوم خمسون ألف رأس من الغنم سوى البقر والصيد
والطيور فاستوطنها وجعلها دار مملكته وبينها وبين الانتها اثني عشر
في سنة **وذكر** أن ملكا من ملوك الهند أنفذ إليه تحفا فيها طبيب حاذق
فأكرمه أبو جعفر وأحسن إليه فلما دخل عليه قال له جئتك يا أمير
المؤمنين بثلاث خصال فيها بتنا فسر المنا فسور من الملوك قال وما هي
قال خضاب لا ينصل أبدا ولا يتغير عن حاله والثانية علاج تنعس به
في المآكل فتأكل ما شئت في أي وقت فلا تتخم ولا يؤذيك الطعام
والثالثة أن أقوي صلبك لتقوية الجماع فتجامع متى شئت ولا تمل ولا
يضعف لك سمعك ولا بصرك ولا تضعف قوتك فقال له أبو جعفر
قد كنت أظن أنك أعقل من هذا أما الخضاب فلا حاجة لي به لأنه
زور وغرور والشيب بعينه وقار ونور وما كنت لأغير نورا جعله الله
تعالى في وجهي بسواد وأما الأكل فوالله ما أنا بشره ولا لي في الاستكثار
من الطعام حاجة لأنه يثقل الجسم في النوائب وأقل ما فيه كثرة التردد

الى الخلاء فاني واسع ملا احب واما ما ذكرته من تقوية الجماع فان الجماع
شعبة من الجنون وما قبح لخليفة مثلي بجثو بين يدي صبية ان يرجع الى صاحبه
فلا حاجة لي بما جئت به ولم يلتذ في خلافته بشيء من لذات الدنيا
ولقد قيل له يوما ما لك في خلافتك من نصيب فقال والله ما لي ثوب البسه
غير هذه الجبة فاذا بليت ابدلتها والله ما ينفقني كل يوم سوى درهمين
وقيل لجعفر بن يحيى ابا جعفر المنصور يعرف بلباس جبة
هروية مرقوعة وانه يرقع قميصه وصفة سراويله فقال جعفر
الحمد لله الذي لطف له حتى ابتلاه بفقر نفسه او بالفقر في ملكه **وقال**
محمد بن سليمان بلغني ان المنصور اخذ دواء في يوم شات شديد البرد
فاتيته اسئله عن موافقة الدواء فادخلت مدخلا من القصر لم ادخله
قط ثم صرت الى حجيرة صغيرة فيها بيت واحد ورواق بين يديه
في عرض البيت وعرض الصحن وهو على اسطوانة ساج وقد سدل على
وجه الرواق بواري كما يصنع بالمساجد فدخلت فاذا بالبيت
مسح ليس فيه غيره الا فراش ومرافقة ودثارة فقلت يا امير المومنين هذا
بيت اربا بك عنه فقال هو بيت مبيتي فقلت ليس غير هذا قال ما هو
الا ما ترى **وحدث** جماعة من بني هاشم ان المنصور كان
شغله صدر نهاره بالامر والنهي والتولية والعزلة ومصلحة معاش الرعية
وطرح الهم والتلطف لسكونهم وهدوهم فاذا صلى العصر
جلس لاهل بيته الى من احب ان يسامره فاذا صلى العشاء نظر فيما ورد
عليه من كتب الثغور والاطراف والافاق وشاور سماره في ذلك وفيما
احب واذا مضى ثلث الليل الثاني قام من فراشه فاسبغ وضوءه وصف في محرابه
حتى يطلع الفجر فيخرج ويصلي بالناس ثم يدخل فيجلس في ايوانه
وكان يامر اهل بيته بحسن الهيئة واظهار النعمة ولزوم الطيب
فاذا راى احدا منهم قد اخل بزيه قال له يا فلان ما ارى وبيص الغالية في لحيتك
واراها تلمع في لحية غيرك بتزيين هيئتهم وطيب روائحهم عند الرعية

ودعي يوما الى القاضي فاجاب وجلس مجلس الخصوم بين يدي القاضي بالسواء
مع خصمه وكان يحب علم التنجيم والكهانة وامر بتفسير كتب الفلا
سفة وامر بترجمتها بالعربية وولى مواليه وغلمانه على البلاد وكلف
الناس غرم دانق لبناء الجسر فسمي ابا الدوانيق وحج بالناس ست حجات وقال يوما
لجلسائه وبني عمه رايت في منامي وانا بالسراة كان حول الكعبة فنادى
مناد من جوف الكعبة ابا العباس فنهض ثم نودي عبد الله فنهضت
انا وعمي عبد الله بن علي مبتدرين فلما صرنا على درجة الكعبة
دفعته عن الدرجة فهوى ودخلت الكعبة واذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم جالس وعقد لي لواء طويلا وقال لي خذه بيدك حتى
تقاتل به الدجال وكان عنده فيل اهدي اليه وقيل انه كان يسجد
للملك سابور ذي الاكتاف وللازدشير بن بابك ولكسرى انوشروان
ثم سجد لابي جعفر المنصور وكان عمر هذا الفيل اربعمائة سنة
وجمع يوما بنيه وولده ووعظهم وذمهم لتبذلهم وانهماكهم
في الشراب والملاهي فقال له احدهم يا امير المومنين لم نفسك في هذا
اذ لم تختر لنا ان تضعنا كما تخير لك ابوك فعمدت الى فاسقات
العراق وقيانه فجعلت ارحامهن اوعية لنطفك كما يقال نطف
السكارى في ارحام الحيض قال فاستحسن كلامه واعجبه
وكان متى احب سماع الغنا جلس خلف ستارة وبينه وبينهما
عشرة اذرع وكان اخوه ابو العباس عهد له ولابن اخيه عيسى
بن موسى كما تقدم الكلام من بعده لانه كان شهما حازما فكتب
ابو جعفر لابن عمه عيسى واراده ان يخلع نفسه ليبايع لابنه فابى
وكتب اليه عيسى بن موسى اما بعد فقد بلغني كتابك تذكر
ما اجتمعت عليه من خلاف الحق وركوب الاثم في قطيعتي لتنقض ما
اخذ الله عليه من الميثاق ومن العامة بالوفاء للخلافة لك والعهد من
بعدي لتقطع بذلك ما وصل الله حبله ونهى وما الف الله جمعه وتجمع

بن ماضي والعز مكانه يرى له في سمائه وحولا عليه في فضائه ومتابعة للشيطان
في هواه ومن كان الله صرعه ومن بارزه قمعه ومن مكر على شيء أوبقه
ومن توكل عليه منعه ومن تواضع له رفعه وإن الذي أسس عليه البناء
وحكم عليه الجزاء من الخليفة الماضي عهدا بأمر نحن فيه سواء ليس لأحد
من المسلمين رخصة فيه دون أحد فإن وجب وفاء فما الأول أحق به من
الآخر وإن حل من الآخر مما حرم ذلك على الأول فلا تدع إلى البلاء بعد الأمن
اغترارا بالبقاء وتن خبط للناس في نزك الوفاء فإن من أجابك إلى ترك
ما وكد واستحل ذلك كان إلى مثله منك أسرع ويكون الذي أسست من
ذلك لك أجمع والسلام **وكان** أيضا عمه عبد الله بن علي يزعم
أنه خليفة لتقديم السفاح إياه على حرب مروان فقام على المنصور وظفر
به المنصور وسجنه فلما خرج المنصور حاجا استخلف على بغداد
عيسى بن موسى فكتب إليه من مكة أن اقتل عبد الله عمك فقد
بلغني أنه يريد الفرار فرأى عيسى أن المنصور يريد أن يجد السبيل إلى قتله
كي يولي ابنه فأخذ عمه عبد الله وغيبه عنده ثم راجعه أني
قد قتلته فسر المنصور بذلك فلما انصرف إلى بغداد جمع بني العباس
وقال لهم بلغني أن هذا الرجل قتل عمنا وقد وجب أن يقتل به فقالوا له نعم
فأحضر عيسى وعرفوه القوم أنه وجب عليه القتل لما فعل بعمنا فقال
عيسى الله الله يا أمير المؤمنين ألست أنت أمرتني بقتله وكتبت إلي من مكة
قال معاذ الله فلما عزموا على قتله به أخرجه من داره حيا سويا فأسقط
في يد المنصور وغاظه ذلك وأخذ عمه عبد الله وسجنه في بيت
بناه من أجله وجعل أساس البيت ملحا ثم أطلق عليه الماء فذاب الملح وسقط
عليه البيت فمات وبقي عيسى ولي العهد من بعده سجلا في صدره
فلما خرجا عليه محمد وإبراهيم ابنا عبد الله بن الحسين بن الحسن بن علي
بن أبي طالب رضي الله عنهم وتمكنوا أكثر بلاد العراق وجه
عمه عيسى إلى حربهما طمعا أن يقتلاه فحاربهما حتى هزم محمدا

وقتلهما

وقتلهما ورجع إليه سالما غانما فساءه ذلك **فقال** فلما أعيته حيلته
فيه أمر خالد بن برمك وكان من وجوه رجاله وسأله أن يحتال عليه حتى
يخلع نفسه فتكلم معه في ذلك وعرض عليه ما في مخالفته لغرض أمير
المؤمنين وما يخشى عليه من ذلك فأبى فلما رأى خالد استمراره على مخالفته
جمع من قضاة بغداد وخيارهم نحو ثلاثين رجلا في داره وقال لهم هل
لكم في أمر تحقنون به دماء كثير من المسلمين قالوا وكيف ذلك قال
وكيف ذلك قال إن عيسى عم أمير المؤمنين قد أبى أن يخلع نفسه وأمير المؤمنين
يريد أن يولي مكانه فنشهد عليه أنه قد خلع نفسه ويكون في هذا صلاح
وسداد وفلاح فقالوا هذا هو الرأي السديد فعولوا عليه وخرجوا ومضوا
إلى المنصور فجمع الفقهاء والقضاة والشهود فشهدوا وكتب الثلاثون
عند القاضي قاضي الجماعة أن عيسى أشهدهم أنه خلع نفسه
طائعا غير مكره وبايع للمهدي فأعذر إليه القاضي فأنكر فلم
يلتفت إلى إنكاره وأشهد القاضي على نفسه بالثبوت لخلعه وحكم
عليه به وبايعوا في الفور محمد المهدي ابن المنصور ومات عيسى
بن موسى في أيام المهدي في سنة سبع وستين ومائة **ذكر** أحمد بن موسى
قال قال الربيع ما رأيت رجلا أربط جأشا من رجل رفع عليه إلى
أمير المؤمنين المنصور أن عنده ودائع وأموالا لبني أمية فأمرني أمير
المؤمنين بإحضاره فأحضرته ودخلت به عليه فقال له المنصور
قد رفع إلينا خبر الأموال والودائع التي لبني أمية عندك فأخرج
عنها إلينا فقال يا أمير المؤمنين أوارث أنت لبني أمية قال لا قال فوصي أنت
لهم في أموالهم ورباعهم قال لا قال فما مسألتك عما في يدي
من ذلك فأطرق المنصور رأسه ساعة ثم رفع رأسه إليه وقال له
إن بني أمية ظلموا فيه المسلمين فأجعله في بيت مالهم فقال يا أمير
المؤمنين تحتاج إلى إقامة البينة العادلة على أن ما في يدي من أموال بني أمية
إنما هو من المال الذي خانوا فيه المسلمين وظلموا دون غيره وقد كان



لبني امية اموال المسلمين فقال فاطرق المنصور ساعة ثم رفع راسه
اليّ وقال صدق يا ربيع ما يجب على الشيخ شيء ثم قال له هل من حاجة فقال
حاجتي يا امير المومنين ان تنفذ كتابي على البريد الى اهلي ليسكنوا
الى سلامتي فقد راعهم انتجائي وقد بقيت لي حاجة اخرى يا امير المومنين
قال وما هي قال تجمع بيني وبين من سعى بي اليك فوالله ما لبني امية في يدي
مال ولا وديعة ولكني لما مثلت بين يديك وسالتني عما سالتني عنه
ماثلت بين هذا القول وما قلته لك فرايت ذلك اقرب الى الخلاص والنجاة اقرب
فقال يا ربيع اجمع بينه وبين من سعى به فجمعت بينهما فعرفه الشيخ (فقال)
يا امير المومنين هذا غلامي ضرب لي على ثلاثة آلاف دينار من مالي وابق مني
فاشتد المنصور على الغلام فاقر انه غلامه وانه اخذ له المال الذي ذكره
وسعى به كذبا عليه وخوفا من ان يقع في يده **فقال** المنصور
يا شيخ نسئلك ان تصفح عنه قال قد صفحت عنه وعن جرمه واعتقته
ووهبت له الثلاثة آلاف التي اخذ وثلاثة آلاف اخرى ما على فعلك مزيد
قال بلى هذا حق كلامك يا امير المومنين وانصرف فكان المنصور
يتعجب منه كلما ذكره ويقول ما رايت مثل هذا الشيخ يا ربيع
ووجه المنصور في شيخ من اهل الشام كان من بطانة هشام بن عبد
الملك فساله عن تدبير هشام بن عبد الملك في بعض حربه للخوارج
فوصف له الشيخ ذلك وجعل يقول في اثناء كلامه رحمه الله فعل كذا
وفعل كذا رحمه الله وجعل يثني عليه فقال له المنصور قم عليك غضب
الله تطا بساطي وتثني على عدوي وتترحم عليه فقام الشيخ وهو
يقول ان نعمة عدوك لقلادة في عنقي لا ينزعها مني الا غاسلي فقال له
المنصور اقعد يا شيخ فانا نشهد انك نهيض حرة وغراس كرام قال
فرجع الشيخ وعاد الى حديثه الاول حتى فرغ منه فامر له المنصور بمال
فاخذه وقال يا امير المومنين والله ما بي حاجة اليه ولكني اتشرف بصلة
امير المومنين ولقد مات عني من كنت في خدمته آنفا ووالله ما احوجني

الى الخروج الى باب مخلوق ثم شكر امير المومنين وخرج فقال المنصور لجلسائه
بعد خروج الشيخ عند مثل هذا تحسن الصنيعة ويوضع المعروف
ويجاد بالمصون واين في عسكرنا مثل هذا **وقال** شرقي بن القطامي
دخلت على المنصور وهو مغتم فقلت له ما لامير المومنين قال لا ادري
فجلست فقلت يا امير المومنين اتاذن لي ان احدثك قال تحدث قلت الست قد
عرفت الغريين بالكوفة قال بلى قلت ان ملكا من ملوك الفرس كان هنالك
فانتشر ملكه وسلطانه فاتخذ موضع الغريين قبتين وجعل الطريق بينهما
ووكل بهما حراسا وامرهم الا يمر احد بين القبتين الا سجد للملك فمن لم يسجد
رفع اليه فيامر بقتله وكان من سنته الا يقتل الرجل الذي لم يسجد حتى يتمنى
عليه ثلاث اماني ليس فيهن تمني الملك ولا ان يخرج نفسه من القتل ولا ان
ياخذ حرمة الملك فكان يفعل للذي وجب عليه القتل امانيه الثلاث ثم يقتله
فجاء يوما رجل قصار وعلى راسه ثيابه ومعه مرفقته فمر بين القبتين
فلم يسجد فاخذه الحرس فقال لهم ما شاني ما ذنبي قالوا مررت بين القبتين
فلم تسجد قال ما علمت بذلك ولا كرهي عن اسجد قالوا لا ينفعك
السجود بعد ما جزتهما فادخلوه على الملك وعنده اصحابه فقالوا هذا
مر بين القبتين فلم يسجد قال له الملك تمن ثلاثة اشياء فيومر لك بها غير
انك ليس ان تتمنى الملك ولا ان تخرج نفسك من القتل ولا ان تاخذ حرمة
الملك فقال القصار ايها الملك انا رجل غريب وما عندي علم بما امرت
بها قال له الملك لا تكثر كلاما تمن قال لا بد من هذا قال نعم قال فاني
اتمنى عشرة آلاف درهم فامر له بها قال واتمنى بريدا ينطلق به الى اهلي الساعة
قال هذه الثانية فابرزوا له بريدا فحضر الى يديه ودفع اليه المال وانطلق به
الى اهل القصار قال بقيت الثالثة قال الملك اتمنى قال نعم اتمنى ان اضرب
بهذه المرفقة ثلاث ضربات واحدة شديدة واخرى وسطى وثالثة
لينة فنظر الملك في وجوه جلسائه وقال ما ترون فقالوا نرى ان تنفذ له امنيته
فقالوا بم نبدا قال بالملك فنزل الملك عن سريره فضربه القصار ضربة



خر مغشيا عليه فمكث كذلك ما شاء الله والقصار واقف ثم افاق فقليلا من
غشيته وقال في سره ليت شعري اي ضربة هذه فاستفهم القصار مقالته فقال
ايها الملك هذه اللبنة من الثلاث فرفع الملك راسه الى الحرس وقال لهم يا اولاد
الزواني انا رايته سجد بين القبر وكذبتم عليه ثم قال له انطلق راشدا فانطلق
القصار وقد حصل عشرة الاف درهم قال فعند ذلك امر الملك بهدم
القبر وترك تلك السنة قال فضحك المنصور حتى فحص برجليه وقال له يا ابا
المثنى ما تركتنا نهتم **وقال المنصور** يوما لجلسائه ما كان احوجني
ان يكون على بابي اربع نفر عفاف ثقات فصحاء قيل يا امير المومنين من هم
قال هم اركان الملك ولا يصلح الملك الا بهم كما ان السرير لا يصلح الا باربعة
قوائم ان نقصت منها واحدة وهي اما احدهم فقاض لا تاخذه في الله
لومة لائم والاخر صاحب حرس ينتصف للضعيف ولا يظلم الرعية فاني غني
عن ظلمهم والرابع وعض على سبابتيه ثلاث مرات اه اه اه فقيل له من هو
قال صاحب بريد يكتب الي بخبر هولاء على الصحة فقيل له من هو قال صاحب
بريد يكتب واستحضر يوما عاملا من عماله قد انكسر عليه شيء
من الخوارج فقال له ود ما عليك قال والله ما املك شيئا ثم نادى المنادي
للصلاة اشهد ان لا اله الا الله فقال الرجل يا امير المومنين هب ما علي لله و
لشهادة ان لا اله الا الله محمد رسول الله قال قد فعلت فانطلق فسار الرجل
وهو يحمد الله **وقال** ابو عبد الله الكاتب سمعت المنصور يقول
حين عقد له ولاية العهد يا ابا عبد الله استدم النعم بالشكر والقدرة بالعفو
والطاعة بالتالف والنصر بالتواضع ولا تنس نصيبك من الدنيا ونصيبك
من رحمة الله **وذكر** مصعب ابن عبد الله عن ابيه قال سمعت
ابا جعفر المنصور يقول للمهدي يا ابا عبد الله لا يصلح السلطان الا بالتقوى
ولا تصلح الرعية الا بالطاعة ولا تعمر البلاد الا بالعدل ولا تدوم نعمة
السلطان ولا طاعته الا بالمال ولا تتقدم في الحياطة بمثل نقل الاخبار
واقدر الناس على العفو اقدرهم على العقوبة واعجز الناس من ظلم من هو

دونه

دونه واعتبر عمل صاحبك واعلمه باختبارك **وذكر ابو عبد الله**
الكاتب انه سمع المنصور يقول للمهدي يا ابا عبد الله لا تجلس مجلسا الا ومعك
من اهل العلم من يحدثك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فان محمد بن شهاب
الزهري قال الحديث ذكر ولا يحبه الا ذكور الرجال ولا يبغضهم الا مونثوهم
وصدق والله اخو زهرة وقال له يوما يا ابا عبد الله من احب الحمد احسن
السيرة ومن ابغضه اساءها وما ابغض احد الحمد الا استذم وما استذم الا كره
وقال له يوما ليس العاقل الذي يحتال للامر الذي وقع فيه حتى يخرج منه
ولكنه الذي يحتال للامر الذي غشيه حتى لا يقع فيه واوصاه عند
اعتزامه على الحجة التي مات فيها فقال يا ابا عبد الله اوصيك بتقوى الله
وصلة الرحم والمقاربة لاهل بيتك بالمودة فان ابعد النسب البغضة واصطنع
منهم من يبغي بنفسه المعالي ومنهم من يتسلوا ولا تنزلهم فيتخلوا واتسع لمن
تشوف منهم فان اشرف الناس مروءة اشفقهم وكن من انعامه في سعة واعلم
ان رضى الناس غاية لا تدرك فتحبب اليهم بالاحسان جهدك واقصر بافضالك
لموضع الحاجة وتثبت فيما يرد عليك من اخبارهم فان المعاجلة بالعقوبة
مقت وندامة ووكل همومك وتفقد الصغير بعد الكبير ومزاهبة الامر قبل
حلوله فان ثمرة التواني الاضاعة وكن عند راس امرك لا عند ذنبه فان
المستقبل لامره سابق والمستدبر له مسبوق والزم امورك اهل العفاف والصدق
وعليك بمن كانت سيرته لك مثل علانيته والاذا وليت الفاظ نكس
مستعليا لامورك ولا تول المفضول فانه من باختيارك عند رعيتك
وصوابه لمن هو دونه وشغب على من هو فوقه وانظر الاموال فانها عدة
الملوك ونظام التدبير فوفرها بولاية الاعفاء ولا تبذلها الا في صلاح
السلطان وثواب اهل النصح والاسلحة واحسن الى نصحائك واهل طاعتك
واستبق مودتهم بحسن التعهد اليهم ولا تعطك عطية تبطل الخاص وتوسع
العام ودع بكل اليك حاجة واجعل لهم من فضلك مادة يراعونها
واسمع من اهل التجارب ولا تزد على دون الراي من ثقاتك النصيحة فيمنعها

لرهبتهم منه احوج ما تكون اليها ثم لا يكون لك عليهم حجة وعود
نفسك الصبر وايثار الراي على الهوى تجر عليه عادتك واعلم ان هذين من
السلطان مهانة العزم وفقد صالح الاعمال وان كمال العقل ثلاثة لا غناء للمرء
عنهما وهي المعرفة وحسن التخير وامضاء الاختيار بالعزم وتنكب اهل
الحرص فان الحريص يتبعك باليسير من حظه وشين الوزراء اضر الاعداء ومن
خانك كذبك واعلم ان مادة الراي المشورة وبذلك صلاح الامام
والرعية فانظر من تشاور وعليك في ذلك بمن اتصل صلاحه وفساده بك
فان العدو ينصحك فيما يعود عليه نفعه والولي يدع ذلك فيما يعود عليه
ضرره وانظر عورة حربك فاستبقهم بصيانتهم عن مخالطة العوام
ولا ترم بهم الا مواضع الفقر والحاجة وكن بهم ظنينا وجاز بالحسنة
وتجاوز عن السيئة ما لم يكن فيها ثلم في دين او وهن في سلطان ودع
الانتقام فانه اسوأ فعل القادر وقد استغنى عن الحقد من عظم
عن المجازاة وعاقب اذا عاقبت عقوبة الذنب واعف عن الخطأ واقل
العثرات لا هل الجريمة والبلاء ومن تعمد ذنبا فلا تخل رحمتك اياه دون
تاديبه فان الادب رفق والرفق يمن واعلم انه ليس بانسان من اهدي اليه خير
فنسيه بعد الف عام **وتكلم** صالح ابن المنصور بحضرة ابيه في صلح
فذهب في القول كل مذهب فرفع المنصور الى الناس راسه ينظر من يصفه
فكان هاب المهدي فقام شبيب بن شيبة فقال له رايت خطيبا كاليوم
ابين بيانا ولا اجود لسانا ولا اربط جنانا ولا ابل ريقا ولا احسن طريقا
ولا اغمض عروقا وحق لمن كان امير المومنين اباه والمهدي اخاه ان يكون
كما قال زهير بن سلمى في ابيات له شعر

هو الجواد فان يلحق بشأوهما — على تكاليفه فمثله لحقا
او يسبقاه على ما كان من مهل — فمثل ما قدما من صالح سبقا

قال ابي ربيع فقال لي عبيد الله ما رايت ابلغ من شبيب
مدح الغلام وارضى امير المومنين وسلم من مذمة المهدي وتوقف المنصور

اياما عن الخروج للناس فقالوا هو عليل وكثر القول فدخل عليه الربيع فقال
يا امير المومنين لكم طول البقاء ان الناس يقولون قال ما يقولون قال يقولون
ان امير المومنين عليل فاطرق مليا ثم قال يا ربيع ما لنا وللعامة انما تحتاج
العامة الى ثلاث خصال فاذا فعلت لهم فما حاجتهم بالملك اذا اقيم لهم
من ينظر في احكامهم وينصف بعضهم من بعض ويؤمن سبلهم حتى
لا يخافوا في ليل ولا نهار ويسد ثغورهم واطرافهم حتى لا يجيئهم عدوهم
وقد فعلنا ذلك كله ثم مكث اياما وقال يا ربيع اضرب الطبل
واركب فرآه العامة وقرأ عنده الهيثم قوله تعالى ولا تبذر تبذيرا الى آخر
الاية فقال المنصور اللهم جنبني وبني التبذير فيما انعمت به علينا من
عطيتك وقرأ عنده ايضا الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل **فقال**
المنصور لولا ان المال حصن السلطان ودعامة الدين وعزهم وزينتهم
ما بت ليلة وانا اخزن منها دينارا ولا درهما لما اجد لبذله من اللذات
ولما اعلم في اعطائه من جزيل المثوبة ولما حاصر ابن هبيرة بواسط
في خلافة اخيه السفاح ارسل اليه ابن هبيرة اني خارج يوم كذا وكذا وداعيك
وقد بلغني تجبينك اياي فكتب اليه المنصور يا ابن هبيرة انك
امرؤ متعد طورك جار في عنان غيك يعدك الشيطان ما الله مكذبه
ويقرب اليك ما الله مبعده فرويدا تتم الكلمة ويبلغ الكتاب اجله
ولقد ضربت لك مثلا في امري وامرك **بلغني** ان اسدا لقي خنزيرا
فقال له الخنزير قاتلني فقال له الاسد انما انت خنزير ولست لي بكفؤ
ولا نظير ومتى فعلت الذي دعوتني اليه فان قتلتك قيل قتل خنزيرا فلم
يحصل لي بذلك فخر ولا ذكر وان نالني منك شيء كان سبة علي فقال
له الخنزير ان انت لم تفعل رجعت الى السباع واعلمتها انك خفت مني
وتجنبت من قتالي فقال له الاسد احتمالي كذبك ايسر علي من لطخ
شاربي بدمك **وذكر محمد بن علي** المدايني انه قدم على
المنصور بعد انهزام عبد الله بن علي وظفر المنصور به وحبسه اياه

ببغداد قال فوفد عليه وفد من اهل الشام فيهم الحارث بن عبد الرحمان فقال اصلح الله امير المومنين انا لسنا اهل مباهات ولكنا وفد توبة وانا ابتلينا بفتنة استفزت كريمنا واستخفت حليمنا فنحن بما قدمنا معترفون وبما سلف منا معتذرون فان تعاقبنا فيما اجترمنا وان تعف عنا فبفضلك علينا فاصفح عنا اذا ملكت وامنن اذا قدرت واحسن اذا ظفرت فقال ما احسنت فقال ابو جعفر قد فعلت **وقال ابراهيم** بن صالح كنا في مجلس ننتظر فيه الاذن على المنصور فتذاكرنا امر الحجاج فمنا من حمده ومنا من ذمه فكان ممن حمده معن بن زايدة وممن ذمه الحسن بن زيد ثم اذن لنا فدخلنا فابتدر الحسن فقال يا امير المومنين ما كنت احسبني ابقى حتى يذكر الحجاج في دارك وعلى بساطك فيثنى عليه فقال المنصور وما استنكرت من ذلك انما هو رجل استكفاه قوم فكفاهم والله لوددت اني وجدت مثله حتى استكفيه وانزل احد الحرمين فقال له معن يا امير المومنين ان لك مثل الحجاج عدة لو استكفيتهم كفوك قال ومن هم كانك تريد نفسك قال وان اردتها فلن ابعد من ذلك قال كلا لست كذلك فان الحجاج ايتمنه القوم فادى اليهم الامانة وانما ايتمناك فخنتنا وكان معن ولاه ابو جعفر بعض الاعمال وكان جوادا كريما **قال ادريس** بن مزوار بن ابي حفصة انشدت معن بن زايدة اربعة ابيات فاعطاني اربعة الاف دينار فبلغت ابا جعفر فقال ويلي على الاعراب في الخلف فاعتذر اليه وقال يا امير المومنين انما اعطيته على جودك فسوغه اياها وكان معن عاملا على العراقين بالبصرة فحضر بابه شاعر فاقام مدة يريد الدخول اليه فلم يتهيا له ذلك فقال يوما لبعض خدامه اذا دخل الامير البستان فاعلمني فلما دخل اعلمه فكتب الشاعر بيتا من الشعر على خشبة والقاها في الماء الذي يدخل بستانه وكان معن جالسا على الماء فلما ابصر بالخشبة اخذها فاذا فيها مكتوب

ايا جود معن ناج معنا بحاجتي ... فما لي الى معن سواك شفيع

بمثل

فقال من صاحب هذه فدعي بالرجل فقال له كيف قلت فانشد البيت فامر له بعشرة بدر فاخذها ووضع الامير الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني اخرجها من تحت البساط وقرا ما فيها ودعا بالرجل فدفع اليه ماية الف درهم اخرى وكذلك في اليوم الثالث فلما اخذها الرجل تفكر وخاف ان ياخذ منه ما اعطاه فخرج فلما كان في اليوم الرابع قرا ما فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن حق علي ان اعطيه حتى ما يبقى في بيتي درهم ولا دينار **قيل** اقام رجل على بابه مدة لا يصل اليه فلما طال مقامه كتب اليه رقعة فيها

فما في يديك الخير يا معن كله ... وفي الارض اسباب وفيها مذاهب

نسيبا في بنات العم ما انت صانع ... اذا فتشت عند الانام الحقائب

قال ووكل بها من يوصلها اليه وسار فلما وصلت اليه وقراها امر برده وقال والله لتفتشن على خير كثير فملات حقيبته دراهم **دخل رجل** عليه يستحمله فقال يا غلام اعطه فرسا وبرذونا وبغلا وحمارا وبعيرا وجارية ولو عرفت مركوبا غير هولاء لاعطيته **وقيل** لما هرب معن بن زايدة من المنصور ركب جملا وتنكر على معن تبعني اسود متقلد سيفا وغمض على خطام الجمل فاناخه وقبض على ساعده وقال انت طلبة امير المومنين فكلما ناكرته الح علي فقلت يا هذا اتق الله وخذ هذا الجوهر بجوهر نفيس كان معي واتركني فنظر اليه ساعة قال لست اقبله حتى تصدقني هل جدت قط بمالك كله فقلت لا الا ان يبلغ العشر فقال انا والله رجل جيوي رزقي عشرون درهما وهذا الجوهر قيمته الف دينار وقد وهبته لك ووهبتك لنفسك ولجودك الماثور ولتعلم ان في الدنيا من هو اجود منك فلا تعجبك نفسك ولا تحقر بعدها شيئا تفعله ولا تتوقف على مكرمة ثم رمى بالعقد نحوي وحل عن خطام البعير فقلت يا هذا والله لسفك دمي اهون علي مما فعلته فخذه فانا غني عنه فضحك وقال اردت ان تكذبني في مقامي هذا والله لا اخذه ولا اخذ لمعروف ثمنا ابدا ومضى فوالله لقد طلبته بعد

ارامت وبذلت لمن جاء به ما شاء فما عرف له خبر او كان الارض ابتلعته
قال فلما مات معن بن زايدة رثاه ابن ربيس بن مؤوار فقال

الما على معن فقولا لقبره ∴ سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا
فيا قبر معن كنت اول حفرة ∴ من الارض خطت للمكارم مضجعا
ويا قبر معن كيف واريت جوده ∴ وقد كان منه البر والبحر مترعا
ولكن ضممت الجود والجود ميت ∴ ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
ولما مضى معن مضى الجود والندى ∴ واصبح عرنين المكارم اجدعا
وما كان الا الجود صورة خلقه ∴ فعاش زمانا ثم مات فودعا
فتى عيش من معن وفيه بعد موته ∴ كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
تعز ابا العباس عنه ولا يكن ∴ ثوابك من معن بان يتضعضعا
تمنا رجال سلوة عن ضلالهم ∴ فاضحوا على الاذقان صرعى وظلعا

وقال واضح مولى المنصور قال لي المنصور يوما انظر ما عندنا
من الثياب الخلقان فاجمعها فاذا علمت بمجيء عبد الله المهدي فجئ
بها قبل ان يدخل ولتكن معها رقاع قال ففعلت ودخل عليه المهدي وهو
يقدر في الرقاع فضحك وقال يا امير المومنين من هاهنا يقول الناس ما
يقولون حتى في الدينار والدرهم واقل من ذلك فقال له المنصور انه
لا جديد لمن لا يصلح خلقه وهذا الشتاء قد حضر ونحتاج امير
المومنين وعياله وولده الى كسوة فقال المهدي على ذلك يا امير
المومنين فقال له دونك فافعل وقال واضح ايضا اني لواقف على راس
المنصور اذ دخل المهدي وعليه قباء اسود جديد فسلم وجلس
ثم قام منصرفا فاتبعه بصره لحبه له واعجابه به فلما توسط
الرواق عثر بسيفه فتخرق سواده فقام ومضى لوجهه غير
مكترث بذلك ولا حافل به فقال لي المنصور رد ابا عبد الله فرددته
فقال يا ابا عبد الله استقلالا للمواهب ام بطرا بالنعمة ام قلة
علم بموضع المصيبة كانك جاهل بما لك وعليك في هذا الذي

انت فيه عطاء من الله ان شكرته عليه زادك وان انت عجزت البلاء منه عاقبك
فقال المهدي لا اعدمنا الله بقاك يا امير المومنين وارشادك والحمد لله على
نعمه واسال الله الشكر على مواهبه والخلف الجميل برحمته وانصرف
قال ودخل على المنصور عمارة بن حمزة فقعد في مجلسه فقام
رجل فقال مظلوم يا امير المومنين قال ومن ظلمك فقال عمارة غصبني
ضيعتي فقال المنصور قم يا عمارة فاقعد مع خصمك فقال ما هو
لي بخصم يا امير المومنين قال وكيف ذلك قال ان كانت الضيعة
له فلست انازعه وان كانت لغيره فكيف ينازعني ولا اقوم من
مجلس قد شرفني به امير المومنين ورفعني اليه واقعد في ادنى منه بسبب
ضيعة وقال الوضين بن عطا استزارني المنصور وكانت
بيني وبينه خلالة قبل الخلافة فسرت اليه يوما فخلونا فقال لي يا ابا
عبد الله ما لك قلت الخبر الذي تعرف يا امير المومنين قال وما عيالك
قلت ثلاث بنات والمراة والخادم قال لي خمس قلت نعم فوالله لقد
ردد ذلك حتى ظننت انه سيمولني ثم قال لي انت ايسر العرب خمس
مغازل تدور في بيتك وكان المنصور نازلا في جبل على رجل يقال له ازهر
السمان وبا ازهر المحدث وذلك قبل خلافته فلما ولي الخلافة سار ازهر الى مدينة
السلام فدخل عليه فقال حاجتك فقال يا امير المومنين على دين اربعة آلاف
درهم وداري مهدمة واريد البنا على ابني محمد فامر له باثني عشر
الف درهم وقال يا ازهر لا تاتينا طالبا لحاجة بعدها ابدا قال نعم فلما
كان بعد قليل عاد اليه فقال له يا ازهر ما جاء بك قال جئت مسلما على امير
المومنين قال انه ليقع في نفسي انك اتيتني لمثل ما اتيتني له المرة الاولى فامر
له باثني عشر الف درهم اخرى وقال يا ازهر لا تاتني طالب حاجة ولا مسلما
قال نعم ثم لم يلبث ان عاد فقال له يا ازهر ما جاء بك قال دعاء كنت
سمعته منك فاحببت ان اخذه عنك قال لا تكتبه فانه غير مستجاب لاني
دعوت الله به ان يريحني من خلقتك فلم يفعل ثم صرفه ولم يعطه

شيئا ووفد رجل من كبراء بني أمية فقال له إني أسألك عن أشياء فاصدقني
فيها قال نعم قال له من أي شيء أوتوا بني أمية حتى انتشر أمرهم قال من
تضييع الأخبار قال فأي المال وجدوا أنفع قال الجوهر قال فعند من وجدوا
الوفاء قال عند مواليهم فأراد المنصور أن يستعين في الأخبار بأهل بيته فرءا
أنه يضع من أقدارهم فاستعان بمواليه ودخل عليه يوما
ابن أبي ذويب فوعظه وأغلظ عليه فقال له المنصور كيف تقابلني
بهذا الكلام وأنت عبدي فقال له ابن أبي ذويب أنت عبدي فقال له وكيف
هذا فقال إنا ملكت هواي وقهرته فصار عبدي وأنت ملكك هواك
وقهرك فأنت عبد له فأمر له بمال فلم يقبله وخطب المنصور فقال
أيها الناس اتقوا الله حق تقاته فقام إليه رجل فقال أذكرك الله الذي ذكرتنا
به يا أمير المومنين فأنت أحوج بهذا فقال له المنصور من غير روية سمعا سمعا
لما ذكرت وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين لقد ضللت إذا وما أنا
من المهتدين وأما أنت أيها الرجل فوالله ما قمت في الله ولا لله وإنما قلت
أن تكلم فأعاقب فيقال ابتلي فصبر وعوقب فشكر وأنا أحذرك أختها
فإنك لا تصل إلى مرغوبك في هذه وقال مالك بن أنس
بعث إلي وإلى طاوس المنصور يوما فدخلنا عليه فوجدناه جالسا على
سرير الملك ممتليا غيظا وقد سخط على أقوام فأمر بضرب رقابهم
وهم بين يديه مكتفين والنطع ممد وشر والسيف مسلول وزبانيته
وقوف بين يديه فقلت في نفسي أنا لله حضرنا مجلس سوء في يوم سوء
عند رجل سوء فأطرق عنا ساعة والموت الأحمر بيننا وبينه ثم رفع
رأسه إلى طاوس فقال له عظني فقال ابن طاوس أخبرني أبي عن جدي عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أشد الناس عذابا يوم القيامة الإمام
الجائر فأطرق ساعة حتى اسود ما بيننا وبينه ثم قال زدني يرحمك الله
ثم قال قال الله تعالى الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة
وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور

قال

قال فبكى وأمرنا بالانصراف وعفى عن القوم ودخل عليه سليم بن سالم
وقد ولاه عملا فأكل منه مالا فأمر بحبسه واستنداله فقال سهيل عبدك
يا أمير المومنين قال بيس العبد قال لا ولكن نعم المولى قال أما لك فلا وناظر
أبو جعفر المنصور مالك بن أنس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له مالك يا أمير المومنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله عز وجل
أدب قوما فقال عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت
النبيء ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض الآية ومدح قوما
فقال عز من قائل إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين
امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم وإن حرمته ميتا
كحرمته حيا صلوات الله وسلامه عليه قال فاستكان لها أبو جعفر وقال
يا عبد الله أستقبل القبلة فأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم
عليه السلام إلى يوم القيامة بل استقبله واستشفع به يشفع لك قال الله
تعالى ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم
الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقال أبو بكر الهذلي سرت مع
المنصور إلى مكة فسايرته يوما فعرض لنا رجل على ناقة حمراء
يذهب في الأرض وعليه جبة وعمامة عدنية وفي يديه سوط سري الهيئة
فلما رآه أمر بدعوته فجاء فسايله عن نسبه وولده وعن ولاة الصدقة
فأحسن الجواب فأعجبه ما رآه منه فقال له أنشدني شعرا فأنشده شعر
أوس بن حجر وغيره وحدثه حتى أتى على شعر لطيف وهو لطريف
بن تميم حيث يقول

إن قناتي لنبع لا يؤنسها ∴ غمز الثقاف ولا دهن ولا نار
متى أجر خائفا تأمن مسارحه ∴ وإن أخف آمنا تقلق به الدار
سيروا إلي وغضوا بعض أعينكم ∴ إني لكل امرئ من دهره جار
إن الأمور إذا أوردتها صدرت ∴ إن الأمور لها ورد وإصدار

فقال المنصور ويحك ومن كان ظريف هذا فيكم قال كان اثقل العرب
على عدوه وطأة واطلبهم بالثار وايمنهم نقيبة واقراهم لضيفه واحو
طهم من وراء جاره اجتمعت العرب بعكاظ فكلهم اقر له بفضل
الخلال غير انه من اراد ان يفضح به قال والله ما انت ببعيد النجعة ولا قاصر
الرمية فدعاه ذلك الى ان جعل على نفسه الا ياكل الا لحم قنص يقتنصه
ولا ينزع كل عام عن غزوة يبعد فيها اثره فقال يا اخا تميم لقد احسنت
اذ وصفت صاحبك ولكني احق ببيته منه انا الذي وصف لا هو وكان
لما بلغه نهي وولد عبد الله بن حسين بن حسن بن علي بن ابي طالب
رضي الله عنهم اجمعين وتشتيتهم في البلاد هو بامنه تمثل

بياض بالاصل

وقال يوما لاسماعيل بن عبد الله صف لي الناس قال اهل الحجاز مبتدا
الاسلام وبقية العرب واهل العراق ركن الاسلام ومقاتلة عن الدين واهل
الشام حصن الامة واسنمة الائمة واهل خراسان فرسان الهيجاء واعنة
الرجال والترك منابت الصخور وابناء المغازي واهل الهند حكماء
استغنوا ببلادهم عما يليهم والروم اهل كتاب والانباط كان ملكهم
قديما فهم لكل قوم عبيد قال فاي الولاة افضل قال الباذل للعطاء
والمعرض عن السيئة قال فايهم اخرق قال انهكهم للرعية واتبعهم
لها بالخرق والعقوبة والطاعة على الخوف تنسي العز وتظهر له عند
نزول الشدة والطاعة عن المحبة تضمن الاجتهاد وتبالغ عند
الغفلة قال فاي الناس اولاهم بالطاعة قال اولاهم بالنصرة والمنفعة
قال ما علامة ذلك قال سرعة الاجابة وبذل النفس قال فمن ينبغي للملك
ان يتخذ وزيرا قال اسلمهم قلبا وابعدهم من الهوى قال احسنت ووجه
الى عمر بن عبيد ليدله على قوم يصلحون للقضاء فقال له الناس ضربان قوم
يعملون للاخرة فانتم لا تريدونهم وقوم يعملون للدنيا فما ظنكم

بهم

بهم اذا مكنتموهم منها ولكن عليك باهل البيوتات فانهم يعفون عن
القبيح لموضعهم من الجلالة والحسب وتردهم عن المروءة والحشاشة فقال
المنصور صدق والفقيه ثم قال عمر بن عبيد يا امير المومنين ان الله
جل اسمه قد اعطاك الدنيا باسرها فاشتر منه نفسك ببعضها يا امير
المومنين ان هذا الامر لو كان باقيا لاحد كان قبلك ما وصل اليك يا امير المومنين
احذر ليلة صبيحتها القيامة يا امير المومنين الم تر كيف فعل ربك باصحاب
ارم ذات العماد قال فبكى المنصور حتى بل ثوبه ثم نزل عن فراشه
وقال حاجتك ابا عثمان وكان قداما فطرح عليه طيلسان حين جلس
فقال يا امير المومنين حاجتي ان تامر من يرفع هذا الطيلسان عني فامر
برفعه عنه ثم قال لا تدع اتياننا قال نعم لا يضمني واياك بلد الا دخلت
عليك وان بدت لي حاجة سالتك ثم قال له لا تقطعني حتى اسالك ولا تدعني
حتى اجيبك قال نعم وبلغني عنه انه كان يكاتبه ابراهيم ومحمد ابناء
عبد الله ابن الحسين بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما كانا
قد خرجا عليه في العراق ومكة فكتب اليه كتابا مستعملا على
السنتهما يخطان فيه على الاخذ معهما ويقولان انا انما قمنا في الله
محتسبين وانت اولى من اعان آل محمد صلى الله عليه وسلم وعضدهم فمضى
الرسول بالكتاب اليه الى مكة كانه من كتب الطالبيين فوجده الرسول
ساجدا في ظل الكعبة فلما فرغ من صلاته دفع اليه الكتاب فقال لهم
قل لهم دعونا نشرب من هذا الماء البارد ونستظل بظل هذه الكعبة
حتى ياتينا الاجل ورمى بالكتاب في الساقية فقال له الجواب فقال ما سمعت
ورايت فانصرف الى المنصور فاخبره فارتجز يقول هذا الشعر
كلنا يمشي رويدا ● كلنا يطلب صيدا ● غير عمرو بن عبيدا
واتى بعبد الحميد بن يحيى الكاتب كاتب بني امية وسلام الحادي
والبعلبكي المؤذن فامر بقتلهم فقال له سلام استبقني يا امير المومنين
فاني حسن الحداء قال وما بلغ من حداك قال يا امير المومنين تامر بابل

فتظما ثلاثة ايام ثم تورد الماء فاذا بدت تشرب رفعت صوتي بالحداء فترفع
راسها وتدع الشرب حتى اسكت قال فامر المنصور بابل فعطشت ثلاثا ثم
اوردت الماء فلما بدت تشرب رفع صوته الحداء فامتنعت من الشرب حتى سكت
فاستقاله واجازه واجرى عليه رزقه وامره بلزومه ثم قال له البعلبكي استبقني
يا امير المومنين قال وما عندك قال انا مؤذن قال وما بلغ من اذانك قال تامر
جارية تقدم اليك طستا وبيدها ابريق فتصب عليك الماء وانا اشير
بالاذان فتدهش ويذهب عقلها حتى يسقط الابريق من يدها وهي
لا تعلم قال فامر عند ذلك جارية فاخذت ابريقا وطستا وجعلت
تصب الماء على يده ورفع البعلبكي صوته بالاذان فبقيت شاخصة مستمعة
لصوته ناسية لما بيدها فوقع الابريق على الطست من يدها فامرها بالا
نصراف واستقاله واجازه واجرى عليه رزقه وصيره امام الجامع اليه فقال له
عبد الحميد الكاتب استبقني يا امير المومنين فاني كاتب مجيد فاستقاله
ووصله وهو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد وهو اول من طول الرسائل
واستعمل التحميدات في فصول الكتب واستقبل الناس اثره وقد ذكرت
من بعد فصوله فيما مضى من هذا الكتاب وقال له مروان بن محمد
يوما لما راى الامر قد اشتد عليه قد احتجت ان تصير مع عدوي وتظهر
الغدر بي فان اعجابهم بادبك وحاجتهم الى كتابتك تدعوهم
الى حسن الظن بك فان استطعت ان تنفعني في حياتي والا فانك تعجز عن
حفظ حرمتي بعد وفاتي فقال له عبد الحميد ان الذي امرتني انفع الامرين
لك واقبحهما بي وما عندي الا الصبر حتى يفتح الله لك او اقتل
معك ثم قال هذا البيت

اسر وفاء ثم اظهر غدرة ... فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهره

ودعا المنصور يوما ابا حنيفة وسفيان الثوري ومسعر وشريك ليوليهم القضاء فقال ابو حنيفة لاصحابه اما انا فاحتال واتخلص
وكذلك مسعر واما سفيان فيهرب واما شريك فيقع فلما دخلوا عليه

وكلم

وكلمهم في التزام القضاء فقال ابو حنيفة انا رجل من الموالي ولست من العرب
ولا ترضى العرب ان يكون عليهم مولى ومع ذلك اني لا اصلح لهذا الامر فان كنت
صادقا في قولي فلست اصلح وان كنت كاذبا فلا يجوز ان تولي كاذبا على دماء
المسلمين وفروجهم واما سفيان فادركه الموجه عنه في الطريق فقال له
اجب امير المومنين فقال نعم خرجت في قضاء حاجة قال افعل فتنحا عنه ينتظر
فراغه فنظر سفيان الى سفينة فسار اليها وقال للملاح ان لم تمكني من
سفينتك وتخفيني عندك والا ذبحت في ذمتك وقد تاول سفيان قول
النبي صلى الله عليه وسلم من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين فاخفاه
الملاح واما مسعر فقال للمنصور لما دخل عليه هات يدك كيف انت واولادك
ودوابك فقال المنصور اخرجوا هذا فانه مجنون واما شريك فقال له المنصور
تقلد القضاء قال انا رجل خفيف الدماغ قال له المنصور تقلد القضاء وعليك
بالعصير والنبيذ الشديد حتى يرجع عقلك فتقلده فجفاه الثوري
وقال له امكنك الهرب فلم تهرب **وكتب** الى عبد الله ابن
وهب في قضاء مصر فمحا نفسه ولزم بيته فاطلع عليه راشد بن سعد وهو
يتوضا في صحن داره فقال ابا محمد الا تخرج الى الناس فتقضي بينهم بكتاب الله
وسنة نبيه عليه السلام وجننت نفسك ولزمت بيتك فقال له الى هنا
انتهى عقلك اما علمت ان العلماء يحشرون مع الانبياء وان القضاة يحشرون
مع السلاطين **وقال** حميد بن قحطبة سمعت المنصور يقول الملوك
تحتمل كل شيء من اصحابها الا ثلاثا افشاء السر والتعرض للحرم والقدح في
الملك **وقال ايضا** من صنع مثل ما صنع اليه فقد كافا ومن
اضعف فقد شكر ومن شكر كان كريما ومن علم انه انما صنع لنفسه
لم يستكثر الناس في شكرهم ولم يستزدهم في مودتهم فلا تلتمس
من غيرك شكر ما اتيته لنفسك ووقيت به عرضك واعلم ان طالب
الحاجة لم يكرم وجهه عن وجهك فاكرم وجهك عن رده وخرج
عليه بفلسطين خارج فكتب الى العامل هناك وهو يقول له دمك

في ذمة ان لم تتوجه به اليّ قال فجدّ في طلبه حتى ظفر به فاشخصه اليه وادخله
عليه فقال له انت المتشوف على امير المومنين لا تترك من تحملك اكثر مما بقي منه
على عظمك فقال له وكان شيخا كبير السن بصوت ضعيف ضئيل متمثلا
بهذا البيت

اتروض عرسك بعد ما هرمت ... ومن العناء رياضة الهرم

قال فلم يتبين المنصور قوله فقال للربيع ما قال الشيخ قال يقول

العبد عبدكم والمال مالكم ... فهل عذابك عني اليوم مصروف

قال يا ربيع قد عفوت عنه فخل سبيله واحتفظ به واحسن ولايته ولما
ولي المنصور اقر خالد بن برمك على ديوان الخراج واقام عليه الى ان
استوزر ابو جعفر المنصور ابا ايوب سليمان بن مخلد المورياني المعروف
بالجوز كاتب سليمان بن حبيب فثقل عليه مكان خالد فاشار على المنصور
فعزله وولاه كور فارس حربهما وخراجهما فحسن اثره فيها ونفا عنه
الاكراد وكثر عليه الزوار ففرق اموالا جليلة وكان خالد هو الذي سمى
الزوار زوارا وانما كانوا يسمونه السؤال فقال خالد سبحان الله قوم احرار لهم
اقدار قصدوا الينا راغبين في فضلنا نسميهم السؤال لا بل هم الزوار فمن ذلك
الوقت سموهم الزوار وبلغ المنصور اسراف خالد في المال فعزله والزمه ثلاثة
الاف الف درهم ونذر دمه فيها ان لم ياتنا بها واجله فيها ثلاثة ايام فقال
خالد لابنه يحيى يا بني اني قد اوذيت وطالبني الملك بما ليس عندي وانما يراد
بذلك دمي فانصرف الى حرمك واهلك فاعلا بهم بعد موتي فافعله ثم
قال يا بني لا يمنعك من ذلك من ان تلقى اخواننا وتعلمهم وتمر بعمارة بن حمزة
وصالح صاحب المصلى ومبارك التركي فتعلمهم حالنا قال يحيى
فاتيتهم فمنهم من اذى وبعث بالمال سرا الي ومنهم من لم ياذن وبعث
بالمال في اثري واستاذنت على عمارة فدخلت عليه وهو في صحن داره مقابل
بوجهه الحائط فلما اقبل علي بوجهه سلمت عليه فرد علي سلاما ضعيفا
وقال يا بني كيف ابوك قلت بخير يقرا عليك السلام ويعلمك ما قد نزل به

من

من هذا القوم ويستسلفني مائة الف درهم فما زاد علي لا قليلا ولا كثيرا فضاق
علي موضعي ومادت بي الارض فاعدت عليه فقال ان امكننا شيء فسياتيك فا
نصرفت وانا اقول في نفسي لعن الله كل شيء من عتقك وكبرك وسرت الى ابي فا
علمته الخبر ثم قلت له واراك تثق على عمارة بن حمزة فوالله ما عنده خير
فانا في ذلك من حديثه اذ طلع رسول عمارة بالمائة الف فقال لي يا بني
كيف رايت فعل عمارة وفاتنا فجمعنا في يومين الفي الف وسبعمائة الف وبقي
ثلاث مائة الف فبينما انا اسير في طلب بقية المال على الجسر ببغداد وانا مهموم مغموم
واذا برجل يقول والله لئن جبر الله همك ولتمرن على بهذا الموضع واللواء بين
يديك فجعلت اعجب من قوله فقال لي فان كان ذلك احب منك خمسة الاف
درهم قلت نعم ولو قال لي خمسون الف لقلت نعم لبعد ذلك عني قال ومضيت
فورد على المنصور في ذلك اليوم انتقاض الموصل وانتشار الاكراد بها فقال من
لها فقال له المسيب بن زهير وكان صديقا لابي فقال للمنصور عندي يا امير المومنين
راي ولكني اراك لا تنتصحه وانك ستلقاني بالرد ولكني لا ادع نصحك فيه
قال قل فاني لا استغشك فقلت يا امير المومنين ما رميتها بمثل خالد بن برمك
قال ويحك ويصلح لنا بعد ما فعلنا به ما فعلنا قال نعم انما قومته بذلك
وقد يفعل الاب بابنه اكثر من ذلك على محبته فيه وانما ذلك على طريق
التقويم والتاديب وانا الضمين به قال المنصور فهو والله لها فليحضر غدا
فاحضر وصفح عنه في الثلاث مائة الف الباقية وعقد له راية وجهز له جيش
عظيم وامره بالشخوص الى الموصل فقال لي ابي ان عمارة تلزمه حقوق
ونفقات فاته بماله واقراه عني السلام وقل له ان الله عز وجل قد وهب لنا حسن
راي امير المومنين وصفح لنا عما بقي علينا وولاني على الموصل وقد امر برد
ما استسلفته منك قال يحيى بن خالد فاتيته فوجدته على مثل الحال التي كنت
وجدته عليها فسلمت فما رد علي ولا زاد قال بعد ذلك كيف ابوك يا بني
قلت بخير يسلم عليك ويقول لك كذا وكذا فاستوى جالسا وقال لي ما كنت
لا قسطارا الا بيعي خذه مني اذا شاء ويرده اذا شاء قم عني لا قمت فرجعت الى ابي

فاعلمته فقال لي اي بني هو عمارة ولا يعترض عليه وتخالد واولاده اخبار غريبة
وقصص عجيبة ناتي بنكت منها في موضعها ان شاء الله **وكان** سبب رعاية
ابي جعفر لابي ايوب حتى استوزره لما غلب عبد الله بن معاوية بن جعفر بن ابي طالب
على اصبهان في ايام مروان وغلب على بعض فارس وبعض الاهواز وفد اليه اهل
شمبور الجمهور من ولد علي وولد العباس رضي الله عنهم اجمعين
وغيرهم من بني هاشم واستعان بهم على اعماله وقلد ابا جعفر المنصور
كور ايدج فاخذ ابو جعفر المال وحمله بسببا فيج على يد النعمان بن عمر
الى البصرة وكان سليمان بن حبيب ابن المهلب عليها من قبل مروان وقد كان
وضع الارصاد على كل من يمر بها من عمال ابن معاوية فمر فرصده ابو
جعفر المنصور فاخذ واتي به سليمان بن حبيب وكان ابو ايوب المورياني يكتب
له فلما ادخل عليه قال له هات المال الذي اختنته قال لا مال عندي فدعى له بالسوط
فقال له ابو ايوب توقف ايها الامير عن ضربه فان الخلافة ان بقيت في بني امية
فلم يسغ لك ضرب رجل من بني امية عبد مناف وان صار الملك في هاشم لم تكن
لك بلاد الاسلام بلادا فلم يقبل منه وضرب ابا جعفر اثنين واربعين سوطا
فلما اتصل ضربه اياه قام اليه ابو ايوب فالقى بنفسه عليه ولم يزل يسأله في امره
حتى امسك عن ضربه وامر بحبسه فتحركت المضرية لضرب ابي جعفر
وتجمعوا وساروا الى الحبس ليكسروه وخرج سليمان ابن حبيب اليهم فرموه
ونصبوا له الحرب فارسل الى هرثمة ابن المنهال قاضي الاهواز ان ادخل بيني وبين
قومك فاسألهم ما يريدون ورمى فلقيهم فقالوا نريد خلاص صاحبنا فاطلقه
سليمان ابن حبيب فخرج ابو جعفر حتى قدم البصرة فوعى لابي ايوب
ما كان منه **وذكر** ان ابا ايوب كان يوما في مجلسه ومعه بعض
جلسائه فاتاه رسول ابي جعفر فامتقع لونه وتغير ومضى اليه ورجع فقال له
بعض اصحابه في ذلك فقال ساضرب لكم مثلا تقوله العامة وهو ان الباز
قال للديك ما شيء اقل وفاء منك لان اهلك اخذوك في بيضة وحضنوك
فخرجت على ايديهم فاطعموك في اكفهم ونشأت بينهم حتى اذا

كبرت

كبرت صار لا يدنو منك احد الا طرت يمنة ويسرة وصحت وصوتا وانا اوخذ
كبيرا من الجبال فيلقوني ويطعموني ويعلموني ثم يخلوني فاخذ صيدا واجيء به
الى صاحبي فقال له الديك لو رايت في سفافيدهم من البزاة مثل الذي رايت انا من
الديكة لكنت اشر مني ثم قال وانتم كذلك لو تعلمون ما اعلم لما عجبتم
من خوفي مع ما ترون من تمكيني ولما تتابعت من ابي ايوب خيانات انكشف
ذلك للمنصور فاظهر السخط عليه وذلك في سنة ثلاث وخمسين ومائة
فذكر انه قال له يا حوزي اكنت امنا ان يطلع الله امير المومنين على خياناتك
فيكون جزاؤك في العاجل ارافة دمك واباحة نعمتك وفي الاجل خلود
دار الفاسقين ومأوى الناكثين فقال يا امير المومنين ان للنقم فلتات ترجع بالندم
ولك من رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل السياسة وشرف القرابة فافلتني
فقال ما يسعني مع عظيم جرمك وجليل ذنبك اقالتك ولا العفو منك لانك
اقترفت الموبقات وما لا يسع معه عفو ثم حبسه وحبس اخاه وبني اخيه
وطولبوا باموالهم وقبض على اسبابهم ومات ابو ايوب واخوه خالد في اول
سنة اربع وخمسين ومائة وامر المنصور بقتل بني اخيه فقتلوا جميعا فقال
في ذلك بعض الشعراء هذه الابيات

فاتق الله وارض بنفسك حظا • وتباعد من موبقات الذنوب
قد رايت الذي اذالت ونالت • وقعة الدهر من ابي ايوب

وقيل ان سبب نكبته ان المنصور لما كان مستترا بالاهواز نزل
على بعض الدهاقين فاستتر عنده فاكرمه الدهقان بجميع ما يقدر عليه
حتى اخدمه ابنته وكانت في غاية الجمال فقال له المنصور لست استحل
استخدامها والخلوة بها وهي جارية حرة فزوجه اياها فعلقت منه واراد
ابو جعفر الخروج الى البصرة فلما عزم اعطى الجارية قميصه وخاتمه
وودعهم وقال للجارية ان ولدت فاحتفظي بولدك فاذا سمعت انه
قد قام رجل في الناس يقال له عبد الله بن محمد ويكنى ابا جعفر فسيري اليه
بولدك وبهذا الخاتم وهذا القميص فانه يعرف حقك ويحسن

الصنيع الذي ثم فارقهم وانصرف فلم تكن الا مدة يسيرة وولدت الجارية
غلاما حسنا ثم نشأ الغلام وترعرع فكان يلعب مع اقرانه وملك ابو جعفر
وظهر حال بني العباس فعاير الغلام اقرانه يوما انه لا يعرف له اب فدخل الى امه
حزينا كئيبا فسألته عن حاله فاخبرها ما قال اقرانه فقالت له بلى والله ان لك
ابا فوق الناس كلهم فقال لها ومن هو ابي فقالت له ابوك القائم بالملك قال
يا اماه فهذا ابي وانا على هذه الحالة فهل من شيء يعرفني به قالت نعم واخرجت
له القميص والخاتم فدفعتهما اليه وشخص الفتى فصار الى الربيع فقال له عندي
نصيحة لامير المومنين قال هاتها قال لا اقولها الا لامير المومنين فدخل الربيع على
المنصور فاعلمه الخبر فامر به فادخل عليه فقال له يا غلام هات نصيحتك
قال يا امير المومنين انا ابنك قال وما علامة ذلك فاخرج له القميص والخاتم ثم
دفعهما اليه فقال له وما منعك ان تقول هذا ظاهرا قال خفت ان تجحد فتكون
سبة علي الى اخر الدهر قال فضمه اليه وقبله وملئ به سرورا وقال له نعم انت
والله ابني حقا ثم دعا ابا ايوب المورياني فدفعه اليه وقال له ما كنت تفعله
بولدي لو كان عندي فافعله به واحتفظ به وتقدم للربيع ان يسقط عنه
الاذن وامره بالبكور اليه والرواح في كل يوم الى ان يظهر امره فاراه فيه
تدبيرا قال فضمه ابو ايوب اليه واخلاه منزلا واوسع له من كل شيء فكان
يغدوا ويروح على المنصور وخص به جدا عن غيره وكان الفتى في غاية
من العقل والكمال والفصاحة والجمال فكان المنصور يساره فيسأله ايوب
عما يجري بينه وبين ابيه فلا يخبره فيقول ان امير المومنين لا يكتمني شيئا فيقول
له اذا لم يكتمك شيئا فما حاجتك الى ما عندي قال فحسده ابو ايوب
واستوحش منه وثقل عليه مكانه فاطعمه شيئا فمات وسار الى المنصور
فاعلمه انه قد مات فجاء فنظر اليه فقال له قتلته يا عدو الله قتلني الله ان لم
اقتلك فلم يلبث بعده ان فعل به ما فعل ولما نكب ابو جعفر ابا ايوب
قلد الفضل بن سليمان الطوسي الخاتم وقلد كتابة السر والرسائل ابان بن صدقة
وقلد ضياعه طاهرا مولاه وقتل المنصور ابا مسلم السراج في شعبان سنة

ست

ست وثلاثين ومائة وقيل سنة تسع وثلاثين ومائة بسبب اشياء عرفها عليه وهو
القائم بدعوتهم الباذل نفسه في اظهار دولتهم المصطلي دونهم بنيران
الحروب التي بوفي اعلاء كلمتهم في بحار الخطوب والكروب التي سهر ليناموا
في الظلال وشمر ليلا يظاموا ولا ينالهم اذى وذلك ان عمه عبد الله بن علي
حين قام على المنصور ودعى الناس الى بيعته واتبعه على ذلك اناس من
اصحابه وسار عبد الله ابن علي فنزل نصيبين وخندق فاقبل ابو مسلم نحوه
وقد كان كتب ابو جعفر الى الحسن بن قحطبة وكان خليفته بارمينية وامره
ان ياتي ابا مسلم فقدم عليه بالموصل فسار ابو مسلم ولم يعرض لعبد الله ابن
علي واخذ طريق الشام وكتب الى عبد الله اني لم اومر بقتالك لكن امير
المومنين ولاني الشام فانا اريدها فقال من كان مع عبد الله من اهل الشام
كيف نقيم معك وهذا يسير الى بلادنا فيقتله على حريمنا وذرارينا
فقال لهم والله ما يريد الشام وما وجه الا لقتالكم فابوا الا ان نصرف
فارتحل عبد الله سايرا الى الشام فجاء ابو مسلم فنزل في منزله فبلغ عبد الله
نزوله في منزله فقال يا اهل الشام الم اقل لكم انه انما ارسل لقتالكم
فنزل عبد الله وخندق فاقتتلا خمسة اشهر او ستة اشهر وكان
اهل الشام اكثر عددا واكمل عدة وجعل عبد الله على ميمنته
بكار بن مسلم وعلى ميسرته حبيب ابن مسلم الاسدي وعلى الخيل اخاه
عبد الصمد بن علي وجعل ابو مسلم على ميمنته الحسن بن قحطبة
وعلى ميسرته ابا نصر بن حازم بن خزيمة فاقتتلوا فحمل عليهم اصحاب
عبد الله فازالوهم عن مواضعهم وانصرفوا ثم حمل عبد الصمد
بمن معه فقتلوا ثمانية عشر رجلا وانصرفوا ثم حملوا فجال ابو
مسلم جولة ثم نادى برفيع صوته يا اهل خراسان ارجعوا فان العاقبة
لمن اتقى فرجعوا وارتجز ابو مسلم حيث يقول

افر من الموت وفي الموت اقع ❊ من كان يرجو اهله فلا رجع

وكان قد صنع لابي مسلم عريش يجلس فيه اذا التقى الفريقان فاذا راى

اختلالا في ناحية من النواحي في عسكره وجه اليها من يصلحها من رسله فتخلف اليه قواده
يقولون افعلوا كذا احملوا كذا على صفة كذا فلما كان يوم الثلاثاء لسبع
خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ومائة اقتتلوا قتالا شديدا فلما راى ذلك
ابو مسلم وراى صبرهم وتجلدهم مكر بهم فارسل الى ابن قحطبة ان مر اهل القلب
ان يحملوا مع من يليهم في الميمنة على ميسرة اهل الشام فحملوا فحطموهم وجال
اهل القلب والميمنة وركبهم اهل خراسان بضرب السيوف فانهزموا فقال
عبد الله بن علي لابن سراقة ما ترى قال ارى والله ان تصبر وتقاتل فان الفرار قبيح
بمثلك وقد عبته على مروان فقلت قبح الله مروان جزع من الموت ففر فقال ليس
هذا الراي بصواب بل ناتي العراق وانظر قال فانهزموا واحتوى ابو مسلم على
عسكره وكتب بذلك الى ابي جعفر المنصور ثم ان ابا مسلم امن الناس وامر
اصحابه بالكف عنهم فوجه ابو جعفر ابا الخصيب مولاه ليحصي ما اصابوا
في عسكر عبد الله بن علي فغضب من ذلك ابو مسلم وقال نؤمن على الدماء ونخون
في الاموال وسب ابا جعفر وهم بقتل ابي الخصيب مولاه ليحصي ما اصابوا في عسكر
عبد الله بن علي فغضب من ذلك ابو مسلم فمضى عبد الله بن علي الى سليمان
بن علي بالبصرة فاقام عنده ومضى عبد الصمد الى الكوفة فاستامن
له عيسى بن موسى فامنه ابو جعفر ثم ان ابا مسلم ضم جميع ما كان في عسكر
عبد الله من الاموال فجعله في حضيرة وكان فيه متاع وعين وجوهر كثير
كله في تلك الحضيرة منشور ووكل بها قائدا من قواده ومعه من الجند
رجال من خواصه فاذا خرج احد منهم فتش فاجتمع القواد الى ابي مسلم وقالوا
نحن تولينا قتال هذا الرجل فهزمناه وغنمنا عسكره فلم يسال ابو جعفر
عما في ايدينا انما له منه الخمس ولما قدم ابو الخصيب على ابي جعفر اخبره ان ابا
مسلم امر بقتله فخاف ابو جعفر ان يمضي ابو مسلم الى خراسان فكتب اليه مع
يقطين انه قد وليتك مصر والشام وهما خير من خراسان فوجه الى مصر
من احببت واقم بالشام فتكون على مقربة من امير المومنين فان احب لقاءك اتيته
من قريب فلما قرا كتابه غضب وقال هو يوليني الشام ومصر وخراسان

ي ثم اعتزم على المضي الى خراسان وكتب الى ابي مسلم ان يجيئه فراجعه ابو مسلم
ان يجيئه من الزاب وهو على الرواح الى حلوان لانه لم يبق لامير المومنين اكرمه الله
عدو الا امكنه الله منه وقد كنا نروي عن ملوك آل ساسان ان اخوف ما
يكون الوزراء اذا سكنت الدهماء فنحن نافرون من قربك حريصون على الوفاء
بعهدك ما وفيت حريون بالسمع والطاعة لك غير انها من بعيد اخوان
تقارنها السلامة فان رضاك ذلك فنحن كاحسن عبيدك وان ابيت الا ان
تعطي نفسك ارادتها نقضت ما ابرمت من عهدك **قال** فلما
وصل كتابه الى المنصور كتب الى ابي مسلم قد فهمت كتابك وليست
صفتك صفة اولئك الغششة ملوكهم الذين يتمنون اضطراب حبل الدولة
لكثرة جرائمهم فانما راحتهم في انتشار نظام الجماعة فلم ساويت
نفسك بهم وانت في طاعتك ومناصحتك واضطلاعك بما حملت
من اعباء هذا الامر ما انت به وقد حمل اليك امير المومنين عيسى بن موسى
رسالة لتسكن اليها واسال الله ان يحول بينك وبين الشيطان ونزغاته فانه
لم يجد بابا يفسد به نيتك اوكد عنده واقرب من هذا الباب الذي فتحه
عليك فكتب اليه ابو مسلم اما بعد فاني كنت اتخذت اخاك
اماما ودليلا على ما افترض الله على خلقه وكان في ظني ذا محلة العلم
لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فمال الى الفتنة واستجهلني
بالقرآن يحرفه عن مواضعه طمعا في قليل من الدنيا زايل قد نعاه الله
الى خلقه ومثل لي الضلالة في صورة الهدى وكان كالذي دلني بغرور فامرني
ان اجرد السيف وارفع الرحمة ولا اقبل المعذرة ولا اقيل العثرة فسفهت عنكم
البري ولم ابرا عنكم السقيم فوترت اهل الدنيا والدين في طاعتكم وتوطئة
سلطانكم حتى عرفكم من كان يجهلكم واوطات غيركم
من فوقكم الذل وركبتهم بالاثم والعدوان ثم ان الله عز وجل برحمته
تداركني بالندم واستنقذني بالتوبة فان يعف ويصفح فانه كان
للاوابين غفورا وان يعاقبني فبما قدمت يداي وما الله بظلام للعبيد

الى المنصور اما بعد ايها المجرم العاصي فان اخي
كان امام هدى يدعو الى الله على بينة من امره فاوضح لك السبيل
وتعرف بالناس السبل وحملك فيها على المنهاج الذي عليه نزل
الكتاب فلو باخي الامام الزكي اقتديت والى امره اهتديت ما كنت
لنا في طاعة يوما واحدا ولا زلت منذ انتحلت ولايتنا تهوي بك الريح
في مكان سحيق لا يسنح لك امر الا كنت لارشدهما تاركا تقتل
على الغضب وتبطش بطشة الجبارين فاوقع الله بك الثلاث الموجبات
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون والظالمون
والفاسقون فجمعها الله فيك فعن قريب يبلغ الكتاب اجله وامير
المومنين يشهد الله وملائكته المقربين وصالح المومنين انه واخاه
ابا العباس واخاه من قبلهما ابا اسحاق رحمة الله عليهما براء الى الله
منك فيما اقترفت من الاثم واجترحت من السيئات وستعلم اذا استحكمت
بك الالسنة واحيط بك اي امر تكون فاجمع امرك وكيدك
غير موفق ولا مسدد وحسب امير المومنين الله ونعم الوكيل
قال ثم اقبل ابو مسلم نحو خراسان مراغما مشاقا واخذ
طريق حلوان فقيل لابي جعفر انه اخذ طريق حلوان فقال المنصور
رب امر الله دون حلوان فبعث اليه جرير بن عبد الله البجلي وكان
واحد اهل زمانه رايا وعقلا وقال ابو جعفر لعيسى بن علي
وعيسى بن موسى اكتبوا له مستلطفين له فكتبوا اليه يعظمونه
ويشكرون له ما كان منه ويسالونه ان يمضي على ما بدا منه
من حسن السمع والطاعة ويحذرونه عاقبة الغدر ويامرونه بالرجوع
الى امير المومنين وان يلتمس رضاه وبعث بالكتاب مع ابي حميد
المروذي وقال له كلمه بالين كلام ما احسنا واعلمه اني رافعه
واني صانع به ما لم يصنعه احد به ان هو صلح وراجع الى ما احب
فان هو ابى ان يرجع فقل له ان امير المومنين يقول لك لست للعباس وانا بريء

من

من محمد عليه السلام ان مضيت شاقا ولم تاتني وكلت امري الى احد سواي
ولا اتولى قتالك وطلبك الا بنفسي وان خضت البحر لخضته عليك
وان اقتحمت النار لاقتحمتها حتى اقتلك او اموت دونك ثم قال لجرير
لا تقولن له هذا الكلام حتى تياس من رجوعه ولا تطمع منه في خير
قال فسار ابو حميد في اناس من اصحابه ممن يثق به وساروا حتى قدموا
على ابي مسلم بحلوان فدخل عليه ابو حميد وابو نصر مالك وغيرهما
فدفع اليه الكتاب وقال له ان الناس يبلغونك عن امير المومنين
ما لم يقله وخلاف ما عليه رايه منك حسدا وبغيا يريدون ازالة
هذه النعمة وتغييرها عليك فلا تفسد ما كان منك فانك لم
تزل امين ال محمد عليه السلام يعرفك بذلك الناس وما ذخر
الله لك من الاجر عنده اعظم من ذلك ومما انت فيه من دنياك
فلا تحبط اجرك ولا يستهوينك الشيطان فقال له ابو مسلم متى
كنت انت تكلمني بهذا الكلام قال انك دعوتنا الى هذا والى طاعة
اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرتنا بقتال من خالف ذلك
ودعوتنا من ارضين متفرقة واسباب مختلفة ثم ان الله عز وجل
جمعنا على طاعتهم والف بين قلوبنا بمودتهم واعزنا بنصرنا
لهم افتي يد حين بلغنا غاية منتهانا وامالنا وقد قلت لنا من
خالفكم فاقتلوه وان خالفتكم فاقتلوني افتي يدا ان يفسد امرنا
وتفرق كلمتنا قال فاقبل على ابي نصر وقال يا مالك اما تسمع ما يقول
لي هذا قال لا تسمع قوله ولا يهولنك هذا منه فلعمري ما هذا
بكلامه ولما بعد هذا اشد منه فامض لامرك ولا ترجع فوالله لئن
اتيته ليقتلنك ولقد وقع في نفسك منه شيء لا يمحى ابدا فقال قوموا
فنهضوا ووجه ابو مسلم الى نيزك واعلمه فقال له نيزك والله ما
رايت رجلا اعقل منك قال فما ترى قال لا ارى ان تاتيه وارى ان تاتي الري
فتقيم بها ويكون ما بين خراسان وهم جندك لا يخالفك احد

فإن استقام لك أمير المؤمنين استقمت له فدعى أبا حميد فقال له ارجع
إلى صاحبك فليس من رأيي أن آتيه قد عزمت على خلافه قال نعم قال
لا تفعل قال ما أريد أن ألقاه فلما قطع يأسه من الرجوع قال له ما أمرك به
أبو جعفر فرجع ثم قال له فلم يكسر له ذلك القول وغمه وقد كان
أبو جعفر كتب إلى أبي داود خليفة أبي موسى بخراسان حين اتهم
أبا مسلم يقول له إن لك إمارة خراسان ما حييت وما بقيت إن انت صرفت
أبا مسلم عن رأيه فكتب أبو داود إلى أبي مسلم إنا لم نخرج لمعصية
خلفاء الله وأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تخالفن إمامك
ولا تمضين لشيء إلا بإذنه فوافاه كتابه في ذلك الوقت فزاده رعبا
وهما وغما فأرسل إلى أبي حميد وأبي نصر وقال لهم إني كنت معتزما
على المضي إلى خراسان ثم رأيت أن أوجه أبا إسحاق إلى أمير المؤمنين
فيأتيني برأيه قال فأرسله أبو مسلم فلما قرب تلقاه بنو هاشم بكل ما يحب
وقال له أبو جعفر اصرفه عن وجهه ولك ولاية خراسان وأجازه جائزة
سنية وصرفه فلما اجتمع بأبي مسلم قال له ما أنكرت شيئا رأيته
وجميع بني هاشم يعظمون حقك ويرون لك ما يرون لأنفسهم وإنما
الرأي السديد والأمر الرشيد أن ترجع إلى أمير المؤمنين وتعتذر إليه فأجمع
على ذلك فقال له نيزك قد أجمعت على الرجوع قال نعم فتمثل
نيزك يقول القائل

ما للرجال مع القضاء محالة ... ذهب القضاء بحيلة الأقوام

ثم قال له نيزك أما إذا عزمت على هذا فخار الله لك احفظ
عني واحدة إذا دخلت عليه فاقتله ثم بايع لمن شئت فإن الناس
لا يخالفونك وكتب أبو مسلم إلى المنصور يخبره أنه منصرف إليه
قال أبو أيوب المورياني فدخلت يوما على أبي جعفر
وهو في خباء شعر بالرومية جالسا على مصلى بعد العصر وبين يديه
كتاب أبي مسلم فرمى به إلي فقرأته ثم قال لي والله لئن ملئت

بالرومية

عيني

عيني منه لأقتلنه فقلت في نفسي إنا لله وإنا إليه راجعون ما أرى أن أقتل
أن أصحابه يرضون بهذا ولا يدعون هذا حيا ولا أحدا ممن هو بسبيل
منه فامتنعت من النوم ثم قلت لعل الرجل يقدم وهو آمن فإن كان
آمنا فسينال ما يريد وإن كان حذرا لم يقدر عليه إلا في شر فلو التمست
حيلة قال فأرسلت إلى سلمة بن سعيد بن جابر فقلت له هل عندك شكر
قال نعم قلت إن وليتك ولاية تصيب منها مثل ما يصيب صاحب
العراق تدخل معك حاتم بن أبي سليمان أخي وتجعل له النصف قال نعم
قلت إن كسكر كانت عام أول كذا وكذا وفي هذا العام أضعاف ذلك
فإن دفعت إليك بما كانت عام أول أو بالأمانة أصبت ما تضيق به ذرعا
قال وكيف لي بهذا قال تأتي أبا مسلم فتلقاه وتسأله أن يجعل فيما
يرفع من حوائجه أن تتولاها أنت بما كانت في العام الأول فإن أمير المؤمنين
يريد أن يوليه إذا قدم ما وراء بابه ويريح نفسه قال وكيف لي أن يأذن
أمير المؤمنين في لقائه قلت أنا ثم دخلت على أبي جعفر فسألته
الأمان وحدثته الحديث كله قال فادع سلمة بن سعيد فقال إن أبا
أيوب استأذن لي أفتحب أن تبلغ أبا مسلم قال نعم قال قد أذنت لك
فأقرأه السلام وأعلمه بشوقنا إليه فنهض سلمة فلقيه فسلم عليه
وقال له أمير المؤمنين أحسن الناس فيك رأيا قال فطابت نفسه وكان
قبل ذلك كئيبا فأخبره بمسألة كسكر وبما عزم عليه أمير
المؤمنين فسره ما أخبره به وصدقه ولم يزل مسرورا حتى قدم قال أبو
أيوب فلما دخل أبو مسلم من المدائن أمر أبو جعفر الناس فتلقوه فلما
كان عشية قدومه دخلت على أمير المؤمنين وهو في خباء على مصلى
قلت هذا الرجل العشية يدخل فما تريد أن تصنع قال أريد أن أقتله حين
أنظر إليه قلت أرشدك الله أنه يدخل معه الناس وقد علموا ما صنع
فإن دخل عليك ولم يخرج ثاروا علينا ولكن إذا دخل عليك
فأذن له أن ينصرف وينزل فإذا غدا عليك رأيت رأيك فيه ثم قال

والله ما اردت هذا الكلام الا دفعه عنه تخوفا عليه وعلينا جميعا من اصحاب
ابي مسلم **قال** ثم دخل عليه من عشيته وسلم وقام قايما بين يديه
فقال له انصرف يا عبد الرحمان وارح نفسك وادخل الحمام فان للسفر
قشفا ثم اغد علي فانصرف ابو مسلم فقال ابو جعفر متى اقدر على مثل
هذا الحال منه التي رايته قايما على رجليه ولا ادري ما يحدث في ليلتي هذه
قال ابو ايوب فانصرفت واصبحت غاديا عليه فلما رءاني قال يا ابن اللخناء لا مرحبا
بك انت منعتني منه بالامس والله ما غمضت الليلة جفن ثم شتمني
حتى خفت ان يامر بقتلي ثم قال لي قم فادع لي عثمان بن نهيك فدعوته
فقال يا عثمان كيف بلاء امير المومنين عندك قال يا امير المومنين انما انا
عبدك والله لو امرتني ان اتكي على سيفي حتى يخرج من ظهري فعلت
قال كيف انت ان امرتك بقتل ابي مسلم قال فوجم ساعة لا يتكلم
فقال له المنصور ما لك لا تتكلم فقال قولة ضعيفة اقتله فنظر الي
وقال لي انطلق فجئني باربعة من وجوه الحرس ممن يكون فيهم جلد
واقدام فمضى عثمان فلما كان عند الرواق ناداه يا عثمان ارجع
فرجع فقال اجلس فجلس ثم ارسل المنصور الى من يثق به من الحرس
فقال لوصيف له انطلق فادع لي شبيب بن رواح وابا حنيفة ورجلين
اخرين سماهما له فاتوه فدخلوا عليه فقال لهم المنصور نحوا مما
قال لعثمان فقالوا نقتله قال كونوا خلف الرواق فاذا صفقت فاخرجوا
فاقتلوه ثم ارسل المنصور الى ابي مسلم رسولا بعد رسول بعضهم على
اثر بعض فقيل لهم قد ركب واتاه وصيف فقال له اتى عيسى بن
موسى قال فقلت يا امير المومنين الا اخرج فاطوف في العسكر فاسمع
ما يقول الناس وهل ظن احد ظنا او تكلم بشيء قال افعل فخرجت
وتلقاني ابو مسلم داخلا فتبسم وسلمت عليه فدخل ورجعت
من فوري فاذا هو مسطح لم ينتظر به رجوعي وجاء ابو الجهم فلما رءاه
مقتولا قال انا لله وانا اليه راجعون فاقبلت على ابي الجهم فقلت له انا

امرته بقتله حين خالف حتى اذا قتل استرجعت قال فتكلم بكلام اصلح
به ما كان منه ثم قال يا امير المومنين الا ارد الناس قال بلى قال فامر بمتاع
يحول الى الرواق يعني الى رواق اخر قال فامر المنصور بفرش فاخرجت كانه
يريد ان يعيها رواقا اخر ثم خرج ابو الجهم فقال للناس انصرفوا فان الامير
ابا مسلم يريد ان يقيل عند امير المومنين وراوا المتاع ينقل فظنوه صادقا
فانصرفوا ثم راحوا فامر لهم ابو جعفر بجوايزهم فاعطى ابا اسحاق
مائة الف **قال ابو ايوب** قال لي امير المومنين دخل علي ابو مسلم
فعاتبته وشتمته فضربه عثمان فلم يصنع شيئا فخرج شبيب بن رواح
واصحابه وضربوه فسقط فقال وهم يضربونه وهو يقول العفو العفو فقلت
يا ابن اللخناء العفو والسيوف قد اعتورتك ثم قلت اذبحوه فذبحوه ثم هم
المنصور بقتل ابي اسحاق صاحب حرس ابي مسلم وبقتل نصر بن مالك صاحب
شرطته فقال له ابو الجهم يا امير المومنين جنده جندك امرتهم بطاعته
فاطاعوه قد دعى ابا اسحاق فلما دخل عليه ولم ير ابا مسلم فقال له
ابو جعفر انت المتابع لعدو الله ابي مسلم فسكت وجعل يلتفت يمينا
وشمالا تخوفا من ابي مسلم **فقال** له المنصور تكلم بما اردت فقد
قتل الله الفاسق ثم امر باخراجه اليه مقطعا فلما رءاه خر ساجدا لله
تعالى واطال السجود فقال له المنصور ارفع راسك وتكلم فرفع راسه
وقال الحمد لله الذي امنني منه اليوم ثم قال والله يا امير المومنين ما امنته يوما قط
منذ صحبته وما جئته يوما قط الا وقد اوصيت وتكفنت وتحنطت
فلما رءا المنصور حاله رحمه قال له استقبل طاعة خليفتك واحمد الله
الذي اراحك من الفاسق ثم دعا نصر بن مالك ابن الهيثم فكلمه
بمثل ذلك فاعتذر اليه بانه امره بطاعته وقال يا امير المومنين انت امرتنا
بطاعته وانما خدمه الناس ومالوا اليه لمرضاتكم اذ كان في طاعتكم
ثم قال يا امير المومنين انما كنت في طاعتكم قبل ان يعرف ابا مسلم
ووجه الى جماعة من قواد ابي مسلم بجوايز سنية وخلع عظيمة واعطى

جميع جنده حتى رضوا فرجعوا وهم يقولون بعنا مولانا بالدراهم
عن مسرور وانه قال لما استقدم المنصور ابا مسلم من حلوان
امر له ان ينصرف في خواص عماله وغلمانه فانصرف في نحو اربعة الاف
غلام كلهم مرد عليهم اقبية الديباج والسيوف المحلية ومناطق
الذهب فامر المنصور عمومته ان يستقبلوه وكان قد بقي من عمومته
يومئذ ثلاثة صالح وسليمان وداود فلما ان حضروا ساير له صالح فحلبه فقال
فنظر الى كتاب الغلمان فرأى شيئا لم يعهده منه فانشا صالح يقول

سيأتيك ما افنى القرون التي مضت | وما حل في اكناف عاد وجرهم
ومن كان اقوى منك عزا ومفخرا | واقيد للجيش اللهام العرمرم

قال فبكى ابو مسلم ولم يحر جوابا حتى دخل على المنصور فاجلسه
بين يديه وجعل يعاتبه ويقول تذكر يوم كذا وكذا وكتبت الي بكذا
وكذا وفعلت كذا وكذا ثم انشا ابو جعفر يقول

زعمت ان الدين لا يقتضى | فاقتض بالدين ابا مجرم
واشرب بكاس كنت تسقي بها | امر في الحلق من العلقم

ثم امر اهل خراسان فقطعوه اربا اربا وذكر ان المنصور
قال لابي مسلم وهو يريد قتله هل كنت قبل قيامك بدولتنا جاهزا الامر
على عبدين قال فلم تعارض حال عسكرك ومهابتك في ايامنا وتعرف
من حقنا ما يعرفه غيرك من اجلالنا واعظامنا فلا ينازعنك الحين
عنان الطمانينة والسيف طول المدة قال قد كان ذلك قال فلا مرغوب
فيك ولا ماسوف عليك وفي الله خلف منك ثم قتله وقيل لما نظر المنصور
الى ابي مسلم قال له ما حملك على تبديل حالك التي قد كان الله وسمك
للنصر عندي فقال له ابو مسلم يا امير المومنين لا تكلني الى تكلف الاعتذار
فاستحق تسمية المذنبين وجهة استقيل بها ان شاء الله من وهلات الناكثين
فلما سمعها قال المنصور كلا ولكني اقول كما قال الله عز وجل لا تختصموا
لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد ثم امر بقتله وخطب المنصور

بعد

بعد قتله ابا مسلم فقال ايها الناس لا تخرجوا من انس الطاعة الى وحشة المعصية
ولا تسروا غش الائمة فانه ليس يسر احد الا ظهر في فلتات لسانه وصفحات
وجهه ان الله ايد الائمة لاعلاء حقه واعزاز دينه انا لم نبخسكم حقوقكم
وانما نبخس الدين حقه وان من نازعنا عروة هذا القميص وليناه جسر
هذا السيف وان ابا مسلم بايعنا وبايع لنا على انه من نكث بنا فقد اباحنا
دمه ثم نكث فحكمنا عليه لانفسنا حكمه على غيره لنا ثم لم
يمنعنا رعاية الحق له من اقامة الحق عليه **ولما خرج** محمد
بن عبد الله بن حسين بن حسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم
اجمعين كتب الى المنصور بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فانما جزاء
الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا
او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم
خزي في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل
ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم ولك عهد الله
وذمته وميثاقه وحق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان تبت من قبل
ان اقدر عليك ان اومنك على نفسك وولدك واخوتك وجميع من
بايعك وتابعك وجميع شيعتك وان اعطيك الف الف درهم وانزلك
من البلاد حيث شئت واقضي لك ما شئت من الحاجات واطلق من في
سجني من اهل بيتك وشيعتك وانصارك ثم لا اتبع احدا منكم بمكروه
فان شئت ان تتوثق لنفسك فوجه الي من ياخذ لك من العهد والميثاق
والامان ما احببت والسلام فكتب اليه محمد بن عبد الله بسم الله الرحمن الرحيم
من عبد الله محمد المهدي امير المومنين الى عبد الله بن محمد اما بعد
طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبا موسى وفرعون
بالحق لقوم يومنون ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف
طايفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين
ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم

الوارثين ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم
ما كانوا يحذرون وانا اعرض عليك من الامان مثل ما عرضتني فقد تعلم
ان الحق حقنا وانكم لما طلبتموه بنا نهضتم فيه بشيعتنا وحظيتموه
بفضلنا وان ابانا عليا عليه السلام كان الرضا والامام فكيف ورثتموه
دوننا ونحن احياء وقد علمت انه ليس احد من بني هاشم يمت بمثل فضلنا
ولا يفخر بمثل قديمنا وحديثنا وبنسبنا وبسببنا وانا بنو ام رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت في الجاهلية دونكم وبنو بنته فاطمة
في الاسلام من بينكم فانا اوسط بني هاشم نسبا وخيرهم اما وابا
لم تلدني العجم ولم تعرق في امهات الاولاد وان الله تبارك وتعالى لم يزل
يختار لنا فولدني من النبيين افضلهم محمد صلى الله عليه وسلم ومن
اصحابه اقدمهم اسلاما واوسعهم علما واكثرهم جهادا اصهر له
وابن عمه علي بن ابي طالب رضي الله عنه ومن نسائه افضلهن خديجة
بنت خويلد رضي الله عنها اول من امن بالله وصلى الى القبلتين ومن بناته
افضلهن فاطمة سيدة نساء اهل الجنة ومن المولودين في الاسلام الحسن
والحسين رضي الله عنهما سيدا شباب اهل الجنة ثم قد علمت
ان هاشما ولد عليا مرتين وان عبد المطلب ولد الحسين مرتين وان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولدني مرتين من قبل جدي الحسن والحسين فما زال
الله عز وجل يختار لي في الجنة فولدني ارفع الناس درجة في الجنة
واهون الناس عذابا في النار فانا ابن خير الاخيار وابن خير الاشرار وابن
اهل خير الجنة وابن خير اهل النار فلك عهد الله ان دخلت في بيعتي
ان اومنك على نفسك وولدك وكلما اصبته الا حدا من حدود الله
او حقا لمسلم او معاهد فقد علمت ما يلزمني في ذلك فانا اوفى
بالعهد منك واحرى بقبول الامان واما امانك الذي عرضته علي فاي
الامانات هو امان ابي هبيرة ام امان عبد الله بن علي ام امان ابي مسلم والسلام
فكتب اليه المنصور بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله امير المومنين

الى محمد

الى محمد بن عبد الله اما بعد فقد بلغني كتابك واتاني كلامك فاذا جل فخرك
بالنساء لتضل به الجفاة والغوغا ولم يجعل الله النساء كالعمومة والاباء
كالعصبة والاولياء وقد جعل العم ابا وبدا به على الوالد الادنى فقال جل ثناؤه
واتبعت ملة ءاباءي ابراهيم واسحاق ويعقوب ولقد علمت ان الله تبارك وتعالى
بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وعمومته اربعة فاجابه اثنان احدهما ابي
وكفر به اثنان احدهما ابوك واما ما ذكرت من النساء وقرابتهن فلو
اعطين على قرب الانساب وحق الاحساب لكان الخير كله لامنة بنت
وهب ولكن الله تعالى يختار لدينه من يشاء من خلقه واما ما ذكرت من فاطمة
ام ابي طالب فان الله عز وجل لم يهد احدا من ولدها للاسلام ولو فعل
لكان عبد الله بن عبد المطلب اولاهم بكل خير في الاخرة والاولى واسعدهم
بدخول الجنة غدا ولكن الله ابى ذلك فقال تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله
عليه وسلم انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء واما ما ذكرت
من فاطمة بنت اسد ام علي بن ابي طالب رضي الله عنهما وفاطمة
ام الحسن وان هاشما ولد عليا مرتين وان عبد المطلب ولد الحسن
مرتين فخير الاولين والاخرين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يلده هاشم الا مرة واحدة ولم يلده عبد المطلب الا مرة واحدة
واما ما ذكرت انك ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى ابى ذلك
فقال تبارك وتعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله
وخاتم النبيين ولكنكم بنو ابنته وانها لقرابة قريبة غير انها امراة
لا تحوز الميراث ولا يجوز ان تؤم فكيف تورث الامامة من قبلها ولقد
طلب بها ابوك بكل وجه ولقد حضر ابوك وفاة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فامر بالصلاة غيره ثم اخذ الناس رجلا رجلا فلم
ياخذ فيهم اباك ثم كان في اصحاب الشورى فكل دفعه عنها
فبايع عبد الرحمن عثمان وقبلها عثمان وحارب اباك طلحة والزبير
ودعى سعدا على بيعته فاغلق بابه دونه وافضى امر جدك الى ابيك

الحسن فسلمه الى معاوية بخرق ودراهم واسلم في يديه شيعته وخرج
الى المدينة ودفع الامر الى غير اهله واخذ مالا من غير حله فان كان
لكم منها شيء فقد بعتموه واما قولك ان الله اختار لك في الكفر
فجعل اباك اهون اهل النار عذابا وانه خير الاشرار فليس في الشر خيار ولا في
عذاب الله هين ولا ينبغي لمسلم يومن بالله واليوم الاخر ان يفتخر بالنار
وسترد فتعلم وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون واما قولك
انك لم تلدك العجم ولا تعرق فيك امهات الاولاد وانك من افخر بني هاشم
نسبا وخيرهم اما وابا فقد رايتك تفخر على بني هاشم وقدمت نفسك
على من هو خير منك اولا واخرا واصلا وفصلا فخرت على ابراهيم بن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى والد ولده فانظر ويحك ان تكون
من الله غدا وما ولد فيكم مولود بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
افضل من علي بن الحسين زين العابدين وهو لام ولد ولقد كان خيرا من
جدك حسن بن حسن ثم ابنه محمد بن علي بن الحسين خير من ابيك
وجدته ام ولد ثم ابنه جعفر بن محمد وهو خير منك ولقد علمت
ان جدك عليا حكم حكمين واعطاهما عهده وميثاقه على
الرضا بما حكما فاجتمعا على خلفه ثم خرج عمك الحسين بن علي
على ابن مرجانة فكان الناس الذين معه عليه حتى قتلوه ثم اتوا بكم
على الاقتاب دون اوطية كالسبي المجلوب الى الشام ثم خرج منكم
غير واحد فقتلتكم بنو امية واحرقوكم بالنار وصلبوكم على
جذوع النخل حتى خرجنا عليهم فادركنا بثاركم اذ لم تدركوه
ورفعنا قدركم واورثناكم ارضهم وديارهم واموالهم بعد
ان كانوا يلعنون اباك في ادبار الصلوات المكتوبة كما تلعن الكفرة
فعنفناهم وكفرناهم وبينا فضله واشدنا بذكره فاتخذت ذلك
علينا حجة وظننت انا لما ذكرنا من فضل علي انا قدمناه على
حمزة والعباس وجعفر رضي الله عنهم اجمعين كلا ولا في مقول

سالمين

سالمين مسلما منهم وابتلى ابوك بالدما ولقد علمت ان ماثرنا في الجاهلية
سقاية الحجيج الاعظم وولاية زمزم وكانت للعباس دون اخوته فنازعنا
فيها ابوك الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليس من عمومته احد حيا الا العباس رضي الله عنه فكان وارثه دون
بني عبد المطلب وطلب الخلافة غير واحد من بني هاشم فلم ينلها
الا ولده دون غيرهم فاجتمع الناس انه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم
بفضل القديم والحديث ولولا ان العباس اخرج الى بدر كرها لمات ابواك
طالب وعقيل جوعا او يلحسان جفان عتبة وشيبة فاذهب عنهما
العار والشنار ولقد جاء الاسلام والعباس يمون ابا طالب للازمة التي اصابتهم
ثم فدا عقيلا يوم بدر فقد منا كم في الكفر وفديناكم من الاسر
وورثنا دونكم خاتم الانبياء وحزنا شرف الاباء وادركنا من ثاركم
ما عجزتم عنه ووضعناكم بحيث لم تضعوا انفسكم والسلام
وفي سنة ١٤٥ خمس واربعين ومائة قتل محمد بن عبد الله بن حسن
وقتل اخوه ابراهيم بن عبد الله بالبصرة وفيها مات ابوهما عبد الله
واخوه ابراهيم وحسن بنو حسن بن حسن بن علي رضي الله عنهما
ماتا في سجن المنصور وفيها قتل المنصور محمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان
بن علي رضي الله عنهم وبعث براسه الى خراسان وكان في سجنه بسبب
ابراهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن وكان يقال له الديباج لحسن
وجهه فقال ابو نعيم الفضل بن دكين رايت راس محمد بن عبد الله بن الحسن
بن الحسين بن علي رضي الله عنهم اجمعين في الحجرة عند المنبر
على رمح سنة خمس واربعين ومائة في الرحبة ورايت راس ابراهيم وقتل
يوم الاثنين لخمس بقين من ذي القعدة عام التاريخ رايته في الرحبة
على رمح مخضبا بالحناء وخطب المنصور بالبصرة حين ظفر
بابراهيم ابن عبد الله ونصب راسه فقال يا اهل المدرة الخبيثة هذا
راس فتنتكم التي خلفتم فيه الطاعة وفارقتم فيه الجماعة

وقد آثرنا مكرمة العفو وفضيلته وتركنا نفع الانتقام وحلاوته ولنيس
اغتفارنا ما سلف بما نعمنا من عقوبة من استانف وقد امنا الخايفين وجعلنا
السيف عقوبة المعاودين وضم ابا جعفر فضيل بن عمران الكوفي الى ابنه جعفر
يكتب له ويقوم بامره وكان لجعفر حاضنة تعرف بام عبيدة
فثقل عليها مكان فضيل بن عمران فسعت به الى ابي جعفر واذكت عليه
انه يلعب بجعفر فبعث ابو جعفر المنصور الريان مولى له وهارون بن غزوان
مولى عثمان بن نهيك الى فضيل ابن عمران وامرهما بقتله وكتب لهما
منشورا بذلك فصارا اليه فقتلاه وكان فضيل هذا اديبا عفيفا فقيل
للمنصور في ذلك وانه ابر الناس مما قذف به وابعدهم منه فوجه اليه
رسولا وجعل له عشرة آلاف درهم ان ادركه قبل ان يقتل فسار اليه
فوجده قد قتل ولم يجف دمه وروي عن الاصمعي انه قال اوتي المنصور
برجل يعاقبه على شيء بلغه عنه فقال يا امير المومنين الانتقام عدل
والتجاوز فضل ونحن نعيذ امير المومنين بالله ان يرضى لنفسه باوكس
النصيبين دون ان يبلغ ارفع الدرجتين فعفى عنه واجتمع
عند المنصور بن فضالة جماعة قال احدهم كنت في الوفد الذين
وفدوا على ابي جعفر من اهل البصرة فلما مثلنا بين يديه دعي برجل
فكلمه ثم امر بضرب عنقه فجيء ليقتل فقلت في نفسي يقتل رجل
من المسلمين وانا حاضر فلا اتكلم فقلت يا امير المومنين ان رايت ان تامر
بالكف عن قتل هذا الرجل حتى اخبرك بشيء سمعته فامر بالكف عنه
فقلت يا امير المومنين سمعت الحسن يقول سمعت انسا يقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل
الاولين والآخرين في صعيد واحد ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي
ثم يقول مناد من قبل الله عز وجل من كان له على الله عز وجل حق
فليقم الا من عفا فقال ابو جعفر والله لسمعت الحسن يقول ذلك فقلت
له لقد سمعته فعفا عن الرجل واطلقه وحدث علي بن الحسين

الاصبهاني قال حدثني ابو مسلم محمد بن بحر الاصبهاني الكاتب قال كان محمد بن
علي ابن زيد العلوي الداعي بطبرستان اذا استفتح الخراج نظر في بيت المال
من خراج السنة التي قبلها وفرقه في قبائل قريش على دعوتهم وفي
الانصار والفقهاء واهل القرآن وسائر طبقات الناس حتى يفرق جميع ما بقي
فجلس في سنة من السنين يفرق المال كما كان يفعل فلما بدا ببني عبد مناف
وفرغ من بني هاشم دعا بسائر بني عبد مناف فقام رجل فقال له من اي بني
عبد مناف انت قال من بني امية قال من ايهم فسكت فقال لعلك من ولد
معاوية قال نعم قال فمن اي ولده انت فامسك قال لعلك من ولد يزيد
قال نعم قال بيس والله الاختيار اخترت لنفسك من قصدك بلد اولاد ابي
طالب وعندك ثارهم في سيدهم وقد كانت لك مندوحة عنهم
بالشام والعراق الى من يتولى جدك فيحلك بحيث يجب عليه برك فان كنت
جئت على جهل بهذا منك فما يكون بعد جهلك شيء وان كنت جئت
متهزيا بهم فقد خاطرت بنفسك قال فنظر اليه العلويون نظرا شديدا
فصاح بهم محمد وقال كفوا عنه كانكم تظنون ان في قتل هذا
دركا وثارا ابا الحسين بن علي رضي الله عنهما واي جرم لهذا
ان الله عز وجل قد حرم ان تطالب نفس بغير ما اكتسبت والله لا يعرض
له احد الا اقدته به واسمعوا حديثا احدثكم به قد يكون لكم
قدوة فيما تستانفون حدثني ابي عن ابيه رحمهما الله قال عرض
على المنصور سنة حجه جوهر فاخر فعرفه وقال هذا جوهر كان
لهشام بن عبد الملك وهو هذا بعينه قد بلغني خبره عند محمد ابنه
وما بقي منهم احد غيره ثم قال المنصور للربيع اذا كان
غدا وصليت بالناس في المسجد الحرام وحصل الناس فيه فاغلق الابواب
كلها ووكل بها ثقات من الشيعة واقفلها وافتح للناس بابا واحدا
وقف عليه فلا يخرج احد الا من عرفته فلما كان من الغد فعل الربيع
الابواب كما امره المنصور وتبين لمحمد بن هشام القصة فعلم انه

هو المطلوب وانه ماخوذ فتحير **واقبل** محمد بن زيد بن علي بن الحسين
بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم ليطلع على خبر ذلك فرءاه متحيرا
وهو لا يعرفه فقال له يا هذا اراك متحيرا فمن انت ولك امان الله وانت في ذمتي
حتى اخلصك فقال انا محمد بن هشام بن عبد الملك فمن انت قال انا محمد
بن زيد بن علي بن الحسين فقال عند الله احتسب نفسي اذ قال لا باس عليك
يا ابن عم فانك لست قاتل زيد ولا في قتلك ادراك ثاري وانا لا تخلاصك
اولى مني باسلامك ولكن تعذرني فيما اتناولك به من مكروه وقبيح اخاطبك به ويكون فيه خلاصك بمشيئة الله تعالى قال يا سيدي انت وذلك
وطرح رداءه على راسه ووجهه ولببه واقبل يجره فلما وقعت عين الربيع
عليه لطمه لطمات وجاء به الى الربيع وقال يا ابا الربيع ان هذا الجمال من اهل
الكوفة اكراني جماله ذاهبا وراجعا وقد هرب مني في هذا الوقت واكرا
من بعض القواد الخراسانية ولي عليه بذلك بينة فتضم الي حرسيين
يسيران به معي الى القاضي ومنعا الخراساني من اغراله فقال نعم وضم اليه
حرسيين يسيران به معه الى القاضي وقال امضيا معه الى القاضي فلما بعدا
عن المسجد قال له يا خبيث تؤدي الي حقي قال نعم يا ابن عم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال للحرسيين انصرفا فانصرفا واطلقه فقبل محمد بن هشام راسه
فقال بابي انت وامي الله اعلم حيث يجعل رسالاته ثم اخرج جوهرا له
قدر فدفعه اليه وقال تشرفني بقبول هذا فقال يا ابن عم انا من اهل بيت
لا نقبل على المعروف ثمنا وقد تركنا لك دم زيد وهو اعظم قدرا
من متاعك فانصرف راشدا ووار شخصك حتى يخرج هذا الرجل فانه مجد
في طلبك فمضى وتوارى قال ثم امر ابن زيد للراعي بطبن ستار للاموي
مثل ما لم به لسان بني عبد مناف وضم اليه جماعة من مواليه وامرهم
ان يخرجوا معه الى الري وياتوه بكتابه بسلامته فقام الاموي فقبل راسه ومضى
حتى وصل الى مامنه وجاءوه بكتابه واجتمع عند المنصور جماعة
من اهل العلم فيهم عمرو بن عبيد فسال المنصور عمرو بن عبيد عن الحديث

بجر

فيمن اقتنى كلبا لغير زرع ولا حراسة انه ينقص كل يوم من اجره قيراط
فقال له عمرو هكذا جاء الحديث قال المنصور خذها بحقها انما قيل ذلك
لانه ينبح الضيف ويروع السائل ثم انشد

اعددت للضيفان كلبا ضاريا || ايضا وفضل هراوة من ارزن
ومعاذرا كذبا ووجها كاشرا || وتشكيا عض الزمان الارزن

قال فما بقي احد الا كتبه عن المنصور **وذكر** ان ابا جعفر المنصور
كان جالسا يوما فالح عليه الذباب يقع على وجهه والح عليه في الوقوع
مرارا حتى اضجره فقال انظروا من بالباب فقيل له مقاتل بن سليمان فقال علي
به فلما دخل عليه قال له هل تعلم لم خلق الله الذباب قال نعم ليذل به
الجبارين قال فسكت المنصور **وقال** ابو الحسن المدائني لما فرغ المنصور
من محمد وابراهيم ابني عبد الله بن الحسين بن الحسن وعبد الله بن علي
وعبد الجبار بن عبد الرحمن واستقامت له الامور فكان كثيرا ما يتمثل
بهذا البيت

تبيت من البلوى على حد مرهف || مرارا ويكفي الله ما انت خائف

وكان ايضا كثيرا ما ينشد ويقول

ورب امور لا تضيرك ضيرة || وللقلب من مخشاتهن وجيب

وحدث المدائني ان المنصور قال صحبت رجلا ضريرا الى الشام
وكان يريد بذلك مروان بن محمد بشعر قاله فيه فسالته ان ينشدنيه
فانشدني

ليت شعري من ابن رايحة || وما ان اخال بالخيف انس
حين غابت بنو امية عنه || والبهاليل من بني عبد شمس
خطباء على المنابر فرسان || وعليها وقالة غير خرس
لا يعابون صامتين وان قالوا || اصابوا ولم يقولوا بلبس
وحلوم اذا الحلوم استخفت || ووجوه مثل الدنانير ملس

قال المنصور فوالله ما فرغ من شعره حتى ظننت ان العمى

ادركني وجب سنة فنزلت امشي في جبلي زرود في الرمل لنذر كان علي
فاذا انا بالضرير فاومات لمن كان معي ان يتاخروا ودنوت منه فاخذت بيده وسلمت
عليه فقال من انت جعلني الله فداك قلت رفيقك الى الشام في دولة بني امية
وانت متوجه الى مروان فتبسم وسلم علي وانشا يقول

ايمة نساء بني امية منهم ... وبناتهم بمضيعة ايتام
نامت خرودهم واسقط نجمهم ... والنجم يسقط والخرود تنام
خلت الاسرة والمنابر منهم ... فعليهم حتى الممات سلام

قال فقلت كم كان اعطاك مروان قال اغناني حتى لا اسال
احدا بعده فقلت كم قال اربعة آلاف دينار واربع خلع وحملان قلت
واين ذلك قال بالبصرة قلت له اتثبتني معرفة الصحبة في الطريق فلعمري لقد
عرفتها واما معرفة النسب فلا فقلت انا ابو جعفر المنصور امير المومنين
فوقع عليه الافكل وقال يا امير المومنين اعذر فان ابن عمك محمد
صلى الله عليه وسلم قال جبلت القلوب على حب من احسن اليها قال ابو جعفر
فهممت والله به ثم ذكرت الحرمة والصحبة فقلت للمسيب اطلقه فلما
اطلقه ثم بدى لي راي في مسامرته فامرته بطلبه فكان البيداء ابادته
وحدث الفضل بن الربيع وكان حاجب المنصور وحجب المهدي
ووزر الهادي والرشيد وقام في امر محمد الامين وسعى على دولة المامون
وسياتي خبره في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله قال كنت مع المنصور
في السفرة التي مات فيها فنزلنا في بعض المنازل فبعث الي وهو في قبة ووجهه
الى حائط القبة فقال لي الم انهكم ان تدعوا العامة يدخلون هذه المنازل
فيكتبون ما لا خير فيه قلت وما هو يا امير المومنين قال الا ترى ما على الحائط
مكتوب قلت وما المكتوب نصركم الله قال مكتوب

ابا جعفر هل كاهن او منجم ... يرد قضاء الله ام انت جاهل
ابا جعفر حانت وفاتك وانقضت ... سنوك وامر الله لا بد نازل

فقلت والله ما على الحائط شيء وانه لنقي ابيض قال الله

قلت

قلت اي والله قال انها والله نفسي نعيت الي الرحيل الرحيل بادروا بي الى حرم
ربي وامنه هاربا من ذنوبي واسرافي على نفسي فرحلنا وقد ثقل حتى اذا بلغنا
بير ميمون قلت له هذه بير ميمون وقد دخلت الحرم قال الحمد لله ومات من يومه
وكان المنصور في الحزم وصواب التدبير وحسن السياسة على ما تجاوز
له كل وصف وكان يقول ولدت في ذي الحجة واعذرت في ذي الحجة ووليت
الخلافة في ذي الحجة واحسب الامر يكون في ذي الحجة فكان كما ذكر
وكانت خلافته اثنين وعشرين سنة الا تسعة ايام وتوفي يوم السبت
لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة وهو ابن ثلاث وستين سنة بالبطحا
عند بير ميمون ودفن بالحجون وقيل مات عند وصوله الى مكة في الموضع
المعروف ببستان ابن عامر من جادة العراق ودفن بمكة مكشوف
الوجه لانه كان محرما رحمه الله تعالى

قف

ذكر المهدي بن المنصور

هو محمد بن عبد الله ابي جعفر المنصور يكنى ابا عبد الله ولقبه المهدي
يد بالله امه ام موسى بنت منصور بن عبد الله بن سهم بن ذي سهم
بن ابي سرح من ولد ذي رعين من ملوك حمير ولد سنة سبع وعشرين
ومائة بويع له بمكة في اليوم الذي مات فيه ابوه ابو جعفر
المنصور وهو ابن اثنين وثلاثين سنة اخذ له البيعة بمكة الربيع بن يونس
مولاه والد الفضل ابن الربيع وخرج اليهم برسالة عن المنصور في تجديد بعد
البيعة للمهدي فما خالف احد حتى وكد الربيع للمهدي ما اراد وجرد
محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله سيفه وقال والله لئن ابى بيعة المهدي
احد لاملان سيفي منه يعرض بعيسى ابن موسى فشكر له المهدي ذلك
واقطعه اقطاعا كبارا وزوجه ابنته العباسية ونقلها اليه الى البصرة
فكانت اول بنت خليفة نقلت الى زوجها من بلد الى بلد وشكر المهدي
الربيع فعله ولم يوله وزارته لغلبة ابي عبيد الله معاوية بن عبد الله

لاشعري عليه وما في نفسه من كفايته فجعل الى الربيع حجابته وولى ابا عبيد الله
وزارته وهو محمد بن عبد الوهاب الكاتب وكان كاتبه قبل الخلافة
فقتل المهدي ابنا لابي عبيد الله على الزندقة فاستوحش كل واحد منهما
من صاحبه فعزله المهدي وعاش ابو عبيد الله الى سنة سبعين ومائة وكان
المهدي اتاه نعي ابيه وبيعته مناره مولاه فاقام يومئذ بعد قدوم مناره ثم
خطب الناس فنعى اباه ودعا الى بيعته وبويع له بيعة العامة وكان اسمر
تعلوه صفرة طويلا حسن الوجه اشم اسود الشعر اجعده مدور اللحية
بعينه اليمنى نكتة بيضاء **بنوه** هارون وموسى وعلي وعبيد ومنصور
ويعقوب وابراهيم **ووزيره** ابو عبيد الله معاوية ابن عبد الله الاشعري ثم
يعقوب بن داوود السلمي ثم صرفه وحبسه لانه اتهمه انه يميل الى الطالبيين
فلم يزل محبوسا الى مرور خمس سنين من خلافة الرشيد فاطلقه الرشيد وقد ذهب
بصره واقام بمكة حتى مات ثم وزر له الفياض بن ابي صالح **وحاجبه**
سلام الابرش ثم حاجب ابيه الربيع ثم الحسن بن عثمان ثم الفضل
بن الربيع وقضاته يحيى بن عبد الله بن علاثة وعافية ابن يزيد كانا
يقضيان معا في مسجد الرصافة وقيل انه استقضى شريكا نقش خاتمه
حسبي الله وكان المهدي جوادا كثير العطايا مؤثرا لها قل من حضره
الا اغناه حازما عاقلا حليما عفيفا ذا تثبت وصبر وعدل وصدق
طيب الاخلاق وكان مع ذلك مائلا الى المنادمة صبورا عليها حريصا
على شراء الغواني وسماع الاغاني وكانت في ايامه حروب وخالفت عليه
خراسان فساس امرهم وصبر لهم حتى استتب لهم من غير حرب ورجعوا
الى الطاعة وقتل الخوارج في جميع البلاد والزنادقة وبنى المسجد الحرام وبنى
مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وذهبهما وزينهما وجدد مسجد بيت
المقدس اذ كانت الزلازل قد هدمته وحج بالناس حججا وكان ابوه المنصور
قد اخذ من العمال وسواهم اموالا وسماها اموال المظالم وجعلها في بيت
وسماه بيت مال المظالم وكتب على كل مال صاحبه فلما احس بالمنية

اوصاه

اوصاه في كتابه ليردها على اربابها بعد موت ابيه فاحبها الناس اجمع لذلك
وشاع شكره وعظم الثناء عليه وسار في الرعية بسيرة حسنة لانه افتتح
امره برد المظالم وكف القتل وامن الخائف وانصاف المظلوم وبسط يده
واعطاء الاموال وانفق ما خلفه ابوه المنصور وهو ستمائة الف الف درهم
واربعة عشر الف الف دينار سوى ما جباه في ايامه ويقال انه فرق في عشرة ايام
من طلب ماله عشرة الاف الف دينار واطلق كل من كان في السجون وبنى العلمين
اللذين سعى بينهما ولما حج سنة ستين ومائة دخل الكعبة ومعه المنصور
الحجبي من حجاب البيت فقال له المهدي سل حاجتك قال اني لاستحيي ان اسال
في بيته غيره فلما خرج وجه اليه بعشرة الاف دينار ودخل المدينة
زائر القبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليه مالك ابن انس
رضي الله عنه فحضه على الاحسان الى اهل المدينة وحدثه بفضلها وفضل
اهلها وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها امرت بقرية تاكل القرى
يقولون يثرب وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد
ثم قال يا امير المومنين فليس هؤلاء اهلا ان يعانوا على الصبر عليها وعلى
جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المهدي بلى والله يا ابا عبد الله
حتى لا اجد الا مثل هذا ومد يده ليأخذ شيئا من الارض فلم يجد له
ثم قال صدقت وبررت وحضضت على الرشد وانت اهل ان يطاع امرك
ويسمع قولك فامر لهم بخمس ابيات مال والبيت عندهم مائة الف
وامر مالكا ان يختار من تلاميذه رجالا يثق بهم ويعتمد عليهم
فيقسمونها على اهل المدينة ويوثروا اهل بيت رسول الله صلى الله عليه
واهل بيت ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم اجمعين
ثم اهل بيت المهاجرين الاولين ثم الانصار ثم الذين اتبعوهم باحسان
ففعل ذلك فاغنى اهل المدينة في عامهم ذلك **وذكر مسلم**
الحاجب انه قال هاجت ريح سوداء في ايام المهدي فاسودت الدنيا
وخفنا ان تكون الساعة فطلبت المهدي في الايوان فلم اجده وسمعت

حركته في بعض البيوت فأتيته فإذا هو ساجد على التراب وهو يقول
اللهم لا تشمت بنا أعداءنا من الأمم ولا تفجع بنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
اللهم وإن كنت أخذت العامة بذنبي فهذه ناصيتي بيدك قال مسلم فما تم
والله كلامه حتى انجلت عنا رحم الله المهدي **وروى** الأصمعي
قال دخل رجل على المهدي من بعض أشراف أهل البصرة فأمر له بمال فقال يا أمير
المؤمنين ما انتهى إلى غاية من شكرك إلا وجدت وراءها غاية من معروفك
تحبس في بلوغها وما عجز الناس عن بلوغه فالله من ورائه فلا زالت أيامك ممدودة
بين أمل تبلغه وأمل فيك تحققه حتى تتملأ من الأعمار أطولها وتنال من
الدرجات أفضلها وقال المؤمل بن أميل قدمت على المهدي بالري وهو ولي
عهد فأمر لي بعشرين ألف درهم لأبيات امتدحته بها فكتب بذلك صاحب
البريد إلى المنصور فكتب المنصور إلى المهدي يعذله ويلومه ويقول له
إنما كان ينبغي لك أن تعطي الشاعر بعد أن يقيم ببابك سنة أكثر
من أربعة آلاف درهم ثم كتب إلى كاتب المهدي أن يوجه بالشاعر
إليه فطلبه فلم يجده فراجعه أنه قد توجه إلى مدينة السلام فوجه
المنصور قائدا من قواده فأجلسه على جسر النهروان وأمره أن يتصفح الناس
رجلا رجلا حتى يظفر بالمؤمل بن أميل فتصفحهم فلما رآه قال له من أنت
قال المؤمل ابن أميل من زوار الأمير المهدي قال إياك طلبت قال المؤمل فكاد
قلبي ينصدع خوفا من أبي جعفر فقبض علي وأتى بي إلى باب المقصورة
وأسلمني إلى الربيع فدخل عليه الربيع وقال هذا شاعر قد ظفرنا به
فقال أدخلوه علي فأدخلت فسلمت عليه فرد علي السلام فقال ليس
هاهنا إلا خير فقال لي أنت المؤمل بن أميل قلت نعم أصلح الله أمير
المؤمنين قال هيه أتيت غلاما غرا كريما فخدعته فانخدع
فكان كلامه أعجبه فقال أنشدني ما قلت فيه

فأنشدته

هو المهدي إلا أن فيه ⁂ مشابه صورة البدر المنير
تشابه ذا وذا فهما إذا ما ⁂ أنارا يشكلان على البصير
وهذا في الظلام سراج نار ⁂ وهذا في النهار سراج نور
ولكن فضل الرحمن هذا ⁂ على ذا بالمنابر والسرير
وبالملك العزيز فذا أمير ⁂ وماذا بالأمير ولا الوزير
ونقص الشهر يدرك ذا وهذا ⁂ منير عند نقصان الشهور
فيا ابن خليفة الله المصفى ⁂ بكم تعلو مفاخرة الفخور
لئن فت الملوك وقد توافوا ⁂ إليك من السهولة والوعور
لقد سبق الملوك أبوك حتى ⁂ بقوا من بين كاب أو كسير
وجئت وراءه تمشي حثيثا ⁂ وما بك حين تجري من فتور
فقال الناس ما هذان إلا ⁂ بمنزلة الخليق من الجدير
لئن سبق الكبير فأهل سبق ⁂ له فضل الكبير على الصغير
وإن بلغ الصغير مدى كبير ⁂ لقد خلق الصغير من الكبير

فقال المنصور والله لقد أحسنت ولكن لا يساوي عشرين
ألف درهم فأين المال قلت ها هو ذا قال يا ربيع اخرج معه وأعطه أربعة
آلاف درهم وخذ الباقي فخرج الربيع وحط ثقلي ووزن لي أربعة آلاف
درهم وأخذ الباقي فلما صارت الخلافة للمهدي ولي ابن ثوبان المظالم
فكان يجلس للناس بالرصافة فأتيته فإذا هو قد ملأ كساءه رقاعا
رفعها إلى المهدي فرفعت له يوما رقعة أذكره فيها قصتي فلما
دخل بها ابن ثوبان جعل المهدي ينظر في الرقاع حتى وقعت رقعتي في يده
ضحك فقال له ابن ثوبان أصلح الله أمير المؤمنين ما رأيتك ضحكت من شيء
من هذه الرقاع إلا من هذه قال هذه رقعة أعرف سببها ردوا عليه
بقية العشرين ألف درهم قال فردها إلي وانصرفت **فيروى** أن المهدي
استحضر صاحب شرطته ليلا وقد انتبه من نومه فزعا فقال ضع
يدك على رأسي واحلف بما أستحلفك به قال هي تقص عن رأس أمير

المومنين ولكن علي وعلي وحلف بايمان انه يمتثل ما يامره به فقال له سر
الى المطبق واطلب فلانا العلوي الحسيني فاذا وجدته فاخرجه وخيره بين
الاقامة عندنا مكرما مطلقا محبورا والخروج الى اهله فان اختار الخروج
الى اهله فقدمت اليه كذا واعطيته كذا وان اختار المقام اعطيته
كذا وكذا وهذا تو فيعلت بذلك قال فاخذت نجا وسرت الى المطبق
وطلبته فاخرجته وهو كالشن البالي فعرفته ما امر به امير المومنين
وعرضت عليه الحالين فاختار الخروج الى اهله فسلمت اليه الصلة
والحملان فلما جاء ليركب ونهض قلت بالذي فرج عنك هل تعلم
ما دعا امير المومنين الى اطلاقك قال لا غير اني كنت الليلة نايما
فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي كانه قد ايقظني وقال لي اي بني
ظلموك فقلت نعم يا رسول الله قال فقم فصل ركعتين وقل بعدهما
يا سابق الفوت ويا سامع الصوت ويا كاسي العظام بعد الموت
صل على محمد واجعل لي من امري فرجا ومخرجا انك تعلم ولا اعلم وتقدر
ولا اقدر وانت علام الغيوب يا ارحم الراحمين قال فوالله ما قمت
حتى فعلت ما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زلت اكررها
حتى دعوتني قال فحمدت الله تعالى على توفيقه في مسئلته وعدت
الى المهدي فحدثته الحديث فقال ويحك صدق والله اني كنت نايما على
فراشي فرايت في منامي زنجيا بعمود حديد قايما على راسي يقول
اطلق فلانا العلوي الحسيني والا قتلتك فانتبهت فزعا فوالله ما جسرت
على العود الى النوم حتى جيتني باطلاقه **حدث** ابو موسى
محمد بن الفضل كاتب عيسى بن جعفر ووصيه قال حدثني ابي قال
كنت الف زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس واكتب لها
اخبار اهلها وكانت لها جارية يقال لها كتابة فوقعت في نفسي فبكرت
اليها يوما فقلت لي حاجة فقالت سلني ما احببت فقلت ان كتابة جاريتك
قد شغلت نفسي علي فهبيها لي فقال اقعد احدثك بحديث كان

بالامس انفع لك من كل كتاب على وجه الارض وانت من كتابة على وعد
قد كنت امس عند الخيزران وعادتها اذا كنت عندها تجلس في عتبة
باب الرواق المقابل للايوان واجلس بصدرها وفي الصدر مجلس المهدي وهو
يقصدنا في كل وقت فيجلس ساعة ثم ينهض فبينما نحن كذلك
اذ دخلت علينا جارية من جواريها التي تحجبها فقالت اعز الله السيدة
بالباب امراة لها جمال وخلقة حسنة ليس وراء ما هي عليه من سوء الحال
غاية تستاذن عليك وقد سالتها عن اسمها فامتنعت ان تخبرني فالتفتت
الي وقالت ما ترين فقلت ادخليها لا بد من فايدة او ثواب فدخلت امراة
من اجمل النساء واكملهن لا تتوارى فوقفت الى جانب عضادة الباب ثم
سلمت متضايلة ثم قالت انا مزنة بنت مروان بن محمد الاموي قالت زينب
وكنت متكية فاستويت جالسة فقلت مزنة فلا حياك الله ولا
قربك والحمد لله الذي ازال نعمتك وهتك سترك واذلك اتذكرين
يا عدوة الله حين اتاك عجايز اهل بيتي يسالنك ان تكلمي صاحبك
في الاذن في دفن ابراهيم بن محمد فوثبت عليهن واسمعتهن ما سمعت
وامرت باخراجهن فاخرجن على الحالة التي اخرجن قالت فضحكت
فما انسى حسن شغرها وعلو صوتها بالقهقهة ثم قالت اي بنت عمي
اي شيء اعجبك من حسن صنيع الله تعالى بي على العقوق حتى اردت
ان تتاسي فيه والله اني لقد فعلت بنساء بيتك ما فعلت فاسلمني الله تعالى
اليك ذليلة جايعة عريانة فكان هذا مقدار شكرك الله تعالى على
ما اولاك ثم قالت السلام عليكم وولت فصاحت بها الخيزران ليس
هذا لك على استاذنت والى قصدت وكان قد ودت اليك ما انا عليه
من الكظو والجهد قالت زينب فنهضت اليها الخيزران لمعانقتها
فقالت ليس بي لذلك موضع مع الحال التي انا عليها فقالت لها الخيزران
فالحمام اذا وامرت جماعة من جواريها بالدخول معها الى الحمام فدخلت
وطلبت ماشطة ترمي ما على وجهها من الشعر فخرجت جارية من جواري

الخيزران وهي تضحك فقالت الخيزران ما يضحكك قالت اضحك يا سيدي
من هذه المراة ومن تحكمها علينا فانها تفعل فينا ما لا تفعليه انت بنا فلم
نزل حتى خرجت من الحمام فوافقتها الخلع والطيب فاخذت من الثياب ما ارادت
ثم تطيبت وخرجت الينا فعانقتها الخيزران واجلستها في المجلس الذي يجلس
فيه المهدي امير المومنين اذا دخل ثم قالت لها الخيزران هل لك في الطعام
فانا لم نطعم بعد قالت والله ما فيكن احوج اليه مني فعجلوا فاتي
بالمائدة فجعلت تاكل غير خجلة ولا محتشمة وتلقمنا وتضع في ايدينا
الى ان اكتفت ثم غسلنا ايدينا فقالت لها الخيزران من ورائك ممن تعتنين
به قالت ما خرج من هذه الدار احد من خلق الله تعالى بيني وبينه سبب فقالت لها
الخيزران ان كان هذا هكذا فقومي حتى تختاري لنفسك مقصورة من
مقاصرنا وتحول اليها جميع ما تحتاجين له ثم لا نفترق حتى يفرق
بيننا الموت فقامت وطفنا بها في المقاصير فاختارت اوسعها وانزهها
ولم تبرح حتى حول اليها جميع ما تحتاج اليه من الفراش والكسا والرقيق
ثم تركناها فيها وخرجنا عنها فقالت الخيزران ان هذه المراة قد
كانت فيما كانت فيه وقد مسها ضر وليس يغسل ما في قلبها الا المال
فاحملوا اليها خمسين الف درهم فحملت اليها واتانا المهدي فسالنا
عن الخبر فحدثته حديثها وما لقيتها فوالله ما انتظر ان عرفه جوابها
حتى وثب مغضبا في وجهي وقال يا زينب ، الله ان هذا مقدار شكرك
لله على نعمته وقد امكنك من هذه المراة على هذه الحال التي هي
عليها فوالله لولا محلك من قلبي لحلفت ان لا اكلمك ابدا قالت فقلت
قد اعتذرت اليها ورضيت ثم قصصت عليه قصتها كلها وما فعلت
الخيزران بها فقال الخادم كان معه احمل اليها مائة بدرة وادخل اليها وابلغها
مني السلام وقل لها والله ما سررت منذ دهري كسروري اليوم بمكانك
وانا اخوك ومن يوجب حقك فلا تدعي حاجة الا سالتنيها ولولا اني
اكره ان احشمك لسرت اليك مسلما عليك وقاضيا لحقك فمشى

الخادم

الخادم بالمال والرسالة فاقبلت الينا معه فسلمت على المهدي وشكرت له
فعله واثنت على الخيزران عنده وقالت ما علي من امير المومنين حشمة انا
اليوم في عداد حرمه وقعدت ساعة ثم قامت الى منزلها فخلفتها كانها
لم تزل في ذلك القصر فهذا الحديث خير لك من كل كتاب وقد وهبت
لك كتابا فافهم فانصرفت من عندها **وقال الحسن** بن مخطبة
دخلت على المهدي فقال للخادم من بالباب فقال شريك بن عبد الله القاضي
فاذن له ودعى بسيف فدخل فسلم فقال له لا سلم الله عليك يا فاسق
فقال شريك يا امير المومنين ان للفاسق علامات يعرف بها شرب الخمر واتخاذ
القيان والمعازف فقال المهدي قتلني الله ان لم اقتلك قال ولم يا امير المومنين
قال رايتك في المنام كاني مقبل عليك اكلمك وانت تكلمني من قفاك
فقال لي المعبر هذا رجل يطا بساطك وهو مخالف لك فقال له شريك
ان رؤياك ليست كرؤيا يوسف عليه السلام وان دماء المسلمين لا تستحل
بالايمان الكاذبة قال فنكس المهدي راسه ثم اشار اليه ان اخرج فخرج
وخرجت خلفه فقال لي ما رايت ما اراد صاحبك ان يفعل فقلت له اسكت
فلله ابوك ومدحه بشار فلم يعطه شيا فقيل له لم لم تجد عليه
في مدحه فقال لو قيل مثل الشعر الذي مدحته به في الدهر لم يخش صرفه
على حر ولكن اكذب في العمل فاكذب في الامل **وخرج يوما**
متنزها للصيد فانقطع عن خاصته فدفع الى اعرابي وهو يريد البول
فقال يا اعرابي احفظ علي فرسي حتى ابول فسعى نحوه واخذ بركابه
فنزل المهدي ودفع اليه الفرس فاقبل الاعرابي يقلع حلية الفرس فقطعه
المهدي وتغافل عنه حتى اخذ حاجته ثم قام فجاء الى فرسه فقدمه
الاعرابي اليه فركبه ثم جاءته الخيل فلحقت به واحاطت حاشيته
بجوانبه فولوا الاعرابي هاربا فامر برده فجاء وهو ترعد فرايصه خوفا
فلما وقعت عينه على المهدي قال خذوا مني ما اخذناه منكم ودعونا
نمضي الى حرق الله ونارة فصاح به المهدي وقال لا باس عليك فجاد له

فقال له ما تريد جعلني الله فداء فرسك فضحك منه من حضر وقالوا له ويحك
أرأيت إنسانا قال مثل هذا الكلام جعلني الله فداء فرسك فعنفوه فقال وما أقول
قالوا تقول جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين قال وهذا هو أمير المؤمنين
قالوا نعم قال والله لئن أرضاه هذا مني لم يرضني ذلك منه ولا نرضاه له ولكن
جعلني الله فداهما قال فضحك المهدي ووهب له عشرة آلاف درهم
وأوتي المهدي بقوم فأمر بضرب رقابهم وكان فيهم رجل له دهاء
ومضي فيه فلما وصل القتل إليه قال للمهدي هل لك أن تسقيني شربة من ماء لله تعا
فقال اسقوه فلما سقوه وشرب قال الحمد لله رب العالمين عار عليك يا أمير
المؤمنين أن تقتل أضيافك قال له المهدي فعلتها يا عدو الله وخدعتني
خلوا سبيله فتركوه ومضى **وقدم المهري** إلى مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم مخفيا نفسه ليصلي ومعه خادم فبينما هو
كذلك إذ جاء رجل مدني فقام إلى جانبه يصلي أقدم خليفتكم هذا
قال نعم قال فعل الله به وفعل وأراحنا منه وجعل يدعو على المهري
فانصرف المهدي فدخل عليه الربيع فقال له يا ربيع صلى إلى جانبي الليلة
مدني فدعا علي دعاء لم أسمع أعجب منه قال الربيع أفتعرفه قال
إن رأيته عرفته فركب المهدي لغد فاجتمع أهل المدينة ينظرون إليه فو
قعت عين المهدي على الداعي عليه فقال يا ربيع أما ترى الرجل الذي من صفته
كذا وكذا قال نعم قال هو الرجل الذي أخبرتك به أنه دعا علي فأمر
به الربيع فأخذ وأدخل دار المهدي إلى أن انصرف أمير المؤمنين فأعلمه الربيع
بالرجل فدعي به فقال له يا هذا أسأت إليك في شيء قط قال لا والله قال
أفلك عندي مظلمة تطالبني بها قال لا والله قال فدعاؤك علي ليلة
صليت إلى جانبي لم كان قال للمال حوله والله إذ لا مل كيستي فأغيرها
في كل شهر مرتين فضحك المهدي منه وأحسن إليه **ونزل المهري**
ثم رجل فسر بنات الناس عليه وهرب منه مرات فلم يقدر عليه فاستقبل
منه مرة فجعل المهري يأتيه به مائة ألف درهم فلما طال عليه المقام ببغداد

خرج

خرج مستخفيا متخفيا يريد البادية فشعر به وهجم عليه فكانت منه
التفاتة فرأى معن بن زائدة في موكب جميل مقبلا فتعلق به وقال له أجرني أجارك
الله قال من أنت وما خبرك فأخبره فأمر بعض عبيده أن ينزل عن دابته
وركبه عليها وانصرف إلى منزله ومنعه من القوم فساروا إلى المهدي
فأخبروه فغضب غضبا شديدا وبعث إلى معن بن زائدة فلما جاءه
رسوله قال لقومه عليكم بالرجل المستجير بي لا تسلموه ولو لم يبق معكم
عين تطرف وركب ومضى فلما دخل على المهدي رأى الغضب في وجهه
فسلم ووقف فقال له المهدي أخروج هذا علينا أم جرأة قال له جرأة قال
وما حملك عليها قال لي اليوم في خدمتكم ونصحكم ومحبتكم
خمسين عاما شقيت فيها وشبت وقتلت في طاعتكم ألف رجل من بني
أمية في يوم واحد فما رأيتموني أهلا أن أجير رجلا استجار بي ورأيت نفسي
أهلا لهذا الموضع من أمير المؤمنين فقال له أحسنت وقد أجرنا من أجرت
فقال له أجرته بالصلة ويعطى ألف دينار قال وانفرد المهدي مع عمرو
بن بزيع في صيد عن أصحابه فرأى مقبلة حسنة فقال لصاحبها وهو
في كوخ له والكوخ شبه النوالة يجلس فيها الحارز فقال له المهدي أعندك
شيء نطعمناه قال نعم خل وزيت وزبيب وخبز شعير والربيثا كامخ
يصلح من أصغر ما يكون من الحيتان وهو الصير فقال لهذا العمري ما يحتاج
إليه الزيت للربيثا والخل للبقل فتولى وجاءهم بما يحتاج وما وصف لهم
فأكلا وأكثرا فقال ابن بزيع

أمن يطعم الربيثا مع الزيت ∴ وخبز الشعير بالكراث
لحقيق بصفعة أو بثنتين ∴ لسوء الصنيع أو بثلاث

فقال له المهدي بئس ما قلت هلا قلت

أمن يطعم الشعير ولا ∴ يملك شيئا سواه بالكراث
لحقيق ببدرة أو بثنتين ∴ لحسن الصنيع أو بثلاث

قال ثم أمر للنبطي بثلاث بدر دراهم وانصرف قال وكان المهري

يحب السماع ولا يانس في حضوره معه الا بعمر بن بزيع ولا يطيب عيشه
الا به وفيه يقول

رب تمم لي نعيمي ... باب حفص نديمي
انما لذة عيشي ... في غناء وكروم

قال وكان من حجابه الفضل بن النخناخ البلخي وكان الفضل
هذا لا يشرب النبيذ ويقول لو علمت ان الماء ينقص من مروءتي ما شربته
وكان على ديوان الخراج عبد الله بن عمر ثم صرفه عنه بسليمان
بن راشد وغلب على امره كله ووزارته يعقوب بن داوود
السلمي وكان يطلق اليه في كل وقت دون الناس كلهم فاتهمه بشيء
من امر الطالبين فهم بقتله ثم حبسه ايام الرشيد فاطلقه وقيل
ان المهدي حج في بعض السنين فمر بميل من اميال الطريق وعليه كتاب
فوقف وقراه فاذا فيه

لله درك يا مهدي من رجل ... لولا اتخاذك يعقوب بن داوود

فقال لبعض من معه اكتب تحته على رغم الكاتب لهذا وتعس جده قال
فلما انصرف وقف على الميل ثم اوقع بيعقوب بعد قليل وذكر الفضل
بن الربيع قال دخل شريك القاضي يوما الى المهدي فقال له المهدي لا بد ان تجيبني
الى خصلة من ثلاث خصال قال وما هي يا امير المومنين قال اما ان تلي القضا
واما ان تؤدب ولدي فتعلمهم او تاكل عندي في كل يوم وليلة ففكر شريك
وقال لي الاكلة اخفها على نفسي فاحتبسه المهدي وتقدم للطباخ ان
يصلح له الوانا من المخ المعقود بالسكر الطبرزد والعسل وغير ذلك فلما
فرغ من غذايه قال له القيم على الطبخ يا امير المومنين ليس يفلح هذا الشيخ
بعد هذه الاكلة ابدا قال الفضل بن الربيع فحادثهم والله شريك بعد
ذلك وعلم اولادهم وولي القضا لهم وقد كتب له بارزاقه الى الجهبذ
فضايقه في النقد فقال له الجهبذ انك لم تبع بزا فقال له شريك والله لقد بعت
به اكثر من البز بعت به والله ديني قال وخرج المهدي يوما

في بعض

في بعض متنزهاته الى الصيد فسار به فرسه الى خباء اعرابي وقد مسه الجوع
فقال يا اعرابي هل عندك قرى فاني ضيفك وانا جايع قال اراك سمينا جسيما
عميما فان احتملت الموجود قربنا لك ما حضر قال هات ما عندك فاخرج
له لبنا في كرش فقال طيب هات ما عندك فاخرج له فضلة نبيذ في زكرة
فشرب الاعرابي قدحا فلما شربه قال له يا اخي اتدري من انا قال لا والله
قال انا من خدم الخاصة قال بارك الله لك في موضعك وحياك من كنت
ثم شرب الاعرابي قدحا واعطاه اخر فلما شربه قال يا اعرابي اتدري من انا
قال نعم ذكرت انك من خدم الخاصة قال لست بذلك قال فمن انت قال انا من
قواد المهدي قال رحبت دارك وطاب مزارك ثم شرب الاعرابي قدحا
وسقاه اخر فلما شربه قال يا اعرابي اتدري من انا قال نعم زعمت انك من قواد
المهدي قال فلست كذلك انا امير المومنين بنفسه قال فاخذ الاعرابي زكرته
فوكاها فقال له المهدي اسقنا فقال لا والله لا شربت منها جرعة فما فوقها
قال ولم قال سقيتك قدحا واحدا زعمت انك من خدم الخاصة فاحتملتها
لك ثم سقيتك قدحا اخر فزعمت انك من قواد المهدي فاحتملتها لك
ثم سقيتك قدحا اخر فزعمت انك امير المومنين ولا والله ما امن ان سقيتك
الرابع فتقول انا رسول الله قال فضحك المهدي حتى استلقى واحاطت بهم
الخيل ونزل اليه ابناء الملوك والاشراف فطار قلب الاعرابي فلم تكن له
همة الا النجا فجعل يشتد ويطلب النجاة بنفسه فنظر اليه المهدي وقال لا باس
عليك وامر له بصلة جزيلة فقال له اشهد انك لصادق ولو ادعيت الرابعة
والخامسة لخرجت منها قال فضحك المهدي منه حتى كاد يقع عن فرسه
حين قال له الرابعة والخامسة ثم انه ضمه في خواصه واجرى عليه
رزقا وذكر عن علي بن يقطين قال كنا مع المهدي بماسبذان فقال لي
يوما اصبحت جايعا فاتوني بارغفة ولحم بارد فاتيته فاكل ثم دخل
البهو فنام ونمنا نحن في الرواق فانتبهنا لبكايه فبادرنا اليه مسرعين
فقال اما رايتم ما رايت قلنا ما راينا شيا قال وقف على رجل لو كان في الف رجل

ما خفي علي وإني لأعرف وجهه وصورته فلما نظر إلي أنشد هذه الأبيات

كأني بهذا القصر قد باد أهله ۝ وأوحش منه ربعه ومنازله
وصار عميد القوم من بعد بهجة ۝ وملك إلى قبر عليه جنادله
فلم يبق إلا ذكره وحديثه ۝ تنادي عليه معولات حلائله

قال فما أتت عشرة أيام بعد رؤياه هذه حتى توفي رحمة الله عليه وكان قد خرج من بغداد سنة تسع وستين ومائة وهو ابن ثلاث وأربعين سنة وقيل ثمان وأربعين خرج يريد بلاد الدينور فمات بقرية يقال لها رزين ليلة الخميس لسبع بقين من المحرم سنة تسع وستين ومائة وصلى عليه ابنه هارون الرشيد وكانت خلافته عشر سنين وشهرا ونصفا وقيل كان موته مسموما سم في قطايف أكلها ولما حضرته المنية بايع لابنيه الكبيرين موسى الهادي وهارون من بعده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

ذكر الهادي بن المهدي

هو موسى بن محمد المهدي يكنى أبا محمد وقيل أبا جعفر ولقبه الهادي لدين الله أمه أم ولد اسمها الخيزران بنت عطاء مولاة أبيه وهي أم الرشيد أعتقها المهدي حين بايع لابنيه بولاية العهد موسى وهارون ابنيها وتزوجها ومهرها خمسمائة درهم وكانت كثيرة الأفضال كانت توجه جاريتها خالصة وعتبة بالأموال تفرقها في أهل السنة وكانت تفضل نساء بني هاشم بالصلات وتعطي الشعراء ولا تعرف امرأة ولدت خليفتين إلا هي وولادة بنت العباس زوجة عبد الملك بن مروان فإنها ولدت خليفتين الوليد وسليمان وشاهفريد بنت فيروز بن يزدجرد بن كسرى أبرويز فإنها ولدت للوليد بن عبد الملك خليفتين يزيد وإبراهيم وقد وليا الخلافة بويع يوم الخميس صبيحة الليلة التي توفي فيها أبوه المهدي وهو ابن أربع وعشرين سنة وثلاثة أشهر أخذ له البيعة أخوه هارون الرشيد وقام له بالبيعة ببغداد الربيع وكان الهادي إذ ذاك مقيما بخراسان يحارب أهل طبرستان وهارون

مع المهدي في عسكره فأنفذ هارون نصيرا مولاه على دواب البريد إلى الهادي لدين الله بالخبر وأنفذ معه البردة والقضيب والخاتم وقفل إلى العراق وكان أبيض مشربا بحمرة طويلا جسيما أفوه متى ضحك انقلبت شفته العليا ولذلك لقب موسى أطبق وكان له ستة ذكور عيسى وإسحاق وجعفر وعبد الله وإسماعيل وموسى وكان أعمى وكانت له بنتان منهن أم عيسى تزوجها المأمون وزيره الربيع بن يونس ثم عمر بن بزيع ثم أخوه إبراهيم بن المهدي وكاتبه إبراهيم بن ذكوان وحاجبه الفضل بن الربيع وقضاته أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن خنيس صاحب الرأي بالجانب الغربي وسعيد بن عبد الرحمن الجمحي بالجانب الشرقي وعلى شرطته مالك الخزاعي وعلى حرسه عبد الله بن مالك وأمر على إقامة الموسم سليمان بن المنصور عمه نقش خاتمه موسى مؤمن بالله وقيل الله ثقة موسى وبه يؤمن وقيل بالله أثق ونقش طابعه الله ربي وجعل على خاتمه عبد الله بن يقطين وهو أول من مشت الرجال حوله بالسيوف المصلتة والأسنة المشرعة والقسي الموترة والسهام المسددة ولم يعلم له شرب ولا لهو وكانت أمه الخيزران قد أخذت نفسها بأن تأمر وتنهى ويدخل إليها الأمراء فبلغ ذلك الهادي فقال ما للمرأة والإمارة وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن وقف لها أحد من الأمراء ببابها لأقتلنه ثم نهاها عن ذلك وقبح لها فعلها وخرج عليه بالمدينة سنة ولايته الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين وغلب عليها ثم شخص يريد مكة فقتل بفخ على فرسخ من مكة يوم التروية وكان الهادي لما أتاه خروج الحسين هذا بفخ سهر وجعل يفكر فلم يجسر أحد على المرور بناحيته فوجه أهله إليه بغلام صغير وقالوا له قف قريبا منه فلعلك تظفر بشيء من خبره فلما رآه الهادي فطن لما أرادوا فقال متمثلا ۝

رقد الأولى ليس السرى من شأنهم ۝ وكفاهم الإدلاج من لم يرقد

فلما ظفر بالحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما
قال الهادي في ذلك

سلا همومي والطفا نار موجرتي ◆ عون الإله على الأعداء بالظفر
في كل يوم لنا من أهلنا حسن ◆ لا زال ملكنا وصرنا سادة البشر
لن يعفوا بصغير الأمر أكبره ◆ وهل يقاس ضياء الشمس بالقمر

قال وكان قتل الحسين هذا على يد موسى بن عيسى بن موسى
صبرا فلما قتله صبرا غضب عليه الهادي وقبض ضياعه وقال له
هلا جئتني به وأتاه يقطين برأسه فرمى به بين يدي الهادي فقال له الهادي
ارفق به يا عدو الله فليس برأس جالوت ثم تنفس الصعداء وتمثل يقول
قد أنصف القارة من راماها ◆ إنا إذا ما فئة نلقاها ◆ نرد أولاها على أخراها
وقال سعيد بن مسلم كان الهادي من فحول الخلفاء وذوي هممهم
وكان يحب أن يكون أصحابه يفخر جاؤوا بالحسين أسيرا حتى يمن عليه ويتألف به
أهله جميعا بذلك وكان يتمثل عند كل خطب وفي كل أمر يشق له
أو لغيره فقال حين جاؤوه برأس الحسين هذا متمثلا

يا أهل هذا الدهر فيما عجبه ◆ غادين رائحات نوبه
قطع الأرحام فيما بيننا ◆ طالب أمرا بعيدا مطلبه
كنت أهوى أسره لا قتله ◆ وكفانا الله كفاهم حربه
كيف قتلي مثله لو فداني ◆ شافعا فيما جناه نسبه

وقال المطلب بن عكاشة قدمنا على الهادي شهودا على رجل
منا شتم قريشا وتخطا إلى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وإلى الله فجلس
لنا مجلسا أحضر فيه فقهاء أهل زمانه ومن كان بالحضرة على بابه وأحضر
الرجل فحضرنا وشهدنا عليه فتغير وجه الهادي ثم نكس رأسه
ثم رفعه فقال سمعت أبي المهدي يحدث عن أبيه المنصور عن أبيه محمد
بن علي عن أبيه علي بن عبد الله عن أبيه العباس رضي الله عنهما عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أراد هوان قريش أهانه الله وأنتم

يا عدو الله

يا عدو الله لم ترض بأن أردت ذلك من قريش حتى تخطيت إلى ذكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم اضربوا عنقه فما برحنا حتى قتل **وقال مروان**
ابن أبي حفصة دخلنا على الهادي بعد موت المهدي فقلت له يا أمير المؤمنين
إن رأيت أن تسمع مني مرثية في أمير المؤمنين فقال لا تزد ذلك فإنك إن قصرت
مقتك وإن علوت عاقبتك قال أرجو أن أقصر إن شاء الله قال هات فأنشدته

لو خلدت بعد الإمام محمد ◆ نفس لما فرحت بطول بقائها
كم قائل لما أتاه نعيه ◆ ليت الليالي أذنت بفنائها
ما حجبه أسى وإن كرم ميتنا ◆ مرجعه حزن في أرجائها

قال وكان متكئا فجلس ونظر إلي متنكرا فقلت ألا الذي أمسى
النبي محمد ◆ فيها فإن لك فضل سناء بها ◆ فقال لي والله لو لم تقل
هكذا لضربت عنقك **ولما قدم الى بيع** بأمر البيعة للهادي
ببغداد شغب عليه الجند وحرقوا بابه إلى أن أعطاهم أرزاق ثمانية عشر
شهرا وسكنهم إلى أن ورد موسى الهادي على دواب البريد ولا يعلم
خليفة ركب دواب البريد غيره وفي ذلك يقول بعضهم

ما أنت خير بني هاشم ◆ خلافة الله بجرجان
شمر للحرب سرابيله ◆ فناء لا غمر ولا وان

وعتب موسى على الربيع من أجل ما أتلفه من المال واستكثره وكان الربيع
قد وجه بابنه الفضل متلقيا له إلى همذان وحمل معه الألطاف وهدايا
وأمره بالاعتذار إليه مما أنكره عليه وعرفه السبب الداعي إليه فقبل
هداياه ورجع له وتجاوز عنه وقلده وزارته وتدبير أموره **وحكى**
أن الربيع لما لقيه شرع في الاعتذار إليه مما أنكره عليه فقال له الهادي
لا حاجة لك بالاعتذار **قال** ولما قدم موسى بغداد أقر يحيى بن خالد
بن برمك على كتابة أخيه هارون ثم عزم على خلع هارون وولاية
العهد لابنه جعفر وتابعه على ذلك جماعة من الوجوه فامتنع هارون
من خلع نفسه فقيل لموسى إنما يفسده ويمنعه من خلع نفسه يحيى

بن خالد فوجه اليه ليلا فقال له يا يحيى مالي ولك فقال له يا امير المومنين انما انا
عبدك فما يكون من العبد قال انك تدخل بيني وبين اخي هارون وتفسده علي
قال يا امير المومنين ومن انا حتى ادخل بينكما انما امرني المهدي بالقيام بامور له
ثم امرني انت يا امير المومنين بذلك فجعلني الله فداك وان اقوم بما كنت اقوم
به فان امرني امير المومنين بالتنحي عنه تنحيت قال لا ولكن تشير عليه
بما هو اصلح له قال نعم وخرج فلما وصل الى هارون قال له هارون يا ابت اما ترى
ما نحن فيه فانا والله اطيب نفسا بخلعها ولزوم بيتي مع ابنة عمي فقال له
انك والله ان فعلت ذلك لم تترك حتى تقتل ولكن تصبر فان المهدي
اعلمني انك تلي الخلافة ثم دعى الهادي يحيى بن خالد فكلمه فقال
يا امير المومنين انا والله ما تركنا نصيحتكم فك فان اذن لي امير المومنين
تكلمت قال قل قال انك حملت الناس على نكث الايمان ونقض العهود
والمواثيق وهانت عليهم ايمانهم لك فلو تركت بيعة اخيك بحالها
وبايعت لابنك جعفر بالعهد بعده كان ذلك اوكد لبيعته قال في هذا
نظر **وتكلم اليه** رجل فقال يا امير المومنين ان لي ظلامة وان لي مثلا
فاضرب مثلي او اذكر ظلامتي فقال له بل اضرب مثلك فقال يا امير المومنين
ان الطفل اذا كان في حجر امه ولم تنبه نائبة الا اسرع فيها الى امه فناداها
يا اماه فاذا استوى على عقله علم ان اباه اعز جانبا من امه فلم تنبه نائبة
الا اسرع فيها الى ابيه فناداه يا ابتاه يا ابتاه فاذا استوى على عقله وخرج
من سن الطفولية علم ان الله تعالى في ارضه سلطانا هو اعز جانبا من ابيه وامه
فلم تنبه نائبة الا رفعها للسلطانه فان غيرها والا رفعها الى الله عز وجل
قال فصاح الهادي صيحة حتى كاد يذهب عقله ثم قال له اذكر
ظلامتك فقال الرجل يا امير المومنين ان فلانا عاملنا على البلد قد استعلى
علي فعدا علي فاخذ لي ضيعة ارث الاباء والاجداد فنهيته فلم ينته وخوفته
بك فلم يخف وقد جئتك مستعديا عليه فان انصفتني منه فذاك وان رفعت
براني الى بيت الله الحرام اعرضك فيه عامي هذا على الله عز وجل فقال

فبكى

فبكى الهادي بكاء شديدا ثم قال يا اخي ان حكم الاسلام لا يحكم
على خصم دون خصم ولكن الذي يجب لكم علينا اذ قد عزلت عنكم
فلانا وقد ارددت عليك ضيعتك وتكون لك منا في سنة زورة فكان ذلك
فكان الناس يتشفعون به عند امير المومنين واعتل موسى الهادي فاشير
عليه بان يبعث الى هارون ويحيى فيضرب اعناقهما فاحضرهما وحبسهما
واشتدت عليه العلة وشغل بنفسه ولم يكن يدخل عليه احد في علته بجيرته
وكان قاسي القلب شرس الاخلاق صعب المرام جبارا فظا غليظا قليل التثبت
سريع البطش سفاكا للدماء شديد الغضب لم ير قط منشرح النفس
ولا ضاحك السن وكان كثير الادب محبا له وكان شجاعا بطلا جوادا سخيا
ذكر عن ابراهيم بن المهدي انه قال كنت واقفا بين يديه وهو على حمار له وقد
ظفر برجل من الخوارج فامر بادخاله عليه فلما قرب الخارجي منه اخترط سيفا
من بعض الحرس واقبل يريد موسى فتنحيت وكل من كان معي عنه
وانه لواقف على حمار له لا يتحلحل فلما قرب منه الخارجي صاح موسى
اضرب عنقه وليس وراءه احد فاوهمه فالتفت الخارجي فجمع موسى
نفسه ثم وثب عليه فصرعه واخذ السيف من يده فضرب بها عنقه
فخفت عليه اكثر من الخارجي فوالله ما انكر علينا تنحينا عنه
ولا عذلنا على ذلك ولم يركب حمارا بعد ذلك اليوم ولا فارقه سيف اصلا
ويروى ان الهادي ايضا كانت له جارية تسمى غادرا كانت
احظى من عنده واغلبهم على قلبه واملكهم لنفسه وكانت من
احسن الناس وجها واطيبهم غناء كان ابراهيم الموصلي هو الذي
رباها وادبها وعلمها وباعها بعشرة الاف دينار فبينما الهادي في
يوما يشرب مع ندمائه وهي تغنيهم من وراء الستر عرض له فكر وسهو
وتغير لون وقطع الشراب فقال له ندماؤه ما لك يا امير المومنين قال وقع
في فكري اني اموت وان اخي هارون يلي الخلافة بعدي ويتزوج جاريتي
غادرا هذه فقالوا له يعيذك الله يا امير المومنين ويطيل بقاك وتقدم

نحن بين يديك ونموت قبلك فقال اللهم ليس هذا مثل يزيل ما في نفسي ثم أمر
أن يؤتى برأس هارون ثم رجع عن ذلك وأمر بإحضاره فعرفه ما خطر
بباله فاستعطفه هارون وجعل يكلمه بما يوجب زوال ما في نفسه ويخضع
له ويتذلل فلم ينفع بذلك وقال لا أرضى حتى تحلف لي بكل ما أحلفك
به إذا أمت لم تتزوج جاريتي هذه غادر فقال أفعل فأحلفه بكل يمين
يحلف بها الناس من طلاق وعتاق وحج راجلا وغير ذلك من الأيمان المؤكدة
أنه لا يتزوجها أبدا فحلف له بجميع ذلك كله فرضي وسكن ذلك الخاطر
عنه ثم قام للجارية وأدخلها الستر وأحلفها بالأيمان المذكورة من الحج
والعتق والصدقة وما يحلف بها النساء أنها لا تتزوجه أبدا قال فلم يلبث بعدها
إلا شهرا أو نحوه حتى مات وولي هارون الخلافة بعده فلما ولي بعث إلى الجارية
يخطبها فقالت يا أمير المؤمنين كيف بأيماني وأيمانك قال أكفر عن يميني
ويمينك وأحج راجلا ففعل وتزوجها فوقعت في قلبه الحب موضع
وشغف بها أشد من شغف الهادي بها حتى تسكر وتنام في حجره فلا يتحول
ولا يتقلب حتى تنتبه فبينما هي ليلة نائمة في حجره إذا انتبهت فزعة
مذعورة فقال لها ما لك فديتك فقالت له رأيت أخاك الهادي الساعة في النوم
فأنشدني

أخلفت وعدي بعد ما ... جاورت سكان المقابر
وحلفت لي وحنثت في ... أيمانك الكذب الفواجر
وظللت في أهل البلا ... وغدرت في الحور الغرائر
ونكحت غادرة أخي ... صدق الذي سماك غادر
لا يهنك الإلف الجديد ... ولا تدر عنك الدوائر
ولحقت بي قبل الصباح ... وصرت حيث غدرت صائر

قالت ثم ولى عني ولكنها مكتوبات في قلبي ما نسيت منها
حرفا فقال لها هارون هذه أحلام الشياطين فقالت كلا والله يا أمير المؤمنين
ثم اضطربت وتخبطت حتى خرجت روحها وقتل الربيع سنة سبعين

ومائة

ومائة **وحكي** أن سبب موت الربيع أنه كان أهدى إلى موسى جارية
يقال لها أمة العزيز لم ير مثلها في جمالها فغلبت على موسى الهادي وهي أم بنيه
الأكابر فلما ولي الهادي الخلافة سعي بالربيع إليه وكان ذكر للهادي أن الربيع
يقول إذا رأى بنيك أمة العزيز ماذا وضعت بيني وبين الأرض أطيب من أم هؤلاء
فقعد يوما مع الهادي فناوله قدحا فيه شراب عسل فشربه وانصرف فأوصى
وقال إني إذا ميت فمات في يومه ذلك في آخر أيام الهادي سنة واحدة وثلاثة
أشهر واختلف في سبب وفاته فقال قوم لما أشر على الخيزران أمه وخالفها
وأراد خلع أخيه هارون دست إليه من اغتاله في منامه فمنع نفسه وقيل إنه
كان خرج إلى حديثة الموصل متصيدا فمرض وعاد فأقام أياما واشتدت
علته فمات بمدينة السلام ليلة الجمعة لثمان عشرة ليلة خلت من
شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة وهو ابن ست وعشرين سنة وصلى
عليه أخوه الرشيد وحفر له قبر في بستانه الذي توفي فيه المعروف بعيسى
باذ وهو بستان له نزيه وفيه أبنية حسنة فنظر إلى فراش على سلم وهو
يعلو سترا في آخر البستان وكان بينه وبينه جوز بعيد وكان قد جاء له
بقسي ونشاب فجس قوسا وأخذ سهما فوضعه فيه وقال انظروا إن أصل
إلى ذلك الفراش بهذا القوس فقلت أمير المؤمنين أشد يدا وأصلب قوسا فكيف
لا يبلغ إليه السهم فأراد رميه فأقسمت عليه أن لا يفعل فأبى ثم رماه
فأثبت السهم بين كتفيه حتى نشب في الحائط فاشتد ذلك عليه وعلي
وعظم عنده وعندي وأطرق ونظر إلى الرجل فإذا هو ميت فما برحت
حتى حرك قدمه ثم اتكأ عليه وقال لي يا سعيد إني أجد في ظهر قدمي
ألما شديدا وإذا بثرة قد طلعت فقلت الفصد لا بد منه فأمر بإحضار
الأطباء وقمت وقد صارت مثل اللوزة ثم فصد فمات بعد ثلاثة أيام
من تلك البثرة وجاءت أمه الخيزران وبه رمق فأخذت خاتمه من يده وقالت
له أخوك أحق بهذا الأمر منك والهادي يرى ذلك ولا يقدر على حيلة ثم
مات ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

ذكر هارون الرشيد

هو هارون بن محمد المهدي يكنى ابا محمد وقيل ابا جعفر ولقبه الرشيد لدين الله **بويع** يوم الجمعة بمدينة السلام صبيحة الليلة التي مات فيها اخوه موسى الهادي وهو ابن احدى وعشرين سنة وشهرين وكان مسجونا هو ويحيى بن خالد فبعثت امه الخيزران اليهما فاخرجتهما وقالت ليحيى احضر الناس الساعة فحضر القواد والهاشميون والمشايخ فاخذ يحيى عليهم البيعة لهارون الرشيد وكتب من ليلته لجميع عمال الافاق حين عن الرشيد بوفاة موسى ويامرهم بالبيعة له ويقرهم على اعمالهم فما اصبح حتى فرغ من جميع الامور وانفذ الكتاب على البريد من غد وسلم على هارون بالخلافة وبشر في تلك الساعة ان مراجل ولدت غلاما فسماه عبد الله وهو المامون وحضر يومئذ فايدته خمسة بعضهم عم الرشيد وجعفر بن موسى وسليمان بن ابي جعفر وعبد الصمد بن علي عم العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهم اجمعين وكان هارون طويلا ابيض كامل الخلق اسود الشعر ظريف الجملة والتفصيل **نقش خاتمه** اشهد بالله وقيل العظمة لله وخاتمه الاصغر كن من الله على حذر وكان سمحا جوادا حسن الاخلاق شجاعا قريبا من الاخوان محبا للندماء وسماع العيدان واستخراب القيار وهو اول خليفة هتك الستارة وكان مع ذلك راجعا الى دين متين وهو القائل في ذلك

ولله مني جانب لا اضيعه ... وللهو مني والخلاعة جانب

وكان مع منا الجهاد والحج ثماني حجج وقيل تسعا مشى في احدهما راجلا الى مكة وغزا ثمان غزوات وذلك انه راى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال له ان هذا الامر صاير اليك في هذا الشهر فاغز وحج ووسع على اهل الحرمين ففعل ذلك كله وخرج في اول سنة ولي فغزا اطراف بلاد الروم وانصرف وحج بالناس في اخر السنة وفرق بالمكة والمدينة مالا عظيما

وامر

وطرسوس

وامر بحفر الآبار في الطرق وبناء المساجد وعقد القناطر للمسافرين وامر بتشييد الثغور والمدن كالمصيصة وطرسوس وغيرهما ولما حج سنة من السنين سمع بصوت الفضيل بن عياض التميمي اليربوعي وانه من طبقة الثانية من التابعين من اهل مكة يكنى ابا علي مولده بخراسان وقدم الكوفة وهو كبير فسمع بها الحديث من منصور بن المعتمر ثم انتقل الى مكة فاقام يعبد الله الى ان مات وكان ثقة امينا عابدا ورعا قيل انه كان يقول ولدت بسمرقند ورايت فيها الجوز يباع عشرة الاف جوزة بدرهم وكان في ابتدائه شاطرا يقطع الطريق وكان يختم القرآن كل ليلة اسند عن الثوري والاعمش وعطاء فقال الرشيد لابن المبارك اردت زيارة الفضيل فقال له يا امير المومنين ان الفضيل ان عرف مكانك لم ياذن لك في الدخول عليه ويهرب عنك فقال له الرشيد تستاذن انت عليه وتخفي مكاني منه حتى ياذن بالدخول فاقبل معه الى منزل الفضيل فاستاذن عليه ابن المبارك فقال الفضيل من بالباب فقال ابن المبارك ومن معي يدخل فقال الفضيل ومن معك قال رجل من قريش قال لا اذن لاحد من قريش ولا لي حاجة برؤية احد منهم فقال له ابن المبارك انه من اهل العلم والفقه والعناية بهما فقال له الفضيل اما علمت ان ابليس افقه الناس ولكن ان كان كما تقول فليدخل فدخل هارون فسلم عليه وجلس بين يديه فتحدث طول ساعة فقال ابن المبارك يا ابا الحسن اتدري من هذا قال لا ادري الا اني ارى وجها حسنا وبدنا ناعما قال هذا هارون الرشيد امير المومنين فنظر اليه الفضيل ساعة ثم قال يا هارون هذا الوجه الجميل يسال غدا عن امة محمد ويوخذ بهم اجمعين ان لم يكن العفو والغفران فجعل الفضيل يعظه ويخوفه ويحذره فبكى هارون الرشيد ثم افاق من بكائه فجعل الفضيل يذكر مثالبه ومثالب اهل بيته وسوء سيرتهم في الرعية ثم ظهر له انه ينتقصه بهذا فاخذ يعتذر له ويقول له يا امير المومنين اغفر لي ما مضى مني فقال له الرشيد فمن جعلك احوان ترجو المغفرة مني وانا على دين يقبل الله فيه الحسنات ويعفو عن السيئات والله ما كنت لا خير

يرالله ويريشيى من امور الدنيا والاخرة ان الله على من سواه الله شاهد على فوق
والمطلع على نيتي وضميري وكفى بالله شهيدا وانا مع هذا الذي من صلاح بين
الناس والجهاد في سبيل الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتامين السبل واقامة
الحج والشرائع والستر وسد الثغور ملا تليه انت فما جعلك الله باحوج من ترجوا
المغفرة مني فسكت الفضيل ساعة ثم قال لي ما لطمعك من حاجتي ثم قال له
يا امير المومنين اني لاخشى ان يكون العلم قد ضاع قبلكم كما ضاع عندنا
فقال هارون احل ما قلت وفهم عنه ما اراد ثم دعا له وانصرف فلما قدم
هارون العراق كان اول ما ابتدا بالنظر فيما ذكر له به الفضيل من امر العلم فكتب
الى عماله على الامصار كلها والى امراء الكور وهو يقول فانظروا من التزم
الاذان عندكم وواظب المساجد فاكتبوه في الف درهم من العطا ومن جمع
القران قبلكم فاكتبوه في الف دينار من العطا ومن جمع القران واقبل على طلب
العلم وواظب عليه فاكتبوه في الفي دينار من العطا ومن التزم القران والعلم
ورواية الحديث فاكتبوه في ثلاثة الاف دينار من العطا وليكن ذلك بامتحان
الرجال النبلا بغيرها الامر المعنى ويرتبه من علماء عصركم وفضلاء دهركم
فاسمعوا قولهم واطيعوا امرهم فان الله تعالى يقول اطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولي الامر منكم وهم اهل العلم فما بقي عالما ولا قارئا للقران
ولا سابقا للخيرات ولا حافظا للحرمات في ايام واخر بعد ايام الرسول عليه السلام
والصحابة رضي الله عنهم اكثر منهم في زمن الرشيد ولقد كان الغلام يحفظ
القران وهو ابن ثمان سنين ولقد كان يستبحر في العلوم ويروي الحديث الكثير ويجمع
الدواوين ويناظر المعلمين وهو ابن احد عشر سنة لم يبلغ الحلم في ذلك العصر
وحجت في هذه الحجة زوجه زبيدة معه كانت كثيرة الصدقة والصلاة
من افضل النساء فرقت بالمدينة ماية الف دينار وبمكة كذلك واعتقت ماية
رقبة في بلد وماية رقبة بمنا وتصدقت بعشرة الاف راس من الغنم وران
مكة قليلة الماء فجلبت لاهلها الماء وحفرت جروة من تحت الشاشروسا فنته
الى مكة في لقنية الرصاص مسافة ستة عشر ميلا وانفقت فيه اموالا عظيمة

فقدرها ماية الف الف دينار فكان الوكلاء الذين يتولون النظر في حفر هذا الجدول اذا
وصلوا الى موضع لا تعمل فيه المعاول لصعوبته كتبوا اليها ليعرفوها بذلك
فترد اليهم في الجواب اعطوا لمن يقطع الحطب وتضعوه في الموضع الصلب
وصبوا عليه النفط واضرموا النار حتى ينهال ويعود الصوم من اليوم الذي ابتدا
فيه بالعمل ونذرت انها لا تفطر حتى يتم لها النهر ويجري الماء منه في وسط
مكة فكان كذلك فلم تزل صايمة تلك المدة فاقام في حفره ثلاث
سنين فلما اتاها الخبر بتمام ما املت وان الماء قد جرى في مكة اعتقت الف رقبة
وتصدقت بماية الف دينار وحجت راجلة مع الرشيد شكرا لله تعالى وعمل
الرشيد في تلك الحجة من باب بغداد حيث كان ستة اميال عن يمين المسار
الى مكة وكذلك عن يساره وسقفه كتان وفرشه باللبود والقطف وعند
راس ثلاثة اميال خيمة وفساطيط ومستراح وعند اخر الستة اميال دار وحمام
وكوشة فكان يمشي بين الروافات هو وجواريه ثلاثة اميال فاذا بلغ الخيمة
جلس للغذاء والراحة والقايلة ويقوم الى اخر الستة اميال ويجد بها يمشي خارج
الروافات يمينا وشمالا بعيدا بنحو الميل فاذا نزل في داره عند راس الستة اميال
بات واقام من غد حتى يحملوا الروافات وينصبوها قدامه فكان يمشي يوما
ويقيم يوما الى ان بلغ الحج فتصدقت بمكة واعتقت واكست جميع
اهل مكة رجالا ونساء والصغار وكذلك فعلت في المدينة وكانت نفقتهم
في الحج في مؤونتهم اربعة وخمسون الف الف دينار وفرقت الف الف دينار في وجوه
البر وكلها حساب ذلك فنهته وقالت ثواب الله بغير حساب
هذه زبيدة ورثت من ابيها ضياعا غلتها ماية الف دينار في السنة ثم اقطعها
الرشيد ضياعا اخر فاستفاد حتى بلغت ضياعها الف الف دينار وثمانماية
الف دينار قال الغلابي حدثنا مهدي قال قال اعرابي من بني تميم ما رايت الكمال
في سنة من السنين اكثر منها في السنة التي حجت فيها عام له السبل فقيل له من هي
قال من جمعهم وقال الاصمعي حججت مع هارون الرشيد سنة من السنين
فرايت ام الاعرابية جميلة وهو وافقه على جملة من اهل خراسان

كانوا ياكلون وفي يدها قصعة فارغة فاقبلت عليهم وانشات تقول

محقتنا محايق الاعوام ... ورمتنا تصرف الايام
فاتيناكم عراة كفانا ... لفضلات زادكم والطعام
فاطلبوا الاجر والمثوبة فينا ... ايها الزايرون بيت الحرام
من راني فقد راني وفقري ... فارحموا حاجتي وذل مقامي

قال فرجعت الى الرشيد فاخبرته فبكا وقال اطلب المراة واتيني بها فاتيت بها وقلت لها هذا امير المومنين فقالت حياك الله وما يريد مني قلت يريد منك ان تنشديه الابيات التي قلتها قبل فانشدته اياها فالتفت الى مسرور الخادم فقال يا مسرور املا لها القصعة دنانير فملا لها دنانير حتى فاضت من جوانبها **وقال الاصمعي** دخلت على الرشيد فعطس فشمته فلما خرجت لحقني مسرور الخادم فقال لي ان عدت الى مثلها قطعت منك شبرا فلما عدت اليه اخبرته بقول مسرور فقال يا اصمعي اخذت انت بالسنة وامرني مسرور بالادب ومجلسنا لا يصلح فيه الا الادب وقال الاصمعي ما رايت احضر جوابا من زيد بن دخل على هارون الرشيد فساله فلم يقر فامر ان يضرب بالسياط فقال له يا امير المومنين في اي كتاب وجدت او عن اي نبي اتاك خذوهم بالتهمة فسايلوهم فان لم يقروا فاضربوهم قال فامسك عنه وامر بحبسه **وحكى الاصمعي** قال مررت ببعض احياء العرب وكنت اروي اشعارهم واطوف باخبارهم فخرجت من الحي فكاني لم ادخله من شدة الدهش الى بعض الاقاريب فاستسقيت اهله فخرجت الي جارية وفي يدها قعب من لبن وفي الاخرى وعاء فيه ماء وقالت لي يا هذا هذا ماء وهذا لبن فبايهما شيت فابدا وان شيت الطعام فهو لي معك فعجبت من سخاها عند بخل قومها وهي منهم ثم شكوت اليها بخل قومها فقالت يا فتى اسمع مني ثم لطفت تقول

وخذ من الناس ما تيسر ... ودع من الناس ما تعسر
انما الناس كزجاج ... اذا لم ترفق به تكسر

قال فانصرفت بالبيتين وهما عندي احب من مايتي دينار ثم رايت نشزا عاليا بيت منفرد فقلت ما هذا البيت الذي ارى الا لذي كرم ولعلي اجده عالما فاعمته فلما دنوت منه واذا رجل قايم على الباب فلما راني ولج البيت فولجت في اثره فخرج من كسر البيت فخرجت في اثره فتبعته فنظر الي ثم وقف فبكى بكاء شديدا عاليا وانشا يقول

وقفت وقوف الشك ثم استمر بي ... يقيني بان الموت خير من الفقر
وقايلة تخشى علي من الردى ... ولا الموت خير من حياة على عسر
ساكسب مالا او اموت ببلدة ... يقل بها فيض الدموع على قبري

فقلت هذا كلام اديب وشعر لبيب فزدني من كلامك زادك الله من كل خير فانشا يقول

رزقت لبا ولم ارزق مروته ... وما المروة الا كثرة المال
اذا اردت مساماة ينال عزني ... عما ينوله باسمي رقة الحال

فقلت يا هذا اني جليس الخليفة لعلي ازرع عنده خيرا فزدني من كلامك وحسن نظامك فقال

من يزرع الخير يحصد ما يسر به ... وزارع الشر منكوس على الراس
ان الاوايل كانوا يرجون فضلهم ... اضحوا وقد ذهبوا في ارماس

قال فاخبرت بمقالته الرشيد فاعجب بها ودفع الي الف دينار وامرني بالرجوع قبل ان تجتمع باهلي وقال تدفعها الى الرجل وان لم تلقه فادفع المال الى اقرب الناس فاتيت الحي وقصدت البيت فاذا البيت قد قوض فسالت عنه فقيل انه دعي فاجاب فسالت عن اقرب الناس اليه فقيل لي صاحبة هذا البيت فاتيتها فاذا هي صاحبتي التي سقتني الماء فسالتها عن اخيها فقالت لي يا هذا كان والله يحمل المغارم ويبني المكارم ويدفع العظايم اسلمه قومه للنوايب وتركوه للمصايب فهلك والله ضياعا ولم يخلف متاعا فقلت يا هذه ان معي الف دينار حباك بها امير المومنين فقالت وصل الله امير المومنين بالكرامة واجزل له الثواب في دار المقامة **ثم** قالت والله لنحن اكرم من ان تجتمع عندنا الف دينار تحاسبوا عليها

ونعذب بها ثم قالت لخادم معها ايتني بعجايز الحي فاتتها بخمسين عجوزا فقسمت
المال بينهم ولم تدخر منه الا ما لصاحبة واحدة منهن اخبر الاصمعي
قال وقعت حرب بالبادية واتصلت بالبصرة وتفاقم الامر بها حتى مشى الناس
في الصلح بين الحيين واجتمعوا في المسجد الجامع قال فبعثت وانا حينئذ غلام
الى القعقاع بن ضرار الدارمي فاستاذنت عليه فاذن لي فدخلت عليه فوجدته
يحلب بزر المنزلة فخبرته بمجتمع القوم فامهل حتى اكلت العنز ثم غسل الصحفة
وصاح يا جارية غدينا فاتته بتمر وزيت قال فدعاني لاكل منه فاكلت
حتى اذا قضى اربه من الطعام وثب الى طين ملقى في الدار فغسل يده ثم
استسقى ماء فشربه ومسح فاضله على وجهه ثم قال الحمد لله ماء الفرات بتمر
البصرة بزيت الشام متى نؤدي شكر هذه النعم ثم اخذ رداء له فارتدى به على
تلك الشملة قال الاصمعي فتجافيت عنه استقباحا لزيه فلما دخل المسجد
صلى ركعتين ثم مشى الى القوم فلم تبق حبوة الا حلت له اعظاما ثم جلس فتحمل
جميع ما كان من الديات بين القوم من ماله ونهض وهو سيد الكافة بفعله
ودخل ابن السماك على الرشيد فقال له عظني واوجز فقال ما اعجب يا امير
المومنين ما نحن فيه كيف يغلب علينا حب الدنيا واعجب منه ما نصير اليه
وغفلتنا عنه عجب اصيغ حقير الى فناء يصير غلب على كبير طويل
دايم غير زايل وقال ابو يوسف القاضي تغديت عند الرشيد فسقطت
من يدي لقمة فانتثر ما كان عليها من الطعام فقال لي يا يعقوب خذ لقمتك
فان المهدي حدثني عن ابيه المنصور عن ابيه محمد بن علي عن ابيه علي ابن
عبد الله عن ابيه عبد الله بن العباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اكل ما يسقط من الخوان فرزق اولادا كانوا صباحا
واخبر الفضل بن الربيع قال حج امير المومنين هارون الرشيد فبينا انا ذات
ليلة نايم بمكة اذ سمعت صوت الباب فقلت من هذا فقال اجب امير المومنين
فخرجت مسرعا اليه فلما دخلت عليه قال لي ويحك قد حاك في صدري شيء
فانظر لي رجلا اسئله فقلت هاهنا سفيان بن عيينة قال امض بنا اليه فاتيناه

فقرعت

فقرعت الباب قال من ذا فقلت اجب امير المومنين فخرج مسرعا فقال يا امير
المومنين لو لا ارسلت الي اتيتك فقال له خذ لما جئناك له رحمك الله فحدثه ساعة
ثم قال له الرشيد اعليك دين قال نعم قال يا فضل اقض عنه دينه فلما خرجنا
قال لي ما اغنى صاحبك عني شيئا قلت هاهنا عبد الرزاق بن همام قال امض
بنا اليه فاتيناه فقرعت الباب فقال من هذا فقلت اجب امير المومنين فخرج مسرعا
فقال يا امير المومنين لو لا ارسلت الي اتيتك قال خذ ما اتيناك له رحمك الله فحادثه
ساعة ثم قال له اعليك دين قال نعم قال يا فضل اقض عنه دينه فلما خرجنا
قال لي ما اغنى عني صاحبك شيئا انظر لي رجلا اساله قلت هاهنا الفضيل
بن عياض قال امض بنا اليه فاتيناه فاذا هو قايم يصلي يتلو اية من القرءان
ويرددها فقال اقرع الباب فقرعت الباب فاوجز في الصلاة وقال من هذا فقلت
اجب امير المومنين فقال ومالي ولامير المومنين فقلت سبحان الله اوما عليك طاعته
قال اوليس روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا ينبغي لمومن ان يذل نفسه
ثم نزل ففتح الباب ثم ارتقى الى غرفته واطفا السراج ثم التجا الى زاوية من زوايا
الغرفة فدخلنا فجعلنا نجول عليه بايدينا فسبقت كف هارون قبلي فقال سبحان
الله من كف ما الينها ان نجت غدا من عذاب الله عز وجل فقلت في نفسي ليكلمنه
الليلة بكلام من قلب تقي فقال له الرشيد خذ لما جئناك له رحمك الله فقال
الفضيل ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما ولي الخلافة دعا سالم بن
عبد الله بن عمر ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم اني قد
ابتليت بهذا البلاء فاشيروا علي رحمكم الله فقال له سالم ان اردت النجاة غدا
من عذاب الله فصم الدنيا وليكن افطارك منها الموت وقال له محمد
بن كعب القرظي ان اردت النجاة غدا من عذاب الله فليكن كبير المسلمين
عندك ابا واوسطهم عندك اخا واصغرهم عندك ولدا فوقر اباك واكرم
اخاك وتحنن على ولدك وقال له رجاء بن حيوة ان اردت النجاة غدا من عذاب الله
فاحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ثم مت اذا شئت
واني لا اقول لك هذا واني اخاف عليك اشد الخوف من يوم تزل فيه الاقدام

فهل معك رحمك الله مثل هذا او من يشير عليك بمثله قال فبكى
هارون بكاء شديدا حتى غشي عليه فقلت له ارفق يا امير المومنين فقال يا ابن الربيع
تقتله انت واصحابك وارفق به انا ثم افاق فقال له زدني رحمك الله فقال
يا امير المومنين بلغني ان عاملا لعمر بن عبد العزيز شكي به اليه فكتب اليه عمر
وهو يقول يا اخي اذكرك سهر اهل النار في النار مع خلود الابد فاياك ان ينصرف
بك من عذاب الله فيكون اخر العهد ومنقطع الرجا فلما قرا العامل
الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقال له
ما اقدمك فقال خلعت قلبي بكتابك لا اعود الى ولاية حتى القى الله
قال فبكى هارون بكاء شديدا ثم قال له زدني رحمك الله فقال
يا امير المومنين ان العباس عم المصطفى صلى الله عليه وسلم جاء
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له امرني على امارة فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم يا عم ان الامارة حسرة وندامة يوم القيامة فان استطعت
ان لا تكون اميرا فافعل قال فبكى هارون بكاء شديدا ثم قال له زدني رحمك
الله فقال له يا حسن الوجه انت الذي يسالك الله عن هذا الخلق يوم القيامة
فان استطعت ان تقي هذا الوجه من النار فافعل واياك ان تصبح وتمسي
وفي قلبك غش لاحد من رعيتك فان النبي صلى الله عليه وسلم قال
من ولي شيئا من امر المسلمين فاصبح وامسى لهم غاشا لم يرح رائحة الجنة
فبكى هارون بكاء شديدا ثم قال له يا اخي اعليك دين قال نعم دين
لربي لم يحاسبني عليه فالويل لي ان ناقشني والويل لي ان لم يلهمني حجتي فقال
الرشيد انما اعني من دين العباد فقال ان ربي لم يامرني بهذا وانما امرني ان اصدق
وعده واطيع امره قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد
منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين قال له الرشيد
هذه الف دينار خذها فانفقها على عيالك وتقو بها على عبادة ربك
فقال سبحان الله انا ادلك على النجاة وانت تكافيني بمثل هذا سلمك الله ووفقك
الله ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا فلما صرنا على الباب قال لي الرشيد

يا فضل

يا فضل اذ دللتني فدلني على مثل هذا والله سيد المرسلين فدخلت عليه امراة فقالت
له يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال فتوسعنا به فقال لها
مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير ياكلون من كده فلما كبر نحروه
واكلوا لحمه قال فلما سمع هارون هذا الكلام قال نرجع اليه فعسى ان يقبل المال
فدخلنا عليه فلما علم الفضيل برجوعنا خرج فصعد الى السطح فجلس
فجاء هارون فجلس الى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه فبينما نحن كذلك اذ خرجت
جارية سوداء فقالت لهارون يا هذا قد اذيت الشيخ في هذه الليلة انصرف رحمك
الله فانصرفنا قال ابو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي ولي الرشيد محمد
بن يحيى بن خالد ارمينية فكتب اليه ان قوما صاروا اليه على سبيل النصح يذكرون
رسوما للسلطان بارمينية قد عفت ودرست فيرجع منها في السنة على
السلطان مال عظيم وانه توقف على المطالبة بها حتى يعرف رايه وكتب
اليه قرات هذه الرقعة المذمومة وفهمتها وسوق السعاية عندنا بحمد الله السعاية
كاسدة والسنة السعاة في ايامنا كليلة فاذا قرات كتابي هذا فاحمل الناس
على قانونك وخذهم بما في دواوينك فاني لم ار الناحية لتتبع الرسوم
العافية ولا لاحياء الاعلام الداثرة وجنبني وتجنب بيت جرير وكنت
اذا حللت بدار قوم رحلت بخزية وتركت عارا واجر امورك على
ما يكسب الدعاء لنا لا الدعاء علينا واعلم انما مدة تنتهي ولما
بويع هارون الرشيد واستتم له الامر اتخذ البرامكة امراء وكتابا ووزراء فحسنوا
دولته وزينوا مملكته وكان حاجبه الفضل بن الربيع وقاضيه الفقيه ابو
يوسف صاحب ابي حنيفة فجلس مجلسا عاما وقال ليحيى بن خالد يا ابت انت
اجلستني هذا المجلس ببركتك ويمنك وحسن تدبيرك واني قد قلدتك جميع
اموري كلها وجعلت اليك النظر في كل الاعمال والزمتك امر الرعية فاستعمل
من رايت واعزل من رايت وافعل ما رايت فانت الثقة عندي الامين في نفسي الذي كما
اتهمك علي ولا على اهل بيتي وركني فلم يبق احد ممن حضر الا قال مثل ما قال
الرشيد وصدقه في قوله وابروه غاية الابرار ففي ذلك يقول

ابراهيم الموصلي ∴

الم تر ان الشمس كانت سقيمة ∴ فلما ولي هارون اشرق نورها

بيمن امين الله هارون ذي الندى ∴ فهارون واليها ويحيى وزيرها

وكان الفضل بن يحيى ولد قبل مولد هارون بسبعة ايام فارضعت زبيدة
بنت منير وهي ام الفضل بن يحيى ارضعت هارون الرشيد بلبان الفضل بن يحيى
وارضعت الخيزران ام هارون الفضل بن يحيى بلبان هارون مرات كثيرة وفي ذلك
يقول مروان بن ابي حفصة في قصيدة يمدح بها الفضل بن يحيى حيث
يقول ∴

كفى لك فضلا ان افضل حرة ∴ غذتك بثدي والخليفة واحد

لقد زنت يحيى في المشاهد كلها ∴ كما زان يحيى خالدا في المشاهد

وفي ذلك يقول ايضا سلم الخاسر رحمه الله تعالى هاذان البيتان

لا يضل السار بغير دليل ∴ وبنو برمك نجوم السماء

اصبح الفضل والخليفة هارون ∴ رضيعي لبان خير النساء

وجلس يحيى للنظر فكان اول نظره في اهل الثغور فوجد خلقا ممن
حمل من ارض الحجاز وغير الحجاز من اهل الشرف وغيرهم فاكلفهم جميعا
ووصل من كان معهم من آل ابي طالب وغيرهم من اهل الشرف وكتب في مظالم
الناس الى جميع الافاق ولم يبق متظلم بالباب الا انصفه ولا راغب
ولا طالب الا قضى حاجته ولا شاعر ولا خطيب الا وصله
الفضل بن الربيع فخضع ليحيى واستعطفه وساله ان يستعطفه وساله
ان يستعطف له الرشيد ويرده الى خدمته فاستعطفه له فقال له الرشيد
قد علمت ما نعته لموسى على خلعي فقال لم يكن يجر برا ولا غيره له
من ذلك ولا يمكن لهم ان يخالفوا خليفة ولا يخرجوا عن طاعته ولم يزل
به حتى رده الى الحجابة في سنة سبع وسبعين ومائة ثم صرف اليه النفقات
والخزاين وما كان في يده ويد ابيه ورفعت منزلته ومنزلة ولده فكان
يحيى يقول ما رايت العقل قط الا خادما للجهل وغلب جعفر بن يحيى

يحيى

على امور

على امور الرشيد فولي الحرس وسجستان وصارت اليه الوزارة والخاتم ونفذت
اموره في المشرق والمغرب وكان كاتبا بليغا فصيحا حسن الحفظ فصيح
اللسان صادق اللهجة قال وجلس يوما للمظالم فوقع على الف قصة
فعرضت على الفقهاء فلم يجدوا له خطأ في حكم واحد منها قال
ورفعت اليه شكاية من عامل فكتب عليها بيس الزاد ليوم المعاد ظلم
العباد وكان ينظر في الكاتب من بعيد وهو يكتب فيفهم ما يجري به قلمه
وكذلك ابوه يحيى ابن خالد وكان جعفر من علو القدر وعظم المنزلة وجلالة
المحل عند الرشيد بحالة لم يشاركه فيها احد وكان جميلا وسيما معتدل
القامة طويل العنق جليل طول الوجه حسن الاخلاق وجوده وعطاؤه اشهر
من ان تخفى وقال يحيى بن خالد يوما لجماعة من بني هاشم ان ولدي
بحيث ترون فصفوا لي اخلاقهم فقال له العباس بن محمد بن علي بن عبد الله
ابن العباس رضي الله عنهم اجمعين اما ابو الفضل جعفر فيرضينا بقوله
ويرضينا بفعله واما ابو عبد الله محمد بن يحيى فيفعل بحسب ما يجد واما
ابو عمران موسى بن يحيى فيفعل ما لا يجد وقال عبد الملك ابن صالح
بن علي بن عبد الله ابن العباس ما رايت اعلم بالناس من يحيى ابن خالد ولا اجود
من الفضل بن يحيى ولا اكتب يدا ولا افصح لسانا من جعفر بن يحيى ولا افرس
من موسى بن يحيى ولا اشد حياء من محمد بن يحيى ولا اشهم من محمد بن خالد
وكان يحيى بن خالد يقول لاولاده لا بد لكم من كتاب وعمال
واعوان فاستعينوا بالاشراف واياكم وسفلة الناس فان النعمة على الاشراف
ابقى وهم بها احسن والمعروف عندهم اشهر والشكر منهم اوفر قال
وجاء رجل الى يحيى بن خالد فشكا اليه ولده جعفر في حاجة مطله
بها فوقع اليه يحيى يا بني انتم معاقل الاحرار ومكان المطالب ومعاذ الشكوى
فكونوا سواء في الاعسار واليسار فان الحر يدخر الحر ويعتقده ويتكل
عليه ويعتمده فاذا تكشف له عن خلاف امله كان ذلك سببا الى الزيادة
في همه وحجة له بعث ما في صدره فلا يلومن احد في موعد لم يف به ولا يلومن

الا نفسه والسلام واعتل يحيى فقعد عنه صديق له وعلم انه قصر في عيادته
ثم استحيا فامتد به الجفا فامر يحيى ان يحملوه في محفة ثم اتاه فقال هلا انا جئتك فان
شئت فعدني وان شئت تاخر عني وفي يحيى يقول الشاعر

وفتى خلا من ماله ... ومن المروءة غير خالي
واذا رأى لك موعدا ... كان الفعال مع المقال
لله درك من فتى ... ما فيك من كرم الخصال
اعطاك قبل سؤاله ... فكفاك مكروه السؤال

وكان يحيى يميل الى الفضل والرشيد يميل الى جعفر وكان الرشيد كثيرا
ما يقول ليحيى انت للفضل وانا لجعفر خرج الفضل بن يحيى يوما من منزله
بالخلد يريد منزله بباب الشماسية فتلقاه فتى من الاعراب مملك ومعه جماعة
من الناس يحملون املاكه فلما راه الفتى نزل وقبل يده ولم يكن يعرف به فسأله
عن الصداق فعرفه انه اربعة الاف درهم فقال الفضل لقيمه اعطه اربعة
الاف درهم صداق زوجته واربعة الاف درهم ثمن مسكن يسكنه
واربعة الاف درهم للنفقة على وليمته واربعة الاف درهم يستعين بها
على العقد الذي عقده على نفسه وانصرف قيل ركب محمد
ابن ابراهيم الامام دين فركب الى الفضل بن يحيى ومعه حق فيه جوهر
فقال له قصرت بنا غلاتنا واغفل امرنا خليفتنا وترايدت مؤونتنا فلزمنا دين
احتجنا الى قضائه وهو الف الف درهم وكرهت بذل وجهي للتجار وذلة عرضي
ولك من يعطيك منهم ما تحب ومعي حق فيه رهن في ذلك فان رايت
ان تامر بعضهم بقبضه وحمله الينا فعلت فدعى الفضل بالحق فرآ ما فيه
وختمه بخاتم محمد بن ابراهيم وقال له نجح الحاجة ان تقيم اليوم عندي فقال له
ان في المقام علي مشقة فقال له وما يشق عليك من ذلك ان رايت ان تلبس بعض
ثيابنا دعوت به والا امرنا باحضار ثياب من دارك فاقام ونهض الفضل فدعى
بوكيله وامر بحمل المال وتسليمه الى خادم محمد بن ابراهيم وتسليم الحق
الذي فيه الجوهر بخاتمه اليه واخذ بذلك خطه ففعل الوكيل ذلك واقام

محمد عنده الى المغرب وليس عنده شيء من الخبر ثم انصرف الى منزله فرأى المال
واحضر المال والحق فغدا على الفضل ليشكره فوجده قد سبقه بالركوب
الى دار الرشيد فوقف ينتظره عند باب الرشيد فقيل له قد خرج من الباب الاخر
قاصدا الى منزله فاتبعه فلما انصرف الى منزله وجه اليه بالف الف درهم
اخرى فغدا عليه فشكره واطال واعلمه الفضل انه بات بليلة طالت غما
بما شكاه الى ان لقي الرشيد فاعلمه حاله وامر بالتقدير له ولم نزل نماسكه
الى ان تقرر الامر معه على الف الف درهم وقال لي انه لم يصلك بمثلها قط
ولا زادك على عشرين الف دينار فشكرته وسالته ان يصك بها صكا بخطه
ويجعلني الرسول ففعل فشكره محمد وقال صدق امير المومنين انه لم يصلني
قط باكثر من عشرين الف دينار وهذا انما تهيا بك وعلى يديك وما اقدر
على القيام بحقك وعلى شكرك اجازيه معي وفي عنقي ان علي وعلي
وحلف ايمانا موكدة ان وقفت على باب احد سواك ابدا ولا سالت حاجة
ابدا ولو استففت التراب فكان لا يركب الى غير الفضل الى ان كان من امرهم ما حدث
فكان بعد ذلك لا يركب الى غير دار الرشيد ويعود الى منزله فعوتب بعد نفض
ايامهم في ترك اتيان الفضل بن الربيع فقال والله لو عمرت الف عام ومصصت
الثماد ما وقفت على باب احد بعد الفضل بن يحيى ولا سالته حاجة ابدا حتى القى
الله عز وجل ولم تزل تلك حاله الى ان مات قيل لما حج الرشيد ورجع
قافلا نزل الانبار فدعى صالحا صاحب المصلى حين تنكر البرامكة فقال له اخرج
الى منصور بن زياد فقل له قد صحت عليك عشرة الاف الف فاحملها الي من يومك
فان هو دفعها اليك كاملة قبل مغيب الشمس من يومك هذا والا فاحمل
الي راسه واياك ومراجعتي في شيء من امره قال صالح فخرجت الى منصور وهو
في الدار فعرفته الخبر فقال انا لله وانا اليه راجعون ذهبت والله نفسي ثم حلف انه
لا يملك الا ثمانية الف درهم فكيف عشرة الاف الف فقال له صالح خذ
في عملك فقال له انهض بنا الى منزلي حتى اوصي واعتذر في امري فمضى
فما هو الا ان دخل حتى ارتفع الصراخ في منزله وفي حجر نسائه واوصى وخرج

وما فيه لحم ولا ادم فقال امض بنا الى على يحيى بن خالد فلعل الله ان ياتنا بفرج
من عنده فمضى معه فدخل على يحيى بن خالد وهو يبكي فقال له يحيى ما وراءك
فقص عليه القصة فقلق يحيى لامره واحضر مقعدا ثم دعا خازنه فقال كم
عندك من المال قال خمسمائة الف درهم فقال احضرني مفاتيحها فاحضره
اياها ثم وجه الى الفضل ولده وقال له انك كنت اعلمتني عن ان ابوك حال البقي
الف درهم وددت انك تشتري بها ضيعة وقد وجدت لك ضيعة يبقى ذكرها
وشكرها وحمدها ثم نهضنا فوجه الينا بالمال فوجه به ثم قال للرسول امض
الى جعفر فقل له ابعث الي فداك ابوك بالف الف درهم تحول لزمني فوجه بها اليه
فقال لصالح هذه ثمانية الاف الف ثم اطال في الاطراق لانه لم يكن بقي عنده
شيء ثم رفع راسه الى خادم له فقال له امض الى دنانير فقل لها وجهي الي بالعقد
الذي كان وهبه لك امير المومنين فجاء به فاذا عقد كعظم الذراع
فقال لصالح اشتريت هذا لي شيرين بمائة الف وعشرين الف دينار فوهبه لدنانير
وقد حسبناه بالفي الف درهم وهذا المال فانصرف وخل عن صاحبنا لا سبيل لك
عليه قال صالح فاخذت ذلك ورددت منصورا معي فلما صرنا بالباب
انشا يقول

فما بقيا علي تركتماني ... ولكن خفتما صرد النبال

ثم قال ما على الارض كلها رجل اكرم من رجل خرجنا من عنده ولا سمعت
بمثله فيمن مضى ولا يكون فيمن بقي ولا على وجه الارض رجل اخبث سريرة
ولا اردى طبعا من هذا النبطي اذ لم يشكر من احياه قال فسرنا الى الرشيد فقصصت
عليه قصة المال وطويت عنه ما قال منصور لاني خفت ان سمعه امر بقتله فقال
الرشيد اما قد علمت انه ان نجا لم ينج الا باهل هذا البيت وقال اقبض المال واردد
العقد الى دنانير لاني لم اكن اهب هبة فترجع الي قال صالح فلم تطب نفسا
بترك تعريفي يحيى ما قاله منصور فقلت لما رايته بعد ان اطنبت في شكره
ووصف ما كان لقد انعمت على غير شاكر قابل الكرام بالاثم قال وكيف
ذلك فاخبرته بما قال فجعل والله يطلب له المعاذير ويقول يا ابا علي ان المخوف القلب

ربما سبقه لسانه بما ليس في ضميره وقد كان الرجل في حال عظيمة فقلت والله
ما ادري من اي امريه اعجب امن اوله او من اخره ولكني اعلم ان الدهر لا يخلف مثلك
ابدا **ذكر عبيد الله بن منصور** قال كنت يوما في مجلس الفضل بن يحيى
فاتاه الحاجب فقال ان بالباب رجلا قد اكثر في طلب الاذن وزعم ان له يدا
يمت بها فقال ادخله فدخل رجل جميل الوجه رث الهيئة فاحسن السلام فاوما اليه بالجلوس
فجلس فلما علم انه انطلق وامكنه الكلام قال له ما حاجتك قال قد اعربت عنها
رثاثة حالي وضعف طاقتي قال اجل فما الذي تمت به قال ولادة تقرب من ولادتك
وجوار يقرب من جوارك واسمي مشتق من اسمك قال له الفضل اما الجوار فقد يمكن
ان يكون كما قلت وقد يوافق الاسم الاسم ولكن من اعلمك بالولادة قال اعلمتني
امي لانها لما وضعتني قيل لها انه قد ولد الليلة ليحيى بن خالد غلام وسمي
الفضل فسمتني الفضيل اعظاما لاسمك فتبسم وقال كم اتى عليك من السنين
قال خمس وثلاثون سنة قال صدقت هذا المقدار الذي اتى عن نفسي فما فعلت امك
قال توفيت رحمها الله قال فما منعك باللحوق بنا فيما مضى قال كانت في
عامية وحداثة تقعدني عن لقاء الملوك قال يا غلام اعطه لكل عام مضى
من سنيه الفا واعطه من كسوتنا ومراكبنا ما يصلح له فلم يخرج من عنده
الا وقد طاب به اخوانه وخاصة اهله **وذكر المدايني** عن الواقدي انه قال
ضقت ضيقة شديدة وهجم شهر رمضان وانا بغير نفقة فضقت ذرعا لذلك
فكتبت الى صديق لي علوي اسأله ان يقرضني الف درهم فبعث بها الي في
كيس مختوم فتركتها عندي فلما كان عشي ذلك اليوم وردت علي
رقعة صديق لي يسألني اسعافه في نفقة شهر رمضان بالف درهم فوجهت
بالكيس اليه بخاتمه فلما كان من الغد جاءني صديقي الذي اقترض مني والعلوي
الذي اقترضت منه فسالني العلوي عن خبر الدراهم فقلت صرفتها في مهم لي فاخرج
الكيس بختمه ثم ضحك وقال اعلم انه قرب هذا الشهر وما عندي الا هذه
الدراهم فلما كتبت الي وجهت بها اليك وكتبت الى صديقي هذا
استقرض منه الف درهم فوجه الي بالكيس فسالته عن القصة فحكى لي

وقد جئتني لتقتسمها والآن تنفقها فأتاك الله بالفرج **قال الواقدي** فقلت لهما
لست أدري أيكما أكرم قال فاقتسماها ودخل شهر رمضان فأنفقت أكثر مما حصل
عندي فبت أفكر في أمري فلما كان من الغد إذ بعث إلي يحيى بن خالد في سحر لي
فسرت إليه فقال يا واقدي رأيت البارحة في النوم وأنت على حال دلتني أنك في أمر شديد
وحينئذ فاشرح لي أمرك فشرحته إلى أن بلغت إلى حديث العلوي وصديقي والألف
درهم فقال ما أدري أيكم أكرم وأمر لي بثلاثين ألف درهم ولهما بعشرين ألف درهم
وقلدني القضاء **قال إبراهيم** الموصلي لما دخل الرشيد البصرة حاجا
كنت معه فقال لي جعفر بن يحيى قد وصفت لي جارية مغنية حسناء تباع وذكر
أن مولاها ممتنع من عرضها إلا في داره وقد عزمت على أن أركب مختفيا فأعترضها
فتساعدني قلت السمع والطاعة فلما كان نصف النهار حضر النخاس فأعلم
بحضوره فخرج جعفر بعمامة وطيلسان ونعل عربية فلبست مثل ذلك وركبنا
دارين فدواس جا بنا وج التجار وركب النخاس معنا وتخللنا الدروب فلم نعرف حتى
أتينا دارا ذات باب شاهق يدل على نعمة قديمة فقرع النخاس الباب وإذا شاب
حسن الوجه عليه قميص غليظ خشن ففتح لنا الباب وقال انزلوا يا سادات فدخلنا
وإذا بدهليز شعث ودار نوراء خراب منقضة وإذا في الدهليز بيت كالعامر فأخرج
لنا منه الرجل قطعة من حصير كبير خلق ففرشها لنا فجلسنا عليها فقال له
النخاس أحضر الجارية فقد حضر المشتري فدخل البيت فإذا بجارية قد خرجت
في القميص الغليظ الذي كان على الفتى بعينه وهي فيه مع خشونته كأنها في الحلي
والحلل بحسن وجهها وفي يدها عود فأمرها جعفر بالغناء فحسنت وضربت ضربا
حسنا وأنا معجب ثم تغني

أن يمس حبلك بعد طول تواصل ::: خلقا ويصبح بيتكم مهجورا
فلقد أراك والجديد إلى بلا ::: دهرا بوصلك راضيا مسرورا
جذلا بمالك عندكم لا أبتغي ::: يوما بوصلك خلة وعشيرا
كنت المنى وأعز من وطئ الثرى ::: عندي وكنت بذاك منك جديرا

قال ثم غلبها البكاء حتى منعها من الغناء وسمعنا من البيت نحيب الفتى

وقامت

وقامت الجارية تغني في قميصها حتى دخلت البيت فارتفعت لهما ضجة بالبكاء والشهيق
ثم خفتا حتى ظننا أنهما قد ماتا وهممنا بالانصراف وإذا الفتى قد خرج وعليه ذلك
القميص بعينه فقال أيها القوم أعذروني فيما أقوله وأفعله فقال جعفر قل فقال أشهد الله
وأشهدكم أن هذه الجارية حرة لوجه الله العظيم وأسألكم أن تجعلوها تزوجني
فنظر جعفر أسفا على الجارية ثم خاطبها فقال لها أتختارين أن أزوجك من مولاك فقالت
نعم فقرر الفراق ثم خطب وزوجها ثم أقبل على الفتى فقال له يا هذا ما حملك على
ما فعلته فقال حديث يطول إن تنشطت لسماعه حدثتك به فقال لا أقل أن نسمعه
فلعلنا نتسلى عن ذلك فقال نعم أنا فلان ابن فلان وكان أبي من وجوه أهل هذا البلد ومياسره
وهذا كان فيه بذلك وأومأ إلى النخاس وإنه أسلمني إلى الكتاب وكانت أمي صبية وسنها
في سني وهي جاريتي هذه فكانت معي في الكتاب تعلم ما أعلم وتذهب معنا
فبلغت ثم عطلت عن المكتب ثم علمت الغنا فكنت تحبني فيها أتعلمه معها
وتعلق قلبي منها حب شديد فخطبني وجوه أهل البصرة لبناتهم فخبرني أبي فلم أظهر
له الزهد في الزواج ونشأت موفرا على الأدب متقلبا في نعمة أبي غير متعرض لما
يتعرض إليه الأحداث لتعلق قلبي بالصبية ورغبة أهل البلد تزداد في وكنت هم
أرغبني لصلاحي وما كان ذلك إلا لتعلق قلبي بالجارية وأن شهوتي لا تعداها إلى أحد
وبلغت وحذقت في الغناء ما قد سمعتموه وعزمت أمي على بيعها وهي لا تعلم ما في
نفسي منها وأحسست بالموت وأظهرت إلى صدقة أمي عن الصورة فحدثت أبي فاجتمع
رأيهما على أن وهبت لي الجارية وجهزاها كما يجهز أهل البيوتات لنسائهم وجليت
علي وعمل لي العرس الحسن فنعمت معها دهرا ثم مات أبي فلم أحسن أن أربي نعمته
وأسأت تدبيرها وأسرفت في الأكل والشرب والقمار وأنا مع ذلك أخسر في اليوم
الواحد خمسين دينارا وأكثر تجاوزها في جماع أو حب إلى أن تلفت النعمة وأفلت
الحال فالتفت المال إلى ما ترون فأنا على هذا منذ سنين فلما كان في هذا الوقت وبلغني دخول
الخليفة ووزيره وأكابر أهل مملكته قلت لها يا أختي إن شبابك يبلى وعمرك يفنى
في الشقاء والله ما في نفسي شيء فإني أعلم أنها تابعة متى فارقتك ولكني أوثر تلفها
مع وصولك إلى نعمة ورفاهية فدعتني أجيئ ضحى فلعلك أن يشتريك بعض هؤلاء

الاكابر فتخلص معه في غرور وغر من العيش فارمت بعدك فتلك امنيتي ويكون
كل واحد منا قد تخلص من الشقا وان حكم الله تعالى علي بالبقاء صبرت لقضائه واضطربت
في معاشي فبكيت من ذلك وقلقت ثم قالت افعل فخرجت الى هذا النخاس واطلعته على امري
وقد كان يسمع غناها في ايام نعمتي ويعرف حالها وحالي وعلمته ابدا الا عندي
فانها والله ما تكشفت قط غير هذه الدار واردت بذلك ان يراها المشتري وخرق
ولا تمتهن بسوق ولا دخول الى بيوت الناس وانها لم يكن لها ما تلبسه الا قميص هذا
وهو مشترك بيننا البسه اذا خرجت لابتاع القوت وتتسحر هي بازارها فاذا جئت الى
البيت البستها اياه واتوشح انا بالازار فلما جئتم لعرضها خرجت فعتنكم فلحقني
من البكا والقلق لفراقها امر عظيم ودخلت الي وقالت يا هذا ما العجب ام كيف انت
مللتني فاثرت فراقي وتبكي هذا البكا فقلت يا هذه والله لفراق نفسي اسهل علي
من فراقك وانما اردت ان تتخلصي من هذا الشقاء فقالت والله يا مولاي لو ملكت ما ملكت
مني ما بعتك ابدا ولو مت جوعا فيكون الموت هو الذي فرق بيننا قلت كلا عليك
تريدين ان تعلمي صدق قولي قالت نعم قلت هل لك ان اخرج الساعة الى المشتري واعتقك
بين يديه واتزوجك ثم اصبر معك على ما نحن عليه الى ان ياتي الله بالفرج والصنع
الجميل من عنده او يموت عاجلا وراحة فقالت ان كنت صادقا فافعل هذا فما
اريد غيره فخرجت اليكم فكان مني ما قد علمتم فاعذروني فقال جعفر انت معذور
ونهض ونهضت والنخاس فلما قدمت حميرنا لنركب دنوت منه فقلت سبحان الله
مثلك في جودك يرى هذه المكرمة فلا تنتهز الفرصة فيها والله لقد تقطع
قلبي على الفتى والجارية فقال ويحك وقلبي والله ولكن غيظك من قول الجارية اياي
منعني من التكرم عليه فقلت واين الرغبة في الثواب قال صدقت والله ثم التفت
الى النخاس وقال كم كان هذا الخادم سلم اليك عند ركوبنا لثمنها قال ثلاثة الاف
دينار قال فاين هي قال مع غلامي فقال لي وللنخاس خذها وادفعها الى الفتى وقولا له يكتسي
ويركب ويجيئني لاحسن اليه واستخدمه فرجعت الى الفتى وانا ابكي فقلت له يا هذا
قد عجل الله عليك بالفرج ان الذي خرج من عندك لهو الوزير بن الامير جعفر بن يحيى
البرمكي وقدام لك بهذا وهو يقول لك كذا وكذا قال فصعق حتى قلت قد تلف

ثم

ثم افاق فاقبل يدعو لجعفر ويشكره فركبت فلحقت جعفرا فاخبرته فحمد الله عز
وجل على ما وفقه وعاد الى داره وانا معه فلما كان العشاء جئت الى الرشيد فاخذ يسائل
جعفرا عن خبره في يومه فيخبره بالامور السلطانية ثم فاوضه فيما سوى ذلك الى
ان قص عليه حديث الفتى والجارية فقال الرشيد فما علمت فاخبره فاستطاب رايه
وقال ارفع له برزق سلطاني في رسم ارباب النعم في كل شهر بكذا وكذا واعمل به بعد
ذلك ما شئت قال فلما كان من الغد جاء الفتى راكبا بثياب حسنة وهيئة جميلة
واذا هو من احلا الناس كلاما واتمهم ادبا فحملته معي الى جعفر واوصلته الى مجلسه
فامر بتسهيل وصوله اليه وخلطه بحاشيته ورفع له عن الخليفة بما كان رسمه له وعن
نفسه بشيء اخر وشاع حديثه بالحضرة وفي اهل العسكر فلم يبق فيها من اكابر الناس
واهل النعم احد الا اهدى له شيئا جليلا فما خرجنا من الحضرة الا وهو رب نعمة صالحة
ذكر ابو علي محمد بن الحسين بن جمهور العمي البصري الكاتب في كتاب
السمار والندامى فزعم ان الرشيد لما حج معه ابراهيم الموصلي وساق الخبر عن
فتى مما ذكره وان الجارية بدات فغنت بصوت من صنعة ابراهيم الموصلي
وهو هزل

نمت على زفرة طا عذلي ✿ وملني القايد والفايد
يا رب كم فرجت من كربة ✿ عني ففرج هذه الواحدة

وان الفتى حضر لتقليب الجارية الرشيد وجعفر بن يحيى متنكرين ومعهما ابراهيم
الموصلي والنخاس وانهم اشتروا وقطعوا الثمن على مائة الف درهم ثم عادوا
والمال معهم وامروا باعادة التقليب ثم ذكر الحديث عن قريب مما تقدم وغنت
بصوت الغنا فيه لابراهيم الموصلي وهو هزل

ومن عادة الايام ان صروفها ✿ اذا ساء منها جانب ساء جانب
وما عجب للايام الا ذميمة ✿ ولا الدهر الا وهو بالثار طالب

فقيل انفذ هارون الرشيد الى مالك بن انس رضي الله عنه خمسماية دينار فبلغ
ذلك الليث بن سعد فانفذ اليه الف دينار فغضب الرشيد وقال اعطيته انا خمسماية
دينار واعطيته انت الفا وانت من رعيتي فقال يا امير المومنين ان لي في كل يوم من غلتي

الف دينار فاستحييت ان اعطي مثله اقل من مدخل يوم وقيل انه لم تجب عليه زكاة قط مع ان مدخله كل يوم الف دينار **ذكر خديم بن ابي يحيى** الصولي ان الرشيد دعاه يوما لياكل معه فلما توسط الاكل رفع راسه الى الرجل ليكلمه بالفارسية قال فقلت يا امير المومنين ان كنت تريد ان تسر اليه فلا افهم الفارسية فمرني ان اتخلى الى ان تنقضي بما تريد فاعجب الرشيد من كرم اخلاقه وصدقه وخاطب الرجل سرا بما اراد وامر لخديم بصلة سنية **قيل خرج** على الرشيد بعض الخوارج فانفذ اليه جيشا وظفر به فلما دخل عليه قال ما تريد ان اصنع بك قال الذي تريد ان يصنع الله بك اذا وقفت بين يديه فاطرق الرشيد مليا ثم رفع راسه وامر باطلاقه فلما خرج قال بعض من حضر يا امير المومنين يقتل رجالك ويفني اموالك وتطلقه بكلمة واحدة تامل هذا الامر فانه يجرئ اهل الشر فامر برده فلما تمثل بين يديه علم انه سعي به عنده فقال يا امير المومنين لا تطعهم في فلو اطاع الله عز وجل فيك ما استخلفك ساعة واحدة فامر باطلاقه وقال لا تعاود في شانك **وظهر يحيى** بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما بالديلم فقوي امره فشق ذلك على الرشيد واهتم به اهتماما شديدا فنهض اليه الفضل بن يحيى في خمسين الف وانهض معه وجوه القواد وولاه كور الجبل وذلك في سنة ست وسبعين ومائة وفيه يقول ابو نواس الحميري

را الله تفضيل بن يحيى بن خالد ... ففضله والله بالناس اعلم

في ابيات له فمضى الفضل نحو الديلم وارسل كتبه الى يحيى بن عبد الله بن حسن وارسل رسله بالرفق والبر والاستمالة والترغيب والترهيب وبسط الامل الى ان اجاب يحيى الى الصلح والخروج على الامان فاخذ له بخط الرشيد فكتب الفضل بذلك الى الرشيد فسر له ذلك وحسن موقعه منه وكتب الامان ليحيى واشهد على نفسه القضاة والعدول وانفذ الى الفضل فانفذه الفضل الى يحيى بن عبد الله فقدم على الفضل بن يحيى فقدم به الفضل الى الرشيد فلقيه كما احب واكثر بره وانزله منزلا شديدا واعطاه مالا جليلا وبر الفضل بن يحيى وشكر له فعله ففي ذلك يقول مروان بن ابي حفصة

ظفرت فلا شلت يدا برمكية ... رتقت بها الفتق الذي بين هاشم
على حين اعيى الراتقين التئامه ... فكفوا وقالوا ليس بالمتلائم
فاصبحت قد فازت يداك بخطة ... من المجد هزا ذكرها في المواسم
وما زال قدح المجد يخرج فايزا ... لكم كلما ضمت قداح المساهم

وقلد الرشيد جعفر بن يحيى الغرب كله من الانبار الى افريقية في سنة ست وسبعين ومائة وكان يميل الى جعفر اكثر من ميله الى الفضل وكان الفضل رضيعه وانما خص به جعفرا دون الفضل لسماحة اخلاق جعفر وشدة اخلاق الفضل **وكتب علي** بن عيسى بن ماهان الى الرشيد فسعى بيحيى بن خالد وبابنيه الفضل وجعفر وكانت تحته اختهما فرمى الرشيد الكتاب الى جعفر وقال له اجبه فكتب على ظهره حفظك الله يا اخي وحبب اليك الوفا فقد ابغضته وبغض اليك الغدر فقد احببته ان حسن الظن بالايام داعية الغير وما حيلة الاثر والله المستعان وعليه التكلان **وهجا الحميري** الشاعر الفضل بن يحيى ثم اتاه راغبا معتذرا اليه فقال له الفضل باي وجه تلقاني فقال بالوجه الذي القى به ربي وذنوبي اليه اكثر من ذنوبي اليك فضحك منه ورضي عليه ووصله **وحدث** سهل بن هارون الكاتب ان يحيى بن خالد قال دخلت على الرشيد يوما في بيت مملكته في موضع حرمته الذي لا يتجاوز اليه الا ذو رحم ولا واجب حق ووجيه منزلة عليه فظننت ان معه بعض اهله وكان لا يحجب عني شيئا من حرمه فلما رآني قال من تظن معي يا ابا جعفر قال يحيى فبكيت بكاء شديدا حتى امتلا ردائي فقال لي الرشيد ما الذي يبكيك ولقد ظننت اني اسرك بما رايت الا وقد استحكمتك فقلت يا امير المومنين ما يبكيني الا نعمة عظمت علينا لله فيك واني لا اتوقع زوالها فامر الرشيد جعفرا بالخروج الى ابيه ورفع الله قدر بني برمك عند الرشيد حتى جعل الوزارة فيهم والكتابة اليهم وخزائن الاموال بايديهم وضروب الارزاق والانفاق الى نظرهم وسد باب السعي عنهم والسعاية بهم فلم يطمع طامع في التقرب الى الارزاق بالطعن فيهم لانه اذا تناولهم احد عنده اعلمهم به واوجد لهم سبيل الانتصار منه لطيف محل كان او قريب رحم فكثر حسادهم

ونمت اعداؤهم وكثر لهم القالي من البغضة والعالي واسرعت سهام اهل الكرخ
في اعراض مجدهم وسنام سوددهم الذي جاوز وابه بعيد الغايات وارتقوا على فنن
النهايات وكان اول من فتح باب الطعن عليهم وصرح بمساويهم وقبح جميع
محاسنهم ومعاليهم ونبه على عوراتهم وابدا سيئاتهم عوضا من حسناتهم حتى
علقت اشجار غرسه في قلب الرشيد ونفسه رجل من العرب اسمه عنز وكان الفضل
بن الربيع قد ادخله على الرشيد وعرفه به فادناه الرشيد من نفسه وعظمت منزلته
عنده لانه كان عنده ادب ومعرفة باخبار الرشيد وكان اشد الناس عداوة لبني برمك
فما دخل على الرشيد من لا كرح فيهم ونبه على مساويهم حتى حصل ذلك في قلب
الرشيد على البرامكة تاثير الى منع امرهم الى التدمير **قال القاضي**
ابو يوسف كنت يوما عند الرشيد يتحدث معي في بني برمك حتى قيل له جعفر
اتى فقام اليه الرشيد وصافحه وقبل كتفه واجلسه معه في المرتبة ثم انحني في
قال القاضي فبقيت متعجبا فقال لي الرشيد وقد فهم عني والله ما قبلت منه الا موضع
سيفي **وقال ابن وضاح** حج الرشيد سنة ست وثمانين ومائة ومعه
محمد والمامون ابناؤه وام جعفر زبيدة ويحيى بن خالد وابنه جعفر فلما صار
بمكة جدد البيعة على الناس لابنيه وكتب الشرط بينهما **وقال** ابن
صبيح البيعة التي كتبها لهما فلما قرا ابن صبيح فاذا توفي هارون الرشيد فتولى
عهده محمد ولده وبعده المامون فكتب ام جعفر زبيدة حتى سمع بكاؤها
ووقع محمد والمامون بخطوطهما ابيهما في ذلك وشهد عليهما فيه **فلما**
فرغ من الشهادة امر الرشيد بتعليقها في الكعبة وانصرف فنزل الحيرة ثلاثة ايام
على عون الجوهري ومعه جعفر بن يحيى وكان يحيى بن خالد قد صار الى بغداد
في كتب الى كنيسة لبعض المنذر فقرا فيها جعفر اعليه كتابا لا يفهم فامر
باحضار التراجمة وقال في نفسه قد جعلت ما فيه فلا لما خافه من الرشيد
وارجوه منه قال فقرئ فاذا فيه هذه الابيات

ارى بني المنذر عام انفضوا ... وحيث شاد البيعة المواهب
اضحوا ولا يرجوهم راغب ... يوما ولا يرهبهم راهب

تبخ بالمسك دفاترهم ... والعنبر الورد لهم قاطب
فاصبحوا اكل الدود الثرى ... وانقطع المطلوب والطالب

قال فحزن لذلك جعفر حزنا شديدا وصارت الابيات هجيراه فكانت تجري على لسانه
في كل وقت فيقول جعفر ذهب والله امرنا ثم انصرف الرشيد الى الانبار فقدمها
في اخر المحرم سنة سبع وثمانين ومائة ونزل في المضارب فلما كان ليلة السبت مستهل
صفر بعث مسرورا الخادم وابا عصمة حماد بن سلمة فقال لهم احضروا جعفر
بن يحيى ماشيا من مضربه قال فتوقف مسرور فانتهره الرشيد فمضى القوم الى جعفر
فوجدوه جالسا متفضلا في قميص متشح برداء معلم وعنده بختيشوع المتطبب
وابو زكار الاعمى يغني هذه الابيات

فلا تبعد فكل فتى سياتي ... عليه الموت يطرق او يغادي
وكل ذخيرة لا بد يوما ... وان بقيت تصير الى نفاد
ولو فوديت من حدثان الليالي ... فديتك بالطريف وبالتلاد

فقال له مسرور قم فدعا بثيابه فدنى سالم الخادم فاخذ بيده وقال له قم فقال
لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فاتوا به ماشيا الى المضرب ثم دخلوا الى الرشيد
فقالوا قد احضرناه فقال فيدوه فاتوه فقالوا قيدناه فقالوا امضوا فاضربوا
عنقه فتوقفوا فانتهرهم فمضوا فلما قدموه ليضربوا عنقه جعل يناشدهم
ويذكرهم الحرمة ويستعطفهم ويبكي ويسالهم التوقف لعل امير
المومنين يدعو به فضربوا عنقه ثم دعاهم الرشيد فقال ما صنعتم قالوا ضربنا
عنقه قال اجيئوني بجثته فجاءوا بذلك وادخلوه في نطع وقد وضعوا
راسه على صدره وغطوه بذلك الرداء المورد المعلم فكشفوه حتى رآه ثم
قال غطوه ثم وجه الرشيد سلاما الابرش وصالح صاحب المصلى الى بغداد فقبضوا
على يحيى وولده واهله واحاطوا بمنازلهم وما فيها وبعث الرشيد بجثة جعفر
وراسه الى بغداد وكان لبغداد ثلاثة جسور فنصب راسه على جسر وقطع جسده
نصفين فنصب على كل جسر نصفا وكان من امر البرامكة ما سارت به الركبان
وعمرت من عجائبه البلدان واختلف الناس في سبب ايقاعه بهم فاما الظاهر فاحتيال

فقال

الاموال وكان قد اطلق رجل من ال ابي طالب كان في ايديهم فاطلقه جعفر واحسن
اليه وانما الباطن فلا يعلمه الا الله **وذكر** في قتل جعفر اشياء فوحش في بعضها
وذكر سعيد بن هريم قال قالت علية للرشيد بعد ايقاعه بالبرامكة
ما رايت يا سيدي يوم سرور تاما مذ قتلت جعفرا فلاي شيء قتلته فقال لها يا حياتي
لو علمت ان قميصي يعلم السبب الذي قتلت به جعفرا لاحرقته **وسيل سعيد**
بن مسلم عن جناية البرامكة وسبب غضب الرشيد عليهم فقال والله ما كانت
لهم جناية توجب ما عمل بهم الرشيد مع تاكد الايمان والاحوال بينه وبينهم
ولا كرايا منهم كانت وكل طويل مملول وود الرشيد مع ذلك انس النعمة بهم وكثرة
حمد الناس لهم ورميهم بامالهم اليهم والملوك تتبرم باكثر من هذا واقل فتعنت
عليهم وتجنا وطلب مساويهم ووقع منهم بعض الادلال والثقة خاصة من جعفر
والفضل لا من يحيى فانه كان احكم تجربة واكثر للامور ممارسة ولاذ بالرشيد
قوم من اعدائهم وتمكن الفضل بن الربيع منه وكان من اعداء الناس لهم فستر
المحاسن واظهر القبائح وسترها وزاد عليها فهذا كان سببهم **وتوفي**
ابو علي يحيى بن خالد في محبسه بالرقة بعد انصراف الرشيد من الري في المحرم سنة تسعين
ومائة وهو ابن اربع وستين سنة كان موته فجاءة من غير علة ودفن بالرقة وصلى
عليه ولده الفضل وبنا على قبره بناء عاليا ثم توفي الفضل من علة نالته من كربه
في شفته ولسانه الحمد لله على ما انالنا مما ابتلاه وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا
توفي يوم السبت لخمس خلون من المحرم سنة ثلاث وتسعين ومائة قبل وفاة الرشيد
بخمسة اشهر وسنه خمس واربعون سنة وصلى عليه اكثر الناس وحزن عليه البشر
واشتد الجزع عليه من سائر الناس ودفن الى جانب قبر ابيه وقد كان الرشيد ندم
على ما كان عجل به من نكبتهم وكان يقول بعد ايقاعه بالبرامكة حملونا
على نصائحنا واغرونا بكفاتنا وضمنوا لنا ان يقوموا مقامهم لنا حتى اذا صرنا
بهم الى ما ارادوا منا لم يغنوا غناهم ولا بلغ جهدهم عفوهم واني لاجد
في شعر الحطيئة صفتهم وصفة من حملنا عليهم ثم ينشد قول الحطيئة
حيث يقول

اقلوا عليهم لا ابا لابيكم ... من اللوم او سدوا المكان الذي سدوا
اولئك قوم ان بنوا احسنوا البنا ... وان عاهدوا اوفوا وان عقدوا شدوا

ولم يبق شاعر في ذلك الوقت الا رثاهم فمنهم من يواري لهم باحسان تقدم لهم
عليه ومنهم من جعله اعتبارا فمنهم مسلم بن الوليد الانصاري حيث يقول

ولما رايت السيف جلل جعفرا ... ونادى مناد للخليفة في يحيى
بكيت على الدنيا وايقنت انما ... قصارى الفتى يوما مفارقة الدنيا
اجعفر ان تهلك فرب عظيمة ... كشفت ونعما قد وطئت بها نعلا
فقل للذي ابدى الحسود وجعفر ... شماتته انشر لشانيهما الفتيلا
ليذبل غصن الملك في ال برمك ... فما دب حتى اثمر الغصن واستعلى
وما الدهر الا دولة بعد دولة ... تبدل ذا نعمى وتعقب ذا بلوى
على انها ليست تدوم لاهلها ... ولو انها دامت لكنتم بها اولى
بني برمك كنتم من المجد فله ... وكنتم له العينين في الهامة العليا
بني برمك كنتم نجوما مضية ... بها يهتدي في ظلمة الليل من سرى
بني برمك كنتم قواعد عزنا ... وكنتم يمين الجود فاختلف اليمنا
الا ايكم ابكي على الفضل في الندا ... ام الشيخ يحيى ام لمحبوسه موسى
ام الملك المصلوب من بعد ملكه ... ابكي بكاء المعولات من الثكلى
لكلكم ابكي بعين سخية ... وقلب قريح لا يموت ولا يحيى

وقال اشجع ابن عمر السلمي

امين الله هب فضل بن يحيى ... لنفسك ايها الملك الهمام
وكيف يطيب لي عيش وفضل ... اسير دونه بلد وشام
وجعفر قد ثوى بالجسر نحوا ... محاسنه الهواجر والقتام
امر به فيغلبني بكاء ... وان كان البكاء به اكتتام
اقول له وقمت حذاه نصبا ... الى ان كاد يفضحني المقام
اما والله لولا خوف واش ... وعين للخليفة لا تنام
لطفنا ركن جذعك واستلمنا ... كما للناس بالركن استلام

وما ابصرت قبلي يا ابن يحيى ❁ حساما فلّه السيف الحسام

وقال الحسن بن الضحاك يرثيهم ويخص الفضل

حتى اذا قابل الرمية	تعقبوا الرياح
جدت فيه مع الجود	عفاف وصلاح
ولقد قلت وما في	الصدر والبر جناح
لم يمت فضل بن يحيى	انما مات السماح
ييسر الراغب ان ينهض	الجود الجناح
واستراح الرجل والخيل	فرو الخبب الرفلاح
اي نجح يتنائل	وقد باد النجاح

وقصائد كثيرة يطول تتبعها **ولما كان** من امر البرامكة ما قد ذكر غلب الفضل بن الربيع على اكثر الامور واستوزره الرشيد وكان قبل ذلك حاجبه لم يعن له عن الحجابة وكان عظيم الباس شديد الكبر وكان مع تيهه قليل الافعال **ذكر** ان عامل الاهواز بعث اليه بسلال مسلولة فوضعت بين يديه فقال حلوها فحلوها فوجدوا فيها دنانير ودراهم فقال اعيروا شدادها وردوها اليه وامر كاتبه فكتب اليه جاءتنا هلال بعثت بها توهمنا ان فيها سكرا وفانيدا فوجدناك قد بعثت الينا بدنانير ودراهم فرددناها اليك لتبعث فيها السكر والفانيد ونردها اليك دنانير ودراهم وكان قد احب الادب وعني به في اخر ايام البرامكة لا ستجهالهم اياه وما كان جعفر يلقاه به وجد في طلب العلم بعد البرامكة حتى اشخص ابا عبيدة من البصرة اليه فاقام عنده مدة **وذكر جعفر** بن وهب قال بينما انا عند الفضل بن الربيع يوما اذ دخل عليه يحيى بن مقاتل فقال له قد كلمت امير المومنين وعرفته حالك في دينك ومذهبك فامر بتقليدك قضاء فارس وهذا عهدك به فقام محمد بن مقاتل فقبل يده فقال له الفضل اتقبل يدي على ان تكلمت فيك حتى رايت افضل من المسلمين لا يراني الله عز وجل ابوء بالثمن اردد العهد فرده اليه وخبر الرشيد خبره فشكر له فعله **وذكر ان ابا شبل** كان حبس ابا العتاهية ليقول

الغزل

الغزل فامتنع ابو العتاهية وامتنع الرشيد من اطلاقه فكتب اليه من الحبس

اما والله ان الظلم لوم	وما زال المسيء هو الظلوم
الى ديان يوم الدين نمضي	وعند الله تجتمع الخصوم
سل الايام عن امم تقضت	ستخبرك المعالم والرسوم
تنام ولم تنم عنك المنايا	تنبه للمنية يا نؤوم
تروم الخلد في دار المنايا	وكم من رام قبلك ما تروم
لهوت عن الفناء وانت تفنى	وما شيء من الدنيا يدوم

وهي قصيدة طويلة فلما وصلت الى الرشيد بكا بكاء شديدا وامر باطلاقه واحضاره فاحضر على احسن هياته وخلع عليه وامر له بمال واعفاه من كل ما كرهه من قول الغزل **وذكر عن المفضل** بن محمد الضبي اللغوي قال جاءني رسول الرشيد يوم خميس بكرة فقال لي اجب امير المومنين فدخلت عليه فوجدت ولده محمدا عن يمينه والمامون عن يساره والكسائي بين يديه باركا وهو يطارح محمدا والمامون معاني القران فسلمت فرد وقال لي اجلس فجلست فقال لي كم اسم في فسيكفيكهم الله قلت ثلاثة يا امير المومنين اولها اسم الله تعالى والثاني اسم النبي صلى الله عليه وسلم والثالث اسم الكفرة فالياء والكاف المتصلان بالسين لله عز وجل والياء والكاف المتصلان بالهاء للنبي صلى الله عليه وسلم والهاء والميم للكفرة قال صدقت كذا اخبرنا الشيخ واشار بيده الى الكسائي والتفت الى محمد فقال افهمت قال قد فهمت يا امير المومنين قال فاردد ذلك علي فرده قال احسنت ثم ضرب بطرفه الي فقال من يقول

نقلوها ما لم تنله سيوفنا ❁ فاسيافنا هام الملوك القماقم

قال فقلت مالك الفرزدق وبعده يا امير المومنين قال هذا القطر مدغم يستغنى فيه صوابه معناه على التقديم والتاخير وذلك انه قال نقلو باسيافنا هام الملوك القماقم ثم رجع فقال ها ما لم تنله سيوفنا على التشبيه والتعجب قال صدقت ثم قال ثبتت عندك المسالة قلت نعم يا امير المومنين ثم قال ايه وقال الفرزدق ايضا

عقف

اخذنا بآفاق السماء عليكم ... لنا قمراها والنجوم الطوالع

قال فقد افدنا هذا من هذا الشيخ علي بن حمزة يعني الكسائي قال القمران الشمس والقمر
كما قالوا في العمرين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما قلت أزيد في السؤال
يا أمير المؤمنين قال زد قلت فلم استخفوا هذا بعد ولم قالوا ذلك قال لأن من شأن العرب
إذا اجتمع شيئان من جنس واحد وكان أحدهما أشهر فيسمون الآخر باسمه ولما كان
القمر عند العرب أشهر وفي أوقات المشاهدة أكثر وتداركه ليلا ونهارا سموا الشمس
باسمه وكذلك لما كانت خلافة عمر رضي الله عنه أشهر في الإسلام وأكثر
في الفتوحات وطول المدة غلبوا اسمه على اسم أبي بكر رضي الله عنهما
ثم قلت قد بقي في هذا زيادة يا أمير المؤمنين قال لا أعرفها ثم التفت إلى الكسائي
فقال أتعرف في هذا أكثر مما سمعت قال يا أمير المؤمنين هذا الذي هو معروف من المعنى
عند العرب قال المفضل فأمسكت عنه قليلا كالمستعمل الفكرة ثم نظر إلي فقال
أعندك فيه زيادة قلت نعم يا أمير المؤمنين وهي فضيلة المعنى والغاية التي أجرى
عليها ولولا ذلك لما كان أولى بالشمس والقمر والنجوم من غيره لأنه لا يفتخر فيه بما حظ
غيره فيه كحظه وإنما الشمس هاهنا إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه على
نبينا وعليه السلام والقمر النبي صلى الله عليه وسلم والكواكب أنت يا أمير المؤمنين
وآباؤك من الخلفاء المهديين فتهلل سرورا ثم قال أعزز علي الرجل محسنا ثم رفع
رأسه فقال يا فضل قال لبيك يا أمير المؤمنين قال يحمل إلى منزله عشرة آلاف درهم
قال الأصمعي كنت عند الرشيد ودعي بعبد الملك بن صالح
وكان معتقلا بالحديد في حبسه فأقبل يرفل في قيوده فلما مثل بين يديه التفت إليه
الرشيد وقد كان يحدث يحيى بن خالد وهو يتمثل ببيت عمر بن معديكرب
الزبيري حيث يقول

أريد حباءه ويريد قتلي ... عذيرك من خليلك من مراد

ثم قال يا عبد الملك كأني والله أنظر إلى شؤبوبها قد همع وإلى عارضها قد لمع
وكأني بالوعيد قد أورى نارا فأبرق عن براجم بلا معاصم فمهلا مهلا بني هاشم
فبي والله سهل لكم الوعر وصفا لكم الكدر وألقت إليكم الأمور أثناء أزمتها فنزار

نزار لكم

نزار لكم من حلول داهية خبوط باليد والرجل فقال عبد الملك أفذا أتكلم يا أمير
المؤمنين أم توأما قال لا بل فذا قال فاتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولاك واحفظه في
رعاياك التي استرعاك ولا تجعل الكفر موضع الشكر والعقاب موضع الثواب فقد والله
سهلت لك الوعور وجمعت على خوفك ورجائك الصدور وشددت أواخي ملكك
بأوثق من ركني يلملم وكنت كما قال أخو بني جعفر بن كلاب يعني لبيد

ومقام ضيق فرجته ... ببناني ولساني وجدل
لو يقوم الفيل أو فياله ... لعنوا مثل مقامي وزحل

قال فأعاده إلى محبسه ثم أقبل على جلسائه فقال والله لقد نظرت إلى موضع
السيف من عنقه مرارا فيمنعني من قتله إبقائي على مثله قال فأراد يحيى بن خالد أن يضع
من عبد الملك ليرضي الرشيد فقال له يا عبد الملك بلغني أنك حقود
فقال عبد الملك أيها الوزير إن كان الحقد هو بقاء الخير والشر في النفس إنهما لباقيان
في قلبي فقال الرشيد بالله ما رأيت أحدا احتج للحقد أحسن مما احتج به عبد الملك
وكان الرشيد سجنه بسبب ما رفع إليه عبد الرحمن ابنه وكاتبه قمامة ابن زبير
وأنه يريد الخلاف عليه فقبض على أمواله كلها وكان عبد الملك قبل
ذلك مقدما عنده الى شيء على ما سواه فبقي مسجونا إلى أن مات الرشيد **وكانت**
خلافة هارون الرشيد ثلاثا وعشرين سنة وستة أشهر وقيل شهرين وثمانية عشر
يوما **وذكر محمد** ابن إسحاق الموصلي قال لما حضرت هارون الرشيد الوفاة
أخذه الفواق فقال وا غربتاه فقيل له يا أمير المؤمنين لست بغريب البلاد بلادك
والعباد عبادك فقال اسكتوا فإنه والله من فارق وطنه فإنه غريب
وأنشد يقول

إن الغريب ولو يكون خليفة ... يجبي الخراج فإن ذاك غريب
ولرب يوم للغريب وليلة ... يدعو فيأبى ما لديه قريب
فليبك نفسك يا غريب فإنما ... ضحك القريب فكاهة لعجيب

وكان هارون الرشيد عند موته يحضر أكفانه وينظر إليها ويقول
ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه **وروى عن الأصمعي**

إنه قال دخلت على هارون الرشيد فرأيته ينظر في كتاب ودموعه تسيل على خديه فوقفت حتى سكن وجاءت منه التفاتة فنظر إلي وقال اجلس ثم رمى بالقرطاس إلي فإذا فيه شعر لابن العتاهية وهو يقول

الموت مختلف جواهره ... ولقل ما تزكوا سرائره
ولقل من تصفو إرادته ... ويصح باطنه وظاهره
الناس في الدنيا ذوو ثقة ... والدهر مسرعة دوائره
والموت لو صح اليقين به ... لم ينتفع بالمشي ذاكره
لا خير في الدنيا لذي بصر ... عميت لما فيه نواظره
وسبيلها في الموت واحدة ... يستوي الأكابر والأصاغر
من كان عند الله مدخرا ... سيظهر الله غدا ذخائره
يا من يزيل الموت مهجته ... لا شك مالك لا تبادره
هل أنت معتبر بمن خربت ... منه الغداة معاهد سائره
وبمن أذل الدهر مصرعه ... فتبرأت منه عشائره
وبمن خلت منه أسرته ... وبمن خلت منه منابره
أين الملوك وأين غيرهم ... صاروا مصيرا أنت صائره
والمستعد لمن يفل خيره ... من الدنيا فإن الموت آخره

قال أبو الحسين بن الحسن المسعودي رحمه الله لما اشتدت علة هارون الرشيد وسار إلى طوس هو ونهاه عليه الأطباء وخفي أمرها فأرسل ماءه في قارورة مع جملة قوارير فعرضت على متطبب فارسي كان هناك فجعل ينظر فيها قارورة قارورة ويقول ما يقول حتى أتى على القارورة التي فيها ماء هارون فنظر إليها فقال عرفوا صاحب هذه القارورة أنه هالك بعد ثلاث ومروه أن يوصي فإنه لا برء له من علته هذه فأتى الغلام إلى هارون فقال له ما قال الحكيم فجمجم الغلام ولم يبين فعزم عليه فأخبره بما قال فبكى هارون بكاء شديدا وتمايل على فراشه وجعل يردد هذه الأبيات ويقول

إن الطبيب بطبه ودوائه ... لا يستطيع دفاع محذور أتى

ما للطبيب يموت بالداء الذي ... قد كان يبرئ مثله فيما مضى
ذهب المداوي والمداوى والذي ... جلب الدواء وباعه ومن اشترى

قال واشتد ضعفه عند ما سمع كلام هذا الطبيب وأرجف الناس بموته فلما بلغه ذلك دعا بحمار ليركبه فلما سار عليه سقط ولم يقدر أن يثبت على السرج فقال صدق المرجفون ثم دعا بأكفان فنشرت بين يديه فجعل يختار منها ما يصلح وجعل يقول ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه ثم أمر بقبر له فحفر وتوفي رحمه الله بطوس بقرية يقال لها سناباذ من بلاد خراسان يوم السبت لأربع خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة وهو ابن أربع وأربعين سنة وأربعة أشهر وستة عشر يوما

ذكر الأمين بن الرشيد

هو محمد بن هارون الرشيد يكنى أبا عبد الله وقيل أبا موسى وقيل أبا العباس ولقبه الأمين على دين الله أمه أمة الواحد وقيل أمة العزيز بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور ولقبها زبيدة لأن المنصور كان يرقصها وهي صغيرة وكانت سمينة فكان يقول لها أنت زبيدة فجرت عليها ويقال لها أم جعفر وأمها أم ولد يقال لها سلسبيل ولم يكن فيما سلف من الخلفاء قبله ولا فيمن أتى بعده إلى آخر من ذكر اسمه في هذا الكتاب من أبيه وأمه من بني هاشم إلا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومحمد بن زبيدة هذا وفي هذا يقول أبو الهول الحميري

ملك أبوه وأمه من نبعة ... منها سراج الأمة الوهاج
شربوا بمكة من ذرى بطحائها ... ماء النبوة ليس فيه مزاج

بويع له في اليوم الذي مات فيه أبوه الرشيد وهو ابن اثنين وعشرين سنة وتسعة أشهر وعشرين يوما بطوس **وكان** مولده سنة سبعين ومائة وقدم ببيعته رجاء الخادم فكان القائم ببيعته الفضل بن الربيع وكان أبيض سمينا جرامش واللون صغير العينين ربعة عظيم الكراديس أسود اللحية مدورها أشم الأنف أنزع بعيد ما بين المنكبين شديدا في بدنه وكان وزيره الفضل بن الربيع وإبراهيم بن المهدي عمه **وحاجبه العباس** بن الفضل بن الربيع

ثم علي بن صالح وقاضيه اسماعيل بن حماد بن ابي حنيفة ثم البختري وهب بن وهب
ثم محمد بن سماعة وصاحب شرطته محمد بن المسيب نقش خاتمه امنت بالله
وقيل نقشه لكل عمل ثواب وكان الغالب عليه اللعب والطرب واللهو والشرب وتغليب الهوى
على العقل والباطل على الحق وكان ضعيف الرأي لا يفتر من لعب ولا يصحو من شرب سفاكا
للدماء وكان مع ذلك جوادا كريما ظريفا ولاه ابوه الرشيد العهد وولى اخاه من
بعده وحج بهما وكتب بينهما شروطا وعلق الكتاب في الكعبة فلما جاء ابراهيم
الحاجب ليعلقه في البيت سقط من يده فتفاءل الناس بذلك وقالوا هذا الامر لا يدوم فكان
كذلك وقال رجل من هذيل عند ذلك فتنة قد سعرت بين انها فقيل له ويحك ما تقول
قال اقول ان السيوف ستسل وان الفتنة ستفتح والتنازع في الملك سيقع قيل وكيف ذلك
قال اما ترى البعير واقفا والرجال ينتازعان والغراب قد وقفا على الدم واشتغلا به
والله لا يكون اخر هذا الامر الا محاربة وشرا قال ابو اسحاق الموصلي
اجتمعت في الامين خصال لم تكن في غيره كان احسن الناس كلهم وجها
ولا اختلاف في ذلك وكان اسخاهم على دينار ودرهم واشرف الخلفاء ابا واما
وكان حسن الادب عالما بالشعر وكان يغني فيشرب ثم يقول يا اسحاق انشدني
من محاسن الشعر فانشده فيطرب ويشرب ثم يقول انا والله اطرب على جيد الشعر كما
اطرب على جيد الغناء ولا كرهان عليه القبيح فلج في بحر هواه وارتكب مغواه
وكان مع سخائه على المال بخيلا على الطعام جدا ولما تمت له البيعة امر للجند بارزاق
سنة وقامت الخطباء والشعراء تذكر الرشيد وايامه ومساعيه وتهنئ محمدا وتذكر
فضائله فقال ابو نواس

تعز امير المومنين تعز يا — على خير ميت غيبته المقابر
فان امير المومنين محمدا — لرأيك حاش للخطوب وصابر
زهت بامير المومنين محمد — اسرة ملك واستقرت منابر

ثم قال له هات يدك يا امير المومنين لاقبلها فانها احرى بالتقبيل لعلوها
في المكارم وظهورها في المآثم فمن اراد بك رؤيته سوء جعله الله طريد
خوفك وحصيد سيفك قال وارتحل صالح بن الرشيد والفضل بن الربيع وبكر

بن معتمر

بن المعتمر بالخزائن والاموال والسلاح والكراع ومن يضمه العسكر من القواد وغيرهم
من طوس الى بغداد وفرق محمد الامين فيمن كان اسقط الرشيد من الجند وكانوا
ثمانية الاف فامر بردهم الى الديوان واعطاهم رزق ستة اشهر وكتب الامين الى امه
زبيدة في القدوم عليه من الرقة فحملت اثقالها وحشمها في اربعمائة سفينة وانحدرت
في الفرات وعلى حشمها ثياب السواد وهن ينحن في طريقهن على الرشيد وكلما مررن بقصور
الرشيد ومصانعه وقبره عليهن فلما قربت من الانبار خرج الامين فتلقاها ودخلت بغداد
في شعبان فاقامت المناحة والماتم في دارها سبعة ايام وكان قد اجتمع عليها مصيبتان
موت اخيها عيسى بن جعفر وموت الرشيد بعلمها وتوفي عيسى بالسكرة وهو
يريد هارون الرشيد بخراسان سنة اثنين وتسعين ومائة ثم امر الامين باطلاق عبد الملك بن
صالح من السجن وكان الرشيد سجنه وقبض على جميع امواله فاطلقه ورد عليه
جميع امواله وشخص عبد الملك بن صالح من بغداد الى الرقة فلما وصل اليها تلقوه
الناس يهنونه ووافاه ولد صالح بن علي وغيرهم من اهل بيته فلما اقبل عليهم قال سوءة
لكم خلف من خير سلف ورثه اباؤكم من بني امية العز العزيز الرفيع والملك السرير
المنيع فهزا بالسيف بنت لكم اباؤكم حصنا منيعا رفيعا ثم حصنوه
وحاطوه وشادوه لانفسهم ولكم من بعدهم ومضوا الى رحمة الله وخلفوا لكم
فرشا ممهدة فضيعتموها وتركتم مذاهب اسلافكم واقبلتم على الاشربة
المروقة والملاهي الفاضحة المخزية وركوب السفلة فجعل يسمع من رداءة الفاظهم
وفساد كلامهم ما ساءه فقال متمثلا

سوء التادب ارداهم وارذلهم — وقد يشير صحيح المنسب الادب

قال واخذ ولده عبد الرحمن وجعله في قيد والبسه جبة صوف وصيره في مطبخة
يصب على راسه غسالات القدور والقصاع واخذ قهرمة بن زيد كاتبه فادخله حماما
وادخل معه عدة سنانير وسمر عليه الباب فامر بشده فمات فيه فوجد وهو عاض
على باب الحمام والسنانير متعلقة به قال وخلا الامين يوما للمنادمة مع
فتى الى بعض جواريه وهي قائمة تسقيه وفي يدها جام بلور فيه شراب احمر
فاعجبته فقال من بالباب من الشعراء فقيل له الحسن بن هانئ فامر بدخوله عليه كما هو

فدخل عليه فلما نظر اليه سلم فرد عليه السلام ثم قال له هل لك ان تصف هذه
قال نعم ثم انشد يصف هذه

حمراء صافية في جوف صافية ... بيضاء تسقى بها خود من الحور
حسناء تحمل حسناء وفي يدها ... صاف من الراح في صافي القوارير

قال احسنت يا حسن وامر له بالفي درهم ولم يزل حال الامير واخيه المامون صالحة واخوتهما مستحكمة والمامون ممتثل لاوامر الامير نحو حولين الى ان سعى الفضل بن الربيع وبكر بن المعتمر بالشر بينهما والاخذ في تباينهما والنجح في المداخلة والمقاطعة بينهما الى ان ابا من استجلاب امر المامون وشعرله ظهوره وما زالا يوغلان صدر الامير ويزينان له ان يكتب الى المامون في القدوم عليه وكان المامون بخراسان فكتب اليه كتابا نسخته اما بعد فان محلك من قلب امير المومنين المحل الذي لا يبلغه الولد ولا يرتقيه فانت نصب عين امير المومنين في كل وقت واكثر ما يجول اليه قلبه وتسمو اليه نفسه وقد اوحش امير المومنين بعدك عنه ونزوحك عن داره مع حاجته الى قربك ومعاضدتك اياه ومعاونتك على ما قلده الله وحمله وذلك للذي عرف الله امير المومنين من فضل رايك وحزم تدبيرك وكمال فهمك وعلمك وانت اولى من فاوضه امير المومنين وسكن اليه ووثق به فيما يورد ويصدر ويقدم ويوخر من الامور التي قلده الله القيام بها وانت احق من حمل عن امير المومنين واعانه وارشده واشار بالصواب عليه فلا يستوحش امير المومنين وعمل بمشورته وقد احب امير المومنين ان تونسه بقربك وتويده برايك وتسره برويتك وتقر عينه بزيارتك وامير المومنين يسالك تعجيل الشخوص اليه متوخيا بذلك مسرته ومواثرا قربه ومحتملا له مشقة اليه وان تستخلف بخراسان من تثق به من اعين ومن رايت من قوادك وتقدم كتابك الى امير المومنين بوقت شخوصك اليه ليخرج امير المومنين متلقيا لك ومعجلا السرور برويتك فاعمل بذلك تفديك نفس امير المومنين غير موخر له ولا متوقف عنه ولا صارف عزمك الى شيء غيره والسلام

قال فراجعه المامون اما بعد فقد وصل الى كتاب امير المومنين اعزه الله بما اعلمني من حاجته الى قربي لمعاضدته ومعاونته والمشورة عليه وايناسه وحمل الثقل عنه وقد اغنى الله امير المومنين بما جعل عنده من فضل الراي وحزم التدبير

وحسن

وحسن السياسة والمعرفة بما يورد ويصدر عن مؤيد يؤيده او مشير يشير عليه او ينبهه او معاون له على امر يعجزه او يقصر عنه نظره فتولى الله امير المومنين باحسن حياطته واجمل كفايته وكان ورود على كتاب امير المومنين وكور خراسان كلها على حال اضطراب وتفاقم للذي كان وقع من الليث او فعله في قلوبهم وزينه لهم فلم تبق ناحية الا وقد خاف اهلها عواقب تلك الهنات ودخلهم الرعب فهم مع المسالمة كالمستعين ومع اظهار الطاعة كالمخالفين وهي ثمة مقيم بسمرقند لتسكينهم وتالفهم واصلاحهم وتعطفهم ولقد اصلح البلد واستقامت الامور التي يخاف تفاقمها وارجو الحركة الى امير المومنين ان شاء الله وقد قلت الاموال بخراسان لاتصال الفتن فيها والاضطراب في جميع نواحيها واحتاج من بها من جندنا وشيعتنا الى ان يحمل اليهم ما كان الرشيد امر لهم به من المال فقد اوحشهم تخلفه عنهم وتاخر حمله اليهم حتى كاد ان تفسد طاعتهم لنا ومناصحتهم ايانا فرأى امير المومنين في تعجيل ذلك المال عليهم موفقا ان شاء الله تعالى **قال** فعلم الامير ان المامون لا يقدم عليه ولا يتهيا له ما يريده الا ان يوجه اليه بجيوش كثيرة تخرجه من خراسان اذ لا تمكنه الحيلة فيه فجرت بينهما مراسلات يطول تتبعها ومحاورات تخرج بنا عن المقصود تنوعها فكتب الامير الى جميع الافاق بخلع المامون من ولاية العهد اذ كان قد غدر ونكث وخالف ما اشترط عليه الرشيد من الوفاء والمناصحة والسمع والطاعة وسماه الناكث وبايع لابنه موسى الناطق بالحق **فلما بلغ** المامون ان الامير خلعه واسقط الدعاء له وسماه ناكث العهد وبايع لابنه موسى فعند ذلك تسمى المامون بامير المومنين واسقط اسم الامين من سكة الدنانير والدراهم وسماه ناقض العهد ووجه الامين العساكر اليه وكتب الى عصمة لما تلاحقت به الاجناد ان ينفذ الى خراسان فتوقف عصمة عن ذلك وابا ان يجاوز الحد الذي حده الرشيد في حياته فوجه اليه الامين من ضربه مائة سوط لتاخره عن النفوذ ووجه الى نوفل الخادم القيم القائم باموال المامون فاخذه وامر باحضار ما في يده من الاموال والجواهر والكسوة والمتاع وضرب الفضل بن الربيع بالسياط حتى اقر بكل ما كان في يده وقبضت ضياع المامون في كل البلاد وصيرت لموسى

بن الأمير وأقر نوفل الخادم أن جميع أموال المأمون وذخائره من الجوهر النفيس الذي كان الرشيد
دفعه إليه عند أم عيسى بنت موسى الهادي زوجة المأمون فسار الفضل بن الربيع إلى دارها
فهجم عليها فدخلت بيتا ومعها جواريها فأخرجها وتناولها بيده وحمل كلما كان
في دارها **وكتب الأمين** إلى أهل خراسان في خلع المأمون والبراءة منه والامتناع
من طاعته ولتركه ما أوجب الله عليه من الانتهاء إلى أمره ويذكر لهم ما نقم عليه من
استعماله الفضل بن سهل المجوسي واتخاذه إياه وزيرا وظهيرا ويحضهم على الاستمساك
بطاعته والوفاء ببيعته ويذكر أنهم أنصار الدولة وشيعة الحق وأولى من سارع إلى
طاعته والوفاء بعهده وأنه قد ولى خراسان الناصح الشهم المجرب علي بن عيسى
بن ماهان مع جميع كور الجبل ويأمرهم أن يتلقوه بالسمع والطاعة وحسن المسارعة
فخرج علي بن عيسى بن ماهان إلى خراسان من بغداد في جمادى الآخرة سنة خمس
وتسعين ومائة في ثلاثين ألف مرتزق وشيعه الأمير إلى النهروان ودفع إليه الأمير قيد فضة
يقيد به المأمون فسار حتى بلغ الجبل فكانت رؤساء كل ناحية وأثبت خلقا كثيرا
من صعاليك الجبل وأنجاد العرب والعجم وأعطى جنده أرزاق شهرين وحمل معه ما ينيف
ألف دينار وعشرة آلاف ألف درهم فلما انتهى ابن ماهان إلى همذان وجه ابنه يحيى
على مقدمته في خمسة آلاف فارس وخمسة آلاف راجل وكتب إلى أهل خراسان
يصف لهم حالهم وموضعه من الخليفة وأنه قد أنفذ ابنه يحيى إليهم على مقدمته
يحذرهم الخلاف والمعصية فلما انتهى الخبر إلى المأمون عظم الخطب عليه لحال ابن
ماهان وجلالته في قلوب أهل خراسان ولكثرة صنائعه والمائلين إليه منهم وكتب إلى الأمين
يذكر له ما له وعليه في نقض العهود بعد توكيدها وما أمر الله به عباده من الصدق
والانتهاء إلى ما ندبهم الله إليه من القيام بالحق ويحذره عواقب البغي وزوال النعم وحلول
النقم وأنه يستعين بالله عليه ويرجو من الله أن يؤول به الحال إلى ما فيه مكروه العاجل
وعقاب الآجل **وكتب** إلى ابن ماهان يحذره ويخوفه ويذكر له بيع دينه وآخرته
بدنيا قليلة بنائلها ويذكر له الاعتذار بالله في تشفيعه وتجريده لإحياء الباطل وإماطة
الحق ونكث العهود وأن الله سبحانه قد يمد نصر أوليائه والفئة القليلة من حزبه
وهزم بهم من هو أكثر جمعا وأشد قوة ثم قال المأمون من ينتدب للخروج إلى ابن ماهان

فاتفق

فاتفق رأيهم على طاهر بن الحسين البوشنجي فوجهه إليه وضموا إليه ستة آلاف من نخبة
رجالهم فنفذ إلى الري وأقبل ابن ماهان في الجيوش العظيمة لا يشك أن خراسان في يده
فلما بلغ همذان أنهض ابنه عبد الله ومعه أبو دلف العجلي ومحمد بن الشاه في جمع كثيف
وأنهض ابنه الحسين ومعه معاذ بن عبيد الله وأحمد بن فراس والحسن بن عاصم في جموع
وعدة فساروا إلى قزوين وكان قد أنهض ابنه يحيى في المقدمة إلى قرية تعرف بجسو
أباذ فأتت الأخبار عن طاهر بتوجيه ابن ماهان العساكر من كل ناحية فوجه
طاهر إلى الري إبراهيم بن مصعب لضبط المدينة وتثقيف أبوابها ووجه إلى كل
موضع يتوقع عليه لمن يحميه وزحف ابن ماهان حتى نزل رستاق بسيب على ميلين
من عسكر ابنه يحيى وأقبل طاهر فنزل دونه وعبأ كل واحد من الفريقين عسكره والزم
قواده ورجاله مراكزهم ثم زحف العسكر وحمل الفريقان فتحاربا محاربة شديدة
فبرز رجل يقال له داود بن سلشما وأعجب بنفسه فحمل عليه طاهر فطعنه فأذاله
عن فرسه ثم ركب مسرعا وتراموا بالنشاب وتضاربوا بالسيوف وبرز العباس بن الليث
مولى المهدي وكان فارسا بطلا فقصده طاهر وضم يديه معا على سيفه
فأتى عليه وصمد المصمغ وقد بدا رد سياه وكان من الأبطال وحمل على ابن
ماهان وطعنه فأرداه فصاح أهل العسكر قتل الأمير قتل ابن ماهان فانهزم الناس هزيمة
فاحشة وبادر طاهر إلى مضرب ابن ماهان فحووا على جميع الأموال والسلاح والكراع ونصب
رأسه على رمح ونادى منادي طاهر من أتانا من الناس داخلا في طاعة المأمون فله الأمان
وعندنا له التقديم والإحسان فأتاه خلق كثير فأمنهم وأثبتهم وكانت هذه
الهزيمة لتسع خلون من شعبان سنة خمس وتسعين ومائة **قال الفضل**
بن الربيع ولما ورد خبر علي بن عيسى بن ماهان ومقاتلته لطاهر بن الحسين وقتله وقتل
من معه من القواد وتسمية المأمون أمير المؤمنين قال دخلت إلى محمد الأمين فوجدته
جالسا على البركة ومعه كوثر الخادم ومع كل واحد منهما قصبة وهما
يصطادان السمك فلما رأيته قلت لا أقطع عليه لذته حتى يفرغ واتصل الأمر
وأنا على مثل الجمر حتى زالت الشمس وقلت للمؤذنين أذنوا فأذنوا فوالله ما تحرك ثم
أذنوا بالصلاة بعد حين فما تحرك فقمت فصليت وما أدري كيف أصلي ثم أذن المؤذنون

بالعصر ثم قلت اذنوا بالصلاة فسلموا واذنوا بالصلاة فما تحرك فلما صليت العصر ولم يتحرك دخلت إليه والكتب معي حتى وقفت بين يديه فنظر الي وقال كانك تريد ان تقول شيئا فقلت نعم يا امير المومنين اعظم الله اجرك في علي بن عيسى بن ماهان فان عدو الله طاهر بن الحسين لقيه بالري فقتله وهزم العسكر وحووا الاموال والسلاح والكراع فقال بالله الا تركتني فان ابا الحسن كوثر قد صاد كذا وكذا سمكة وما صدت الا واحدة فقلت انا لله وانا اليه راجعون وطلبت من يومئذ الهرب وعلمت ان الامر قد ادبر ولم يزل امر الامين ينعكس واحواله تسفل وكلما نفذ جيشا هزم وكلما امر اميرا صرع وكلت الجيوش الى ان هلك المدد وانفض الامر ونزل طاهر بن الحسين على بغداد يحصرها وهرب الفضل بن الربيع ولم يزل مستترا الى ان قتل محمد بن الامين

قال ابن ابراهيم بن المهدي وجه الي محمد الامين بعد محاصرة طاهر بن الحسين بغداد فسرت اليه وهو بقصر نوار مشرفا منه على دجلة ليلة اربعة عشر فسلمت عليه فرد علي وقال يا عم اما ترى طيب هذه الليلة وصفاء الجو فيها وحسن القمر في دجلة فقلت يا امير المومنين طيب الله عيشك واعز دولتك وكبت عدوك ثم انه بعث الى مغنية لما ادري من سوء خلقه فقال لي يا عم هل لك فيمن يضرب عليك عودا فقلت ما اكره ذلك فاحضر جارية تسمى ضعف فتطيرت من اسمها للحال التي كان عليها فقال لها غني فكان اول ما غنت الجارية شعر

كليب لعمري كان اكثر ناصرا ◆ وايسر جرما منك ضرج بالدم

فاشتد منه واقشعرت فقال لها ويحك غني غير ذا فاندفعت تغني

هم قتلوه كي يكونوا مكانه ◆ كما غدرت يوما بكسرى مرازبه
بني هاشم ردوا سلاح ابن اختكم ◆ ولا تنهبوه لا تحل مناهبه
بني هاشم هلا تردوا فاننا ◆ سواء علينا قاتلاه وسالبه
بني هاشم كيف الهوادة بيننا ◆ وعند فلان سيفه ونجائبه

فقال لها ويحك انما احضرتك لانس بك مع عمي فقد زدتني غما وهما فانتهي وغني ما يطرب فتنفست الصعدا واندفعت تغني

اما ورب السكون والحرك ◆ ان المنايا سريعة الدرك

ما اختلف

ما اختلف الليل والنهار ولا ◆ دارت نجوم السماء في الفلك
الا لنقل النعيم من ملك ◆ قد انقضى ملكه الى ملك
وملك ذي العرش دائم ابدا ◆ ليس بفان ولا بمشترك

فقال لها يا ميشومة اما تحسنين غير هذا فقالت يا سيدي والله ما اطلب سوى من تحب ولاكن لساني ما جرى عليه غير هذا فقال لها ويحك انتبهي وغني غير هذا ما يطرب بنا فاندفعت تغني

لبكي فراقهم عيني وارقها ◆ ان التفرق للاحباب بكاء
ما زال يعدو عليهم ريب دهرهم ◆ حتى تفانوا وريب الدهر عداء

فقال لها يا ميشومة اما يكفيك من هذا انتبهي وغني فاندفعت تغني

هذا مقام مسهد ◆ هدمت منازله ودوره

قال فرماها بعود كان بين يديه فوقع على قدح بلور كان الامين معجبا به وكان يسميه باسم الامير لاستحسانه اياه فانكسر القدح ونهضت الجارية فقال لي يا عم قمت والله الايام وانقضت المدة واذا هاتف يهتف من وراء دجلة قضي الامر الذي فيه تستفتيان فقال اسمعت يا عم قلت يا سيدي ما سمعت شيئا ثم قمت فجلست في بعض الحجر فعاد صوت الهاتف مرارا قضي الامر الذي فيه تستفتيان قال ابراهيم فما خرجت والله الجمعة حتى قتل محمد الامين

وحكى جلس خادم ام جعفر انه لما احيط بولدها محمد الامين دخلت عليه باكية فقال لها مه انه ليس بجزع النساء عقدت التيجان والخلافة سياسة لا يسعها صدور المراضع وراءك وراءك

النساء

وقال ابن واضح سمعت الحسين بن ابي سعيد يقول كنت احجب المامون بخراسان فلما حمل طاهر بن الحسين راس محمد الامين وحمل اليه ابنيه موسى وعبد الله حشر الناس لليوم الذي جيء فيه بالراس فدخل علي بغل في صندوق عليه قبة فلما جلس المامون دعا بالصندوق وامرني ففتحته فاخرجت منه ثوبا مختوما بخاتم طاهر فاذا فيه سلة خيزران ففتحتها فاذا فيه منديل مصري عليه مسك كثير مختوم ففتح المنديل فاذا فيه سلة فضة عليها سلسلة ففتحتها فاذا فيه قطن كثير من وسط القطن فاذا وجه محمد قد بدا كانه البدر لم يتغير فلما لحظه المامون لم يملك

نفسه أن يبكي وارتفع صوته بالنحيب فقال له الفضل بن سهل والله يا أمير المؤمنين لو ظفر
بك محمد لفعل بك مثل هذا فاحمد الله إذ ظفرك به ولم يظفره بك وقد علم
الناس أن الرأس قدم به رسول طاهر فلينصب لهم ساعة حتى يروه فقام المأمون
من مجلسه وأمر الفضل بن سهل أن ينصب الرأس على رمح فوضع على رمح وأخرج للناس
فجعل الناس يسبونه ويلعنونه بالمكر وله ويقولون الحمد لله الذي قتل المخلوع وفعل به وفعل
حتى أتى شيخ من الخراسانية فقال بأعلى صوته لعن الله المخلوع ولعن والديه وما ولد
فسمعه المأمون فقال إنا لله وإنا إليه راجعون ثم أمر بالرأس فأنزل ورد في الوعاء الذي
كان فيها وأدخل الخزانة وذكر أن الفضل بن سهل قال ما فعل بنا طاهر سل علينا
سيوف الناس وألسنتهم أمرناه أن يبعث به أسيرا فبعث به عقيرا وكانت
خلافة الأمين أربع سنين وستة أشهر وقيل سبعة أشهر وثمانية عشر يوما وقيل ثمانية
أشهر وستة أيام وكانت أيامه في الحصار مع خلعه إلى مقتله سنة واحدة وستة أشهر
وثلاثة عشر يوما منها يوما حبس فيها وقتل ببغداد ليلة الأحد لخمس بقين
من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة وقيل لسبع خلون من صفر وقتل وهو ابن سبع
وعشرين سنة وستة أشهر وثمانية عشر يوما ودفنت جثته ببغداد ورأسه بخراسان
رحم الله الكاتب والقارئ والمستمع ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

ذكر المأمون بن الرشيد

هو عبد الله بن هارون الرشيد يكنى أبا جعفر وقيل أبا العباس ولقبه المأمون على دين
الله أمه رومية وقيل تركية تسمى مراجل ولدته ببغداد في قصر الخلد في الليلة
التي استخلف فيها الرشيد في النصف من شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة ولم يلبث بعد
مولده إلا مدة يسيرة وتوفيت أمه وعاتبها الرشيد يوما ثم ندم فبعث إليها فأبت
من المجيء إليه فعاود البعث إليها فأبت فأقلقه الشوق وقام من منزلها فأرد ملها برواية عليه
وأنشد

تبدي صدودا وتخفي تحته ملة ❁ فالنفس راضية والطرف غضبان
يا من وضعت لها خدي فذللها ❁ وليس يوفى سوى الرحمن سلطان

بويع له ببغداد صبيحة الليلة التي قتل فيها أخوه الأمين وهو ابن سبع وعشرين
سنة وعشرة أشهر وسبعة أيام وقيل وتسعة عشر يوما وقيل بويع على رأس المائتين
وقيل لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة وكان أبيض تعلوه صفرة
كوسجا أعين طويل اللحية طويل القد ضيق الجبين بخده خال أسود صغير الوجه مدوره
وكان ساقاه أصفرين دون سائر جسده كأنما طليا بالزعفران نحيف الجسم كامل
الفضل جوادا عظيم العفو يضرب في كل علم بحظ وافر حتى في العلوم الرياضية
والهمة العلية حتى ألف الزيجات وأحكم أخذ الطوالع بآلة سكرلابات والتزم
الصلاة بالناس في المسجد الجامع الأعظم وخطب بنفسه وانتصب كل يوم للحكومة
بين الناس يدخل عليه الصغير والكبير والمرأة والصبي والحر والعبد فيحكم بينهم
بالعدل ذكر قحطبة بن حميد قال كنت واقفا على رأس المأمون يوما
وقد قعد للمظالم فأطال الجلوس حتى زالت الشمس فإذا امرأة قد أقبلت تعثر
في ذيلها حتى وقفت على طرف البساط فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة
الله وبركاته فنظر المأمون إلى يحيى بن أكثم فأقبل يحيى عليها فقال تكلم
فقالت يا أمير المؤمنين حيل بيني وبين ضيعتي وليس لي ناصر إلا الله تبارك وتعالى
فقال لها يحيى بن أكثم إن الوقت قد فات ولكن عودي يوم الخميس قال فرجعت
فلما كان يوم الخميس جلس المأمون فقال أول ما تدعى المرأة المظلومة قال
فدعي بها فقيل لها أين خصمك قالت واقف على رأسك يا أمير المؤمنين قد
حيل بيني وبينه وأومأت إلى العباس ابنه فقال لأحمد بن أبي خالد خذ بيده فأقعده معها
ففعل فتناظرا ساعة حتى علا صوتها عليه فقال أحمد بن أبي خالد أيتها المرأة
إنك تناظرين الأمير أعزه الله بحضرة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه فاخفضي صوتك
فقال المأمون دعها يا أحمد فإن الحق أنطقها والباطل أبكمه فلم يزل يتناظران حتى
حكم لها المأمون عليه وأمر برد ضيعتها عليها وأمر ابن أبي خالد أن يدفع لها
عشرة آلاف درهم خطية وكان المأمون مع هذه الخصال
المحمودة والأفعال السديدة نهاية في الشجاعة والفروسية والشهامة والفصاحة
والعلم وكان كما قال فيه بلال بن جرير مادحا له من قصيدة يقول فيها

اضحى امام الهدى المامون مشتغلا ... بالدين والعلم والدنيا له تبع

وكان وزيره الفضل بن سهل الملقب بذي الرياستين ثم اخوه الحسن بن سهل ثم احمد بن خالد الاحول وهو الذي قرا بين يديه كتابا فيه البريدي فصحفه الثريدي فامر المامون ان يطعم وقال ابو العباس جائع فغدوه ثم عاد من وقته الى القراءة فقرا فلان الحمصي فقال المامون الحمصي ما كان في طعام بني العباس حلوا فاطعموه الحلوا فاطعم ثم عاد من وقته الى القراءة فقرا فما اسقط شيئا وعمرو بن مسعدة وابو عباد هؤلاء وزراؤه وقيل انه لم يستوزر من بعد الفضل احدا وانما كان هؤلاء كتابا وصاحب حرسه وشرطته عبد الله بن طاهر وحاجبه شبيب بن حميد بن قحطبة ثم شبيب الحروري وعبد الحميد بن شبيب ثم محمد وعلي ابنا صالح مولى المنصور ثم اسماعيل بن محمد بن صالح ثم رجاء بن الضحاك ورشد مولاه وقاضيه محمد بن عمر الواقدي ثم محمد بن عبد الرحمن المخزومي ثم يحيى بن اكثم **نقش خاتمه** الملك لله وقيل الموت حق وقيل الله ثقة عبد الله وبه يؤمن وعلى كاتبه سل الله يعطيك واول خطبة خطبها ببغداد بعد قتل اخيه الامين سقطت العصا من يده فتطير الناس وفهم عنهم فقال للناس ان الامر كما تزعمون انما هو كما قيل والقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر **ولما** استوثق له الملك قال هذا جسيم لولا انه عديم وهذا ملك لولا ان بعده هلك وهذا سرور لولا ان بعده غرور وهذا يوم لو كان يوثق بما بعده وكان يقول سادة الناس في الدنيا الاسخياء وفي الاخرة الانبياء وان الرزق الواسع لمن لا يستمتع به بمنزلة طعام موضوع على قبر وان البخل لو كان طريقا ما سلكته او قميصا ما لبسته **وكان يقول** انا والله التذ بالعفو حتى اخاف الا اوجر عليه ولو علم الناس مقدار محبتي للعفو لتقربوا الي بالذنوب **وكان يقول** اذا رفع الطعام من بين يديه الحمد لله الذي جعل ارزاقنا اكثر من اقواتنا ومن كلامه ولله في خلقه ابتلاءان ابتلا بنعمة كلف صاحبها الشكر على مسرورها وان ابتلا بمصيبة كلف صاحبها الصبر على مكرهها قال الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون **ومن كلامه** ان الله تعالى حبب الدنيا الى الخلق فتنازعهم اليها اهواؤهم وتنقلب اليها شهواتهم عزيزة

م كتبة

من كتبة وجبلة مفطورة كالاسماع والابصار يعانون على وجودها في طبعهم ولاكن يومرون بمجاهدة انفسهم **وقال ايضا** الدين توام السلطان واحد عماد به لا يقوم هزا الا بهزا ولا يصلح هزا الا بهزا ومن كلامه ايضا المنفعة توجب المحبة والمضرة توجب البغضة والموافقة توجب المرافقة والمضادة توجب العداوة واتباع الهوى يوجب الالفة وخلافه يوجب الفرقة والصدق يوجب الثقة والكذب يوجب التهمة والامانة توجب الطمانينة والخيانة توجب المنافرة والعدل يوجب الاجتماع والجور يوجب الافتراق وحسن الخلق يوجب المودة والكبر يوجب المقت والجود يوجب الحمد والبخل يوجب الذم والتواضع يوجب المحبة والتواني يوجب التضييع والجد يوجب الرجا والهوينا توجب الحسرة والتعزز يوجب فساد المملكة واهمال الرعية يوجب الاختلاف والاختلاف يوجب التباغض والتباغض مقدمات الفتن وسبب البوار ولكل شي من هذه اركان وتفصيل وانما تصح نتائجها اذا قيمت على حدودها وعدلت على اقدارها والحزم كله ان يجتنب عدو الشيطان عن الحزم فيتمثل لك التواني في صورة التوكل فيسلبك الحزم ويورثك الهوينا باحالتك على الاقدار فان الله تبارك وتعالى انما امر بالتوكل عند انقطاع الحيل والرضا بالقضا بعد الاعذار فقال تعالى خذوا حذركم ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واعدوا لهم ما استطعتم من قوة **ومن كلامه ايضا** لا بد للامام من ثلاث خصال الصدق والحلم ورحب الذرع ولا بد للوزير من ثلاث خصال من البصر بالسياسة ونبل الراي والعلم باوايل الامور ولا بد لصاحب الحرس من ثلاث التيقظ والبصر بمواضع الخلل ومرب اهل العيلة واذا وليت الوزير وزارتك فقد اطلعته على اسرارك وايتمنته على وثايق تدبيرك واعطيته عن ازمة مملكتك فليكن عندك بين حالين بعنوان قلبه ويتصلان في نفسه من التحفظ والثقة والتحرز والاستسلام وليكن تفقدك به اغلب الامرين عليك في امره غير انك لا تخله من رقيب نظرك غير موجب تهمة ولا مدخل وحشة وفوض الامر لله واعتمد الاصلاح عليه ومده بثلاث التواضع فانه يزرع المحبة ولين الجانب فان معه الامن من التسلط والغلظة وطلاقة الوجه فانه باب البشارة ومسكنة الناس الى طلب الحاجة واحسن الاختيار الذي توليه اخبارك فانه طليعتك ورايدك

على موارد العدل والتكلف بتاديته ما استحفظته من ودايع التبليغ وهو على مدرجة
مستغلات المسلمين بامانهم ولا تغتر الا عن خيانة ولا تقلد الا لكفاية وان اخذت المال
من وجهه فوضعته في غير مستحقه اضغنت القلوب وتولدت الندامة واعلم
انه قل رجل طاب من الحال ما لم يكن قبله ليبلغه الى طلب الراحة من الخدمة الى عز
الاختدام فلتكن عطاياك بقدر لا سخفا وعند الوجوب ومتى فقد الاوقات في فعل
الخرج وعند الاعطاء فان الاسراف والتقصير لقاحان نتاجهما الفتنة وانما سمي
العدل عدلا لاعتدال الطبايع عليه وكان يقول انما بعد فان العراق ديون
مقضية صاحبها منتهز في بلية فلا تلزم فتنقلب عن غب رايك مليها الا مالكي وبرت
ولا عن ضحى وقيت وكان يقول قليل السفه يمحو كثير العلم وادنى الانتصار يخرج من
فضل الاعتبار وعلى طالب المعروف المعذرة عند الامتناع والشكر عند الاصطناع
وعلى المطلوب اليه تعجيل الوعود والاسعاف بالموجود ولما دخل العتابي
على المامون قال له المامون خبرت بوفاتك فغمتني ثم جاءتني وفادتك فسرتني
فقال له العتابي لو قسمت هذه الكلمة على اهل الارض لوسعتهم وذلك انه
لا دين الا بك ولا دنيا الا معك قال سلني قال يداك بالعطية اطلق من لساني ودخل
بعض الفقهاء على المامون بالرقة وهو مع الرشيد فبينما هو يحدثه اذ قال له اسمع مني
ايها الامير فقال المامون هذا كلامي خذوا بيده فاخذوا بيده حتى بلغ الرشيد فتمثل
بهذا البيت

وهل ينبت الخطي الا وشيجه ... وتغرس الا في منابتها النخل

ودخل على المامون بعض الخوارج فقال له المامون ما حملك على الخلاف
قال كتاب الله حيث يقول ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون
قال وما دليلك على انها منزلة فينا قال الاجتماع قال له المامون كما رضيت
بالاجتماع في التنزيل فارض به في التاويل فقال السلام عليك يا امير المومنين
ورحمة الله وبركاته ودخل عليه الرشيد يوما وهو ينظر في كتاب
فقال له ما هذا يا بني قال هذا كتاب يشحذ الفكر له ويونس العشرة فقال الرشيد
الحمد لله الذي رزقني ذرية يرى بعين عقله اكثر مما يرى بعين جسمه وقال

المامون

المامون لاحد او لاذل وقد سمع منه لحنا ما على احدكم ان يتعلم العربية فيقيم بها
اوده ويزيد بها مشهده ويفل بها حجج خصمه بمسكتات حكمه ويملك مجلس
سلطانه بظاهر بيانه ايسر احدكم ان يكون لسانه كلسان عبده او امته فلا يزال
الدهر اسير كلمته وذكر عبد الرحمن بن عمر الفهري عن رجال سماهم
قال امر المامون ان يحمل اليه من اهل البصرة عشرة رجال سماهم كانوا رموا بالزندقة
عنده فحملوا فبينما احد الطفيليين من اخر راهم مجتمعين يمضى بهم الى الساحل للمسير
الى بغداد فقال ما اجتمع هولاء الا لوليمة فانسل معهم ودخل في جملتهم ومضى
بهم المتوكلون الى البحر فاطلعوهم في زورق فقال الطفيلي لا شك انها
نزهة فصعد معهم فعلم انه قد وقع في ورطة ورام الخلاص فلم يقدر
ثم رفع الرحال وساروا الى ان وصلوا بغداد وحملوا حتى دخلوا على المامون فامر
بضرب رقابهم فاستدعوا باسمائهم رجلا رجلا فكل من دعي سأله وامر بضرب
عنقه حتى لم يبق الا الطفيلي وفرغت العدة قال المامون للموكلين
بهم ما هذا قالوا والله ما ندري يا امير المومنين غير انا وجدناه مع القوم فجئنا به
فقال المامون ما قصتك ويلك فقال يا امير المومنين امراته طالق ان كان يعرف من اقوالهم
شيئا ولا نعرف غير لا اله الا الله محمد رسول الله وانما رايتهم مجتمعين فظننت
انهم يدعون الى وليمة او دعوة فالتحقت بهم فضحك المامون ثم قال بلغ من
شوم التطفيل ان حل صاحبه هذا المحل قد سلم هذا الجاهل من الموت ولكن يودب
بالسياط حتى يتوب قال وابراهيم بن المهدي حاضر يومئذ فقال يا امير المومنين
هبه لي وانا احدثك بحديث عن نفسي عجيب قال قد وهبته لك هات حديثك قال
يا امير المومنين خرجت يوما متنكرا اطوف في سكك بغداد واستهواني التفرج وانتهى
بي المشي الى موضع شممت منه روايح طعام وابازير قد فاحت وتاقت نفسي اليها
ووقفت يا امير المومنين لا اقدر على المضي فرفعت بصري فاذا شباك ومن خلفه كف
ومعصم ما رايت احسن منه فبقيت حائرا ونسيت روايح الطعام بذلك الكف والمعصم
واخذت في استعمال الحيلة في الوصول اليه فنظرت واذا خياط في قريب من ذلك الموضع
فتقدمت اليه وسلمت عليه فرد علي السلام فقلت يا سيدي لمن هذه الدار فقال

قف على حكاية ابراهيم بن المهدي

لرجل من البزازين قلت ما اسمه قال فلان بن فلان قلت اهو ممن يشرب الخمر قال نعم واحسب
ان اليوم عنده وليمة او دعوة وليس ينادم الا تجارا مثله فبينما نحن في الكلام اذ اقبل رجلان
نبيلان راكبان فقال هولاء ندماؤه فقلت ما اسماؤهم قال فلان وفلان فحركت دابتي فلحقتهما
وقلت جعلت فداكما قد استبطاكما ابو فلان اعزه الله وسايرتهما حتى اتينا الباب
فدخلت ودخلا فلما راني صاحب المنزل معهما لم يشك اني معهما فرحب بي واجلسني في
افضل المواضع ثم جيء بالمائدة ونقل اليها الالوان فكان طعمهما يا امير المومنين
الذ واطيب من ريحهما فقلت في نفسي هذه الالوان قد من الله علي ببلوغ الغرض منها وبقي
الكف والمعصم ثم جيء بالوضوء فغسلنا ثم نقلنا الى مجلس المنادمة فاذا هو شكل
مجلس والظرف في سائر اموره وجعل صاحب المنزل يلطف بي ويقبل علي في الحديث لظنه
اني ضيف لاضيافه وهم على مثل ذلك يظنون ان اكرامه لي عن معرفة متقدمة وصداقة
حتى شربنا اقداحا فخرجت علينا جارية كانها غصن بان في غاية الظرف وحسن
الهيئة فسلمت غير خجلة وثنيت لها وسادة فجلست عليها واوتي بعود فاخذته
وجسته احسن جس واذا هو حاذقة فاندفعت تغني شعر

توهمها طرفي فاصبح خدها ... وفيه مكان الوهم من نظري اثر
ومر بفكري شخصها فجرحته ... ولم ار شخصا قط يجرحه الفكر
وصافحها قلبي فالم كفها ... فمن لمس قلبي في اناملها عقر

فهيجت والله يا امير المومنين بلابلي وطربت لحسن شعرها وحذقها ومعرفتها
بالغنا ثم اندفعت وغنت

اشرت اليها هل عرفت مودتي ... فردت بطرف العين اني على العهد
فحدت عن الاظهار عمدا لسرها ... وحادت على الاظهار ايضا على عمد

قال فصحت السلاح وجاءني من الطرب ما لا املك معه نفسي وطرب القوم
ايضا طربا شديدا ثم غنت

يقولون اخف الهوى لا تبح به ... وكيف وطرفي بالهوى يتكلم
اظلم طرفي ليس طرفي بظالم ... ولكن من يهوى يجور ويظلم
شكوت اليها قصتي فتبسمت ... فلم ار شمسا قبلها تتبسم

فقلت

فقلت لها جودي فابدت تجهما ... لتقتلني يا حسنها اذ تجهم
وما انا من حبي لها بمعرك ... ولكنني اخشى الوشاة فاكتم
اليس عجيبا ان بيتا يضمنا ... واياك لا نخلو ولا نتكلم
سوى اعين تبدي سرائر انفس ... وتقطيع انفاس على النار تضرم
اشارات افواه وغمز حواجب ... وتكسير اجفان وكف يسلم

ثم حسدتها والله يا امير المومنين على حذقها ومعرفتها بالغنا واصابتها
معنى الشعر وانها لم تخرج من الفن الذي ابتدات به فقلت قد بقي عليك يا جارية
شيء فرمت العود وقالت متى كنتم تحضرون مجالسكم البغضاء فندمت
على ما كان مني ورايت القوم قد تنكروا لي فقلت في نفسي فاتني جميع ما املته
ان لم اتلاف قصتي فقلت اثم عود قالوا نعم فاوتيت بعود مليح الصنعة فاصلحت
ما اردت فيه ثم اندفعت وغنيت

ما للمنازل لا تجبن حزينا ... اصممن ام قدم المدى فبلينا
ان الذين غدوا بلبك غادروا ... وشلا بعينك ما يزال معينا
غيضن من عبراتهن وقلن لي ... ماذا لقيت من الهوى ولقينا
راحوا العشية روحة مذكورة ... ان متن متن او حيين حيينا

قال فما استتممته يا امير المومنين حتى وثبت الجارية على رجلي تقبلها وتقول
معذرة اليك يا سيدي والله ما علمت مكانك ولا سمعت بهذه الصنعة من احد
ثم زاد القوم في اكرامي وتبجيلي وطربوا غاية الطرب وشربوا بالطاسات فلما
رايت طربهم اندفعت وغنيت

ابالله لا تمسين لا تذكرينني ... وقد سجمت عيناي من ذكرك الدما
الى الله اشكو بخلها وسماحتي ... لها عسل مني وتبذل علقما
فردي مصاب القلب انت قتلته ... ولا تتركيه ذاهل العقل مغرما
الى الله اشكو انها اجنبية ... واني لها بالود ما زلت مكرما

قال فرايت من طرب القوم شيئا حسبت انهم قد فارقوا عقولهم فامسكت حتى
راجعوا احلامهم وهدات نفوسهم ثم اندفعت وغنيت

هذا محب مطوي على كمده / صب مدامعه تجري على جسده
له يد تسأل الرحمن راحته / مما به ويد اخرى على كبده
يا من راى كلفا مستهترا دنفا / كانت منيته في عينه ويده

قال فجعلت الجارية تصيح هذا والله هو الغناء لا ما نحن فيه وشرب القوم
وسكروا وبقي في مسكة فامر غلمانه بحفظ اصحابه وايصالهم الى مواضعهم
فانصرفوا وخلوت معه وشربنا اقداحا ثم قال يا سيدي ذهب ما مضى من عمري
هدرا ان لم اكن اعرف مثلك ولا احاضر بيتنا يشبهك فبالله يا مولاي من انت لاعرف
نديمي فاخذت اوري عليه وهو يقسم علي ان اعلمه من انا على الحقيقة فوثب قائما
على قدميه وقال لقد عجبت ان يكون هذا الفضل الا لمثلك ولقد اسدى الي الزمان بما لا اقوم
بشكرها ومتى طمعت ان تزورني الخلافة في منزلي وتنادمني ليلتي جمعاء ما هذا
الا في المنام فلما تممت ليلتي الا انا فيما بين يديك اذ كنت احق من اول جالس الخلافة
فاقسمت عليه ان اجلس فجلس ثم اخذ يسألني عن السبب في حضوري عنده لي
بالكف معني فاخبرته يا امير المومنين بالقصة من اولها الى آخرها وما سترت منها
شيئا ثم قلت اما الطعام فقد نلت منه بغيتي فقال والكف والمعصم ان شاء الله
تعالى ثم قال يا فلانة قولي لفلانة جارية عنده تنزل ثم جعل يستدعي واحدة
واحدة يعرضها علي وانا لا ارى حاجتي الى ان قال والله ما بقي غير امي واختي
ووالله لتنزلنهما فعجبت من كرمه وسعة صدره فقلت جعلت فداك ابدا بالاخت
فاني احتشم ان انظر الى كف والدتك قال حبا وكرامة ثم نزلت اخته فاراني يدها
فاذا هي التي رايتها فقلت حسبك هذه الجارية فامر غلمانه لوقته بان يستدعوا عشرة
مشايخ سماهم لهم ثم قام فاستخرج بدرتين بعشرين الف درهم وحضر المشايخ
فقال لهم هذا سيدي ابراهيم بن المهدي يخطب الى اختي فلانة واشهدكم اني قد زوجتها
له وامهرتها عنه عشرة آلاف درهم فقلت قد رضيت وقبلت النكاح قال نعم
فشهدوا علينا ثم دفع البدرة الواحدة الى اخته والاخرى فرقها على المشايخ ثم
قال انصرفوا فهو ما حضر على هذا الحال فشكروا وودعونا وانصرفوا ثم قال يا سيدي
امهد لك بعض البيوت فتنام مع اهلك فاحتشمني مع ما رايت من كرمه ونعمت

ان اخلو

ان اخلو بها في منزله فقلت بل احضر عمارية واحملها الى منزلي فقال كيف شئت فاحضرت
عمارية وحملتها فوحقك يا امير المومنين لقد حمل الي من الجهاز ما ضاقت عنه بيوتنا
على سعتها فاولدتها هذا الغلام القائم بين يديك فعجب المامون من كرم هذا الرجل
وقال لله دره والله ما سمعت قط بمثلها فعلة ثم اطلق الطفيلي واجازه وامر ابراهيم
باحضار الرجل ليشاهده فاحضر بين يديه فاستنطقه فاعجب به وصار من جملة خواصه
ومحاضريه **قال الواقدي** كان ابراهيم بن المهدي قد ادعى الخلافة لنفسه
بالري واقام مالكها سنة واحدى عشر اشهرا واثني عشر يوما وله اخبار كثيرة
احسنها عندي ما حكاه لي قال لما دخل المامون الري وطلبني اشد طلب وجعل
لمن اتاه بي مائة الف درهم خفت على نفسي وتحيرت في امري فخرجت من داري في وقت
الظهر وكان يوما صائفا وما ادري اين اتوجه فمررت على وجهي حتى وقعت في زقاق
غير نافذ فقلت انا لله وانا اليه راجعون ان عدت الى اثر من اتاني فرايت في صدر الزقاق
عبدا اسود قائما على باب دار فتقدمت اليه وقلت له اعندك موضع اقيم فيه
ساعة من نهار فقال نعم وفتح الباب فدخلت الى بيت عظيم نظيف فيه حصير
ومخدة من جلود الا انها نظيفة ثم اغلق الباب علي ومضى فتوهمت انه قد
سمع الجعالة في وانه خرج ليدل علي فبقيت على مثل النار قلقا فبينما انا كذلك
اذ اقبل ومعه حمال عليه كل ما يحتاج اليه من خبز ولحم وقدر جديدة وآلتها
وجرة جديدة وكيزان جدد فحط عن الحمال ثم التفت الي وقال جعلني الله
فداك انا رجل حجام وانا اعلم انك تتقزز مني لما اتولاه من معيشتي فشانك بما لم
يقع عليه يدي وكانت بي حاجة الى الطعام فطبخت لنفسي قدرا ما اذكر اني ما اكلت
مثلها قط فلما قضيت اربي من الطعام قال هل لك في شراب فانه يسلي الهم
ويطيب الفم ويجيد النفس عن الغم فقلت ما اكره ذلك رغبة في انسه فاتاني
بقمع من جديد لم يمسه يد وجاءني بدن من شراب مطينة وقال لي روق لنفسك
فروقت شرابا نهاية في الجودة واحضر قدحا جديدا وفاكهة وانقالا
مختلفة في ظروف فخار جدد ثم قال بعد ذلك اتاذن لي ان اقعد حذاك يا سيدي
جعلت فداك واني بنبيذي فاشرب منه سرورا بك فقلت له افعل فشرب وشربت ثلاثا

ثم دخل الى خزانة له فاخرج عودا مصلحا ثم قال لي يا سيدي ليس من قدرك ان اسالك ان تغني ولاكن قد وجبت علي مروءتك حرمتي فان رايت ان تشرف عبدك بان تغني لنفسك فافعل فقلت له من اين لك اني احسن الغنا فقال يا سبحان الله انت اشهر من ذلك الست خليفتنا بالامس الذي جعل المامون لمن دله عليك واتاه بك مائة الف درهم فلما قال ذلك عظمت همته ومروءته عندي وعلمت ان نخوته اجل مما بذل له في فتناولت العود وغنيت وقدم بخاطري اهلي وولدي فقلت

وعسى الذي اهدى ليوسف اهله ∴ واعزه في السجن وهو اسير
واثاب يونس اذ دعاه نجى عل ∴ ذا النور بعد عوا الله وهو ضرير
ان يستجيب لنا فيجمع شملنا ∴ والله رب العالمين قدير

فقال غني يا سيدي ∴

ان الذي عقد الذ انعقدت له ∴ عقد المكاره سوف يفرج حلها
فاصبر لعل الله يكشف ما ترى ∴ فلعلها ان تنجلي ولعلها

قال فغنيته ولم اكن احسن لحنه لكنني لحنته في الوقت وتفاءلت به وحسن عندي ايراده فشرب وشربت فقال غني يا سيدي

فلا تجزع وان اعسرت يوما ∴ فقد ايسرت في الزمن الطويل
ولا تياس فان الياس كفر ∴ لعل الله يغني عن قليل
ولا تظنن بربك غير خير ∴ فان الله اولى بالجميل

قال وكنت احب به فغنيته وشرب فقال الله علي نذر ان نسيني بقربك وما كنت احسب ان الزمان يسمح بكونك في منزلي فان رايت ان تغني فافعل فقلت ما اغني فقال ∴

واذا تنازعني نقول لها اصبري ∴ موت يريحك او علو المنبر
ما قد مضى يا نفس فاصبري له ∴ ولك الامان من الذي لم يقدر

قال فغنيته وحسن في نفسي اقتضاؤه وانست به واستظرفته ثم قال يا سيدي اتاذن لي ان اغني ما سمح وان كنت من غير اهل هذه الصناعة فقلت هذه زيادة في ادبك ومروءتك فاخذ العود وتغنى

شكونا

شكونا الى احبابنا طول ليلنا ∴ فقالوا لنا ما اقصر اليوم عندنا
وذاك لان النوم يغشى عيونهم ∴ سريعا ولا يغشى لنا النوم اعينا
اذا ما دنا النوم المضر بذي الهوا ∴ محنا وهم يستبشرون اذا دنا
فلو انهم كانوا يلاقون مثل ما ∴ نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا

فوالله لقد احسست البيت سارني وذهب كل ما كان بي من الهلع وسالته ان يغني فغنا

تعيرنا انا قليل عديدنا ∴ فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا انا قليل وجارنا ∴ عزيز وجار الاكثرين ذليل
وانا لقوم ما نرى القتل سبة ∴ اذا ما راته عامر وسلول
يقرب حب الموت اجالنا لنا ∴ وتكرهه اجالهم فتطول
وما مات منا ميت حتف انفه ∴ ولا طل منا حيث كان قتيل

قال فتداخلني من الطرب ما لا مزيد عليه الى ان غلبني السكر واياه فلم استفق الا بعد المغرب فعاودني فكري في نباهة هذا الحجام وكيف اقتضى من الغنا ما اراد ان يسالني به وعلمت ما فيه اشارة تخصه فقمت وغسلت وجهي بالماء وايقظته واخذت خريطة كانت صحبتي فيها دنانير لها قيمة كثيرة فرميت بها اليه وقلت استودعك الله فاني ماض من عندك واسالك ان تصرف هذه الخريطة في بعض مهماتك ولك عندي المزيد ان امنت من خوفي فاعادها الي منكرا وقال يا سيدي ان الصعلوك لا قدر له عندكم من ذوي الرياسات وتظن فيه الظنون الردية اخذ على ما وهبنيه الزمان من قربك وحلولك عندي ثمنا فالحجة عليه فاومى الى موسى له وقال والله لئن راجعتني في ذلك لاذبحن نفسي فخشيت عليه واعدت الخريطة الى كمي وقد اثقلني حملها فلما انتهيت الى باب داره معولا على المضي من عنده قال لي يا سيدي ان هذا الموضع اخفى لك من غيره وليس في مؤنتك ثقل فاقم عندي الى ان يفرج الله عنك فرجعت وسالته ان ينفق من تلك الخريطة وكان في كل يوم يفعل مثل ما فعله في يوم حلولي به فاقمت عنده اياما في اطيب عيش فتذممت من الاقامة في مؤنته واحتشمت من التثقيل عليه فتركته وقد مضى يجدد لنا حالا فقمت وقد تزينت بزي النساء

بالخف والنقاب وخرجت فلما صرت في الطريق داخلني من الخوف أمر شديد وجئت
لأعبر الجسر فإذا أنا بموضع زلق قد رش بالماء فبصر بي جندي ممن كان يخدمني فعرفني
فقال هذه حاجة المأمون وتعلق بي فمن حلاوة الروح دفعته هو وفرسه فرميتهما
في ذلك الزلق فصار عبرة وتبادر الناس إليه فاجتهدت في المشي حتى قطعت الجسر
ودخلت زقاقا فوجدت باب دار وامرأة في دهليزها فقلت يا سيدة النساء احقني دمي
فإني رجل خائف فقالت على الرحب وأطلعتني إلى غرفة وفرشت لي وقدمت لي طعاما
وقالت ليهدأ روعك فما يعلم مخلوق بك عندي ولو أقمت سنة فبينما هي معي
في ذلك وإذا بالباب يدق دقا عنيفا فخرجت وفتحت الباب فإذا بصاحبي الذي دفعته
على الجسر مشدود الرأس ودمه يجري على ثيابه وليس معه فرس فقالت له يا هذا ما دهاك
فقال لها إن حديثي لعجيب ظفرت بالغنا وانفلت مني قالت وكيف ذلك قال إبراهيم
بن المهدي لقيته وعلقته فدفعني وألقى بي في الجسر فأصابني ما ترى فانفلت مني ولو كنت
حملته إلى المأمون لعجل لي مائة ألف درهم فأخرجت له حراما وعملته في جرحه
وعصبته وفرشت له في القاعة ونام عليلا وطلعت لي وقالت لي أظنك صاحب
القصة قلت نعم قالت لا بأس عليك ثم جددت لي الكرامة وأقمت عندها
ثلاثة أيام ثم قالت لي إني خائفة عليك من هذا الرجل ليلا يطلع على أمرك فينم بك
فانج بنفسك فسألتها أن تمهلني إلى الليل ففعلت فلما دخل الليل لبست زي النساء وخرجت
من عندها فأتيت إلى بيت مولاة كانت لنا فلما رأتني بكت وتوجعت وحمدت
الله على سلامتي وخرجت كأنها تريد السوق للاهتمام في الضيافة وظننت خيرا
فما شعرت إلا بإبراهيم الموصلي بخيله ورجله وحشمه والمولاة معه حتى سلمتني
إليه فرأيت الموت عيانا وحملت بزيي إلى المأمون فجلس مجلسا عاما وأدخلني إليه
فلما مثلت بين يديه سلمت عليه بالخلافة فقال لي لا سلم الله عليك ولا حياك ولا رعاك
فقلت على رسلك يا أمير المؤمنين إن ولي الثأر محكم في القصاص والعفو أقرب للتقوى
ومن تناوله الاغترار بما مد له من أسباب الرجاء أمن عادية الدهر وقد جعلك الله
فوق كل عفو كما جعل كل ذنب دون عفوك فإن تأخذ فبحقك وإن تعف
فبفضلك ثم أنشدت

ذنبي

ذنبي إليك عظيم ⁂ وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أو لا ⁂ واصفح بحلمك عنه
إن لم أكن في فعالي ⁂ من الكرام فكنه

فرفع رأسه إلي وقال فبدرت وقلت له

أتيت ذنبا عظيما ⁂ وأنت للعفو أهل
فإن عفوت فمن ⁂ وإن أخذت فعدل

فرق لي المأمون واستروحت روائح الرحمة في شمائله ثم أقبل على أخيه أبي إسحاق
المعتصم وابنه العباس وجميع من حضر من خاصته فقال ما ترون في أمره فكل أشار
بقتله إلا أنهم اختلفوا في القتلة كيف تكون فقال المأمون لأحمد بن أبي خالد ما تقول
يا أحمد فقال يا أمير المؤمنين إن قتلته وجدت مثلك قتل مثله وإن عفوت عنه
لم تجد مثلك عفا عن مثله فنكس المأمون رأسه وجعل ينكت بإصبعه في الأرض
وقال متمثلا بقول الشاعر

قومي هم قتلوا أميم أخي ⁂ فإذا رميت يصيبني سهمي
فلئن عفوت لأعفون جللا ⁂ ولئن سطوت لأوهنن عظمي

فكشفت المقنعة عن رأسي وكبرت تكبيرة عظيمة وقلت والله لقد عفا عني
أمير المؤمنين فقال المأمون لا بأس عليك يا عمي فقلت ذنبي يا أمير المؤمنين أعظم
من أن أنطق معه بشكر ولكني أقول

إن الذي خلق المكارم حازها ⁂ في صلب آدم للإمام السابع
ملئت قلوب الناس منه مهابة ⁂ وتظل تكلؤهم بقلب خاشع
فعفوت عمن لم يكن أهلا له ⁂ عفوا ولم يشفع إليك بشافع
ورحمت أطفالا كأفراخ القطا ⁂ وحنين والدة بقلب جازع
رد الحياء علي بعد ذهابه ⁂ كرم الملوك القادر المتواضع

فقال المأمون قد عفوت عنك ورددت عليك مالك وضياعك فقلت رددت مالي
ولم تبخل علي به ● وقد ردك مالي قد حقنت دمي ● وقام علمك بي فاحتج
عندك لي ● مقام شاهد عدل غير متهم ● فبت عندك وقد خولتني نعما

فما الخسار من موت ومن عدم ۞ فلو بذلت دمي أبغي رضاك به ۞ والمال حتى
أسل النعل من قدم ۞ ما كان ذاك سوى عارية رجعت ۞ إليك لو لم تعرها
كنت لم تلم ۞ فإن جحدت يدي ما أوليت من نعم ۞ إني إلى اللوم أولى منك بالكرم ۞
فقال المأمون إن من الكلام كلاما كالدر وهذا منه وأمر لي بمال وخلع وقال يا إبراهيم
إن أبا إسحاق والعباس أشاروا بقتلك فقلت إنهما لك نصحا يا أمير المؤمنين ولكن أبيت
إلا ما أنت أهله ودفعت بما رجوت فقال المأمون قد مات حقدي بحياة عذرك وعفوت
عنك وأعظم عفوي عنك مرارات امتنان الشافعين ثم سجد المأمون طويلا
ثم رفع رأسه وقال يا إبراهيم أتدري لم سجدت فقلت شكرا لله الذي أظفرك بعدوك
فقال ما أردت هذا ولكن شكرا لله على ما ألهمني من العفو عنك فحدثنا الآن حديثك
فشرحت له صورة أمري وما جرى لي مع الحجام والجندي وامرأته والمولاة التي أسلمتني فأمر
المأمون بإحضارها وهي في دارها تنتظر الجائزة فقال لها ما حملك على ما فعلت مع
إنعام إبراهيم وأهله عليك قالت رغبة في المال قال لها هل لك ولد أو زوج قالت لا
فأمر أن يضرب بها مائتي سوط وخلدها السجن ثم أحضر الجندي وامرأته والمزين فأحضروا
وسأل الجندي عن السبب الذي حمله على ما صنع فقال له الرغبة في المال فقال له المأمون
أنت أولى أن تكون حجاما من أن تكون من أوليائنا ووكل به من أن يلزمه الجلوس في دكان
الحجام ليتعلم الحجامة واستخدم زوجته وقال هذه امرأة عاقلة أديبة تصلح للمهمات
ثم قال للحجام لقد ظهرت من مروءتك ما يجب معه المحافظة عليك وسلم إليه
دار الجندي ودابته وخلع عليه وأثبته من رزقه وزيادة ألف دينار في كل سنة ولم يزل فيه
إلى أن مات **أخبار أحمد بن يحيى** المكي قال كان إسحاق الموصلي
يكثر مدح البرامكة ويكثر في الثناء عليهم فحضر ذات يوم مجلس الفضل
بن الربيع وأجرى ذكر البرامكة وكان ذلك يغيظ الفضل ويبلغ منه كل مبلغ
فقال بعض من حضره إسحاق أما تنفك عن ذكر هؤلاء القوم وتقلع عن ذلك ولكن في الثناء
على الوزير ما تبلغ به أعلى المراتب وتحل من نفسه أرفع محل فأمسك الفضل عن الكلام
إعجابا بما خوطب به إسحاق فقال إسحاق أما البرامكة وحبي لهم وملازمتي فيهم
وثنائي عليهم فأشهر من أن يجحد وذلك والله أقل ما يستحقونه مني ثم أقبل على الفضل

وقد غاظه مدحه لهم فقال نعم اسمع مني شيئا مما فعلوه فليس هو من صنائعهم
عندي ولا عند أبي قبلي فإن وجدت لي في ذلك عذرا وإلا فلم كنت في ابتداء أمري نازلا
في دار أبي معه وكان لا يزال يجري بين غلماني وغلمانه وجواري وجواريه الخصومة كما
تجري بين هؤلاء الطبقات فيشكوهم إليه فلا يتبين الشكر والضجر في وجهه فلما نسا
جرت دارا بقربه وانتقلت إليها أنا وجواري وغلماني وكانت دارا واسعة فلم أرض
ما عندي من آلة لها ولا من يدخل إلي من إخواني أن يروا مثله عندي ففكرت في ذلك
وكيف أصنع فيه وزاد فكري إلى أن خطر ببالي قبح الأحدوثة من نزول مثلي في دار
بأجرة وأنا امرؤ معروف أن يستبان علي وعندي من حشمه ولا أعلم حالي فضاق
بذلك صدري ضيقا شديدا حتى جاوز الحد فأمرت غلماني أن يسرجوا لي حمارا كان عندي
لأمضي إلى الصحراء أتفرج فيها مما دخل في قلبي فأسرجوه لي ولبست رداء ونعلا وركبت
فأفضى بي وأنا مفكر لا أدري الطريق التي أسلك فيها حتى هجم بي على باب يحيى
بن خالد فوثب غلمانه إلي وقالوا لي إلى أين هذه الركبة فقلت إلى الوزير أعزه الله
فدخلوا فاستأذنوا في الدخول فدخلت وبقيت خجلا قد وقعت في أمر فيحسن
أن دخلت عليه بردائي ونعلي وأعلمته أني قصدته في تلك الحال كان سوء أدب
وإن قلت له إني مجتاز ولم أقصدك فجعلتك طريقا كان قبيحا ثم عزمت على
صدقه فلما رآني تبسم وقال ما هذا الزي يا أبا محمد حسبناك في البر والفكر والتفكر
ثم علمنا أنك جعلتنا طريقا فقلت لا والله أيد الله الوزير والله لأصدقنك قال هات
حديثك فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها فقال هذا حق تشغل قلبك بهزل
يا غلام ردوا له حماره وهاتوا له خلعة فجاؤوني بخلعة تامة فلبستها ودعا
بالطعام فأكلت ووضع النبيذ فشربت وغنيته ودعا في وسط ذلك بدواة
فكتب أربع رقاع ظننت أن بعضها توقيع لي بجائزة ثم دعا بعض وكلائه
فدفع إليه الرقاع وساره بشيء فزاد طمعي في الجائزة ومضى الرجل وجلسنا
نشرب وأنا أنتظر فلم أر شيئا إلى العتمة ثم اتكأ يحيى فنام وقمت من عنده وأنا
منكسر خائب فخرجت وقدم إلي حماري فركبته وسرت فلما تجاوزت الدار قال لي
غلامي إلى أين تمضي قلت إلى الدار قال لي والله لقد بيعت دارك وابتيع الدرب كله

واشهد على اصحابها ووزراء التمر والمشتري جالس على بابي ينتظرك ليقع فك
والضنة ابتاع ذلك الى السلطان لاني رايت الامر في عجلة واستخلته امر سلطان فوقعت
من ذلك في امر عظيم لم يكن في حساب ووسعت وانا لا ادري ما اعمل فلما نزلت
على باب داري اذا انا بالوكيل الذي سار ليحيى قد قام الي فقال ادخل دارك ايدك
الله حتى ادخل في امر احتاج فيه الى مخاطبتك فطابت نفسي فدخلت ودخل الي
فاقراني توقيع يحيى بطلوق لابي محمد اسحاق وما يملك الف درهم تبتاع بها دارا وجميع
ما يجاورها ويلاصقها والتوقيع الثاني الى ابنه الفضل قد امرت لابي محمد اسحاق ومائة الف
درهم يبتاع بها دارا فاطلق له مائة الف درهم اخرى لينفقها على اصلاح الدار
كما يريد وبنائها على ما يشتهي والتوقيع الثالث كان ابنه جعفر قد امرت لابي محمد
اسحاق بمائة الف درهم وامر له اخوك بمثلها ينفقها على بنائها ومتعها على
ما يريد فاطلق له بمائة الف درهم يبتاع بها فرش المنزل والتوقيع الرابع الى ابنه
محمد قد امرت انا واخوتي بكذا وكذا فامر له انت بمائة الف درهم يصرفها في سائر
نفقته وقال لي الوكيل قد حملت المال واشتريت كل شيء جاورك بتسعين الف وهذه
الكتب بلا بتياعات باسمي والاقرار لك وهذا المال فورك لك فيه فقبضته واصبحت
احسن حال من ابي في منزلي وساير فرشي والاتي ولا والله هذا من اكبر شيء فعلوه في اقلام
على شكي هم **حدث واقد بن محمد** الواقدي قال حدثنا ابي انه رفع
رقعة الى المامون فذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه فوقع المامون على
ظهر رقعته انك رجل اجتمع فيك خصلتان سخاء وحياء اما السخاء فهو الذي
اطلق ما في يديك واما الحياء فهو الذي يمنعك تبليغنا ما انت فيه وقد امرت لك
بمائة الف درهم فان كنت قد اصبت فازدد في بسط يدك وان لم تكن اصبت
فجنايتك على نفسك فانت حدثتني وكنت على قضاء الرشيد عن محمد بن
اسحاق عن الزهري عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للزبير يا زبير اعلم
ان مفاتيح ارزاق العباد بازاء العرش يبعث الله الى كل عبد بقدر نفقته فمن كثر
كثر له ومن قلل قلل له وانت اعلم قال الواقدي فوالله لمذاكرة المامون اياي
الحديث احب الي من الجائزة **قال محمد** بن عباد المهلبي دخل في

على المامون

على المامون فوصله بمائتي الف درهم فلما قام من عنده لم تصرف به فاخبر المامون
بذلك فلما عاد اليه عاتبه في ذلك فقال يا امير المومنين منع الموجود من
سوء الظن بالمعبود فوصله بمائتي الف اخرى **قال روح بن مقاتل**
لما زفت بوران بنت الحسن بن سهل الى المامون كتب اليه حظية عن بيته وهي تقول

انعم تخطئي عيون الردا ∴ بزفة بوران مع الدهر
بيضة خدر لم يزل نجمها ∴ نجم مامور الورى يجري
حتى استقر الملك في حجرها ∴ بورك من ذلك في حجر
فاصبري لا نسر عهدي وما ∴ نطلب شيئا غير ما تدري

قال فوقفت بوران على الرقعة وعن فتنة ان يزيد ثم قالت يا امير المومنين انعم في حظ دو
في زفافها اليك فهو والله مكافاتها على سعيها فقال ذلك اليك فجعلت
فرفعت معها وسر المامون بما اجتمع له من الالفة في زوجته وحظيته
قال الاصمعي قصدت في بعض الايام رجلا كنت اغشاه لكرمه
فوجدت على بابه بوابا فمنعني من الدخول عليه ثم قال والله يا اصمعي ما اوقفني
على بابه لامنع مثلك الدخول عليه الا لرقة حاله وقصور يده فكتبت اليه رقعة
يقول فيها

اذا كان الكريم له حجاب ∴ فما فضل الكريم على اللئيم

فعادت الرقعة وقد وقع على ظهرها

اذا كان الكريم قليل مال ∴ تستر بالحجاب عن الغريم

ومع الرقعة صرة فيها خمسمائة دينار فقلت والله لاتحفن امير المومنين بهذا الخبر
فجئت اليه فلما راني قال لي من اين يا اصمعي فقلت من عند رجل اكرم الاحياء
حاشا امير المومنين بهذا الخبر فجئت اليه فلما راني قال لي من اين يا اصمعي
فقلت من عند رجل اكرم الاحياء حاشا امير المومنين قال ومن هو قلت رجل فقير في
ماله وعلامه ثم دفعت اليه الرقعة والصرة واعدت عليه الخبر فلما راى الصرة
قال هذه ختم بيت مالي ولا بد لي من الرجل الذي دفعها اليك فقلت والله يا امير
المومنين اني لاستحيي ان اروعه برسلك فقال لبعض خواصه امض اليه مع الاصمعي

فإذا أنا بالرجل فقال له أجب أمير المؤمنين من غير إزعاج ولا إظهار شدة فلما حضر الرجل بين يدي المأمون قال له أما أنت الذي وقفت بموكبنا وشكوت إلينا رقة حالك وأن الزمان قد أناخ عليك بكلاكله فبعثنا إليك هذه الصلة لتصلح بها حالك فقصدك الأصمعي ببيت واحد فبعثتها إليه فقال والله ما كذبت فيما شكوت لأمير المؤمنين من رقة الحال وصعوبة الزمان لكني استحييت من الله أن أعيد قاصدي إلا كما أعادني به أمير المؤمنين فقال المأمون لله أنت فما ولدت العرب أكرم منك ثم أمر له بألف دينار **قال الأصمعي** فقلت له ألحقني به يا أمير المؤمنين فتبسم وأمر أن يكمل لي ألف دينار وأعاد الرجل من جملة ندمائه

حكي عن المأمون أنه قال حججت سنة فلما صرت بصوراء أحببت أن أدخل دير المجانين فأرى من فيه منهم فلما دخلته رأيت شابا حسن الوجه نظيف الثوب فسلمت عليه فقال هل تحسن النحو قلت أحسن منه ما أصلح به لساني قال فهل تروي الشعر قلت نعم قال فلا تشتري فأنشدته لأبي العتاهية

أذاب الهوى جسمي ولحمي وقوتي ... ولم يبق إلا الروح والجسد النضو
رأيت الهوى جمر الغضا غير أنه ... على كل حال عند صاحبه حلو

قال فخر مغشيا عليه فسألت عن قصته فعرفت أنه من بني تميم هوى ابنة عم له وهويته هي فسعي بينهما حتى نزعت منه فوسوسا جميعا وها هي في الدير الآخر موسومة فمضيت حتى دخلت عليها فلما رأتني تنفست الصعداء ثم قالت إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون فسألتني من أين أقبلت فقلت من الدير وعرفتها حال الفتى فبكت ثم قالت

أما والذي لو شاء لم يخلق الهوى ... لئن غبت عن عيني فما غبت عن قلبي
ليوهمني الشوق حتى كأنما ... أناجيك من قرب وإن لم تكن قربي

قال فدعى المأمون المتطببين وأمر بعلاجهما حتى برئا وزوج الفتى منها وأجرى عليهما ما يحتاجان إليه وكانا في جملة حاشيته حتى ماتا رحمهما الله

أخبر إبراهيم بن المهدي عن أبيه قال غضب علي الأمير في بعض هناته فسلمني إلى كوثر فحبسني في سرداب وأغلق علي فمكثت فيه ليلتي فلما

اصبحت

أصبحت إذا بشيخ قد خرج علي من زاوية السرداب فدفع إلي وسطا وقال كل فأكلت ثم أخرج إلي قنينة من شراب فشربت ثم قال لي غن لي فغنيته

لي مدة لا بد أبلغها ... معلومة فإذا انقضت مت
لو ساورتني الأسد ضارية ... لغلبتها ما لم يجي الوقت

قال فسمعني كوثر فسار إلى محمد وقال هو جالس يغني بكيت وكيت وأمر بإحضاري فأحضرت وأخبرته بالقصة فرضي عني وأمر لي بسبعمائة ألف درهم

حدثني طلحة بن محمد بن جعفر الشاهد الخطيب قال حدثني أبو حسان الزيادي قال ضقت ضيقة شديدة بلغت فيها الغاية حتى ألح علي القصاب والخباز وسائر المعاملين ولم تبق لي حيلة وإني لفي يوم من الأيام على تلك الحال وأنا مفكر فيما أحتال به وكيف أعمل إذ دخل علي حاجبي فقال لي غلام يستأذن بالباب فقلت ائذن له فدخل خراساني فسلم وقال ألست أبا حسان قلت نعم فما حاجتك قال أنا رجل غريب وأريد الحج ومعي جملة مال وهو عشرة آلاف درهم وقد أحضرتها في بدرة معي وأنا أحتاج أن تكون قبلك إلى أن أقضي حجي وأرجع وآخذها إذ كنت غريبا بهذا البلد لا أعرف بها أحدا فقلت هات البدرة فأخذها وأخرج بعد أن وزن ما فيها وختمها فلما خرج فضضت خاتمها على المكان ثم أحضرت المعاملين فقضيت كل من كان له علي دين واتسعت وأنفقت وقلت أضمن هذا المال للخراساني إلى أن يأتي الله بالفرج من عنده فكنت يومي في ذلك سعة وأنا لا أشك في خروج الخراساني الحاج فلما أصبحت من غد ذلك اليوم دخل الغلام فقال الخراساني الحاج الذي كان عندك أمس بالباب يستأذن فقلت ائذن له فلما دخل قال إني كنت عازما على الخروج ثم ورد علي خبر موت أبي وقد عزمت على الخروج إلى بلدي فيأمر لي بالمال الذي أعطيتك فورد علي أمر لم يرد علي مثله قط وتحيرت ولم أدر بما أجيبه وفكرت وقلت ماذا أقول للرجل إن جحدته استحلفني فكانت الفضيحة في الدنيا والآخرة وإن دفعته صاح وهتكني فقلت له نعم عافاك الله منزلي هذا ليس بالحريز ولما أخذت مالك وجهته

الى من يحفظه فنعود في غد لنأخذه فانصرف وبقيت متحيرا لا ادري ما اصنع وغلظ
علي الامر وادركني الليل وافكرت في بكور الخراساني فلم يأخذني النوم ولا قدرت
على الغمض فقمت الى الغلام فقلت له اسرج البغلة فقال يا مولاي هذه العتمة بعد
وما مضى من الليل شيء فالى اين تمضي فرجعت الى فراشي فاذا النوم ممتنع فلم ازل
اقوم الى الغلام وهو يردني حتى فعلنا ذلك مرارا وانا لا يأخذني قرار وطلع الفجر
واسرج البغلة وانا افكر وهي تسير بي حتى بلغت الجسر فعدلت في اليه فتركتها
فعبرت ثم قلت الى اين اعبر الى اين امضي ولئن رجعت وجدت الخراساني على
بابي منتظرا لي ولكني ادعها تمضي حيث شاءت فمضت البغلة فلما عبرت
الجسر اخذت يمنة ناحية دار المأمون فتركتها ومرت ولم ازل كذلك الى قريب
من دار المأمون والدنيا بعد مظلمة واذا فارس تلقاني فنظر في وجهي ثم سار
وتركني ثم رفع راسه الي وقال لي الست ابا حسان الزيادي فقلت بلى فقال بعثت
الي فقلت وما تريد يرحمك الله ومن بعثك فقال الامير الحسن بن سهل فقلت في نفسي
وما يريد الامير الحسن مني فقلت فها انا امضي بنا اليه فمضى معي حتى استأذن لي عليه
فدخلت فقال يا ابا حسان ما خبرك وكيف حالك ولم انقطعت عنا فقلت لاشياء
وذهبت لاعتذر فقال دع عنك هذا انت في لوثة او في امر فشرحت له قصتي الى ان
لقيني صاحبه ودخولي عليه فقال لي لا يغمك الله يا ابا حسان قد فرج الله عنك
هذه بدرة الخراساني مكان بدرته وبدرة اخرى لك تتسع بها فاذا نفدت اعلمتنا
فرجعت من ساعتي وقضيت الخراساني ماله واتسعت وفرج الله عني فلله الحمد
والمنة **وحدثني هذا الحديث ايضا** ابو الفرج محمد بن جعفر
ولد صالح صاحب المصلى قال حدثنا ابو القاسم علي بن محمد بن ابي حسان
الزيادي وكان محدثا ببغداد مشهورا ثقة قال حدثني ابي عن ابيه قال كنت
وليت القضاء من قبل ابي يوسف القاضي ثم صرفت وتعطلت سنين فضقت ضيقة
شديدة وركبني دين فادح لخباز وقصاب وبقال وعطار وبزاز وغيرهم حتى
قطعوا معاملتي لكثرة ما لهم علي وياسهم من ان اقضيهم فتضاعفت
اضاقتي واشتدت حيرتي فانا يوما في مسجد قد صليت باهله الغداة ثم انفتلت

ندرس

ندرس اصحاب الفقه اذ جاءني رجل خراساني وذكر الحديث على نحو ما ذكر **قال**
ابو الفرج في حديثه فلما بلغ في حماري الى مربعة الحرشي استقبلني موكب فيه شمع جان
والنفاطات قد اضاءت بها الطرق فصارت كالنهار فطلبت زقاقا استخفي فيه حتى
يجوز الموكب فلم اجد فاذا رجل من الموكب يقول ابو حسان والله وتاملت فاذا هو
دينار بن عبد الله فسلمت عليه فقال لي ارسلني اليك امير المؤمنين الساعة وامرني ان اركب
بنفسي واحضرك اياه فسرت معه الى المأمون فقال لي المأمون اخبرني قصتك فاني رايتك
البارحة في منامي وامرني النبي صلى الله عليه وسلم باغاثتك قال فشرحت حديثي
فقال المأمون اعطوا ابا حسان ثلاث بدر وولاه الري وامره بالخروج قال فعدت الى
منزلي وما طلع الفجر فلما كان وقت صلاتي في مسجدي خرجت فاذا بالخراساني
فلما قضيت الصلاة ادخلته البيت واخرجت البدر فلما راها قال ما هذا فقصصت
عليه الحديث واعطيته بدرة منها فاخذها وانصرف **وذكر محمد**
بن عبدوس في كتاب الوزراء في اخبار دينار وانه لقي ابا حسان في الطريق فقال له وسعت
على عيالنا فذكرت عسر الحال فانفذت لك عشرة الاف درهم فاخذها ورجع
من الطريق وبلغ له الخراساني فاعطاه اياها كلها لانه كان انفق جميع مال الخراساني
ثم عاد الى دينار من غد يشكر له وعرفه الحديث فقال فكاني انما قضيت الخراساني
ماله ثم امر له بعشرة الاف اخرى ولم يذكر ابن عبدوس في خبره ذكر المنام
وحدثني ابي بهذا الحديث في المذاكرة قال حدثني شيخ ذكره وانسيته انا عن ابي
حسان بنحو ما ذكره محمد بن جعفر الا انه قال فيه ان الخراساني قال لابي حسان ان رجع
الحاج ولم تردني فاعلم انني قد هلكت والبدرة لك ومتى رجعت فهي لي ثم تفارقا
فبلغ الحديث الى ان لقيه في الجانب الشرقي قوم فلما راهم تنحى عن الطريق فلما راه
بطيلسان بادروا اليه وقالوا له اتعرف منزل رجل يقال له ابو حسان فقال انا هو فقالوا اجب
امير المؤمنين فدخل على المأمون فقال له من انت قال رجل من اصحاب ابي يوسف القاضي
ونعرف بابي حسان قال فضحك وشرحت له خبري قال فبكى بكاء شديدا وقال
ويحك ما تركني رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة انام بسببك اتاني في اول الليل
فقال لي اغث ابا حسان فانتبهت ولم اعرفك فاغفلت السؤال عنك واتيت اسمك

ونسيحي ونمت فانبهني وقال كمقالته وانتبهت مرعوبا ثم نمت فانبهني فقال ويحك اغث
ابا حسان فما تجاسرت على النوم وانا ساهر منذ ذلك الوقت وقد بثثت الناس في طلبك ثم
اعطاني عشرة الاف اخرى وقال اتسع بهذه واصلح امرك واعمر دارك واشتر مركبا سريا
وثيابا حسنة وعبيدا يمشون بين يدي دابتك ثم اعطاني ثلاثين الف درهم وقال جهز
بناتك بهذه وزوجهن واذا كان في يوم الموكب فتعال الي لاقلدك عملا واحسن اليك
قال فخرجت والمال محمول معي فجئت الى المسجد وصليت الغداة والتفت واذا بالخراساني فادخلته
البيت واعطيته بدرة فلما راها قال ليس هي غير مالي قلت نعم وقصصت عليه
القصة فبكى وقال والله لو صدقتني في اول الامر ما طالبتك وانت في حل مني فانصرف
واصلحت امري فلما كان يوم الموكب بكرت الى باب امير المومنين فدخلت عليه
وهو جالس جلوسا عاما قال فلما مثلت بين يديه استدناني ثم اخرج عهدا من تحت
مصلاه وقال هذا عهدك على قضاء المدينة الشرقية من الجانب الغربي من مدينة السلام
وقد اجريت عليك كذا وكذا في كل شهر فاتق الله تعالى تدم لك عناية رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فعجب الناس من كلامه وسالوني فاخبرتهم الخبر قال فما
زال ابو حسان قاضيا الى ان مات في اخر ايام المامون

حدث حماد

بن اسحاق بن ابراهيم الموصلي قال حدثني ابي قال غدوت يوما وانا ضجر من ملازمة دار
الخلافة والخدمة فيها فخرجت وركبت بكرة وعزمت على ان اطوف الصحراء
واتفرج فقلت لغلماني ان جاء رجل رسول الخليفة فعرفوه اني بكرت في مهم لي وانكم
لا تعرفون اين توجهت قال ومضيت وطفت ما بدا لي وعدت وقد حمي النهار فوقفت
في شارع المخرم في فناء حسن الظل وجناح رحب على الطريق لاستريح فيه فلم البث
ان جاء خادم اسود يقود حمارا فارها عليه جارية راكبة تحتها منديل دبيقي وعليها
من اللباس الفاخر ما لا غاية وراءه ورايت لها قواما حسنا وطرفا فاترا وشمائل ظريفة
فحسبت انها مغنية فدخلت الدار التي كنت فيها عليها وعلقها قلبي في الوقت
علوقا شديدا لم نستطع منه البراح فلم نلبث الا يسيرا حتى اقبل رجلان شابان
لهما هيئة تدل على قدرهما راكبان فاستاذنا فاذن لهما فحملني ما قد حصل في قلبي
من حب الجارية وايثار علم حالهما والتوصل على ان نزلت معهما ودخلت بدخولهما

فظننا

فظننا ان صاحب الدار دعاني وظن صاحب الدار اني قد جئت معهما وجلسنا واوتي فاكلنا
وبالشراب فوضع وخرجت الجارية وفي يدها عود فرايت جارية حسناء وتمكن ما في قلبي
منها وغنت غناء صالحا وشربنا وقمت للبول فقال صاحب المنزل للرجلين من هذا فاخبراه
انهما لا يعرفاني فقال هذا طفيلي ولكنه ظريف فاجملوا عشرته وجئت وجلست
فغنت الجارية في لحن لي فقالت

ذكرتك اذ مرت بنا ام شادن ∴ امام المطايا تشرئب وتسنح
من المولفات الرمل ادماء حرة ∴ شعاع الضحى من متنها يتوضح

فادته اداء صالحا وشربت ثم غنت اصواتا فيها من صنعتي فقالت

الطلول الدوارس ∴ فارقتها الاوانس
اوحشت بعد اهلها ∴ فهي قفر بسابس

فكان امرها فيه اصلح من الاول ثم غنت اصواتا من القديم والمحدث وغنت في اضعافها من صنعتي

قل لمن صد عاتبا ∴ ونأى عنك جانبا
قد بلغت الذي اردت ∴ وان كنت لاعبا
واعترفنا بما ادعيت ∴ وان كنت كاذبا

فكان اصلح ما غنت فاستعدته منها لاصححه لها فاقبل علي رجل منهم
فقال ما رايت طفيليا اصفق منك لم ترض بالتطفيل حتى اقترحت وهذا تصديق
المثل طفيلي يقترح فاطرقت ولم اجبه وجعل صاحبه يكفه عني فلا يكف
ثم قاموا للصلاة وتاخرت واخذت عود الجارية فشددت طبقته واصلحته
صلاحا محكما وعدت الى موضعي فصليت وعادوا فاخذ ذلك الرجل في عر
بدته علي وانا ساكت ثم اخذت العود تغني فجسته فانكرت حاله وقالت من
مس عودي فقالوا ما مسه احد قالت بلى والله قد مسه حاذق متقدم وشد
طبقته واصلحه اصلاح متمكن من صناعته فقلت لها انا اصلحته قالت فبالله
عليك خذه واضرب به فاخذته فضربت مبدا ضربا عجيبا صعبا فيه نقرات متحركة
فما بقي منهم احد الا جلس بين يدي وهم يقولون بالله يا سيدي اتغني فقلت نعم واعرفكم

بنفسي ايضا انا اسحاق بن ابراهيم الموصلي ووالله اني لاتيه على الخليفة وانتم تسمونني
منذ هذا اليوم بغيض لاني تملحت معكم بسبب هذه الجارية ووالله لا نطقت بحرف
ولا جلست معكم حتى تخرجوا هذا المعربد المقيت الغث ونهضت لاخرج
فعلقوا بي فلم اعرج وتحفتني الجارية فعلقت بها فلنت لها وقلت لا اجلس حتى يخرج
هذا المقيت فقال صاحبه من هذا وشبهه حذرت عليك فاخذ بيده فقلت لهم
اجلس ولكن لا انطق بحرف وهو حاضر فاخرجوه فبدات فغنيت الاصوات التي
غنتها الجارية من صنعتي فطرب وطرب صاحب البيت طربا شديدا وقال لي في امر
اعرضه عليك فقلت ما هو قال تقيم عندي شهرا والجارية والحمار لك مع ما عليه
من حلية وللجارية من كسوة فقلت افعل فاقمت عنده ثلاثين يوما لا يعرف احد اين انا
والمامون يطلبني في كل وقت فلا يعرف لي خبرا فلما كان بعد ثلاثين يوما سلم الي الجارية
والحمار والخادم فجئت بذلك الى منزلي وهم في افتح صورة لعفو وركبت الى المامون
من وقتي فلما رآني قال اسحاق ويحك اين كنت فاخبرته بخبر فقال علي بالرجل
الساعة فدللتهم على بيته فاحضر فساله المامون عن القصة فاخبره فقال
انت رجل ذو مروءة وسبيلك ان تعان عليها وامر له بمائة الف درهم وقال له لا تعاشر
ذلك المعربد البتة فقال معاذ الله يا امير المومنين وامر له بخمسين الف درهم وقال
احضر الجارية فاحضرته اياها فغنته فقال قد جعلت عليها نوبة تغني في كل
يوم ثلاثا من وراء الستارة وامر لها بخمسين الف درهم قال اسحاق فربحت والله بتلك
الركبة وربحت فيها والحمد لله على كل حال **قال مسرور**
الكبير استدعاني المامون وقد قال كثروا على اصحاب الاسرار شيخا ياتي خرب البرامكة
فيبكي وينتحب طويلا وينشد بيتا يرثيهم به وينصرف فاركب انت ودينار بن عبد الله
واستتر بالجدار فاذا جاء الشيخ فامهلاه حتى تشاهدا ما يقول فاذا اراد الانصراف
فاقبضا عليه وايتياني به فركبت انا ودينار مغلسين فاتينا الموضع فاختفينا
فيه وابعدنا الدواب فلما اصبحنا واذا بخادم اسود قد اقبل ومعه كرسي جريد
فطرحه وجاء على اثره رجل بهي كهل فجلس على الكرسي وتلفت فلما لم ير احدا
بكى وانتحب حتى قلنا فارق الدنيا ثم مسح عينيه وانشد يقول

ولما رايت

ولما رايت الموت حل جعفرا   ونادى مناد للخليفة في يحيى

وذكر ابياتا طويلة لم تدخل في كتابي هذا فارويها قال فلما قبضنا عليه قال
ما تريدان فقلت هذا دينار بن عبد الله وانا مسرور خادم امير المومنين وهو يستدعيك
فقال اني لا آمنه على نفسي فامهلاني حتى اوصي فقلت شانك فسار وانا معه حتى
اتى بعض دكاكين العلافين بعرصة البقل واستدعى دواة وقرطاسا وكتب فيها
وصيته ودفعها الى الخادم الذي كان معه وانفذه الى منزله وسرت به حتى اتيت به
دار الخلافة فلما مثل بين يدي الخليفة زجره وانتهره ثم قال له من انت وبم استحق
منك البرامكة ما تصنع فقال غير هائب ولا محتشم يا امير المومنين حدثته
باحداها قال هات حديثك فقال انا المنذر بن المغيرة الدمشقي كنت يا امير المومنين
مرموقا في الحسب فيها نشات في ظل نعمة قديمة فزالت عني كما تزول النعم
عن اربابها حتى افضيت الى مسقط راسي ورؤوس ابائي واملقت حتى لا غاية
في بعد ذلك فاشير علي بقصد البرامكة فخرجت من الشام الى بغداد ومع نيف
وعشرين امراة وصبية وصبي فدخلت بهم مدينة السلام فانزلتهم في مسجد
ثم عمدت الى ثويبات كنت اعددتها للقاء الناس فلبستها وسلكت الحي يوم
لا ادري اين اسلك ولا اين اقصد وخليت عيالي في المسجد جياعا لا حيلة لهم ولا نفقة
معهم ولا لهم ما يباع ولا ما يرهن فانتهيت الى مسجد مزخرف فيه جمع شيوخ
باحسن زي واجمل هيئة فطمعت في مخالطتهم وصعدت الى المجلس فجلست
معهم اردد في صدري كلاما اخاطبهم به فيحبسني التشور ويخجلني ذل المسالة
ويحبسني الحياء عن الكلام لانه لم تكن لي عادة بالخوض في مثله فبينما انا كذلك
اذ جاءهم خادم فازعج القوم فقاموا وقمت معهم فدخلوا دارا ذات دهليز
طويل فدخلت معهم وافضيت معهم الى صحن واسع فاذا يحيى بن خالد فيه
على دكة في وسط بستان وقد نصب عليه سرير ابنوس فاقبل القوم فجلسوا وتامل
الحرم القوم فاذا نحو مائة رجل ورجل وغاب الخدم ثم خرج مائة خادم وخادم
وفي يد كل خادم منهم مجمرة ذهب فيها قطعة من عنبر كالفهر والخدم
بافخر اللباس عليهم مناطق الذهب المرصعة بالجوهر وهم يطوفون بغلام

حبر اخضر شاربه حسن الوجه وبحر العنبر واقبل يحيى على الزرتقي القاضي فقال زوج
ابن عمي هذا بابنتي عائشة فخطب وعقد النكاح واخذنا بالنثار من فتات المسك
وبنادق العنبر وتماثيل الند الصغار والتقط القوم والتقطت معهم ثم جاء بمائة
خادم وخادم وفي يد كل خادم منهم صينية فضة فيها الف دينار مخلوطة
بالمسك فوضع بين يدي كل واحد منا صينية فاقبلت الجماعة تكور الدنانير
في اكمامها وتاخذ الصواني تحت اباطيها وينهض الاول فالاول حتى بقيت وحدي
لا اجسر على اخذ الصينية وما فيها والاسف والحاجة يمنعاني اذ القوم واحد عجلا
وانا مهموم مفكر حتى ظهر صبح فرفعت راسي فغمزني بعض الخدم على
اخذها والقيام فاخذتها وقمت وانا لا اصدق فرحا وجعلت امشي والتفت
خوفا من ان يتبعني من ياخذها مني واذا يحيى في كل ذلك يلاحظني من حيث لا اشعر
فلما قاربت الستر ردني اليه فايست من الصينية فجئت وهي معي حتى قربت منه
فامرني بالجلوس فجلست فسالني عن حالي وقصتي ومن انا ومن ابي انا فقصصت
حديثي كله حتى بلغت الى حديث تركي عيالي في المسجد فبكى ثم قال علي
بموسى ولدي فجاء فقال يا بني هذا رجل من اولاد النعم قد رمته الايام بصروفها
والنوائب بجنوبها فخذه واخلصه بنفسك واصطنعه لها قال فاخذني موسى
الى داره فخلع علي من افخر ثيابه وامر بحفظ الصينية لي ونصب علي يومي وليلتي
ثم استدعى اخاه العباس من غد وقال له ان الوزير سلم الي هذا الفتى وامرني فيه
بكذا وكذا واريد اليوم الركوب الى دار امير المومنين فليكن عندك اليوم حتى
ترجعه غدا فاخذني فكان يومي عنده مثل امسي عند اخيه واقبلوا
يتداولون كل يوم واحد وانا قلق بامر عيالي لا ادري ما حالهم فلما
كان في اليوم العاشر ادخلت على الفضل بن يحيى فاقمت في داره يومي وليلتي
فلما اصبحت جاءني خادم من خدمه فقال يا هذا قم الى عيالك وصبيانك فقلت
انا لله وانا اليه راجعون تحصل هذا القوم على الاكل والشرب بالصينية وما فيها
وما حصلته من النثار فليت هذا كان من اول يوم فكيف اتوصل الان الى يحيى
واي طريق اليه وتلاعبت بي مخافة الناس واظلمت الدنيا في عيني وقمت اجر رجلي

والخادم

والخادم يمشي بين يدي حتى ادخلني الى دار كان الشمس تطلع من جوانبها وفيها
من صنوف الفرش والالات ما يكون في مثلها فلما توسطتها رايت عيالي اجمعين
فيها يرفلون في الديباج والشفوف وقد حمل اليهم مائة الف درهم وعشرة الاف
دينار وسلم الي الخادم الصينية وما كنت التقطته من النثار مع صكي بضيعتين
جليلتين وقال هذه الدار وما فيها والضياع بغلاتها لك فاقمت مع البرامكة في
اخفض عيش واجل حال حتى نزلت بهم النازلة فانا اعيش في فضلهم الى الان ثم
قصد عمر بن مسعدة في الضيعتين فانتزعهما مني والزمني خراجهما بما لم يف
دخلهما فانا يا امير المومنين كلما لحقتني نائبة او اشتدت بي بلية قصدت خراب
دورهم وجدران قصورهم فبكيت عندهما ورثيتهم فيها وشكرتهم ودعوت
لهم على ما كان منهم الي وشكوت ما حل بعدهم فاجد لذلك راحة في قلبي
افالام يا امير المومنين على البكاء عليهم والنحيب ما بقيت فقال لا والله يا اخي لا الومك
على ذلك ثم استدعى المامون عمر بن مسعدة وامره بان يرد على الرجل كلما اخذ
له في ايام البرامكة واستخرجه من عنده وبقر خراجه على ما كان عليه
في ايام البرامكة وقال له امض مصاحبا مكلوا فان الوفاء مبارك وحسن
العهد من الايمان **حدث عبيد الله** بن محمد بن الحسن
بن الحنفي العنسي قال حدثني ابي قال سمعت شيوخنا بالسراة واهلها يتحدثون
ان عمرو بن مسعدة وزير المامون كان متوجها من واسط الى بغداد في حر شديد
وهو جالس في زلال فناداه رجل يا صاحب الزلال بنعمة الله عليك الا نظرت
الي قال فكشف السجف فاذا بشيخ ضعيف حاسر فقال له قد ترى ما انا فيه ولست
اجد من يحملني فابتغ الاجر في وتقدم الى ملاحيك يطرحوني بين مجاديفهم
الى ان ابلغ بلدا يطرحوني فيه قال فقال عمر بن مسعدة فرحمته فقلت خذوه
فاخذوه فغشي عليه وكاد يموت مما لحقه من الشمس والمشي فلما افاق من
غشيته قلت له يا شيخ ما حالك وما قصتك قال قصتي طويلة وبكى
حتى رحمته ولم ازل اسكنه واونسه وطرحت عليه قميصا ومنديلا وامرت له
بدراهم وشمسك وشكى فقلت ارغب بك ان تخبرني حديثك وتشرح لي قصتك

فامعل فقال انا رجل كانت لله علي نعمة جليلة وكنت صيرفيا فابتعت جارية
بخمسماية دينار فاحببتها حبا عظيما وكنت لا اقدر ان افارقها ساعة من الدهر
فاذا خرجت الى دكاني اخذني كالجنون والهيمان حتى اعود اليها فاجلس معها
يومي كله فدام ذلك علي وتعطل دكاني وبطل شغلي وانقطع كسبي واقبلت
انفق راس المال حتى لم يبق قليل ولا كثير وانا مع هذا لا اطيق ان افارقها بقدر ما اقعد
في الدكان فاتعيش وحملت الجارية واقبلت انقض داري وابيع نقضها حتى فرغت
من ذلك ولم تبق لي حيلة وضربها الطلق فقالت يا هذا ان هذا موت فاحتل فيما
تبتاع لي عسلا ودقيقا وسيرجا ولحما والا مت فبكيت وحزنت وخرجت على
وجهي ومضيت لاغرق نفسي في دجلة فذكرت حلاوة النفس وخوف العقاب في الاخرة
فامتنعت ثم خرجت على وجهي الى النهروان ومازلت امشي هائما من قرية الى قرية
حتى بلغت الى خراسان فصادفت فيها من عرفني وتصرفت في صناعتي فرزقني الله
عز وجل وفتح علي حتى اكتسبت مالا عظيما واثريت واتسعت حالي وكنت
سنة وسنتين وثلاث سنين الى داري لا اعرف خبر اهلي ومنزلي فلم اشك في موت الجارية
لما كنت تركتها عليه من ضيق الحال فقلت هلكت والله لا محالة وقطعت
المكاتبة وتراخت الايام ومضت السنون حتى حصل في كسبي ما قيمته عشرة الاف
دينار فقلت قد صارت لي نعمة فلو رجعت الى بلدي وصرت في وطني وجيراني
وتاقت نفسي الى ذلك ومالت اليه ميلا شديدا ولم اقدر الصبر فابتعت بمالي كله متاعا
من متاع خراسان واقبلت اريد العراق من طريق فارس والاهواز فخرج على القافلة
لصوص فاستاصلوا كلما وجدوا فيها فنجوت بما كان علي من ثياب السفر
وعدت فقيرا كما خرجت من بغداد فدخلت الاهواز وبقيت بها متحيرا حتى
انكشف خبري لبعض من اعرفه فاعطاني شيئا تحملت به الى واسط ونفدت نفقتي
فمشيت الى هذا الموضع فقد كدت اتلف فاستغثت بك وكنت منذ فارقت بغداد
ثمان وعشرين سنة فعجبت من محنته ورثيت لحاله ورققت له وقلت له اذا صرنا الى
بغداد فاتني بخبر اهلك وسر الي اقدم لك ما يقضي فيما يصلح لمثلك مما تعيش
به فشكرني على ذلك ودعا لي ودخلنا بغداد ومضت على ذلك مدة فنسيته

فيها

فيها فبينما انا يوم من الايام قد ركبت اريد دار المامون اذا انا بالشيخ على بابي راكبا
بغلا فارها بمركب محلى ثقيل وغلام اسود بين يديه كانه مملوك له وثياب حسنة
مرتفعة فلما رايته رحبت به وقلت له ما الخبر فقال طويل فقلت عد الي فلما كان
من الغد جاءني فقلت عرفني خبرك فقد سرني حسن حالك وظاهر امرك فقال
اني قصدت من الزمان الذي كنت فيه معك فقصدت داري فوجدت حائطها الذي يلي
الطريق كما خلفته غير ان باب الدار مجلو نظيف وعليه دكاكين وبواب وبغال
مع شاكرية فقلت انا لله ماتت والله جاريتي وتملك الدار غيري من بعض الجيران
فباعها على من رجل من اصحاب السلطان ثم مشيت الى بقال كنت اعرفه في
المحلة فاذا في دكانه غلام حدث فقلت له من تكون من البقال فقال ابنه قلت
ومتى مات ابوك قال منذ عشر سنين فقلت هذه الدار لمن قال لابن داية امير المومنين
وهو الان صاحب بيت ماله قلت بمن يعرف قال بابن فلان الصيرفي فاسماني فقلت
وهذه الدار من باعها عليه قال هذه دار ابيه قلت وهل يعيش ابوه قال لا قلت اتعرف
من حديثهم شيئا قال نعم حدثني ابي ان هذا الرجل صاحب هذه الدار كان صيرفيا
جليلا فافتقر وان ام هذا الغلام ضربها الطلق فخرج ابوه يطلب لها شيئا
فغرق وهلك وكان اخر العهد به وقال لي ابي جاءني رسول من عند ام هذا الغلام
ساعة ان ولدت وسمعتها تستغيث وتسال شيئا ترد به روحها وتحيي رمقها
قال فقمت لها بحوائج ولادتها كلها ودفعت لها مع ذلك عشرة دراهم فما
انفقتها حتى فتح الله عليها وقيل قد ولد لامير المومنين الرشيد مولود ذكر
وقد عرض عليه جميع الدايات فلم يقبل ثدي احداهن وقد طلب له الحراير نجباء و
بغير واحدة منهن فما اخذ ثدي واحدة منهن وهم في هم من طلب مرضع
قال ابي فارشدت الذي طلب الداية الى ام هذا الغلام فحملت الى دار الرشيد فحين وضع
الطفل فمه على ثدي المراة قبله فارضعته وكان الرضيع المامون وصارت
عندهم في حال جليلة ووصل اليها منهم خير عظيم ثم خرج المامون
الى خراسان فخرجت هذه المراة وابنها معه ولم يعرف اخبارهم الا منذ قريب
لما عاد المامون وعادت حاشيته راينا هذا قد جاء رجلا وانا لم اكن رايته فه

وكان في توفي فقالوا هذا ابن فلان الصيرفي وابن داية الخليفة المامون فبنا هذه الدار
وسواها قلت له افتعرف علم من امه اهي حية ام ميتة فقال هذه حية
تمضي الى دار الخليفة اياما وكان هنا عند ابنها اياما فحمدت الله تعالى على هذه الحال
وجئت حتى دخلت الدار مع الناس ورأيت زوجتي فلم تعرفني حتى تحدثت
بما كان بيننا وانبسطت وتانست بكلامي فحينئذ عرفتني وعرفوني
كبار محلتنا وجاء ولدي فسلم علي وخلع علي ودخلت الحمام وتطيبت ولبست
الخلع ومضى بي الى المامون فخلع ايضا علي واجرى علي رزقا وبقيت مع اهلي
وولدي وفرج الله عني والحمد لله على كل حال والله الموفق

ذكر عبد الله بن بشى قرابة الفضل بن سهل كان الفضل
اذا دخل مدينة السلام من السنة لحوائجه وهو اذ ذاك صغير الحال نزل على
فلان بها يقال له خزابوذ فيخدمه هو واهل داره ويقضي حوائجه الى ان يعود
ومضت الايام وبلغ الفضل بخراسان مع المامون ما بلغ وقضى ان القاضي الح عليه
الزمان بنكبات متصلة حتى افتقر فنهض الى الفضل بن سهل وقدم مرو بعد ان
وسر به واني منه واصلحت حاله من شانه بما يجب ان يصلح لدخوله على الفضل
وقمت ودخلت على الفضل وقد جلس على مايدته فقلت له تذكر الشيخ
الفلاني الذي كنا ننزل عليه ببغداد فقال سبحان الله تقول لي تذكر له وله علينا
من الحق ما قد علمت فكيف ذكرته الان انسانا اخبرني بموته فقلت هو ذا
في منزلي فاستكبر من حاله وقال هاته الساعة ثم رفع يده وقال لا اكل او
تجيئني به فقمت فجئت به فحين قرب منه تطاول اليه واجلسه فيما بيني وبينه
واقبل عليه وقال يا هذا ما حبسك عنا طول هذه المدة فقال محن عاقتني ونكبات
اصابتني فاقبل يسئله عن واحدة واحدة من بناته واهله فقال لم يبق لي بعدك
ولد ولا اهل ولا مال الا تلف ولا تحملت اليك الا من فقر ومسئلة فكاد الفضل
ان يبكي فلما استتم غداوه امر له بثياب فاخرة كثيرة ومركب ومال ونفقة وان
يدفع اليه منزل واثاث واعتز اليه ووعده النفع في امره فلما كان من غد
احضر وكلاء التجار ببغداد وقد كانوا يتبعون بيع غلات السواد منهم واعطاه

عطايا لم يجب اليها فاحضرني وقال قد علمت ما دار بيني وبين هولاء فاخرج
اليهم واعلمهم اني قد ابتعت لهم البيع بما التمسوه نحن الوجه معهم الربح
ففعلت ذلك فاجاب التجار وفرحوا بما تيسر لهم ثم انهم يسهلون عليك
بكرة الموز ويبذلون لك مائة الف درهم على ان تخرج من الشركة فاحذر ان تفعل
ولا تخرج باقل من خمسين الف دينار قال فخرج معهم وتوسط بينهم وبينه ففعلت
ولم اقنع حتى قدم التجار فاخذت خمسين الف دينار ودخل فعرف الفضل ما جرى
وشكر له واقام معنا مدة يسيرة ثم دخل اليه والفضل مفكر مغموم فقال له ايها الامير
ما الذي بلغ بك ما ارى من الفكرة فقال امر لا احسب لك عملا يا خزابوذ فقال
فاخبرني به فان كان عندي ما يفرجه والا ففي الشكوى راحة فقال له الفضل
ان خارجيا خرج علينا ببعض كور خراسان ونحن على ضيقة من المال
واكثر عساكرنا بالاعمال ببغداد والخارجي يقوى كل يوم وانا متحير في الامر
فقال له ايها الامير ما ظننت الامر الا اصعب من هذا وما هذا عسى ان تبكي فيه انت
فتحت العراق او قتلت المخلوع وازلت ملك الدولة وتهتمهم بهذا اللص الذي لا مادة
له انفذني اليه ايها الامير فان اتيتك به او براسه فاقبل فهو الذي تريد وان قتلت
لم تفقد من يثلم الدولة فقد علي اني اعلم ان سعدك لا يخطئني في هذا
المقدار اليسير قال فبكى الفضل ساعة ثم التفت الي وقال لعل الله يريد ان يحيي فينا
فرتبه بخزابوذ ثم لقي رجالا واحتال في مال فرقه عليهم وخلع على خزابوذ
وقلده حرب الخارجي والبلد الذي هو فيه فسار خزابوذ بالعسكر فلما شارف
عسكر الخارجي جمع وجوه عسكره فقال لهم اني لست من اهل الحرب وانما
اعول على نصر الله تعالى لخليفته وعلى اقبال الامير وليس هذا الخارجي من اهل
المدد وانما هو لص لا شوكة له فاعملوا عملا اثق بالظفر ولا تقعدوا
بعد الوصول اليه ولكم ان جئتم براسه كذا وكذا قال فحملوا وحققوا فاجلت
الحرب عن الخارجي قتيلا واحتز راسه فكتب خزابوذ الى الفضل لست ممن يحسن
كتب الفتوحات ولا غيرها ولكن الله تعالى قد اظفر بالخارجي وحصل راسه
معي وتبعوا اصحابه وانا استخلف على الناحية واسير بالراس معجبا مما تم له وعلمت

حاله مع الفضل بعد المشقة والضيقة والحمد لله على كل حال قال ثم فرق الفضل
بن سهل عيوننا في البلدان يسألون عن عيوبه فعاد إليه واحد منهم فأخبره أن وفدا
وفدوا إلى المامون فلما قصدوا قالوا ما رأينا مثل هذا الملك جلالة وعقلا ولا مثل وزيره
لولا أنه حدث ومن شأن الملوك أن يستوزروا المشايخ الذين اجتمعت لهم إلى العلم تجربة
وإلى الرياسة حنكة واحتجب الفضل ثلاثة أيام يعالج لحيته ثم ظهر إليهم وهي بيضاء
وقدم وفد الكوفة على المامون فأعرض عنهم فأخرج شيخ منهم
فقال يا أمير المومنين يدي أحوج بالتقبيل لعلوها في المكارم وبعدها من المآثم أنت
يوسفي العفو في قلة التثريب فمن أرادك بسوء جعله الله حصيد سيفك وطريد
خوفك وذليل دولتك فقال نعم الخطيب خطيبهم فلتقض حوائجهم فقضيت
وأرسلت أم جعفر زبيدة إلى أبي العتاهية أن يقول لها على لسانها أبياتا تستعطف
بها المامون فأرسل إليها بهذه الأبيات

ألا إن صرف الدهر يدني ويبعد ∴ ويمتع بالآلاف طورا ويفقد
أصيبت بريب الدهر هاذي بهذه ∴ فسلمت للأقدار والله أحمد
وقلت لريب الدهر إن هلكت يد ∴ فقد بقيت والحمد لله لي يد
إذا بقي المامون لي فالرشيد لي ∴ ولي جعفر لم يفقدا ومحمد

قال فلما قرأها المامون استحسنها وعطف على زبيدة وزاد في تكرمتها
وآثرها وسألها من قائل الأبيات فقالت أبو العتاهية فأمر له بعشرة آلاف درهم
وقال عياش الزبيري رفع رجل قصته إلى المامون وسأله أن يأذن له
في الدخول عليه والاستماع منه فأذن له فدخل وسلم فقال له المامون تكلم بحاجتك
فقال أخبر أمير المومنين أن مطالب الدهر وعجائب الأيام ومحن الزمان قصدتني فأخذت
مني ما كانت الدنيا أعطتني فلم تبق لي ضيعة إلا خربت ولا نهرا إلا اندفن
ولا منزلا إلا تهدم ولا مالا إلا ذهب وقد أصبحت لا أملك سبدا ولا لبدا وعلي دين كثير
ولي عيال وأطفال وأنا شيخ كبير فعدت بي المطالب ونبت عني المكاسب
وفي حاجة إلى نظر أمير المومنين وعطفه فبينما هو في الكلام إذ ضرط فقال
وهذا يا أمير المومنين من عجائب الدهر ومحنه والله يا أمير المومنين ما ظهر هذا مني

قط

قط إلا في موضع فقال المامون لجلسائه ما رأيت قط أقوى قلبا ولا أربط جأشا
ولا أشر نفسا من هذا الرجل ثم أمر له بخمسين ألف درهم **وعتب المامون**
في كثرة هباته وجزيل عطاياته وقيل له إن هذا إسراف يؤدي إلى الإتلاف فقال إن الله عودني
أن يفضل علي وعودته أن أفضل على عباده فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عني
المادة ولو لم يكن في الكرم فائدة غير صفته مع صفة الخالق جل جلاله
دعونا من هذا **وحكى الشرقي** أن المامون تصيد يوما في تصيده فانتهى
إلى بعض بيوت البادية فرأى صبيا يضبط قربة وقد ذهب عليه وكاؤها وهو
يقول يا أبت اشدد فاها فقد غلبني فوها لا طاقة لي بفيها قال فوقف عليه المامون
وقال يا فرخ عمه ممن تكون قال من قضاعة قال من أيها قال من كلب قال وإنك
لمن الكلاب قال لسناهم ولا كنا قبيلة تدعى كلبا قال فمن أيهم أنت قال من بني
عامر قال من أيها أنت قال من الأجراد من بني كنانة وأنت فمن أنت يا خال فقد سألتني
عن حسبي قال أنا ممن تبغضه العرب كلها قال فأنت إذا من نزار قال أنا ممن تبغضه
نزار كلها قال فأنت إذا من مضر قال أنا ممن تبغضه مضر كلها قال فأنت إذا
من قريش قال أنا ممن تبغضه قريش قال فأنت إذا من بني هاشم قال أنا ممن تحسده
بنو هاشم كلها قال فأرسل الصبي فم القربة وقام إليه وقال السلام عليك يا أمير
المومنين ورحمة الله وبركاته ثم ضرب بيده إلى شكيمة البغلة وجعل يقول

مأمون يا ذا المنن الشريفه ∴ وصاحب الكتيبة الكثيفه
هل لك في أرجوزة ظريفه ∴ أظرف من فقه أبي حنيفه
لا والذي أنت له خليفه ∴ ما ظلمت في أرضنا ضعيفه
عاملنا مؤونته خفيفه ∴ وما جبى فضلا عن الوظيفه
فالذيب والنعجة في سقيفه ∴ واللص والتاجر في قطيفه
يا رب أمنه ولا تخيفه ∴ من سار فينا سيرة الخليفه

فقال المامون أحسنت يا فرخ عمه فأيهما أحب إليك عشرة آلاف
درهم معجلة أو مائة ألف مؤجلة قال بل أوخرني يا أمير المومنين قال فما لبث
أن أقبلت الفرسان فقال احملوه فمضي به حتى كان أحد مسامري

وركب المامون في بعض الليالي الى المطبق فقتل ابراهيم بن محمد بن علي بن
عبد الله بن العباس رضي الله عنه وهو المعروف بابن عائشة وصلبه وقتل معه ابراهيم
بن محمد الافريقي وذلك سنة تسع ومائتين وهو اول عباسي صلب في الاسلام
وكان قد حاول الايقاع بالمامون فلما فرغ من قتله تمثل المامون بهذا البيت

انا النار في احجارها مستكنة ... متى ما يهجها قادح تتضرم

وحبس المامون في سبيل هذا الى المطبق علي بن الحسن العباس ابن الحسن العلوي وكان
ذا مال غزير ومتعة وعزو بلاغة وكان المعتصم يشنؤه لحال كانت بينهما
فمكن في قلب اخيه المامون انه شانئ لدولته ماقت لايامه فلما لحق بالمامون
قال له المامون ما زلت تنشئها حتى وقعت فقال اعيذك بالله يا امير المومنين
ان تعتقد هذا ولكني تذكرت قول الله تعالى ما كان لاهل المدينة ومن حولهم
من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه قال فحسن موقع
ذلك منه ولم يسايله حتى بلغ المطبق فلما قتل ابن عائشة قال يا ذرى امير
المومنين في الكلام قال تكلم قال الله الله في الدماء فان الملك اذا ضرى بها لم يصبر
عنها ولم يبق على احد فقال المامون لو سمعت هذا الكلام منك قبل ان اركب ما ركبت
وما سفكت دما ثم امر له بثلاث مائة الف درهم **وكان المامون**
قد استثقل سهل بن هارون فدخل عليه سهل يوما والناس عنده على منازلهم
فتكلم المامون بكلام ذهب فيه كل مذهب فلما فرغ المامون من كلامه
اقبل سهل على ذلك الجمع فقال ما لكم تسمعون ولا تعون وتفهمون ولا تعجبون
وتدرون ولا تصبرون والله انه ليفعل ويقول في اليوم القصير ما لا تفعل بنو مروان وتقوله
في الدهر الطويل عربكم كعجمكم وعجمكم كعبيدكم ولكن كيف
يعرف الدواء من لا يشعر بالداء فرجع له بعد ذلك **وقال محمد بن جهم**
البرمكي قعدنا يوما مع المامون للغداء فوضع على مائدته اكثر من ثلاث مائة
لون كلما وضع لون نظر المامون اليه وقال هذا نافع لكذا وضار لكذا فمن كان
منكم صاحب بلغم فليجتنب هذا اللون واشار اليه ومن غلبت عليه السوداء فلا يعرض
لهذا اللون واشار اليه فوالله ما زالت حاله في كل لون يقدم اليه حتى رفعت الموائد

فقال يحيى

فقال يحيى ان كنتم يا امير المومنين ان خضنا في الطب فانت جالينوس في فهمه او في
النجوم فانت هرمس في حسابه او في الفقه فانت علي بن ابي طالب رضي الله عنه في علمه
او ذكر السخاء فانت حاتم في صفته او ذكر صدق الحديث فانت ابو ذر الغفاري رضي
الله عنه في صدق لهجته او الكرم فانت كعب بن مامة او الوفاء فانت السموال بن عاديا
في فعله فسر المامون بهذا الكلام وقال يا ابا محمد ان الانسان انما فضل على غيره بعقله
ولولا ذلك لم يكن لحم الطيب من لحم ولا دم الطيب من دم **وحدث محمد**
الغاز قال كنت مع المامون بالشام فاحتاج الى الفصد فقال الاطباء يا امير المومنين
ان البلد بارد فقال لابد منه ففصده ميخائيل المتطبب والاطباء حضور كلهم فراموا
ارسال الدم فلم يقدروا فاذا العرق قد انضم فشدوا الرباط فظهر الجرح اسفل وثبت
ولم ينفجر منه شيء فقال له المامون قد عنيتني خلقي فاقبل بختيشوع المتطبب
وابن ماسويه فقال لهم ما ترون فقالوا ما ندري ما نقول فقال لهم تشاوروا هنالك فان جلالة
الخلافة ربما ادهشت الحاذق بالصناعة المتقدم الرياسة فاعتزلوا ناحية يتشاورون
فابطا عليه فقال المامون لاسود كان على راسه اذن فمص فم هذا الجرح فقد نسا
الاسود فمصه ففار الدم فقال ادع لي هولاء الحكمة فجاءوا فشهروا خروج الدم
فقال لهم ان كنتم اين علمكم بالطب فقال ابن ماسويه يا امير المومنين لو نشر لنا
جالينوس وبقراط ما زادا على هذا شيئا لله درك من مولى **وقال يحيى**
ان كنتم والله ان حدثت عن احد من المامون ولا احلم ولا املك ولا اسوس ولا احسن
منه خلقا ولقد بت عنده ليلة فعطش فيها وظنني اني نائم وانا منتبه ارى كل
ما يصنع فكره ان يدعو الغلام فينبهني فقام ومشى الى برادة بينه وبينها اكثر
من مائة خطوة فاخذ كوزا فشرب ثم اقبل فلما دنا من فراشي خطا خطا خفايف
كي لا انتبه ورمى بنفسه على فراشه **ووجه الفضل** بن الربيع الى عيسى
بن محمد بن ابي خالد وكان يحارب اصحاب المامون فقال له ان هذا الذي انت عليه من محاربة
اصحاب هذا الرجل يعني المامون واخراج يدك من طاعته لا يصلح الا ان تقيم رجلا
تدعو له بالخلافة وتبايع له وتقاتل دونه فسار عيسى الى بغداد وسعى الفضل بن الربيع
الى محمد بن صالح بن المنصور وكان احد بني هاشم فقال له نبايع لك بالخلافة فان الناس

فقد عبوا فيك ولا يختلف عليك اثنان وعلينا الاموال والرجال ونحارب دونك فقال له
يحيى بن صالح كيف وقد وقعت بيعة المامون في اعناقنا واعطيناه صفقة ايماننا
وكنا تبنا له يا امير المومنين فادرك الفضل وقتله فلم يجد عنده ما احبه فتركه واتى
منصور بن مهدي فقال له مثل ذلك فهرب منه فلما رأى الفضل ابن الربيع ذلك سار
الى ابراهيم بن المهدي وكان ابراهيم مستوحشا من المامون فبايع لابراهيم وتسمى
ابراهيم بالرضى وكشف الفضل بن الربيع وجهه لذلك وكانت البيعة ليلة الجمعة
لخمس خلون من المحرم سنة ثنتين ومائة وانتظم الامر للمامون وامر ان ينادى في جميع
النواحي بالامان لجميع الناس صغيرهم وكبيرهم الا لابراهيم بن المهدي والفضل
ابن الربيع فلم يعرف موضعه وكان الفضل قد استتر عند اسحاق بن ابراهيم
الموصلي قال اسحاق وجاءني الفضل بن الربيع مستجيرا فاجرته فاقام في منزلي
مدة وكان اعظم الناس باسا واشدهم كبرا فاني لفي منزلي يوما اذ دخل علي
غلام لي فقال هذا رسول علي بن هشام قلت ايذن له وكان علي بن هشام مكنى ما
لي بار بي وكان عادته ان يوجه لي اذا اراد انسا ببعض خدمه الخاصة
فدخل علي انسان عليه سواد فلما رايته رعبت منه فسلم ثم قال لي الامير يطلبك
فنهضت ومضيت فوجدته جالسا فسلمت فرد علي السلام واوما الي فجلست
فضحك في وجهي فسكن روعي فالقى الي كتابا من المامون يقول فيه انه قد
تواترت الاخبار ان الفضل بن الربيع عند اسحاق بن الربيع الموصلي فاركب الى داره بنفسك
حتى تقتحم بنفسك وخذه باحضاره اخذا شديدا فقال ما تقول يا ابا محمد فقلت
اصلح الله الامير واي منة للفضل بن الربيع عندي حتى اعرض نفسي لعظيم المكروه
ونعمتي للزوال واسخط ربي وسلطاني قال صدقت ولكن لا بد من طاعة الخليفة
وانا راكب غدا الى دارك فخلص حرمك وقم الى منزلك قال فانصرفت وعرفت
الفضل بذلك فقال لي يا اخي اطلب لي موضعا انتقل اليه فطلبت له موضعا وقلت
تخرج بالليل من باب الحمام وعليك ثياب النساء قال نعم فالبسته ثيابا من ثياب النساء
فلما اراد ان يخرج قال لي اسحاق قلت لبيك فوالله ما كنانى ولا الا في قوله وتقدم
وهو يقول

لبست

لبست ثيابا للنساء وتحتها عزيمة راي اشبهت سلب النصل

ثم سار الفضل بن الربيع الى هرثمة بن اعين يسأله الامان من المامون فكتب له هرثمة
امانا وكتب للمامون يعلمه بذلك فكتب اليه المامون ان ابن الربيع صار اليك بلا دل
ولا ذمة فاحمله مستوثقا منه الى امير المومنين وان كنت اعطيته عن امير
المومنين ما لم يفوضه اليك لا امان له فاطلقه واسترد الامان منه وخله يمضي حيث
شاء فاوحش ذلك هرثمة واسترد الامان من الفضل وقال له الحق باي البلاد شئت

قال جعفر ابن محمد بن وهب حدثني الفضل بن الربيع بعد
ظفر المامون به بمدة قال لما طال بي البلا واضجرني الهرب والتنقل من بلد الى بلد
حتى انقطعت حيلتي فدخلت دار علي بن صالح حاجب المامون وعلي
قباء اسود فلما خلا مجلسه دنوت منه فقلت اردت كلاما معك فقربني اليه فقلت له
اعرفتني فقال ما انكر سواء قلت الست عمك وشيخك الفضل بن الربيع فتاملني ثم قال
صدقت انت والله عمي وشيخي ثم اخذ بيدي فرفعني ثم اقبل علي فقال
حضرت بامان من امير المومنين قلت لا قال فاستاذن لك احد قلت لا قال فجاءتك
منه رسالة قلت لا قال فعلام حضرت وهلا بعثت الي قبل حضورك فاخذ
لك امانا من امير المومنين قلت حضرت محكما لامير المامون في امري واثقا بسعة المومنين
عفوه فدعى خليفته فقال له اجلس مع عمي ثم نهض فدخل على المامون
فلما وصف صفتي له قال له المامون احسبه الفضل بن الربيع قال نعم يا امير المومنين
هو الفضل بن الربيع وسالته هل حضر بامان من امير المومنين قال حضرت واثقا
بسعة عفوك وعظيم حلمك قال ادخله علي فادخلني عليه وهو
جالس وحده فلما راني قال فضل قلت العبد المخطي المسيء المقر بالذنوب
المعترف بالخطا ضاقت عليه الارض بما رحبت فما وجد ملجا ولا ثوى بشيء لقته
بتطول سيده قال فدعى المامون اخشين الخادم ثم قال له خذ هذا يكن عندك
فاخذني وضمني اليه وكساني وجعل يقيم لي كل يوم الطعام وجميع
ما احتاج اليه فاقمت عنده شهرا على تلك الحال ثم جاءني اخشين وعلي
الثياب التي البسنيها فادخلني المامون فاذا هو جالس في وسط المجلس وعلى مخزل

مخدة وقد طرح صدره عليها فاستدناني ثم قال اقعد فقعدت ثم قال هبني تعذر
نفسك في افعالك التي فعلتها وحملك العشرين الف الف درهم التي امر الرشيد
بحملها الى نفقات خراسان فصيرتها فيما حملت من الاموال الى محمد بن الامير وخالفت
امر الرشيد وكتابك الي تامرني ان انفذ اليك حساب خراسان وما يرتفع من مال وما يخرج
من نفقاتها وبعثك الي بصاحب بريد يكتب لك باخباري واخبار عمالي واصحابي
وهذا كله بخلاف ما كان في شروط الرشيد على صاحبك ابيه وكتابك الي في
القدوم من خراسان الى بغداد وحملك محمد الامير على البيعة لموسى ابنه وهو طفل
صغير بولاية العهد وتزيينك له ان خلعني ولعنني على المنابر وتوجيهك
الي علي ابن عيسى بن ماهان في الجيوش لمحاربتي فلما نصر الله عليه وامكن منه
جعلت توجه الي الجيوش بعد الجيوش لمحاربتي وتلعنني اذا ذكرتني كل هذا
فعلته انت لان محمدا كان امير لما ولي الامر تشاغل بلذاته والقى اليك المقاليد وفوض
اليك التدبير فاحببت ان يصفو سلطانه لك وكنت تعذر فيه نفسك وبعذرك
اهل الجهل مثلك والمتقي بور لبنا الوادنيا معك واعظم من هذا دخلت دار
ووطئت حريمي وهتكت ستر ابنة عمي وتناولتها بيدك واخذت جميع
ما في ملكي وملكها وحملتها الى صاحبك فلما مضى محمد بسبيله طلبت
الامان ووجهت رسلك وكتبت لك كتاب امان وقعت فيه بخطي وحلفت لك
بالايمان التي لا كفارة لها ولا مخرج منها على الوفاء بكل ما اعطيتك
فاخذت الامان ثم نكثت وعاودت الخلاف والمعصية فكل هذا فعلته
فانك لم تف ولم تسكن الى اماني ولم تظن وفاء بعهدي ثم سعيت الى
وجوه بني هاشم تدعوهم الى ان تبايع لهم وتضمن لهم والرجال الى محمد
بن صالح بن المنصور ومرة الى منصور بن المهدي ومرة الى سليمان بن المنصور
فلما لم تجد عند هؤلاء اجابة اخذت ابراهيم بن شكلة الماجن العراب
المغني فاجلسته وسلمت عليه بامرة امير المومنين وسعيت الى القواد حتى بايعوا له
واخذت لهم الهاشميين بالعهد وجئت لسعيد بن الساجور ولعمرو وعلي وعيسى
بن محمد بن خالد واشباههم واعددت الحرب جرعة حتى سفكت بيدي في

الدماء

الدماء الحرام بغير الحق وانتهكت المحارم ونهبت البلدان لا ترعوي ولا تخاف الله
ولا تستحيي ولا ترجع الى تقوى كانك مخلد في الدنيا ثم فعلت ما هو اعظم
من هذا وافتح بحيثك يا ابن الخنا الى مولاتك ام عيسى بنت امير المومنين الهادي
زوجة المامون حتى هجمت عليها في دارها بالرجال فصارت الى بيت منها
فكسرت الباب ودخلت عليها فاخذت بشعرها واخرجتها الى الرجال والسوق
في يديك تعذبها وتسلها عما عندها من الاموال يا ابن الفاجرة البظراء تعرفها
الذي انعم عليك واجلسك المجلس الذي كنت به واحلك المحل الذي لم تكن له
اهلا اما تعاظمك هذا اما كان يجب عليك ان ترعى الحرمة فيها وجدها
المهدي وجد ابيها المنصور يا عبد السوء هذا جزاء من انعم عليك واعتق
رقبتك ورقاب ابيك ان تهتك حرمته وتهتك ستر ابنته وتخرجها مكشوفة الشعر
والوجه والصدر الى الرجال لو كنت امة من عوام الناس ثم كنت ممن يرجع
الى حياء او تكرم ما فعلت هذا ولكنك رجعت يا عبد السوء الى طبعك
واصلك الدني وما يعلمه الناس ان اباك كان ولد زنا وانت والله مثله لا شك
في ذلك ثم ما فعلت في الجوهر احضرت القضاة والفقهاء ووجوه التجار
والعدول فاخرجت اليهم سفطا مختوما بخاتم الرشيد ففتحته واخرجت منه
احجارا وجوهرا نفيسا فذكرت ان الرشيد دفعه الي وامرني ان تحتفظ به لما عسى
ان يدخل الملك من الاضطراب فيحتاج الى هذا ومثله ثم جعلت ترمي تلك الاحجار
وتجعلها في الهواء وتسحقها وتاخذ شهادة الشهود على حجر حجر وصفته
ووزنه وانك سحقته تخدعهم يا ابن الخبيثة فجعلك الرشيد رحمه الله في موضع
الامانة وانك ثقة لم تر نفسك يا ملعون موضعا لذلك ولا اهلا له فهلا احتفظت
به الى ان تتقرب به وتجعل اداء الامانة فيه سببا لامانتك وسلامتك وخلاص نفسك
ولكن فعلت ما يفعل العبد اللئيم الغاش الخائن مثلك فقال الفضل فوالله مذ
فرغ من كلامه الا وانا لا ادري ابرانا قد ضل عقلي وخفق قلبي ورايت الا ناجية
لي فلم يكن لي لسان اجيبه به ولا قدرت ان ارد عليه شيئا ثم امر خشيرا يقيمني
فاقامني وردني الى الموضع الذي كنت فيه فوالله ما انتفعت بمطعم ولا مشرب

ولا منام وما كان اعظم ما اتمناه الا ان يامر بضرب عنقي فاني اقمت على الروع والهلع
واضطراب القلب فيما كان الموت عندي والله اروح منه فلما مضت ثلاثون ليلة من
مجلسه ذلك دعاني في مثل ذلك الوقت فتذكرت على ذنوبي وافعالي ولعلها تكون
آخر من الدنيا فلما دخلت عليه وجدته جالسا في ذلك الموضع وعلى تلك الحال
فقال يا فضل قلت لبيك يا سيدي المذنب المسيء الظالم لنفسه قال ما خبرك
قلت والله ما اجد قلبي نارا يرجو نجحي وان اعظم ما اتمناه الموت ان يعجل بي قال اني كنت
امرت بجمع عيالك وولدك وسائر اهلك في منزل وان تجري لهم الانزال التي تقيمهم
فاختر بين ان امر لك بجاري الف درهم في كل يوم فتحمل لك من بيت المال ثلاثون
الف درهم في الشهر وبين ان اعطيك من ضياعك ما يكون فيه هذا المقدار قلت
يا سيدي وهل لي فرح في اهل او ولد او طمع في الحياة فقال يا علي بن صالح خذ
بيده فاحمله على دابة من دوابك وابعث معه جماعة من اصحابك يسيرون
معه الى عياله فسار وابي الى عيالي وولدي فما صدقت بذلك ولا صدق بي اهلي
قال فاقمت في منزلي شهورا ثم اذن لي المامون بالركوب معه فكنت اركب في خفتان
ابيض وعمامة وخف بغير سيف ولا منطقة فاقف اذا جلس المامون بحيث يراني
في افضل الدار فاذا انحى في الناس انصرفت اليه ولما اذن المامون له بما اذن دخل على
ابن صالح الحاجب فقال يا امير المومنين في الدار ابن الفضل بن الربيع فقال في اخسها
فخرج اليه على ما شيا الى الباب الخارج وقال يا فضل ها هنا من تبتدي ويعز والله
على ذلك فاجلس في اخريات الناس قال فجلس هنالك واسمعه رجل ما يكره
فقال له الفضل ان امير المومنين وان كان قد اسقطني والزمني منزلي فلم يسلط
الناس علي ولم يوجب على الصبر لهم فكف عني والا كفيتك وانت اعلم
وكان الفضل يقول ما اخذت من العقل والتجربة احب الي مما ذهب من المال والرتبة
وشكى سالم الخاسر الى الفضل بن الربيع حاله فقال انا في ضيقة فاغز والى
ان تتسع فلما سار سالم الى منزله انفذ له الفضل ثلاث مائة دينار فقال سالم

ليس جود الفتى عن فضل مال ... انما الجود للمقل المواسي
قد قضى الفضل ما عليه من الوعد ... وما زال ذاكرا غير ناسي

ما بالي اذا افتقرت اذا ما ... دفع الله عن ابي العباس

وذكر عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع قال ما مدحنا بشعر احب الينا
من شعر ابي نواس حيث يقول في شعره

ساد الملوك ثلاثة ما منهم ... ان حصلوا الا اغر قريع
ساد الربيع وساد فضل بعده ... وعلت بعباس الكريم فروع
عباس عباس اذا احتدم الوغى ... والفضل فضل والربيع ربيع

وذكر موسى بن ابراهيم الشعودي قال ارسلني المامون الى الفضل ابن يحيى
في علته التي مات فيها فقال لي اعلمه اني قد رضيت عنه فليسألني ما شاء من
امواله حتى اردها عليه وليقل ما شاء وما احب حتى اجيبه اليه فلما بلغته الرسالة قال لي
قل له انا الى رضا ربي عز وجل احوج مني الى رضاك والى قليل من العافية احوج مني
الى عطيتك فاديت ذلك الى المامون فقال انا اعلم الناس بكبر نفسه وسمو همته
وتوفي في غد هذا اليوم ودخل في سنة ثمان ومائتين وهو ابن ثلاث وسبعين سنة وكان
مولده سنة اربعين ومائة وقال حارثة بن مسلم بن الوليد يرثيه وكان في ناحيته
ومن حاشيته

عيني بكت لابن الربيع ابي العباس ... زين الورى وغيث اللهيف
كان والله صادق القول والفعل ... شريف النوال وابن شريف
جرعته الايام كاس اعتضاض ... ثم اهدته بعدها للحتوف

فهذا ما كان في نكبة الفضل واماته واما ابراهيم بن المهدي فذكرنا له قبل ذلك
وما كان من امره في تخفيه وامانه **قال ابو الفرج الاصبهاني**
حدثني عمي قال حدثني احمد بن ابي طاهر قال حدثني ابو دعامة علي بن يزيد
قال حدثني التميمي ابو محمد قال دخلت على الحسن بن سهل فانشدته مديحا في
المامون ومديحا فيه وعنده طاهر بن الحسين فقال له طاهر والله ايها الامير
الذي يقول في محمد المخلوع هذا الشعر

لا بد من سكرة على طرب ... لعل روحا يدال من كرب
خليفة الله خير منتخب ... لخير ام من هاشم واب

خلافة الله قد توارثها * آباؤه في سالف الكتب
فهي له دونكم موروثة * عن خاتم الأنبياء في الحقب

قال الحسن عرض والله ابن اللخناء يا أمير المومنين والله لا علمته فقدم إلى المامون فأخبرني فقال وما عليه من ذلك رجل أطار رجلا فمدحه والله لقد أحسن إلينا وأساء إليه إذ لم يتقرب إليه ثم دعاني فخلع علي وحملني وأمر لي بعشرة آلاف درهم قيل كان بين غسان بن عباد وعلي بن عيسى وقفة أدت إلى عداوة وكان علي بن عيسى القمي ضامنا أعمال الخوارج والضياع ببلده فبقيت عليه بقية مبلغها أربعون ألف دينار فألح المامون في اقتضائها إياها ومطالبته بها إلى أن قال العلو بن صالح حاجبه طالب علي بن عيسى بما بقي عليه وانظره لثلاثة أيام فإن أحضر المال قبل اقتضائها وإلا فاضربه بالسياط حتى يؤديها أو يتلف فانصرف علي بن عيسى عن دار المامون آيسا من نفسه إذ كان لا يعرف وجها

بياض بالأصل

قال وغلب على المامون وعلى جميع أموره كلها الفضل بن سهل بن زادان فروخ أصله من قرية من قرى السيب الأعلى وكان مجوسيا وأبوه سهل مجوسي فأسلم سهل على يدي سالم بن الهيج مولى يحيى بن خالد بن برمك ولم يزل سهل يخدم مذ أسلم حتى خالط أسباب البرامكة وأحضر ابنيه الفضل والحسن فاتصل الفضل بن سهل بالعباس بن الفضل بن يحيى بن خالد وخدما مهما وعرفهما يحيى بن خالد وركن لهما ولا بنيهما وكان يحيى يحافظ على يسير الخدمة فنقل الفضل بن سهل ليحيى بن خالد كتابا من الفارسية إلى العربية فأعجب بفهمه وحسن عبارته فقال له إني أراك دليلا ستبلغ مبلغا رفيعا سنيا حتى أجد لك السبيل إلى أن أخالطك في أمورنا والإحسان إليك قال نعم أيها الوزير وأنا أسلم على يديك فدعى يسلام مولاه وقال له خذ بيد هذا الفتى وامض به إلى جعفر وقل له يدخل به إلى المامون وكان المامون في حجر جعفر فقال له اذهب به حتى يسلم على يديه فأدخله جعفر على المامون فأسلم بين يديه فوصله وأحسن إليه وأجرى له رزقا مع حشمه ولم يزل ملازما للفضل بن جعفر بن يحيى إلى أن أصيب فلزم المامون وذكر أن جعفر بن يحيى لما عزم على استخدام الفضل بن سهل للمامون في حضرة يحيى بن خالد بحضرة الرشيد فقال له الرشيد أوصله إلي فلما وصل إليه أدركته حيرة فسكت فنظر الرشيد إلى يحيى نظر منكر لاختياره فقال الفضل بن سهل يا أمير المومنين إن من أعدل الشواهد على فراهة المملوك أن تملك قلبه هيبة سيده فقال له الرشيد لئن كنت سكت لتصوغ هذا الكلام لقد أحسنت ولئن كان بديهة إنه لأحسن وأحسن ثم لم يسأله بعد ذلك عن شيء إلا أجابه بما يصدق تفرس يحيى له ولما شخص الرشيد إلى خراسان لانتقاضها برافع بن الليث بن نصر بن سيار خلف ولده الأمير محمد ببغداد وحمل معه محمد بن سليمان الكاتب يكتب له ويدبر أموره وعزم على تخليف المامون أيضا وأن لا يشخصه معه فقال له الفضل بن سهل لا تقبل أن تستخلف وسله أن يشخصك معه فإنه عليل وعمر مامون إن حدث به حدث الموت أن يثب عليك أخوك محمد الأمين فيخلعك وأمه زبيدة وأخواله بنو هاشم فسأل المامون الرشيد إشخاصه معه

فأبى عليه فقال له إذ أريد أن آخذ منك في هذه العلة ولست أسأل منك حاجة ولا أحملك
مؤونة فسار معه فقلده خراسان وجرجان وطبرستان والري وما انضاف إليهما فقال له
الفضل بن سهل هذا أول عمل قلدته فأحسن إلى الناس يحبوك وسر فيهم سيرة محمودة
تملك بها قلوبهم ففعل ذلك المأمون وعدل واستفضل بعد ذلك عشرة آلاف
درهم فحملها إلى الرشيد فقال له هذه من جهتك أحب إلي من مائة ألف دينار من غيرك
ولقب المأمون الفضل بن سهل ذا الرياستين ومعنى ذلك رياسة الحرب ورياسة التدبير
وعقد له اللواء على سنان ذي شعبتين وأعطاه مع العقد علما قد كتب عليه لقبه
وذكر جماعة من أهل العلم أنهم رأوا السيف وعلى أحد وجهيه
رياسة الحرب وعلى الآخر رياسة التدبير وكان يأمر مع الوزارة وهو أول وزير لقب
وأول وزير اجتمع له اللقب والوزارة والتأمير **وقال الفضل بن سهل**
قال لي المأمون لما استخلف قد سميتك ذا الرياستين ثم قال لي ما يعجب الناس مما أنا منك
وقد قمت لي بالخلافة والله لقد كان هارون أمير المؤمنين يصنع بسلام خادم
يحيى بن خالد أكثر مما أصنع بك ولقد رأيتني وعمدة أخي وتحولات العهد
نمشي مع أمير المؤمنين وسلام معه راكب بسار له **وذكر عيسى بن محمد**
أنه رأى توقيعا بخط المأمون للفضل بن سهل نسخته أعنيت بفضل بن سهل بمعاونتك
إياي على طاعة الله عز وجل وإقامة سلطاني فرأيت أن أعينك وسبقت الناس
من الحاضر الذي كان والغائب الذي كان عني فأحببت أن أسوق لك بالكتاب
بخطي لما رأيته لك على نفسي وأنا أسأل الله تمامه بأن حوطي وقوتي ومقدرتي وفيك
وبسطي به لا شريك له وقد أقطعتك السيب بأرض العراق على حيازة تميم
مولى أمير المؤمنين عطاء لك ولعقبك لما أنت عليه من النزاهة عن أموال رعيتي
وما قمت فيه من حق الله تعالى وحقي فلم تأخذك في لومة لائم ولم تراقب ذا سلطان
ولا غيره وقد جعلت لك مع ذلك مرتبة من قبول كل شيء تسمح منه لا تنقص منك
مرتبة آخر ما الزمن ما أمرت به من العمل لله عز وجل ولدينه والقيام بصلاح دولة
أنت ولي بقيا مهل وجعلت ذلك كله لك بشهادة الله تعالى ذكره وجعلته
لي وكيلا على عهدي وكتبت بخطي سنة ست وتسعين ومائة **وكتب**

الى الناس

إلى الناس أن من زكته صروف الدهر فخلص عليها كان موضعا لخيرة المختار ومن تقدم
له جميل البلاء وجزيل الغناء فحقيق بحسن المكافآت والجزاء وإن أمير المؤمنين لما اختبر ذا الرياستين
ورضي منهاجه وطريقته وحمد علانيته وسريرته رآه للخاصة أهلا وللثقة موضعا
وكان الفضل بن سهل سخيا نبيل النفس كثير الأفضال يذهب مذاهب
البرامكة وفي ذلك كان غليظ العقوبة إذا عاقب مقرا ما إذا أنكر حسن الرجوع
إذا استعطف وكان مستقلا بما يحتاج إليه من حل عقده وربما أنكر على بعض أصحابه
شيئا فإذا تقرب إليه بخدمة منه أو بمناولته شيئا أو ملازمة زال ما في نفسه منه وله يقول
مسلم بن الوليد في قصيدة طويلة منها هذه الأبيات

أقطور كأني إلى مرو فإن بها ... ملكا عليه علا والمجد مقصور
الجود همته والخير بغيته ... فطبع دولته عز وتأمير
إذ دبر بغداد الإمام به ... مرو والرياسة والاهو تحبير
ليهد خلت إلى مرو وأمكنتي ... لا شك نجار الخير مشكور
لا شك وعن آل سلام ماد بعد ... عنهم يداك ثناء فيه تحبير

وكان الفضل بن سهل يقول عجبت لمن يرجو من فوقه كيف يمنع من دونه
ووقع الفضل إلى خزيمة بن خازم الأمور بتمامها والأعمال بخواتمها
والصنائع باستدامتها وإلى الغاية يجري الجواد وهناك كشفت الخبرة فساغ
الشكر بحمد السابق وذم الساقة وكان إذا أتاه ساع يسعى بأحد عنده ذمه
وقال أبي برق بن الصلت بعث إلي الفضل بن سهل ذات ليلة يأمرني
بحضور الدار والمقام فيها إلى وقت خروجه من عند المأمون فحضرتها بعد صلاة
العتمة فأقمت بها إلى أن خرج الفضل في وقت السحر فلقيته وبين يديه خرايط
كثيرة فقال لي أصليت صلاة الليل قلت نعم فقال لكنني ما صليت فكرها هنا
إلى أن صلى فصلى ثم انفتل من صلاته ثم دعاني فقال لي أتدري ما هذه الخرايط
قلت لا قال هذه ثمان وستون خريطة وردت في هذه الليلة وقرأتها وأجبت عما فيها
بخطي بدعوت له بحسن المعونة والتوفيق **وكان ليحيى** بن خالد
بن برمك جارية قد خصت به في آخر أيامه ولطف موقعها منه وولدت له غلاما

فلما حبس ابن ابي امكنه واخذ جميع ما يملكونه ساءت حال الجارية فكتبت الى
يحيى وهو في السجن تعرفه حالها وحال ولدها فشق ذلك عليه وبلغ منه وبعث
اليهما ما اعين به احوالهما وبعث اليها في امركم انت وولدك الا رجلا لا حال له في هذا
الوقت ولم يكن للفضل بن سهل حال في ايام الرشيد وان صارت له حال وسيعظم
رجوت ان يبلغ بك وبولدك ما تحبين ثم كتب لها كتابا اليه وقال لها اذا بلغك ان لهذا
الرجل حالا فوجهي بالكتاب اليه فلما توفي الرشيد وقام المامون بخراسان
ورجع التدبير الى الفضل بن سهل وجهت الجارية بالكتاب مع رسول فاوصله اليه
فصار الى الفضل فقال رجل بالباب فاذن له فادخله عليه فساله عن خبر الجارية
والغلام فعرفه اياه ثم امر ان ينزل ويحسن اليه وقال لقهرمانه كم عندك من
المال قال كان عندي عشرة الاف دينار فانفقنا منها ثلاثة الاف وبقي سبعة
الاف فقال له احتل بتمامها ثم بعث بالكتاب الى اخيه الحسن بن سهل يقول له هذا
خطاب علي يحيى بن خالد رحمه الله فاحمل الي كلما تهيا لك من المال
فحمل اليه عشرة الاف دينار ثم جمع اولاده وجميع اسبابه فجمع منهم
عشرة الاف دينار فدفع جميع ذلك الى الرسول وكتب الى الجارية معتذرا
من تقصيره ووعدها ان يوجه لها بعد الثلاثين الف دينار بشيء اخر عند
دخوله العراق فيبلغ ما يلزمه من حقها رحمه الله تعالى وقال ابو علي
بن سعيد قال لي ذو الرياستين وكنت حاجبه انك قد صرت حاجبي
وتسمع مني السر والعلانية وربما ذكرت الرجل فاسات ذكره فلا يبوئن ذلك فيه
ولا تتغير له بما سمعت مني فلعل ذلك غاية عفوي اياه وفي الفضل
يقول عبد الله بن ايوب التميمي

لعمرك ما الاشراف في كل بلدة ... وان عظموا الا لفضل صنائع
ترى عظماء الناس للفضل خشعا ... اذا ما برا والفضل لله خاشع
تواضع لما زاده الله رفعة ... وكل عزيز عنده لك متواضع

واستولى الفضل على المامون وعارضه في شهواته حتى ضايقه في جارية اراد شراءها
فتغير له المامون وشاع ذلك عند جماعة حاشية المامون فكتب اليه يحيى

بن معاذ

بن معاذ رقعة صغيرة يقول له فيها اغض منه تنتفع به فقراها المامون
وخرقها ورمى بها وكان المامون ينشد كثيرا لما تغير للفضل هذا البيت

وخطة خسف يجعل الموت دونها ... يقول بها للموت اهلا ومرحبا

وقال المامون يوما للفضل بن سهل اني اخاف عليك قوما يقتلونك
فلا تركب الا في جيش وذلك بعد تغيره له عليه فقال له الفضل ما اخاف غيرك
فان امنتني لم يضرني احد ودخل الفضل على امه في الليلة التي
قتل في صبيحتها فقعد الى جانبها وجعل يعظها واقبل يعزيها عن
نفسه ويذكر حوادث الدهر وتقضي امور العباد ثم قبل صدرها وثديها
وودعها وداع المفارق ثم قام فخرج وهو قلق منزعج لما دله عليه الحساب
فجعل ينتقل من موضع الى موضع ومن مجلس الى مجلس وامتنع عنه النوم فلما
كان في السحر قام الى الحمام وقدر ان يجعل همه وكربه وحرارته هو الذي
دلت عليه النجوم فقدمت له بغلة فركبها وكان الحمام في اخر البستان
فكبت به البغلة فسقط عنها فسره ذلك وقدر انها النكبة التي يتخوفها
ثم مشى الى الحمام ولم يركب حتى دخل اليه واغتسل فيه فقتل هنالك رحمت
الله عليه وكان المتولي قتله غالب المسعودي الاسود وقسطنطين
الرومي وفرج الديلمي وموفق الصقلي فقتلوه وهي بول ووقعت الصيحة فركب
المامون حتى وقف بباب الحمام واخرج ذو الرياستين وبه عدة ضربات فنزل
المامون عن دابته ووقع عليه يقبل وجهه ويبكي ومشى المامون من الحمام
الى الدار على الاقدام ثم وقف عليه حتى غسل وكفنه بيده وحنطه
وركب في بياض حتى صلى عليه وغلبته العبرة حتى ارتفع صوته بالبكاء وامر
المامون بطلب الذين قتلوه وركب بنفسه وبذل لمن طلبهم عشرة الاف دينار
فاتى بهم العباس بن الهيثم الدينوري فامر بضرب اعناقهم فقالوا ليس من الانصاف
يا امير المومنين تامرنا بقتله ثم تقتلنا به فلم يكترث بهم وامر بقتلهم وضربت
اعناقهم ثم التفت الى علي بن موسى فقال له اصبحت والله من الوحشة بعد اخي ذي الرياستين
رضي الله عنه كواحد في فلاة ان دهمه ليل خاف السبع او نهار خاف العدو

قف على قتل الفضل رحمت الله عليه

وهو فيما بينهما عار من الزاد وفاقة وابن سبيل ثم جعل ينتحب ويترحم عليه
فما زالت تلك حاله حتى نودي بالظهر ثم انفذ روس قتلة الفضل والمتهمين به
الى الحسن اخيه وكتب اليه بالتعزية وانفذ اليه خاتمه ورد اليه جميع اموره وامر
بانشاء الكتب عن خليفة ذي الرياستين فكانت الكتب تجري الى العمال بذلك من غير
ان يسمى احد وقصد المامون ام الفضل معزيا لها وحلف لها لما وصل اليها ان لا
تقوم واطال الجلوس عندها وواصلت البكاء والنحيب فقال لها يا امة اقلي البكاء
فانا عوض لك من ذي الرياستين فقالت يا امير المومنين وكيف لا ابكي على ابن
ورثني ابنا مثلك وكان قتله في الحمام بسرخس بموضع يقال له الزوراز يوم
الجمعة لليلتين خلتا من شعبان سنة اثنين وثمانين وماية وهو ابن ستين سنة
وذكر محمد بن سعيد انه وجد على كتاب من كتب ذي الرياستين
ما نسخته في الشهر الذي ينتقل فيه هذه السنة تكون النكبة المخيفة التي نسأل
الله عز وجل ونرغب اليه في دفعها واقول عند هذا وقوله لا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم واتوكل على الله جل اسمه والا غلب عندي ان ارجع من حساب
الفلك شيء ان الامر واقع لا محالة فنسأل الله تعالى ان يثبت قلوبنا حتى ننقلب الى داره
التي وعدها اولياءه على خير سبيل وان يختم لنا بالحسنى بمنه ورثته الشعراء
فاكثرت وذكرته فاشبعت فقال دعبل بن علي يرثيه

مضى الفضل والافضال يكنف نعشه ... وكل يد للمعتفين فقود
مضى كافل الايتام بالبر والتقى ... ومن كان في الخيرات غير زهيد
اذلت له الايام كل ممنع ... وارضت به الايام كل حسود
فاضحى فر الموت عند حلوله ... وقد كان يفري الموت كل عنود
عفت بهجة الدنيا واظلم نورها ... واخلق بعد الفضل كل جديد
فقل للمنايا حيث شئت فيممي ... من الناس اذ وكلتني بشهود
فلست تبالي بعده اثر هالك ... ولا عن ملمات الردى الحيود
ولا مطعما كهلا لا عظام اهله ... ولا مرتج ما عشت قبر وليد

واقام اخوه الحسن بن سهل ببغداد يدبر الامور الى ان وصل

المامون

المامون من بغداد الى خراسان فاشتمل عليه الحسن وقرب من قلبه واوقع الصهر
بينه وبينه على ابنته بوران واسمها خديجة وانحدر المامون الى فم الصلح للبناء ببوران
في آخر شهر رمضان المعظم سنة عشر ومايتين فدخل بها في المدينة التي
بناها الحسن بن سهل على دجلة مما يلي النيل ودخل محمد بن الحسن بابنة عمه الفضل
بن سهل في شوال فاقام المامون بجميع من معه عند الحسن في منزل الحسن ووصل
القواد واحتمل ما لم ير مثله جلالة وكثرة فجليت عليه فرش لا يرى مثلها وفرش
له حصير من ذهب وجيء بمكيال من ذهب مرصع بالجوهر والاحجار مملو بها
فنثر على تلك الحصير وكان ممن حضر من النساء امة العزيز زبيدة وحمدونة
بنت الرشيد فلم تلتقط واحدة منهن شيئا من ذلك الحب فقال المامون لمن حضر
اتين منهن بالاكرام فمدت كل واحدة منهن يدها فاخذت حبة وبقي الجوهر
على ذلك الحصير يلوح فقال المامون قاتل الله الحسن بن هاني كانه كان حاضرا
حيث يقول

كان كبرا وصغرا من فواقعها ... حصباء در على ارض من الذهب

قال ثم انصرف وخلف بوران عند امها الى ان تحمل اليه فكانت مدته في مسيره
ومقامه ورجعته اربعين يوما **وذكر احمد** بن الحسن قال كانت سعة
المامون الى فم الصلح مباركة ثم فيها رضاه على ابراهيم بن المهدي وقد كان
ادخل عليه ببغداد الا ان الحسن بن سهل وصله اليه لما تكامل سروره وتم عليه
مائة الف حبة جوهر وفرشت حصير من ذهب مثل الموضع الذي كان واشعل
بين يديه شمعة عنبر فيها مائة رطل ونثر للقواد رقاعا فيها اسماء ضياع
فمن وقعت في يده رقعة بضيعة اشهد له الحسن بها فانفق الحسن في هذه الوليمة
اربعة آلاف الف دينار فلما اراد المامون الانصراف امر له بالف الف دينار واقطعه
الصلح وعاتبه على اجهاده وحمله على نفسه فقال له الحسن يا امير المومنين
اتظن ان هذا من مال سهل والله ما هو الا من مالك رد اليك ووضع المامون من خزان
العنبر فعملت له مثله من الشمع وكان الليل مدة مقامه منها كالنهار
في قصره وما قاربه **وذكر الحسن** بن روحا قال قدم علينا على

بن جبلة الى عسكر الحسن بن سهل والمامون امير المومنين هنالك فابا على بوران بنت
الحسن بن سهل ونحن اذ ذاك نجري على نيف وسبعين الف ملاح وكان الحسن بن سهل
يسهر مع المامون حتى يتصبح فيجلس الحسن للناس الى وقت انتباهه فلما ورد علي
بن جبلة قلت قد ترى شغل الامير قال اذن لا اضيع معك قلت اجل قد خلت على
الحسن بن سهل في وقت ظهوره فاعلمته بمكانه فقال الا ترى ما نحن فيه قلت لست
بمشغول عن امره فقال يعطى عشرة الاف الى ان نفرغ له فاعلمت ذلك علي
ابن جبلة فقال في كلمة له

اعطيتني يا ولي الحق مبتديا ... عطية كافات مدحي ولم ترني
ما شمت برقك حتى نلت ريقه ... كانما كنت بالجدوا تبادرني

وكانت غلة الحسن بن سهل في كل سنة ثلاثة عشر الف الف ينفق
منها ستة الاف الف ويتفضل بسايرها وكانت ارزاقه من المامون في كل شهر
سبعين الف درهم ومعونته في كل سنة عشرة الاف دينار وتاخذ السنة وعليه
دين واعتمد المامون في وزارته على ابي الفضل عمرو بن مسعدة
وكان احد كتابه وله مكانة منه ومنزلة عنده فامر المامون الكتاب ان
يعملوا لعمرو بن مسعدة عملا بما يلزمه من المال في اعمال السواد التي كان يتقلدها
فعملوا له عملا بثمانية وعشرين الف الف درهم فامرهم المامون باعادة
النظر فيه واسقاط كل ما فيه من تاويل وحجة ويقع قوله على ما لا بد منه ولا
يحتج الى ابطال شيء منه فقدر العمل على اثنين وعشرين الف الف درهم لم يكن له
في درهم منها شبهة فضلا عن حجة فدعى به المامون وقال له ما تقول في هذا
المال فقال صحيح وعندي منه ثمانية عشر الف الف درهم وتخرمت مونتي منه
اربعة الاف الف درهم فقال له المامون ليحمل لك من بيت المال اربعة الاف الف درهم
مكان ما تخرمته بنفقتك ومونتك وبارك الله لك في الجميع جزاء على صدقك
قال عمرو ابن مسعدة فحمل الي المال قال وكنت باحظ منزلة عنده ثم تنبهت
على اعراض منه عني لم اعرف سببه فتوصلت الى معرفته فلم اقدر على ذلك
فقلت له يا امير المومنين تفضلت علي بافضل نعمة واحسنت الي فوق كل احسان

وحجت

وحجت لي عن المال الجليل الذي لم يصفح احد عن مثله واراك قد اعرضت
عني اعراضا لا اعرف سببه وقد اقلقني ذلك وافزعني قال فقال لي يا عمرو وانا لم
نحسن اليكم لتحمدونا بغير ما نحبه وانا لنعلم ان لكم نعما واحوالا فلو كنتم
تظهرون نعمكم في منازلكم كان ذلك اشبه بكم ما معنى دخولك
علي وعليك قباء وشي فوقه قباء ملحم كانه لا اعلم انك تقدر على ذلك
ولا على ما هو اكثر منه فقلت لست اعود يا امير المومنين الى شيء انكرته ابدا
قال فلم يلبس عمرو بعد ذلك الا قباء باكثر من اربعة دنانير او خمسة وسلم
من عتب المامون وكانت وفاة عمرو بن مسعدة باذنة وهو في عسكر
المامون في شهر ربيع الاخر سنة خمس عشرة ومايتين وكانت
خلافة المامون احدى وعشرين سنة منها اربعة عشر شهرا كان يحارب فيها
اخاه محمد الامين وقيل ستتان وخمسة اشهر وكان اهل خراسان في تلك الحروب
يسلمون عليه بالخلافة ويدعى له على المنابر في الامصار والحرمين والكور
والسهل والجبل مما حواله طاهر بن الحسين وغلب عليه ويسلم على محمد
الامين بالخلافة من كان ببغداد وتوفي بالبذندون وهي على عين العشيرة
التي يخرج منها هذا النهر المعروف بالبذندون حين انصرف من غزاته
وحمل الى طرسوس ودفن بها عن يسار المسجد وذلك يوم الخميس لسبع
عشرة ليلة مضت من رجب سنة ثمان عشرة ومايتين وهو ابن تسع واربعين سنة
وقيل ابن ثمان واربعين رحمة الله عليه امين

ذكر المعتصم الى شبل

هو محمد بن هارون الرشيد يكنى ابا اسحاق ولقبه المعتصم بالله امه ام ولد
تسمى ماردة بنت شبيب وكانت احظ الناس عند الرشيد كان اذا لم يصل
اليها يوما وجه اليها الف دينار مكان ذلك فولدت المعتصم بالخلد ببغداد
بويع يوم توفي اخوه المامون بالبذندون وهو ابن ثمان
وثلاثين سنة وشهرين وجرى بينه وبين العباس بن المامون حينئذ تنازع في المجلس

ثم انفاد العباس الى بيعته وذلك ان المامون لما دفن اجتمع المعتصم والعباس بن
المامون فقال المعتصم للعباس اتعلم يا ابا الفضل ان امير المومنين كتب لاهل البشروذ.
امانا وانه كتب فيه هذا امان من عبد الله الامام امير المومنين واخيه ابي اسحاق وانه
كتب اليك يامرك ان تكون مكاتبتك اياي بالتامير وكتب بذلك الى الحسن بن سهل
والى عبد الله بن طاهر وكتب الي يعلمني بما امر به غيري وهذا كتابه الي بذلك
وفيه **اما بعد** فان الله قد جعل محلك من امير المومنين وموقعك
منه بما وهبك من التقدم في المعاونة على طاعته وابتذال النفس والمال بما فيه اعزاز
دين الله وطاعة خليفته واقامة دولة الحق ودفع اهل الزيغ والباطل مجتهدا
غير وان ومشمرا غير مقصر وناهضا عند كل حادثة غير مفرط ومناصحا
غير خاذل المحل الذي اوجب رفع منزلتك واكبار جلالتك وتقديمك وتعريف
الخاصة والعامة موضعك وقد تامل امير المومنين كتبت من قبلك تبعك
ممن هو دونك من ايثار التواضع والتوقف الكثير والتزحزح للانصاف والمقاربة لمن
اوجبت له الحق بطاعته لامير المومنين وتقدمه نصرة حقه وكره هذه الارتفاع
عليهم تكاتبهم بمكاتبة تجاوز بها مقدار البر الى الاجلال ومقدار الانصاف
الى الاعظام ويكاتبونك بمثل ما تكاتبهم به فاراد امير المومنين ان يحسن
لك حدا تقتصر بنفسك عليه وتقضي به حق الله محمد الحسين بن امير المومنين
الى العباس بن امير المومنين والى ابي محمد الحسن بن سهل وعبد الله بن طاهر مولى
امير المومنين فامرهم بمكاتبتهم بالتامير لك ونهاهم عن مخالفة ذلك
فيما يوردون عليك من كتبهم فاعلم ذلك من راي امير المومنين
ولتكن مكاتبتك للعباس بن امير المومنين ولابي محمد الحسن وعبد الله بن
طاهر فمن دونهم على حسب ما اعلمك به امير المومنين وحري ان شاء الله والسلام
فقال العباس نعم قد كتب الي امير المومنين بذلك فسار على عجيف وعلى عنبسة
بن اسحاق وهي ثمة من النظر ورشيد اكثر فيه له بذلك اذ كان املهم ان يلي
هو الخلافة فلما اكثر به قال له يا ابا الفضل فلولا ان امير المومنين جعلني ولي
عهده لما امر ان تكون مكاتبتك اياي بالتامير وكنت انا بتامير لك لو كنت •

ولي

ولي عهدا واراد ذلك مني ولكن لي على عهد الله وميثاقه ان يخلعني ولي
عهدي وان اقر الاعمال التي في يدي على حالها وازيد في اقطاعي واعمالك
ولا اخالف شيئا تريده وتهواه وكان اشناس وخاقان وايتاخ واصحابهم مع
المعتصم وقد اخذوا عدتهم فبايع له العباس وعجيف وساير من كان معه
من القواد الكبار وكان جمهور القواد والاجناد ينتظرون خروج العباس
ليبايعوه فخرج الخبر اليهم انه قد بايع لابي اسحاق فصاح الجند وضجوا وقالوا
لا نرضى الا بالعباس بن المامون فقال له ابو اسحاق جعلني الله فداك اخرج الى الناس
فاعلمهم انك قد بايعت على محبتك وهواك فخرج اليهم فقال لهم ما هذا
الخطب البارد قد بايعت عمي وسلمت الامر اليه قال فافترقوا ونفذت الكتب
بالبيعة الى الامصار والى عبد الله بن طاهر فبايع له ابن طاهر وجميع من تحت
حكمه وكتب جوابك الى ابي اسحاق ولعبد الله ابي اسحاق الامام المعتصم بالله امير
المومنين فلقبه المعتصم وقيل ان الذي لقبه المعتصم القاضي احمد بن ابي داود
وكان المعتصم خايفا من مخافة بن طاهر فلما وردت بيعته سكنت
نفسه وقدم المعتصم بغداد مستهل شهر رمضان سنة ثمان عشرة ومايتين
ونزل بالرصافة وابن ابي داود يسايره يعد والمعتصم في اهل بيته ثلاثين الف درهم
فانشده احد الشعراء قصيدة منها

عينان واحدة نوراء مسرورة ● بما بها حزنا واخرى تذرف

مذكورة في عينه هذا فامر له بجايزة **وكان المعتصم** ابيض مشربا
بحمرة اصهب مربوعا حسن الجسم والعينين طويل اللحية شديد البدن يحمل
الف رطل ويمشي بها خطوات وكان شجاعا وزيره وكاتبه الفضل بن مروان
وحاجبه محمد بن حماد وقاضيه احمد بن ابي داود الايادي ومن
غلب عليه وصاحب جيوشه الافشين التركي وصاحب حرسه وصيف التركي
مولاه وصاحب شرطته اسحاق بن ابراهيم **نقش خاتمه**
اعتصمت بالله ونقش طابعه سل الله يعطيك وقد قيل انه نصر الهوى
بطل الراي وكان ذا باس وبسالة وشهامة وجزالة عادلا في احكامه مطعما

في ايامه لم يشرب النبيذ لكنه كان يجلس مستترا لسماع الغنا وكان يحب عمارة الارض
وتيسير البناء ويقول ان فيها امورا محمودة منها عمارة الارض التي تحيا بها العالم ويزكو
الخراج وتكثر الاموال وتعيش البهايم وترخص الاسعار وتكثر الكسب ويتسع
المعاش **وكان يقول** لوزيره محمد بن عبد الملك الزيات اذا وجدت موضعا
متى انفقت فيه عشرة دراهم ارتفع فيه بعد سنة احدى عشر درهما فلا تستشرني
فيه وكان رحل من بغداد فاتخذ سر من راى قاعدة **وكانت له فتوحات**
جليلة عظيمة الغنا على الاسلام منها قتل بابك الخرمي وكان معلنا لدين
المجوسية واشتد سلطانه ببلاد الران والبيلقان وكثر عيثه في تلك الديار وجالت
جيوشه في تلك الامصار وبقي نحو العشرين سنة يهزم الجيوش السلطانية ويضع
سيفه في الاسلام ومنها قتل المازيار المجوسي صاحب جبل طبرستان وكان معلنا
لدين المجوسية ومنها قتل العجم له بالجبل وقد قاموا ايضا بدين المجوسية وفتح
عمورية وهو اخر خليفة غزا ارض الكفر بنفسه وكان اميا لا يقرا ولا يكتب
لانه كان في المكتب يقرا وهو صغير فمات له غلام صغير كان يقرا معه
فعزاه فيه ابوه هارون الرشيد فقال له والله لقد استراح من المكتب ليتني كنت
عوضا منه فقال له ابوه الى هذا بلغ بك بغض المكتب والله لا دخلته ابدا فخرج
اميا فوصله يوما كتاب احد عماله يقول فيه مطرنا مطرا كثيرا كثر منه
الكلا فقال لكاتبه الفضل بن مروان ما الكلا فقال لا ادري وكان الفضل هذا عاميا
فقال ماشاء الله كان خليفة امي وكاتب امي

علي بكاتب لبق رشيق ❊ ذكي في شمايله حرارة
تناجيه بوحي من بعيد ❊ فيعلم ما بنفسك بلا شارة

وقال انظروا من بالباب فادخلوه فخرجوا فوجدوا محمد بن عبد الملك الزيات
فادخل عليه وكان من اهل الادب البارع والذهن الثاقب والفهم الرايع فساله عن
الكلا ما هو فجعل يصف له النبات من اوله واول اقباله الى اخر استكماله فاعجب
به واستكتبه والكلا مهموز ومقصور الحشيش اليابس والكلا العشب رطبا
كان او يابسا والرطب منه يقال له الخلا مقصور والحشيش هو اليابس يقال ارض مكلية

قف
على محنة معز الكاتب
باللغة

وكلئة ومكلاة اي كثيرة الكلا يقول شهر ثرا بالثاء المثلثة وهو اول ما يكون المطر
فتبتل منه الارض ثم يتطلع منه النبات فيقول لاول النبت الطلاع فاذا طال بقدر
ما يمكن النعم ان ترعاه فهو المرعى فاذا حسن نباته قيل قد اكتهل فاذا اخرج
زهره قيل قد جن جنونا وقد اخذ زخاريه كما قال ابن مقبل في شعره حيث يقول

زخارى النبات كان فيه ❊ جياد العبقرية والقطوع

فاذا غطا الارض كثرة قيل قد استحلس فاذا بلغ والتف قيل قد استاسد فاذا صار
بعضه اطول من بعض قيل تناثل النبات فاذا طال قيل قد طغى تطغيا فاذا تهيا
لليبس قيل قد اقطار فاذا يبس وانشق قيل قد تصوح فاذا تم يبسه قيل قد هاجت
الارض تهيج هيجا فان كان من احرار البقول وذكورها قيل لما يبس منه اليبيس والجفيف
والقف وما كان من البهما خاصة فان شوكها هو السفا ويبيسها العرب والسعار
فاذا انكسر اليبيس فهو حطام ويقال له الهشيم ايضا وقال ابن احمر الشاعر في المعنى

تبلغ اوضاحا بسرة يزبل ❊ وترعى هشيما من حليمة باليا

فاذا ركب بعضه بعضا فهو الثن كما قال الراجز

ان بعتني الناعور لا يحبني ❊ يكفي اللبور اكلة من ثني

فاذا اسود من القدم فهو الدندن قال الشاعر

المال يغشى رجالا لا صناع لهم ❊ كالسيل يركب اصل الدندن البالي

وكل حطام شجرا وحمصا او احرار البقول او ذكورها فهو الدرين اذا قدم كما قال
عمرو بن كلثوم

ونحن الحابسون بذي اراطى ❊ تسف الجلة الخور الدرينا

يقول يسف الدرين لا يجد من عشب غيره فاذا يبس الكلا ثم اصابه مطر قبل الصيف
فاخضر فهو النشر فاذا اصابته الماشية اصابها منه داء يقال له السهام وهو
ان تسلح الابل والغنم عنه حتى تموت والخلفة ما نبت في الصيف واللوى ما يبس
منه ومع ان المعتصم كان اميا على ما وصف به نفسه كان اذا تكلم بلغ
ما اراد وورد عليه كتاب ملك الروم يتهدده فيه فامر بمراجعته فلما قرا
عليه لم يرضه فقال للكاتب اكتب بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد

فقد قرأت كتابك وسمعت خطابك والجواب ما ترى لا ما تسمع وسيعلم الكافر
لمن عقبى الدار وصرف رسوله به وأمر في الحين بالغزو إليه فوطئ بلاده أشد وطأة فأسر
وسبا وقتل وحرق ومزق **قال** ابن أبي داود يوما هل تعلم من الخلفاء
من تهيأ له من الغزو والظفر والقهر للملوك بحشر التدبير واللطف في السياسة ما تهيأ
للمعتصم قلت كيف ذلك قال إن الملوك انقادت له سامعة مطيعة بغير حرب
ولا قتال منهم الشين ملك نامبار والخشين ملك الصغد وابن ذا يمور ووصول
ارتكين القي عماني ملك الركش أسلم على يديه وكسر صنمه بين يديه وصاحب
الشاش وملك كابل شاه أسلم على يديه فتوجه وأقر له مملكته ونجار خذاه
ملك بخارى فما منهم رجل من هؤلاء الملوك إلا انقاد له وأذعن إليه فملكه
وعزله وظفر ببابك ملك أذربيجان بعد محاربته لأصحاب المأمون وطول غشه
فحمل إليه أسيرا حقيرا وسفك الله دمه على يديه ولم يرغب في أمواله وذخائره
وظفر بالمازيار ملك طبرستان وقد اشتد عتوه وتمرده فسفك دمه ولم يلتفت
إلى ماله حين سمح له به وظفر بناطس صاحب عمورية وكان أجل رجال الروم
وأشدهم عتوا فسفك الله دمه على يديه وقد بذل ملك الروم الأموال الجليلة
فيه وأن يحمل جميع أسارى المسلمين ولا يغزو هو ولا أحد من أهل مملكته
بلاد الإسلام ثلاث سنين فأبى قتله وأراح عن الإسلام ثقله **وملك** الأفشين
على أسروسنه وجعل لابنه مملكة في غاية ورفع منزلته وصير الملوك وأبناءهم
تحت يده فما شكر النعمة ولا كافأ على الإحسان فبطر وبغى ودبر التثبيت على
الملك وطغى فكشف الله ستره وصرعه شر مصرع فأي خليفة ظفر مثل هذا
الظفر ونصر على جميع الملوك وانقادت له هذه الانقياد وخرجت من دار
عزها حتى صارت إلى بابه وما نشأ فيه غير كلامه **وكان** ابن أبي داود يقول
كان المعتصم خليفة يحب له هذا الاسم بالحقيقة من كل الجهات ما رأيت ملكا
كان أجمع لكل فضيلة في الخلافة حتى أخذ بفتكه منها ولا أوصل للرحم
ولا أعطف على قرابته ولا أعفى عن مسيء ولا أشد تفقدا للصاحب وخادم ولا أرق
قلبا على ذي حاجة ولا أوفى بقول ولا أصدق لهجة ولا أجود بمال ولا أكظم لغيظ

ولا أجرى قلبا في الحرب ولا أشد بدنا ولا أصبر عند ملاقاة عدو ولا أحسن سياسة
ولا أعلم بتدبير الحرب والملك ولقد كنت عنده يوما فرأيته متغيظا وقد عض
بعمر بن فرج وتناوله بالشتيمة فلما جاءه قال له يا ابن اللخناء متى أمرتك أن تجعل
أصحاب أخبار على الطالبين وتجسس عليهم قال يا أمير المؤمنين بلغني أن رجالا
منهم يكاتبه أهل قم وأهل خراسان وأهل أرمينية فأردت أن أعرف حقيقة ذلك
وأنهيه إلى أمير المؤمنين فقال له وما عليك منهم دعهم فوالله لا حملت عنهم
ولا غفرت ذنوبهم ولا وصلت أرحامهم ولا استعطفت على كبيرهم وصغيرهم
فإن أرادوا بي سوءا كان الله بيني وبينهم قال ولقد دخلت عليه يوما فقلت
يا أمير المؤمنين أهلك والله وأدانيك من آل أبي طالب في ضر شديد بالمدينة
نالتهم سنة شديدة وتأخرت عنهم أرزاقهم فدعا بعمر بن فرج وقال له ألم
آمرك أن تحمل إلى المدينة لآل أبي طالب مائتي ألف دينار قال أخرتها فبعث بها
إلى محمد بن عبد الملك فدعا به فقال له والله لئن لم تحمل هذا المال في يومك
لأذيقنك عقوبة تحمله إليهم من الغد وقال أيضا حضرت المعتصم
مرات فكان يسأل ويبحث عن أحوال أصحابه وخاصته فمن بلغه عنه اتساع سر
بذلك وزاده ومن بلغه عنه تقشف حال لم يتركه حال إلا إصلاح حاله وكان
إن عثر له أو اشترى طعاما أو تجددت له دار ليس بها ورأى ربا ليس بها
أو سار إلى موضع وانصرف سالما أو كان صائما فأفطر أو مغموما ففرج الله
عنه أخرج مالا فتصدق به وإذا أخرج مالا لم يؤخر تفرقته وكان أشد الناس حياء
وأرقهم قلبا ولقد رأيته بعمورية وإنه لواقف والجراحات تأتي من كل موضع حتى
ناله بعضها فما زال ولا تزحزح فقلت يا أمير المؤمنين ناشدتك الله إلا ما تنحيت
فقال والله ما موضع يأتيني فيه الموت أحب إلي من هذا الموضع **وروي عن**
جعفر بن محمد بن جمهور قال دخلت على المعتصم فقال لأقتلنك فقلت
وكيف تقتلني وقد حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن أنس بن مالك أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها
عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها قال فامتنع عني ورجع وفي سنة

ثلاثا وعشرين ومائتين اصبح المعتصم في احد الايام كسلان خبيث النفس فاحضر
الاطباء وسالهم عن ذلك فقالوا ذلك من مرار اسود غلب عليك ثم احضر من ينظر
في النجوم فقالوا هذا لحادث حدث فلما كان ظهر ذلك اليوم ورد البريد وعليه
ثوب مصبوغ مضمخ بالدم فاخبره ان توفيل ملك الروم خرج في عسكر لا يحصى
ومعه ملوك برجان والبرغر والصقالبة وغيرهم ممن جاورهم من ملوك الامم
ونزل على مدينة زبطرة من الثغر الجزري فقلبها بالسيف وقتل الصغير والكبير
وسبى واغار على بلاد ملطية فضج الناس في الامصار واستغاثوا بالله في المساجد
والديار قال فبكى المعتصم بكاء شديدا حتى علا بكاؤه فدخل عليه ابراهيم
المهدي فانشده قصيدة طويلة يذكر فيها غلبة زبطرة ويحضه على
الانتصار ويحثه على الجهاد وذلك من ابراهيم بن المهدي بديهة يقول في بعضها

يا غيرة الله قد عاينت فانتقمي * هتك النساء وما منهن يرتكب
هب الرجال على اجرامها قتلت * ما بال اطفالها بالذبح تنتهب

قال ابراهيم هذا اول من قال يا غيرة الله قال فخرج المعتصم من حينه (على عزم الغزوة المعتصم)
لابسا قميصا قصيرا من صوف معتما بعمامة الغزاة متقلدا سيفا وقدم
له فرس ادهم يقال له العقاب عليه سرج بقربوس فمسك خلفه درعا واعتقل
رمحا وركب وهو يبكي وامر بالهتف والنفير والجهاد وامر ان لا يطبخ في قصره طبيخ
وحلف بالله والبراءة من رحمته ومن رسوله صلى الله عليه وسلم ان لا يقرب النساء
ولا الطيب حتى ينصر الله الاسلام ويجدد دين محمد عليه السلام ويهلك دون ذلك
فعسكر بغربي دجلة يوم الاثنين لليلتين خلتا من جمادى الاولى من العام المذكور
ونصبت الالوية والرايات على الجسر فانثالت عليه العساكر من جميع
الامصار ووردت المطوعة من سائر الاقطار فكان احب الناس اليه واجلهم
عليه من ذكر فتح زبطرة وحث الناس وحرضهم على الجهاد ولقد قال
رجل شعرا يذكر فيه فتح زبطرة وتغلب العدو عليها ويحض المسلمين
على الجهاد فامر المعتصم بكتبه وانشاده بين الناس
وهي

خل

خل عينيك تسكب * وابكي ما عشت وانتحب
لا سارى عند العدا * كاربات بلا سلب
لا يصلون جهدهن * رمضانا ولا رجب
لو تراهن يجتمعن * ويا خخن في النخب
غاب عنها محمد * فاذا الدين قد ذهب
يرحم الله ذا فرا * شمر الذيل وانتدب

فبكى المعتصم باعلا صوته وقال لا نصرني الله ان لم ابذل
جهدي في نصرتهن واغضب لله ولهن وكان قائل هذا الشعر ضعيف الحال
فامر له المعتصم بالف دينار ثم اقلع من هنالك وقد تكاملت جنوده وتكملت
بنفقة سعوده وجعل على مقدمته اشناس التركي ويتلوه محمد بن ابراهيم وعلى
ميمنته ابناخ التركي وعلى ميسرته جعفر بن دينار الخياط وعلى ساقته بغا الكبير
ويتلوه دينار بن عبد الله وعلى القلب عجيف وسار المعتصم من الثغور الشامية ودخل
الابسين من درب الحدث ودخل الناس من سائر الدروب اذ لم يحصرهم عدد فمن مكثر
ومن مقل فالمكثر يقول خمسمائة الف والمقل يقول مائة الف وقتل اكثر بطارقته
ووجوه رجاله ولو جرى في اثر الملك قتله واسره لكنه قال ان الملوك يجب ان يبقى
عليها ونازل المعتصم زبطرة ففتحها الله ومازال ثوبه عن جسده حتى استاصلها
وقتل جميع من بها ثم نازل عمورية ففتحها الله على يديه وخرج منها لاوي البطريق (على فتح العمورية ولله در الحجر والسند)
واسلمها له وصيرها في يديه واسر فيها البطريق الكبير ناطس الذي تقدم ذكره
وكيف كان امره وقتل فيها ثلاثين الفا واقام عليها بعد ذلك اربعة ايام في هدمها
وحرقها ثم رحل عنها يريد المسير الى قسطنطينية العظمى فبلغه ان العباس
بن المامون بايعه خلق كثير وانه كاتب ملك الروم ليمده فانثنى المعتصم راجعا
وقبض على العباس ومتبعيه وروي عن عبد الله قال دخلت على المعتصم
فقال يا عبد الله انت الذي تقول في بني العباس انهم في الكتب سبعة وامر بضرب
عنقي وما كان في المجلس الا من كان عدوا لي واشهدهم على ابن شكله فقام قائما
فقال يا امير المومنين انا الذي قلت هذا ونسبته الى دعبل فقال له وما اردت بهذا

قال لما تعلم ما بيني وما بينه من العداوة فأردت أن أشيط بدمه فقال المعتصم الطف له
فلما كان بعد مدة قال لابن شكله سألتك بالله أنت الذي قلته فقال لا والله يا أمير
المؤمنين وما نظرة أنظرها أبغض إلي من عبد الله فقال له فما الذي أردت بهذا قال علم أن ما له
في المجلس عدوا أعدى مني فنظر إلي بعين العداوة ونظرت إليه بعين الرحمة قال فجرى الخبر
أو نحو ذلك وعبر المعتصم من بستان من الجانب الغربي في يوم مطير
وانفرد من أصحابه فإذا حمار قد زلق ورمى بما عليه من الشوك وصاحبه شيخ كبير
ضعيف واقف ينتظر من يمر به فيعينه على وقر حماره بشوكه فوقف عليه المعتصم
وقال له ما لك يا شيخ قال قد وقع حماري وعليه هذا الحمل وأنا أنتظر من يمر بي فيعينني
على وقره فنزل عن فرسه ومن ليخرج الحمار من الطين فقال له الشيخ جعلت فداك
تفسد ثيابك وطيبك الذي أشم عليك من أجل حماري قال لا عليك فنزل واحتمل
الحمار بيد واحدة فأخرجه من الطين فبهت الشيخ وجعل ينظر إليه ويعجب منه
ثم شد المعتصم عنان فرسه في وسطه فأتى إلى الشوك وهو حزمتان فحملهما
ووضعهما على الحمار ثم دنا من غدير فغسل يديه واستوى على فرسه فقال له
الشيخ رضي الله عنك ثم أقبلت الخيول فقال لخادمه أعط هذا الشيخ أربعة
آلاف درهم وكن معه حتى تجاوز به أصحاب المسالح وتبلغه في بيته وقال
الفضل بن مروان خطر ببالي وأنا كاتب المعتصم في أيام المأمون ما فعل المعتصم
وما جمع عليه من الأتراك وكان قد اجتمع عليه أربعة آلاف غلام وما حشر
من السلاح والإسراف في إنفاق الأموال فخفت أن ينكر ذلك المأمون عليه ويتوهم
أنه يريد الخلاف عليه فيناله منه مكروه ويلحقني مثل ذلك فطار عني النوم وبادرت
إلى المعتصم بعد صلاة الظهر فحكيت له ذلك فوقع في نفسي مثل ما وقع
في نفسه قال وكيف العمل وكيف الحيلة حتى نعلم ما عند المأمون في ذلك
وقال الفضل فقلت أنا أسير إليه فأعلم ما عنده الساعة ثم ركبت
وأتيت دار المأمون فاستؤذن لي عليه فدخلت فوجدته وهو يستاك لصلاة
الظهر وكان يستاك في وقت كل صلاة فقال لي يا فضل ما جاء بك في هذا الوقت
فقلت أمر أردت ذكره لأمير المؤمنين فقال قل فقلت يا أمير المؤمنين إن أخاك جمع

أربعة آلاف غلام من الأتراك وهم عدة لأمير المؤمنين واحتشد من السلاح شيئا كثيرا
وأسرف في إنفاق الأموال على هذا ومثله ولم آمن أن ينكر ذلك أمير المؤمنين فيلحقه
ما يضره ويلحقني مثله قال ولما بدأت القول عض على المسواك فلم يحركه فيه
حتى فرغت من الكلام فلما أمسكت قال لي يا فضل أنا نجيء بالواحد منكم فيشاركنا
في نعمتنا ونخصه بالإيثار والتقدم ونفضي إليه بأمورنا حتى إذا تمكنت حاله
لم يكن له وكد إلا الاعتراض علينا في شهواتنا والتفتيش لمخارج أمورنا ثم قال يا فلان
أو يا غلام قل لفلان الخازن يبعث إلي بالسفط الكذا الذي كان عنده قال فجاء الغلام بسفط
لطيف فقبضه المأمون بيده فأخرج منه ثلاثة في الطرس وطرحه إلي وقال لي اقرأ
ما حفظناه عن الفضل بن سهل من اعتراضاته علينا فقرأت العجائب من جملتها قلت الفضل
وشدة اعتراضاته عليه فلما فرغت من ذلك قال لي يا فضل إن هذا الأمر صائر
إلى أخي بعدي فامتثل أمره وتابعه على شهوته وتوثق لنفسك قال فانصرفت إلى المعتصم
والسرور يرى في وجهي فقلت له لا أنا لطفني بحرف وتخلف لي ثم استحلفته فأوكد
الأيمان ألا ينالني منه مكروه في نفسي ودمي وذهب عني القول وما لي فلما توثقت
منه سلمت عليه بالخلافة فقال لي ويحك هل حدث على المأمون حادث فقلت لا
ولكنه شهد لك بالخلافة من بعده وحدثته الحديث قال فلما صار الأمر إلى المعتصم
بنيت الدار التي كانت وفرشتها ودعوته إليها فلما دخلها انصرف وتغير لي ثم أوقع
بي بعد أيام فلم يحدث علي في نعمتي حادث وأخذ مالي فكان معي ولا عندي
في بيت المال ولم يضفه إلى وكان المعتصم في سنة إحدى وعشرين
ومائتين وجه بالفضل الكبير إلى بغداد إلى داره في قبض أمواله فأخذ من ولده ألف ألف دينار
وأخذ أثاثا وآنية بألف ألف دينار وحبسه المعتصم خمسة أشهر ثم أطلقه وألزمه
بيته واستوزر أحمد بن عمار المذاري وجلس المعتصم يوما للمظالم بعد قبضه
على الفضل ابن مروان وكان وزيره أحمد بن عمار المذاري بين يديه يقرأ القصص
عليه فمرت قصة فيها هذه الأبيات

لا تعجبن فما في الدهر من عجب ❁ ولا من الله من حصن ولا هرب
يا فضل لا تجزعن مما ابتليت به ❁ من خاصم الدهر جاثا على الركب

كم من كريم نشا في بيت مكرمة * اتاك مختنقا بالهم والكرب
اوليته منك افضالا ومنقصة * فخاب منك ومن فخر شر لم يخب
وكم وثبت على قوم ذوي شرف * فما تحرجت من زور ولا كذب
خنت الامام وهز الخلق قاطبة * وجزت حتى اتاك الدهر بالعجب
جمعت شيئا وقد اديتها كملا * لانت اخس من حمالة الحطب

قال فدفع صاحب القصة فلم يجب فقال المعتصم والله لو اجاب لانصفته منه وقال
دعبل بن علي الخزاعي في الفضل بن مروان هذه الابيات

نصحت فاخلصت النصيحة للفضل * وقلت فصرحت المقالة للفضل
الا ان في الفضل بن يحيى لعبرة * لو اعتبر الفضل بن مروان بالفضل
وفي ابن الربيع الفضل للفضل فكرة * اذا فكر الفضل بن مروان في الفضل
وللفضل في الفضل بن سهل مواعظ * لو اتعظ الفضل بن مروان بالفضل
فصدق الفضل بالمسمين باسمه * من الوزراء السابقين ذوي الفضل
ونبهته بالقول من سنة الكرى * ليفعل افعالا تدل على الفضل
اذا ذكروا يوما فقد صرت رابعا * ذكرت بقدر السعي منك الى الفضل
لانك قد اصبحت بالملك قائما * وحزت مكان الفضل والفضل والفضل
فلا نال جهدا في اعتماد صنايع * وتخليدها في الناس بالرأي الفضل
فلم ار بيتا من الشعر قبلها * جميع قوافيها على الفضل والفضل
وليس بها عيب اذا هي انشدت * سوى ان نعت الفضل كان من الفضل

قال ولم يزل الفضل بن مروان ينتقل من ديوان الى ديوان الى ان ولي في سنة ثمان واربعين
في ايام المستعين ديوان الخراج **ثم ولي بعد ذلك** كتابة العباس بن
المستعين سنة تسع واربعين ومايتين ولم يزل على ذلك الى ان توفي في شهر ربيع الاخر
سنة خمسين ومايتين وله ثمانون سنة واستكتب المعتصم محمد بن عبد الملك
الزيات واستوزره ولم يزل يكتب للمعتصم ثم للواثق وكتب ايام المتوكل ثم قتله
لشيء كان له في نفسه سنذكره عند ذكر المتوكل ان شاء الله وكان يكنى ابا جعفر
وكان ابوه تاجرا بالزيت موسرا ومقامه بالكرخ وكان شاعرا كاتبا لا يقاس به احد

من الكتاب **قال ابو العباس** النديم كنا جلوسا عند الحسن اذ مر بنا محمد
بن عبد الملك الزيات وقد خلع عليه المعتصم خلعة سنية فقال بعضنا

راح الشقي بخلعة المبكي * كالهدي جلل ليلة النحر
لا من شهود كامل في لبسها * حتى يصير بها الى القبر

وكتب عبد الله بن حسن الاصبهاني بين يدي المعتصم الى خالد بن يزيد
ان امير المومنين ينفخ منك في غير فحم ويخاطب رجلا غير ذي فهم فقال ابن
الزيات جعلت امير المومنين ينفخ الزق كانه جراح ومن الكتاب فلما كان
في بعض الايام كتب ابن الزيات الى عبد الله بن طاهر انت تجر امرك على الاربح فالاربح
والارجح فالارجح لا تسعى بنقصان ولا تميل برجحان فقال الاصبهاني قد اظهر من
سخافته بلفظه ما دل على صناعته بذكره ربح السلع ورجحان الميزان ونقصان
الكيل والخسران فضحك المعتصم وقال ما اسرع ما انتصفت بحقدها عليه
ابن الزيات حتى نكبه **قال ابو ب** ابن اخت الوزير رايت كتابا لابن
الزيات فيه لفظة لم تعجبني فقلت له لو بدلتها فقال امحها وابدلها ولم اتهيا ان ابدلها
بخير منها فقال ما لك قلت الفضول قال والله تعذر علي ان اجد مثلها فكيف افضل
منها ثم قال ردها بيدك فرددتها صاغرا **ومن كلام ابن الزيات**
انه ليس من امر الا وله بغية يدل على عاقبته والناس بين موفق ومخذول فمن اراد الله
به خيرا وفقه لحظه واجرى الصواب على يديه ومن اراد الله به سوءا اعمى عن
رشده وزين له سوء عمله **ومن كلامه ايضا** اما بعد فان الامتحان يبدي جواهر
الانسان والاختبار يكشف عما في الغرائز والاكنان والامور اوايلها دالة على عواقبها
ومقدماتها شاهدة على اواخرها وقد وقع الى ابراهيم بن العباس خلة نظرك لنفسك
حرمتك سني المرتبة وغفلتك عن امرك حطتك عن علو الدرجة وجهلك
بقدر النعم احل بك عاجل النقم وعماك عن سبيل الدعة سلك بك طريق
المشقة حتى صرت من فوات الامل معتاظا شراك الوجل ومن رجاء الظفر معتقبا باس
لابد على انني ارى ان املك امرين بك ابعثهما المكتوب اليك وابقا حالتك اضيقهما
متنفسا اليك لقول الشاعر

اذا ما بدا لك امرءا جاهلا ⁂ فبر فقصر عن حمله
ولم ترك قابلا للجميل ⁂ ولا عرف العز من ذله
فسمه الهوان فان الهوان ⁂ دواء لغي الجهل في حمله

قرات كتابك يا اخي افدك واكتئابك ووجدت ارحاله لحداثة سنه منك وارته
في نفسك افسال لقلبي عليك ومن خامرك ما ادعيت وخانه ما وصفت خرس عن
تشقيق الكلام وتزويق الكتب بذلك الا ثام ولعمري لولا تعلقك بحرمة المعاتبة
واتصالك بسبب المباوضة وانحلا في لم تمسك بهما المنفعة وقبض العمرلة مع اسما
متى النعمة بالعفو عن ذي الجريمة واستقالني العثرة باقالني الزلة واستعد على الزيادة
بالتجاوز عن الهفوة لنالك من عقوبتي ما يوذيك ولمسك من سطوتي ما يرديك
وحسبك ما خلرك اليه جهلا وبما حرمته من الفهم عقوبة ونقط وفي كفاية الله
عنا عنك يا ابن اهيم وفي عادته الجميلة عوض من امثالك **وكان المعتصم**
منحرفا عن الحسن بن سهل وانسابه وولده وقد كان حاز عنهم كثيرا من املاكهم
فقالت بوران لاخيها الفضل بن الحسن بن سهل اني نظرت في حساب هذا الملك
فوجدته يدل على شيء يجب ان يحذر منه عليه في هذا الوقت نكبة من جهة
الخشب فاجتمع معها الفضل على النظر في ذلك فوجد الامر على ما قالت فقال
لها الست امن مع الخرابة عنا الا يقع هذا الامر موقعه فقالت له اقض ما عليك
وهو اعلم بما يختار فصار الى باب المعتصم فاستاذن استيذان من احب ان ينهي
اليه شيئا مهما فلما عرف بخبره استثقله واذن له على كره فلما دخل قدم مقدمة
من ذكر ما يلزمه من النصح والصدق وعما يقف وعرفه ما وقف عليه من احكام النجوم
فقال المعتصم لغلك فقال له اما تاذن لي ان الزم حضرتك الى انقضاء الوقت فاذن له
فلزم يومه وليلته وقد تحرز المعتصم من كل شيء واجتهد كل الجهد ومضى
يومه وليلته الى اخرها لم يجر عليه شيء يكره ولا يبكي له فلما كان وقت الصبح
اقبل الخادم بالماء للوضوء والمسواك فنهض الفضل فقبض على المسواك فمنعه الخادم
منه فقال الفضل والله لا بد من اخذه وارتفع الكلام بينهما الى ان سمعه المعتصم
فقال له اعطه المسواك فدفعه اليه فقال له تقدم يا امير المومنين الى هذا الخادم فلمره

يستاك

يستاك بهذا المسواك ففعل فلما استاك به الخادم سقطت اسنانه ولثته ووقع ميتا
من وقته واذا المسواك مسموم فجل ذلك عند المعتصم وكان سبب رجوعه للحسن
بن سهل واهله **وكان** المعتصم مع خلاله الحميدة وافعاله السديدة قد اغواه
الشيطان وقال بخلق القران تقليدا لغاو اغواه وقاسوا اثبته حتى اشتمل عليه واحتوى له
وحمل الناس عليه ونزعهم بالسيف وضربهم بالسياط ليقولوا بهذا المحال وبلغ به
الجد في ذلك والاغتباط على ان يضرب الامام ابا جعفر احمد بن حنبل فاحضره
في شهر رمضان وضربه نحو ثلاثين وهو عريان فمالت كتفه فظنوا انه قد ذهب
رمقه فنهض وطرحت عليه ثياب وسبب الله له السلامة انسيابا وتندم المعتصم
على ذلك وعصم الله الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه من اتباعه على
الضلال وقوله بهذا المقال **قال ابو شعيب** الحراني كنا مع
ابي عبيد القاسم بن سلام بباب المعتصم واحمد بن حنبل يضرب قال فجعل ابو
عبيد يقول ايضرب سيدنا الامير ايضرب سيدنا الامير فقال ابو شعيب

ضربوا ابن حنبل بالسياط بجهلهم ⁂ بغيا فثبت بالثبات الا فـور
قال المويفق خير معد بينهم ⁂ من لاذ بيم على الصعيد الفقر
اني اموت ولا ابوا بمحـر له ⁂ تملا بوايقها محل المبغز

وروى عن عبد الله بن احمد بن حنبل قال دخلت على ابي رحمه الله وهو يقرا
جزءا فلما بلغ حم عسق وبلغ هذه الاية فمن عفا واصلح فاجره على الله قال
فنقطع وقال يا بني ذكرت في تفسير هذه الاية حديثا حدثني به هاشم بن القاسم
عن ابيه عن الحسن عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان
يوم القيامة وبرز الله لفصل القضاء نادى مناد من بطنان العرش الا ليقم من كان اجره
على الله فلا يقم في ذلك المقام الا من عفى في الدنيا عن الناس واني اشهدك اني قد جعلت
المعتصم في حل فقلت يا ابت وفعل بك وفعل بك قال يا بني هذا رجل من عترة
رسول الله صلى الله عليه وسلم بل انى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اخاصم
رجلا من عترته الى الله ثم قال يا بني وما على احمد الا يعذب الله تعالى بسببي
احدا **وذكر** بن عبد الله صاحب احمد بن حنبل رحمه الله قال

فهـ
بنعوذ بالله من الشيطان الرجيم

رأيت الإمام أبا عبد الله أحمد بن حنبل في المنام وعليه حلتان خضراوتان وفي رجليه
نعلان شراكهما من المرجان وعلى رأسه تاج مكلل بالدر والياقوت فقلت له يا أبا عبد الله
ما فعل الله بك قال غفر لي ورحمني وحباني وقال لي يا أبا عبد الله إنما أعطيتك
لأنك قلت القرآن كلام الله غير مخلوق ورُوي عن علي بن الموفق قال حدثني
أبو عمرو التمار قال كان لنا جار مجوسي يقال له بهرام فمات فرأيته في أقبح صورة
فقلت بهرام فقال بصوت ضعيف نعم بهرام يا أبا عمر فقلت له إلى أي شيء صرت
فقال إلى فحمها فقلت أيجيبكم أحد قال هؤلاء الذين يقولون القرآن مخلوق وكان
المعتصم المثمن لأنه مثمن من أربعة عشر وجها لأنه ولد في شعبان وهو ثامن أشهر السنة
من سنة ثمانين ومائة وهو ثامن خلفاء بني العباس وولي سنة ثمان عشرة ومائتين وله
ثمان وثلاثون سنة وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر وخلف ثمانية من البنين ذكورا
وثمان بنات وغزا ثمان غزوات وترك في بيوت الأموال ثمانية آلاف ألف دينار وثمان
مائة ألف ألف درهم وتوفي يوم الخميس لثمان عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول
سنة سبع وعشرين ومائتين بسر من رأى على دجلة في قصره المعروف بالخاقان
وهو ابن ست وأربعين سنة وثمانية أشهر وكان طالعه الثمن في كل شيء
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

ذكر الواثق بن المعتصم

هو هارون بن محمد المعتصم يكنى أبا جعفر ولقبه الواثق بالله أمه أم ولد اسمها
قراطيس بويع له بسر من رأى في اليوم الذي توفي فيه أبوه
المعتصم وهو ابن إحدى وثلاثين سنة وتسعة أشهر وكان أبيض جميلا تعلوه حمرة
ربعة حسن الجسم كث اللحية ضخم الوجه عريضه كبير الهامة في عينه
اليمنى نكتة بيضاء خفية وفي وجهه خيلان وأثر جدري حاجبه
إسحاق التركي ثم وصيف مولاه ثم أحمد بن عمار ووزيره محمد بن عبد الملك
الزيات وكاتبه محمد بن فرج وزير أبيه وقاضيه قاضي أبيه أحمد بن أبي داود
وصاحب شرطته طاهر بن عبد الله بن طاهر وصاحب حرسه إسحاق ويحيى نقش خاتمه

الله ثقة الواثق وأولاده يحيى المهتدي وعبد الله وأحمد وإبراهيم ومحمد وكان ذا كرم وجود
وبذل للموجود محبا في الشراب وسماع العود متعطفا على أهل بيته حنينا
على رعيته عظيم البطن كثير الأكل كاد يقرب فيه من أكل سليمان بن عبد
الملك وكان أشهى ما إليه من الطعام الباذنجان فقال له يوما أبوه أقلل من أكل
الباذنجان لئلا تكون خليفة أعمى فقال لقد تصدقت ببصري على الباذنجان وكثيرا
ما كان يأكل الرؤوس والأكارع من البقر والهرائس وكان له عدل في أحكامه
وصدق ولهجة في كلامه ونفوذ في نقضه وإبرامه إلا أنه غلب عليه قاضيه أحمد
بن أبي داود ووزيره محمد بن عبد الملك الزيات فكان لا يصدر إلا عن رأيهما
ولا يرد قولهما ولا فعالهما قد قلدهما أمره وفوض إليهما ملكه وكان
في أكثر أموره يذهب مذهب أبيه وعمه المأمون حتى في القول بخلق القرآن وامتحن
أقواما بسببه قال عبادة المخنث دخلت على الواثق أمير المؤمنين
والناس يمتحنون بعضهم يضرب وبعضهم يقتل وبعضهم يحبس قال عبادة
والله لئن امتحنني أمير المؤمنين ليقتلني قال فقلت أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين
فقال لي ويحك فيمن قلت يا مولاي في القرآن فقال لي والقرآن يموت قال فقلت يا مولاي
أليس كل مخلوق يموت فإذا مات القرآن في شعبان بم تصلي بالناس في رمضان
فقال اخرج ويلك وقيل إنه رجع عن القول بخلق القرآن من ذلك اليوم وذكر
المسعودي أنه قدم على الواثق بالله شيخ من أهل أذنة من أهل الفقه والحديث
رجل طويل حسن الشيبة فسلم غير هائب ودعا فأوجز فرئي الحياء منه في حماليق
عيني الواثق والرأفة له فقال له الواثق يا شيخ أجب أبا عبد الله أحمد بن أبي داود عما
يسألك عنه فقال يا أمير المؤمنين أحمد يصبو ويضعف ويقل عند المناظرة
قال فرأى الواثق وقد صار مكان الرحمة عنده والرأفة غضب عليه ثم قال
له أبو عبد الله ابن أبي داود أتأذن لي في كلامه قال قد أذنت لك فأقبل الشيخ
على أحمد فقال يا أحمد إلى م دعوت الناس قال له أحمد إلى القول بخلق القرآن
قال له الشيخ مقالتك التي دعوت الناس إليها من القول بخلق القرآن داخلة في الدين
حتى لا يكون الدين تاما إلا بالقول بها قال بها قال له الشيخ رسول الله صلى الله عليه وسلم

فبح عن هذا الجواب الحسن

دعى الناس اليها وتركهم قال لا قال فعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ام لم يعلمها قال علمها قال فلم دعوت الناس الى ما لم يدعهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم اليه وتركهم منه فامسك احمد فقال الشيخ يا امير المومنين
هذه واحدة ثم قال له الشيخ اخبرني يا احمد قال الله في كتابه العزيز اليوم
اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا
فقلت انت ان الدين لا يكون تاما الا بمقالتك بخلق القران ونعوذ بالله من ذلك فالله عز
وجل صدق في كماله ام انت في نقصانك فامسك فقال الشيخ يا امير المومنين
وهذه ثانية قال له بعد ساعة اخبرني يا احمد قال الله عز وجل في كتابه
يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالاته فمقالتك
هذه التي دعوت الناس اليها فيما بلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الامة ام لا فامسك فقال الشيخ يا امير المومنين هذه ثالثة ثم قال له بعد ساعة
اخبرني يا احمد لما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقالتك هذه التي
دعوت الناس الى القول بها من خلق القران اتسع له ان امسك عنه ام لا قال احمد اتسع له
قال وكذلك ابو بكر وعثمان وعلي رضي الله عنهم قال نعم فصرف الشيخ
وجهه الى الواثق وقال يا امير المومنين اذا لم يتسع لنا ما اتسع لرسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه ثم قال اقطعوا قيده فلما فك عنه جاذب عليه فقال
الواثق دعوه ثم قال يا شيخ لما جاذبت عليه قال لاني عقدت في نيتي ان اجاذب
عليه لاني اوصيت ان يجعل بيني وبين كفني حتى اقول يا رب سل عبدك
لم قيدني ظالما واراع في اهلي فبكى الواثق وجمع من حضر ثم قال له الواثق
اجعلني في حل قال والله يا امير المومنين ما خرجت من منزلي حتى جعلتك في حل
اعظاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولقرابتك منه قال فتهلل وجه الواثق وسر
ثم قال له اقم عندي انس بك فقال مقامي في ذلك الثغر انفع انا شيخ كبير ولي
حاجة قال سل ما بدا لك قال ياذن لي امير المومنين بالرجوع الى الموضع الذي اخرجني
هذا الظالم منه قال اذنت لك وامر له الواثق بجائزة فلم يقبلها قيل فرجع الواثق
يومئذ عن تلك المقالة وكان الواثق محبا للنحو مكرما لاهله مبغضا للتقليد

واهله

واهله موثرا للاشراف على اراء اهل العلم واهل الفلسفة المتقدمين والمتاخرين
حضر مجلسه يوما جماعة من الفلاسفة والمتطببين منهم ابن بختيشوع
وابن ماسويه وغيرهما فجرى فيه ذكر من انواع العلوم الطبيعيات وما بعد ذلك
من الالهيات فقال لهم الواثق اريد ان اعرف كيفية ادراك معرفة الطب وماخذ اصوله
اذلك بالحس ام بالقياس ام يدرك باوايل المعقول ام من جهة السماع كما يذهب
اليه جماعة من اهل الشريعة فقال احدهم زعمت طايفة من الاطباء ان الطريق
الذي يدرك بها علم الطب هو التجربة فقط وحدوها بانها علم
يتكرر بالحس على محسوس واحد في احوال متغايرة فيوخذ بالحس في اجزاء الاحوال
كما يوخذ في اوايلها والحافظ لذلك هو المجرب وزعموا ان التجربة ترجع الى مبادى
اربعة لها اوايل ومقدمات وبها علمت وصحت واليها تنقسم التجربة فصارت
بذلك اجزاء لها وزعموا ان قسما من تلك الاقسام طبيعي وهو ما تفعله الطبيعة
في الصحيح والمريض كالرعاف والعرق والاختلاف والقيء الذي يعقب بالمشاهدة
نفعا او ضرا وقسم عرضي وهو ما يعرض للحيوان من الحوادث والنوازل كما
يعرض للانسان ان يخرج او يسقط فيخرج منه دم كثير او قليل او يشرب في مرضه
او صحته ماء باردا او شرابا فيعقب في المشاهدة منفعة او ضرا وقسم ارادي
وذلك يقع من قبل النفس الناطقة وذلك كمنام يراه الانسان فيرى كانه عالج
من يشكو علة مشاهدة معقولة بشيء من العقاقير المعروفة فيبرى او يخطر
قبل ذلك بباله في حال فكرة فتغلب على ظنه صحته فيجربه ما راه او ظنه مرارا
فيصح عنده وقسم هو نقل وهو على ثلاثة اقسام اما ان ينقل الداء الواحد من
مرض الى مرض يشبهه وذلك كالنقلة من ورم الحمرة الى الورم المعروف بالنملة
واما من عضو الى عضو يشبهه وذلك كالنقلة من العضد الى الفخذ واما من
دواء الى دواء يشبهه وذلك كالنقلة من السفرجل الى الزعرور في علاج استطلاق
البطن وكل ذلك لا يعمل به عندهم الا بالتجربة وذهب طايفة منهم الى الحيلة
في نفي باب من صناعة الطب وتسهيلها ان ترد اشخاص العلل ومولداتها الا
الاصول الحاضرة الجامعة اذ كان لا غاية لتولدها وان يستدل على الدواء من نفس الطبيعة

قف
على معنى ابن [illegible]

التي للمرض الحاضر الموجود في الحال والوقت دون الاسباب الموثرة الفاعلة التي قد دونت
ودون الزمان والاوقات والعادات والاسنان ومعرفة طبائع الاعضاء والرصد والتحفظ لكل
ما يكون في كل علة وحدث يوجد وبرهنوا بان زعموا ان من المعلومات الظاهرة
التي لا ريب فيها ان الضدين لا يجوز اجتماعهما في حال واحدة وان وجود احدهما ينفي
وجود الاخر في الحال لا محالة قالوا وليس هذا كشيء ظاهر يستدل به على شيء خفي والشيء
الظاهر يحتمل الموجود فيختلف في الاستدلال فيكون القطع على ما يوجبه غير متفق
هذا قول جماعة من حذاق المتطببين واهل التقدم من اليونانيين يا امير المومنين وهم
يعرفون باصحاب الطب الحيلي **قال الواثق** فاخبرني جمهورهم الاعظم
الى ما يذهبون فيه قالوا الى القياس قال وكيف ذلك قالوا زعمت هذه الطائفة ان العلم به
والقانون الى معرفة الطب ماخوذ من مقدمات اولية فمنها معرفة طبائع الابدان والاعضاء
وافعالها ومنها معرفة الابدان في الصحة والمرض ومعرفة الاهوية واختلافها والاعمال
والطبائع والعادات والاطعمة والاشربة والاسنان ومعرفة قول المريض وقالوا انه ثبت
في الشاهد ان الحيوان يختلف في صورته وطبائعه وكذلك اعضاؤه وان الاجساد
الحيوانية تنتفع بالاهوية المحيطة بها وبالحركة والسكون والاغذية وبالنوم
واليقظة وباستفراغ ما يخرج من الجسد وباحتباسه وبالاعراض النفسانية من الغم
والفزع والغضب والهم قالوا والغرض بالطب في تدبير الاجساد حفظ الصحة
الموجودة في البدن الصحيح واجتلابها للعليل قالوا فواجب ان يكون حفظ الصحة
انما هو بمعرفة الاسباب الصحية واستعمالها قالوا والاسباب الممرضة تضاد
الاسباب الصحية فواجب على الطبيب لا محالة ان يعلم من هذه المقدمات التي قد
وصفت اذا اردنا علاج المريض فليكن النظر في طبائع الامراض والابدان والاغذية
والعادات والازمان والاوقات الحاضرة والاسباب ليستدل بجميع ذلك وهذا يا امير
المومنين قول بقراط وجالينوس وقد اختلفت هذه الطائفة يا امير المومنين في كثير
من الاغذية والادوية مع اتفاقهم على ما وصفنا وذلك لاختلافهم في كيفية
الاستدلال فمنهم من زعم انه يستدل على طبيعة الشيء من الادوية والاغذية
بطعمه او رائحته او لونه او قواه او فعله او تاثيره في الجسد وزعموا ان الوثيقة بالا

ستدلال

ستدلال لكل واحد منهما كالوثيقة بالاجزاء اذا كانت الالوان والروائح وسائر ما ذكرناه
من افعال الطبائع الاربعة كما ان الاسخان والتبريد والتيبيس والترطيب فعلها وزعمت
طائفة اخرى منهم ان اصح الشهادات واثبت الفضائل في الحكم على طبيعة الدواء
المفرد والمركب علامته **قال الواثق** ما اول الات الغذاء من الانسان
قال الفم وفيه الاسنان وهي اثنان وثلاثون منها في اللحي الاسفل ستة عشر وفي الاعلى مثلها
المقدمات منها اربعة في كل لحي وهي عراض محددة الاطراف يسميها
حكماء اليونانيين القواطع تقطع الاطعمة الماكولة والثنايا والرباعيات
وعن جنبي هذه اربعة في كل واحد من اللحيين سنان رووسهما حادة واصولهما
عريضة ويسميان النابين وهما يكسران ما يحتاج الى كسره من الاشياء الصلبة وعن
جنبي النابين في كل لحي خمسة اسنان عراض خشن وتسمى الاضراس وتسميها
اليونانيين الطواحن لانها تطحن ما يحتاج الى طحنه مما يطحن وكل واحد من الثنايا
والرباعيات والانياب انما له اصل واحد واما الاضراس فما كان منها في اللحي
الاسفل فلكل واحد منها اصلان خلا الاقصيين والانصيين ويعرفان بالنواجذ
فانهما ربما كان لكل واحد منهما اصول ثلاثة وما كان منها في اللحي الاعلى
كان اكثر اصولا وانما احتيج الى كثرة الاصول في الاضراس دون سائر الاسنان
لشدة قوة العمل بها وخصت العليا منها بالزيادة في الاصول لتعلقها في اعلى
الفم **وحكى حبيب** بن اوس الطائي قال خرجت في اول ايام الواثق الى سامرا
فلما قربت منه لقيني اعرابي من بني عامر فاردت ان استعلم خبر العسكر
فقلت له كيف علمك بعسكر امير المومنين قال قتل ارضا عالمها فقلت
ما تقول في امير المومنين قال وثق بالله فكفاه اسمى العاصية وقصم العادية
وعدل في الرعية قلت فما تقول في احمد بن ابي داود القاضي قال هضبة
لا ترام وجبل لا تضام تشحذ له المدى وتنصب الحبائل للعدا فيثب وثبة الذيب مبيمة
ويختل ختل الضب قلت فما تقول في محمد بن عبد الملك الزيات قال وسع
الناس شره ووصل الى القريب والبعيد ضرره له في كل يوم صريع لا يرى فيه اثر ناب
ولا خدش مخلب قلت فما تقول في عمر بن فرج قال ضخم لهدم استعذب الذم

نصبه القوم ترسا للعداة وجعلوه وقاية للأتقياء قلت فما تقول في الفضل ابن
مروان قال ذلك رجل نشز بعد ما قبر فعليه حياة الأحياء وخفة الموتى قلت
فما تقول في الوزير قال تخاله تبشر الزنادقة الذي لا يوصف ألا ترى أن الخليفة إذا أهمله
سمن وربع وإذا هزله مخ وأمرع قلت فابن الخصيب قال ذلك أكلة نهم فزرق
ذرقة بشم قلت فما تقول في أخيه ابن إبراهيم قال أموات غير أحياء وما
يشعرون أيان يبعثون قلت فأحمد بن إبراهيم قال لله دره أي صابر هو اتخذ
الصبر دثارا والجود شعارا وهون عليهم بهم فسليمان بن وهب قال وهب
ذلك رجل أوبقه كرمه وأسلمه حسبه وله دعاء لا يسلمه ورب لا يخذله
ووفقه خليفة لا يظلمه قلت فنجاح بن سلمة قال لله دره أي طالب وتر ومدرك
ثأر يلتهب كأنه شعلة نار وله من الخليفة في الأيام خلسة تزيل نعما وتحل نقما
قلت يا أعرابي أين منزلك قال اللهم غفرا إذا اشتمل الظلام والتحف الليل فحيث
ما أدركني الرقاد رقدت قلت وكيف رضاك عن أهل العسكر قال لا أخلق وجهي
بمسألتهم أما سمعت هذا الكلبي ما قال قلت وما قال قال يقول

ولا أبالي وخير القول أصدقه ** حقنت لي ماء وجهي أو حقنت دمي

قلت أنا قائل هذا الشعر قال أنت الكلبي قلت نعم قال لله أبوك وأنت الذي تقول

ما جود كفك إن جادت وإن بخلت ** من ماء وجهي إن أخلقته عوض

قلت نعم قال أنت أشعر أهل زمانك فوصل خبر هذا الأعرابي إلى ابن أبي دواد
فحكاه للواثق فأمر بطلبه وإحضاره وأعطاه ألف دينار وأخذه من الكتاب
وأهل الدولة ما أغناه وأغنى عقبه بعده **قال سلام** الترجمان
إن الواثق في منامه كأن قائلا قال له إن السد الذي بناه ذو القرنين بيننا وبين
يأجوج ومأجوج مفتوح فدعاني فوجهني وقال لي عاينه وجئني بخبره
وضم إلي خمسين رجلا ووصلني بخمسة آلاف دينار وأعطاني ديتي عشرة آلاف
درهم وأمر لكل رجل من الخمسين بمائتي دينار ورزق سنة وأعطاني مائتي بغل
يحمل الزاد والماء فشخصنا من سر من رأى بكتاب الواثق إلى إسحاق بن إسماعيل صاحب
أرمينية فوجدناه بتفليس فأتيناه فكتب لنا إلى صاحب السرير وكتب لنا صاحب

عرجي السد الذي بيننا وبين يأجوج ومأجوج

السرير إلى ملك اللان وكتب لنا ملك اللان إلى فيلان شاه وكتب لنا فيلان شاه إلى طرخان
ملك الخزر فأقمنا عند ملك الخزر يوما وليلة حتى وجه معنا خمسة أدلاء
فسرنا من عنده ستة وعشرين يوما في مدن خربة فسألنا عن تلك المدن فخبرنا
أنها المدن التي كان يأجوج ومأجوج يتطرقونها فخربوها ثم سرنا إلى حصون
بالقرب من الجبل الذي السد في شعب منه وفي تلك الحصون قوم يتكلمون
بالعربية والفارسية مسلمون يقرؤون القرآن ولهم كتاتيب ومساجد فسألونا من أين
أقبلنا فأخبرناهم أنا رسل أمير المؤمنين فأقبلوا يتعجبون ويقولون رسل أمير المؤمنين
فنقول نعم فقالوا شيخ هو أم شاب فقلنا شاب فتعجبوا أيضا وقالوا أين يكون
قلنا بالعراق في مدينة يقال لها سر من رأى فقالوا ما سمعنا بهذا قط ثم سرنا
إلى جبل أملس ليس عليه خضراء وإذا جبل مقطوع بواد في عرضه مائة وخمسون
ذراعا وإذا عضادتان مبنيتان مما يلي الجبل من جنبتي الوادي عرض كل عضادة
خمس وعشرون ذراعا الظاهر من تحتها عشرة أذرع خارج الباب وكله بناء
بلبن الحديد مغيب في نحاس في سمك خمسين ذراعا وإذا دروند حديد طرفاه
على العضادة من هنا والعضادة من هنا طوله مائة وعشرون ذراعا قد ركب
على العضادتين في كل واحدة بمقدار عشرة أذرع في عرض خمسة أذرع وفوق
الدروند بناء بتلك اللبن من الحديد مغيب في النحاس متصل إلى رأس الجبل مد البصر
في ارتفاعه وفوق ذلك شرارف حديد في طرف كل شرافة قرنان ينثني كل
واحد منهما على صاحبه وإذا باب حديد بمصراعين عرض كل مصراع
خمسون ذراعا في غلظ خمسة أذرع وقائمتاه في دوارة على قدر الدروند
وعلى الباب قفل طوله سبعة أذرع في غلظ باع في الاستدارة وارتفاع القفل
من الأرض خمسة وعشرون ذراعا وفوق القفل بقدر خمسة أذرع غلق طوله
أكثر من طول القفل وعلى الغلق مفتاح معلق طوله ذراع ونصف وله اثنتا عشرة
دندانة كل واحدة منها أعظم ما يكون من الهواوين معلق في سلسلة طولها
ثمانية أذرع في استدارة أربعة أشبار والحلقة التي فيها السلسلة كحلقة المنجنيق
وعتبة الباب عرضها عشرة أذرع في طول مائة ذراع سوى ما تحت العضادتين

والظاهر منها خمسة اذرع وهذا الذراع كله بالذراع السوداوية ورئيس تلك
الحصون يركب في كل جمعة في عشرة فوارس مع كل فارس منهم ارزبة حديد
فيها خمسون منا فيضربون القفل بتلك المرزبات ثلاث ضربات فيسمع من وراء
الباب الصوت فيعلم ان هنالك حفظة ويعلم هؤلاء ان اولائك لم يحدثوا
في الباب حدثا فاذا ضربوا اصابنا القفل وضعوا آذانهم فيسمعون لمن داخل دويا
بالقرب من هذا الموضع مدينة عظيمة تكون عشرة فراسخ في عشرة فراسخ
ومع الباب برجان يكون كل واحد منهما مائتي ذراع وعلى بابي هاذين البرجين
شجرتين وبين البرجين عين عذبة وفي احد البرجين آلة البناء التي كان بنا بها السد
من قدور الحديد ومغارف الحديد على كل دكان اربعة قدور مثل قدور الصابون
وهنالك بقية من لبن الحديد قد التصق بعضها ببعض من الصدا واللبنة
طولها ذراع ونصف في سمك شبر وسالنا هنالك هل راوا من ياجوج وماجوج
احدا قط فذكروا انهم راوا مرة عددا فوق الشراريف فهبت ريح سوداء فالقتهم
الى جانبهم وكان الرجل منهم في راي العين مثل شبر ونصف فلما انصرفنا اخذ بنا
الادلاء الى ناحية خراسان فسرنا اليها حتى خرجنا خلف سمرقند بسبعة فراسخ
وقد كان اصحاب الحصون زودونا ما كفانا ثم سرنا الى عبد الله بن طاهر فوصلني
بمائة الف درهم ووصل كل واحد كان معي بخمسة آلاف درهم ورجعنا
الى سر من راى بعد خروجنا عنها بثمانية وعشرين شهرا **وروى عن حذيفة**
ابن اليمان رضي الله عنه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ياجوج
وماجوج فقال ياجوج امة وماجوج امة لكل امة اربعمائة الف امة لا يموت
الرجل حتى ينظر الى الف ذكر بين يديه من صلبه كلهم قد حملوا السلاح قلت
يا رسول الله صفهم لنا قال هم ثلاثة اصناف صنف منهم امثال الارز قلت وما
الارز يا رسول الله قال شجر بالشام طول كل شجرة عشرون ومائة ذراع في السماء
قال عليه السلام هؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم
يفترش اذنه ويلتحف بالاخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير الا اكلوه
ومن مات منهم اكلوه تكون مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون

فصل
في سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ياجوج وماجوج

انهار الشرق وبحيرة طبرية **قال الحمر بن اسى اقبل** بر الواثق في ايامه
من الاموال في وجوه البر ببغداد وسر من راى والكوفة والبصرة ومكة والمدينة
وعوض تجار بغداد بسبب الحريق الذي كان وقع في اسواق الكرخ في سنة ثلاثين
ومائتين فذهبت اموالهم وافتقروا وتصدق على المساكين الذين ينالهم الحضار
وعلى اليتامى الذين اقيمت لهم الكتاتيب للتعليم وكساويهم خمسة آلاف الف
دينار **وذكر الوليد** بن يحيى البزاز وكان من وجوه تجار بغداد قال
قدم ابو الوليد ابن احمد بن ابي دواد الى بغداد سنة احدى وثلاثين ومائتين بعد
الحريق بيسير ومعه خمسة آلاف الف درهم ففرقها الواثق على التجار الذين ذهبت اموالهم
في الحريق فحسنت احوالهم وبنوا اسواقهم بالجص والآجر وجعلوا ابواب
حوانيتهم ابوابا مجددة اكثرها **وذكر محمد** ابن علي الرازي كاتب
عمر بن فرج قال امر الواثق عمر بن فرج ان يحمل الى المدينة
ارزاقا الى آل ابي طالب فكان يحمل اليهم في كل وقت مائتي الف دينار فاحصى ما حمله
اليهم فوجد الف الف دينار ونيف ونظر عمر بن فرج فيما تصدق به الواثق
في مرضه ثلاثة آلاف الف دينار فانهى ذلك اليه فاستقله وانتهى الي وامر الواثق
ان يبني حظائر فيها بيوت يجمع فيها المساكين فيجري لهم الطعام والكسوة
ويمنعهم السؤال ان يتسولوا في الطرق والاسواق وعلى الابواب والمساجد ولا يترك
سائلا يسأل الناس **وقال احمد** بن ابي رباح القاضي قال لي احمد
بن ابي دواد القاضي ما رايت رجلا اسمح بالاموال ولا اطيب نفسا باخراجها من الواثق
ولقد كنت اعجب من تفرقة المعتصم للاموال فلما رايت فعل الواثق نسيت المعتصم
ولقد كنت اذكر له الرجل من اهل بيته ببغداد والكوفة والبصرة ومكة
والمدينة فلا ينقضي كلامي حتى يوقع بخطه ما يدفع اليهم فيتجاوز والله
ما يامر به ما كنت اقدره وكنت لا اذكر له بشيء فيه ثواب وقربة الى الله الا سره
ذلك وشكرني عليه وجزاني الخير على اذ كان بداه ويحضني على ان اذكر له
ما الفعله يفعله وكان يجلس للمظالم فيكون غايته انصاف الناس ودفع الظلم
عنهم فاذا انفرشنا من ذلك حمد الله وشكره على ما وفقه له **وكان محمد**

بن عبد الملك ربما تكلم عند تظلم المتظلمين فيما يريد في حقهم به عن ظلامتهم
ويوهم الواثق ان ذلك من جهة التوفير للمال فينتهي له ويتناوله بلسانه ويجري الظلم
وكان الناس قد نالهم بالعراق غلاء شديد في سنة اثنتين وثلاثين ومائتين حتى بلغ
الكر من الدقيق مائة دينار والكر عند العراقيين ستون قفيزا يكون بالمصري اربعين
اردبا فامر الواثق ان يكتب الى عمال السواد ان حاصل السلطان من الطعام حيث ما كان
يجلب الى مدينة السلام فتباع الحنطة على قفيزين بالمعدل بدينار فيفعل ذلك فقال
التجار ويشق ذلك عليهم ان لا يرجوا في الدينار الا درهما واحدا فجعل الواثق ذلك فاتسع
الناس وعاشوا ثم جاءت امطار غزيرة متتابعة حتى غرقت الغلات التي بقيت
في البيادر فسميت تلك السنة الممطورة ورخصت الاسعار وبلغه ان العمال ياخذون
من السفن الواردة من الصين والهند العشر فقال معاذ الله هؤلاء تجار مسلمون يغررون
بانفسهم واموالهم ويركبون البحر فيطول مكثهم وتنقطع اخبارهم ويتغيبون
عن اولادهم واهاليهم ما السبيل عليهم فامر باسقاط العشر عنهم في سنة
اثنتين وثلاثين ومائتين **ودخل عليه ابو عثمان** المازني فقال له
يا مازني الك ولد قال لا ولكن لي اخت بمنزلة الولد قال فما قالت لك حين اردت تسنا
فقال قالت لي ما قالت ابنة الاعشى حيث يقول

فيابا لا ينسينا غايبا ... فانا نخس اذا لم تثرم
ارانا اذا اضمرتك البلاد ... فنجفا وتقطع منا الرحم

قال فما قلت لها قال قلت لها ما قال جرير قال وما قال لها جرير قال يقول جرير

ثقي بالله ليس له شريك ... ومن عند الخليفة بالنجاح

فقال احسنت ثم قال يا غلام اعطه خمسمائة دينار وقال الطائي في شعر له
طويل منه هذه الابيات

الفوا امير المومنين ومن به ... خضل الغمام وظله مسكون
فغدوا وقد وثقوا برافة واثق ... بالله ظن هم به ميمون
فرنا به تلك العيون واشرقت ... تلك الخدود وانهن لحون
ملكوا ذمام العيش بالملك الذي ... اخلافه للمكرمات حصون
ملك اذا خاض المسامع ذكره ... خب الرجاء اليه وهو ركين
جعل الخلافة فيه رب قوله ... سبحانه للشيء كن فيكون

فكان الواثق كثير الاكل جدا وكان ياكل على خلاء من
معدته الى ان فسد مزاجه واستسقى فجيء بطبيب فاحماه تنورا واجلسه فيه
فصلح حاله فقال له ان عاودت الى ما كنت فيه عاد هذا المرض الى حاله ولم ينفعك
معه مثل ما فعلنا بك فعاد بعد ذلك فلم يبر فلما وصل الى حال الهلاك امر ان يفرش
القصر ودعي بعثعث المغني فامر له ان يغني بهذه الابيات فطفق يقول

يا منزلا لم تبل اطلاله ... حاشا لاطلالك ان تبلا
لم ابك اطلالك لكنني ... ابكي لعيش فيك قد ولى
والعيش اولى ما بكاه الفتى ... لا بد للمحزون ان يسلا

فكان يغني بها وزنام الزامر يزمر عليه فلم يزالا كذلك الى ان مات فدخل
ايتاخ عليه ليعرف هل مات ام لا فلما دنا منه نظر اليه بموخر عينه ففزع
ايتاخ ورجع القهقرا الى ان وقع سيفه في عضادة الباب فاندق وسقط ايتاخ
على قفاه هيبة منه فلم تمض ساعة حتى مات الواثق فجعل في بيت ليغسل
فيه فجاء جرذ فاكل عينه التي نظر بها الى ايتاخ فكثر عجب من ابصر ذلك
وقيل العين التي فزع ايتاخ منها وتراجع حتى انكسر سيفه وسقط على قفاه
فاكلها جرذ بعد ساعة فلا ابا لي بالدنيا **وكانت خلافة الواثق**
خمس سنين وتسعة اشهر وستة ايام وقيل ثلاثة عشر يوما وتوفي بسامرا
يوم الاربعاء لثلاث ساعات من النهار لست بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين
ومائتين وهو ابن ثمان وثمانين سنة وقيل سبع وثمانين سنة ونصف ودفن في قصر
الهاروني وقيل نقل مع ابنه بالجوسق وكان المتوكل دفنه وتولى الصلاة عليه
احمد بن ابي دواد القاضي

ذكر المتوكل بن المعتصم

هو جعفر بن محمد المعتصم يكنى ابا الفضل ولقبه المتوكل على الله

فيـ

لقبه بذلك ابن ابي دواد القاضي امه ام ولد اسمها شجاع وهي خوارزمية **بويع** في اليوم الذي مات فيه اخوه الواثق وهو ابن سبع وعشرين سنة وفي ذلك تقول بعض الشاعرة العبدية مولاة المتوكل

استقبل الملك امام الهدى ∴ عام ثلاث وثلاثينا
خلافة افضت الى جعفر ∴ وهو ابن سبع بعد عشرينا
اني لارجو امام الهدى ∴ ان تملك الناس ثمانينا
لا رحم الله امرا لم يقل ∴ عند دعائي لك امينا

وكان جعفر المتوكل اسمر نحيفا طويلا خفيف العارضين طويل العثنون حسن العينين حسن الشعر اسود جميلا **كاتبه** ابراهيم ابن العباس على الانشاء والرسائل وقيل احمد بن اسرائيل وكاتبه على الخراج والدواوين عبيد الله بن خاقان ووزيره محمد بن الفضل الجرجرائي بعد محمد بن عبد الملك الزيات ثم صرفه وقاضيه احمد بن ابي دواد ثم ابنه ثم يحيى بن اكثم وصاحب شرطته طاهر بن عبد الله بن طاهر وحاجبه وصيف التركي ثم محمد بن قاسم ثم يعقوب بن قوصرة ثم المرزبان بن ابراهيم بن الحسن بن سهل ثم زرافة التركي وقايد جيوشه بغا وباعر التركيان نقش خاتمه توكلت على الله **بنوه** محمد المنتصر والزبير المعتز وابراهيم المؤيد ولما ولي المتوكل الخلافة اقر محمد بن عبد الملك الزيات على وزارته التي كان عليها لاخيه الواثق وقد كان المتوكل يحقد عليه اشياء كثيرة منها ان الواثق كان سخط على المتوكل لشيء انكره منه واعرض عنه ليقومه باعراضه عنه وتقدم الى عمر بن فرج ومحمد ابن العلاء بحفظه ومراعاته وامرهما بمكاتبته باخباره فكانا يفعلان ذلك فسار المتوكل في الاوقات الى محمد بن عبد الملك الزيات مستغيثا به على الواثق وسايلا له ان يعطيه ويصلح بينه له فدخل اليه فلبث بين يديه واقفا لا يكلمه ثم اشار اليه ان يقعد فقعد فلما فرغ من وجهه وفرغ من نظره في امور جميع من حضر في مجلسه التفت اليه بوجه عابس وقال له ما حاجتك قال جيت اسال الوزير بسال

امير المومنين الرضا عني فقال لمن حوله انظروا الى هذا يغضب اخاه بسوء افعاله ويسئلني ان استرضيه له اذهب فانك اذا اصلحت يرضى عنك فخجل جعفر واستخيل وقام فخرج كئيبا وانصرف ومنها ايضا انه دخل عليه يوما ومجلسه حفل وكانت للمتوكل طرة كثيفة وشعر قفا طويل فلما نظر اليه محمد بن عبد الملك قال له يا جعفر تكون ابن امير المومنين المعتصم واخو امير المومنين الواثق وهذا شعرك كانك بعض المخنثين وامر باحضار مزين فاحضر فامره فاخذ طرته وشعر قفاه والقى عليه بعض غلمان محمد منديلا فزجره محمد بن عبد الملك وقال له لا ارى على ثوبه **فحكي** عن المتوكل انه كان يقول ما ثقل علي شيء قط ولا بلغ مني ما بلغه من محمد بن عبد الملك الزيات في اخذه للشعر على ثوبي وجرأته علي وجسارته **ومنها ايضا** ان الواثق لما مات اجتمع بغا ووصيف وابن ابي دواد ومحمد بن عبد الملك على التشاور فيمن يقعد فاشار محمد بن عبد الملك بمحمد بن الواثق وكان غلاما حدثا قصيرا ذميما وكثر القول فيه ونصره فخالفه الجماعة وعقدوا الامر الى جعفر ولما انتظم الامر الى جعفر المتوكل ركب بعد ايام يسيرة وركب معه احمد بن ابي دواد القاضي ومحمد بن عبد الملك الزيات فلما بلغ الى خشبة بابك رفع راسه فنظر الى المصلوبين ثم اقبل على محمد بن عبد الملك فقال سر يا محمد فسار فلما انصرف الى منزله قلق وانزعج فقيل له ما شانك فقال يقتلني هذا الرجل لا محالة انه يقتلني فقيل له وكيف علمت ذلك قال فانه لم يدعني حتى راى خشبة بابك فيحكي في صلبي حين راى المصلبين قال فاوقع به بعد ايام يسيرة وقيل انه عذب وضرب وجعل له تنور خشب فيه مسامير حديد كان هو ابن عبد الملك اتخذه في ايامه قبل نكبته ليعذب فيه ابن اسباط المصري وكان جعل اطرافه مسامير محدودة كالابر من داخله فكان فيه واقفا اذ لا يتمكن له جلوس لضيقه ولا يطيق الاستناد اليه لمكان المسامير اعاذنا الله من ذلك فمات فيه وكان قد عذب فيه ابن اسباط وغيره وهو الذي كان استنبطه فقتله الله فيه ولم يكن قبله ولا بعده من عذب بذلك غيره فعذبه الله تعالى بما تخير

للمسلمين ولما ادخل التنور الذي عذب فيه سال الموكلين بعذابه ان ياذنوا له في شيء يكتبه
فظنوا انه يكتب بمال او يدل على وديعة او ذخيرة له فاذنوا له فكتب

هي السبيل فمن يوم الى يوم ... كانها ما تريك العين في النوم
لا تجزعن رويدا انها دول ... تنقل الغنى من قوم الى قوم

قال فتشاغل المتوكل عن ذلك اليوم عن الوقوف على رقعته فلما كان من الغد
قراها فامر باخراجه فوجد ميتا **وكان يقول** قبل مماته وهو
في ايامه الرحمة في القلب نور في الطبيعة وضعف في المنة ما رحمت شيئا قط
فكان يعاب لذلك ويشنا فلما وضع في التنور الذي صنع لعذاب الخلق قال للموكلين به
ارحموني فقالوا انت حكمت على نفسك بقلة الرحمة ولما مات دفع الى ابنيه سليمان
وعبد الله فغسلاه وكفناه ودفناه وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومايتين وكان المتوكل
حين افضت الخلافة اليه رفع المحنة عن الناس في القول بخلق القران ولما اشتهر النظر
والمباحثة في الجدل والترك لما كان الناس عليه في ايام الواثق والمعتصم والمامون
وامر الناس بالتسليم والتقليد وامر شيوخ المحدثين بالحديث والجلوس لتدريسه
واظهار السنة والجماعة واظهر لبس الثياب الملحم وفضلها على سائر الثياب
واتبعه من في داره على لبس ذلك وشمل الناس لبسها وبالغوا في اثمانها ايتماما
بفعله حتى سميت وعرفت تلك الثياب بالمتوكلية وهي نوع من الثياب الملحم في
نهاية الحسن والصنعة والصقل **وكانت** ايام المتوكل احسن
الايام وانضرها في استقامة الملك وشمول الناس بالعدل والامن ولم يكن ممن يوصف
في عطايه وبذله في الجود ولا في تركه وامساكه بالبخل وامر بتغيير زي النصارى
في لباسهم ومراكبهم وامر بتعليق صور الخشب على ابواب منازلهم وغير ذلك
مما هو مشهور مذكور وكان السبب في ذلك كثرة كتاب النصارى المتقدمين
في الاعمال وما اتصل به عنهم من تعديهم واساءتهم فامر نجاح بن سلمة
بانشاء كتاب اوله اما بعد فان الله عز وجل اصطفى الاسلام واظهره
وجعله دينا قيما عزيزا لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
حميد وارتضى القيام بشرايعه واحيا معالم سنته خلفاءه في ارضه وامناءه على

عباده واختارهم من خير امة اخرجت للناس واعلا دعوتهم ومكن لهم في الارض
واعلا دينهم على كل دين ولو كره المشركون ولم يجعل بهم ولا بمن قلدهم
سياسته حاجة ولا ضرورة الى احد من اهل الارض المخالفة في شيء من الامور في دينهم
ودنياهم بل جعلوا العجز والحزم في اقصائهم عن الاعمال وابعادهم عن الاستيكان
اذ كان مقصد السلطان الاختيار لاعمال اهل النصح والامانة والحالتان جميعا معدومتان
عند اهل الذمة فاما الامانة فليس بمامون على الفيء واموال المسلمين عن الله دينه
وبغاته واما النصيحة فغير موجودة عند من كان مقامه بين ظهراني المسلمين
على قهر وكره وصغار وذلة وقد نهى الله عز وجل عن موازرتهم وعن موالاتهم
فقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا ودوا
ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم
الايات ان كنتم تعقلون وقال عز من قائل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم وقال تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المومنين في اي كثيرة ثم الخبر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تستضيئوا بنار المشركين معناه والله اعلم
ان لا تشاوروهم فلا يستعان باحد منهم في شيء من معاون اعمال المسلمين ولا يرخص
لاحد من ذوي النعمة ولا من غيرهم ان يجعل بينه وبين سلطانه موديا لجزيته عنه
حتى يوديها على كتاب الله عز وجل وفرضه كما قال عن يد وهم صاغرون
في رسالة طويلة يطول تتبعها **وامر المتوكل** بقطع اذن احمد
بن حمدون وكان من احد ندمايه وكان سبب ذلك انه كان يشرب بين يديه فحضر
غلام حسن الوجه فتامله ابن حمدون فحمل الشراب عليه تاملا انكره المتوكل
فقال له يا ابن حمدون باي شيء تحكم على ان جاذ نظر الى غلام فتامله فقال
ان تقطع اذنه فقال له المتوكل قد حكم عليك بحكمك ثم امر بقطع اذنه معرفت
اذنه حتى خرزت ثم صلت وامر بنفيه فلقيه اسحاق الموصلي بها فساله عن اخباره
وعن ابعاده من المتوكل فقال له ان احد ندمايه ابن عم البازيار فساله عن محله من العلم
والفهم فقال له اكثر ما يقول للخليفة ابقاك الله يا امير المومنين وبعد الفيه شيئا كثيرا

فقال له اسحاق فاعمل على ان لي عشرة ءالاف فقطعت اليسير ذلك اسهل اليه حضور
مجلس يقاسا فيه ابن عمر البازيار ثم رضي المتوكل على ابن حمدون ورده الى خدمته
واشترى ابراهيم بن الحسن ابن سهل الظهور لابنته من الورثة بعشرة ءالاف درهم
وكان الحسن ابن سهل توفي في ايام المتوكل في ذي القعدة سنة خمس وثلاثين ومائتين
وهو ابن تسعين سنة فسعى بذلك الى المتوكل فامر الفتح باحضاره واحضار الظهور
فاحضر فقال هو ما ترك الذي كان ابي يزعم انه ورثنا به الشر ففتحه فاذا منديل
دبيقي وفيه انبوب من عود ملبس ديباجا اخضر فاخرج منه قرطاسا فقال هذا
شرط ذي الرياستين على المامون ثم اخرج مثلها وفيها كتاب بخط المامون
يقر فيه الحسن بن سهل واخبر في تزويجه ابنته بوران وتمكينها في جميع تلك
الكتب وكانت الظهور دون العشر فقال الفتح مالو مكان تشترى هذه الاملاك بجميع
مالك ثم ادخلها الى المتوكل فوقف عليه فجل الحسن واهله في عينه ونظر الى تكنية
المامون لهم في كتبه بخطه وفي الاموال التي اخذ لهم وفي الاموال التي انفقوها عليه
فقال للفتح قل لابراهيم قد استدللت بفعلك على علو همتك فاهد لي شيا كالفضل
فقال له الفتح هي بجميعها له ونحن عبيده ولا فضل لطعنا فيها فابلغه الفتح
ذلك فقبل شيا كالفضل هدية وامر بنسخ الباقي ورده عليه وامر بايصال ابراهيم اليه
فدخل عليه وسلم فاحسن الدعاء فاجلسه وامر له بمائة الف درهم واجرى
له خمسين الف درهم في كل شهر وامر ان يجيب المنتصر ولده ويلزمه ويحادثه وما زال
مقدما عنده **وكان المتوكل** احد الخلفاء الذين حجوا قبل الخلافة
وهم المهدي حج سنة اثنين واربعين ومائة وهو ابن خمسة عشر سنة وكان مولده
قبل الدولة بثلاث سنين فكانوا يتبركون بذلك وحج الرشيد بالناس سنة ثلاث وستين
ومائة وله ستة عشر سنة وحج بعد الخلافة تسعا وحج المعتصم بالناس قبل الخلافة ولم يحج
بعد وحج الواثق بالناس قبل الخلافة وحج المتوكل بالناس قبل الخلافة ولم يحج بعد
وسلم على المتوكل بالخلافة ثمانية كلهم ابن خليفة محمد بن الواثق
واحمد بن المعتصم وموسى بن المعتصم وعبد الله بن محمد بن الامين وابو احمد
بن الرشيد والعباس بن موسى الهادي والمنصور والمنتصر ابنا المهدي ولا يعرف احد صار

جرا وهو ابن خليفة قبل ان تكمل له ثلاثون سنة سوى المتوكل بعد عشرة ءاباء منهم
خمسة خلفاء غيره ولا نعرف امراة رات ابنها خليفة جرا وله ثلاثة اولاد ولاة العهود
الا شجاع ام المتوكل وتوفيت شجاع سنة ست واربعين ومائتين وكانت من الركبة
والخير بمحل وخلفت من العين الف الف دينار ومن الجوهر ما قيمته الف الف دينار ومن الرقيق
والدواب والاثاث امرا عظيما وكان بين المتوكل والعباس بن عبد المطلب رضي
الله عنه مائتين سنة وهو اول خليفة اتخذ الكباش للتناطح والديوك للتناقر والحمام
الراجعية والسمان حتى عادت ببيتيه لا تنفق وهو اول من تخلع بعد الامين ببناء القصور
وتشييد البساتين والدور فانفق في قصر الجعفري مائة الف الف درهم وكانت له اربعة
ءالاف سرية وهو اول من اظهر في لباس الروس فلبس الثياب المذهبة المكللة بالدر والياقوت
ودخل بها دمشق فاتبعه في ذلك اهل العلم والفضل **قال احمد** بن العلاء
المغني كنا يوما عند المتوكل نشرب معه والمضحكون حاضرون فقام الى دار له
فقمنا لقيامه ونحن نزيد على خمسين رجلا فتبقى فلما الى ان جاء الخدم امامه
فاعلمونا بقدومه فقمنا فتلقيناه واذا خلفه خادم يحمل بدرة فقال اقعدوا
فقعدنا ووقف ثم قال اني اشتهيت شهوة فليقل كل انسان منكم ما هي
فمن اصابها فالبدرة له فلم يبق احد الا قال وحزر جميع الشهوات وهو
يقول لا فلما طال الامر قال اذا انا اقول وكم انا اقول لكم ما هي اشتهيت ان يوخذ
جدي لطيف رضيع فيذبح شيه ثم ينزع لحمه من عظامه فاخذ العظام
فانهشها فقال له عبادة ان خرطتنا انك انما اشتهيت شهوة الملوك فذكرناها
ولم نذكر انك اشتهيت شهوة الكلاب فنذكرها فضحك المتوكل حتى استلقى
وامر له بالبدرة **وقال** ابو العيناء دخلت على المتوكل فدعوت له وكلمته
فاستحسن كلامي ثم قال لي يا محمد بلغني ان فيك شرا فقلت يا امير المومنين
ان يكن الشر فقد ذكر المحسن باحسانه والمسيء باساءته فقد زكى الله تعالى وذم
فقال في التزكية نعم العبد انه اواب وقال في الذم هماز مشاء بنميم مناع للخير
معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم واما قول الشاعر في هذا المعنى

اذا انا بالمعروف لم اثن دايما ... ولم اشتم الجبس اللئيم المذمما

فهيم عرفت الخير والشر باسمه ... وشق لي الله المسامع والفما
ولو كان فعل الشر كفعل الخير فالذي تسمع النبي والذمي بطبع لا يميز فقد صار الله
عبدي من ذلك قال بلغني أنك رافضي فقلت يا أمير المؤمنين فكيف أكون رافضيا
وبلدي البصرة ومنشأي مسجد جامعها الأعظم وشيخي هذا أستاذي الأصمعي
وليس يخلو الناس من ارادة دنيا او دينا فان ارادوا دينا فقد اجتمع المسلمون على تقديم
من أخروا وتأخير من قدموا وإن أرادوا دنيا فأنت وآباؤك أمراء المؤمنين لا دين إلا بكم
ولا دنيا إلا معكم فقال كيف ترى داري هذه قلت يا أمير المؤمنين رأيت الناس بنوا
دورهم في الدنيا وأمير المؤمنين جعل الدنيا في داره فقال لي ما تقول في عبيد الله
ابن يحيى بن خاقان قلت نعم العبد لله عز وجل ولك مقسم بين طاعة الله عز
وجل وخدمتك يؤثر رضاك على كل فائدة قال فما تقول في صاحب البريد
ميمون بن إبراهيم وكان عرف أني قد وجدت عليه لتقصير نالني منه فقلت
يا أمير المؤمنين يد تسرق واست تضرط هو مثل يهودي قد سرق نصف جزيته
وأدى نصفها فله إقدام بما أدى ومعه إحجام بما بقي إساءته طبيعة وإحسانه تكلف
قال قد أردتك لمجالستي قلت لا أطيق ذلك وما أقول هذا جهلا بما لي في هذا المجلس
الذي يهم من الشرف ولكني محجوب والمحجوب تختلف إشارته ويخفى عليه إيماؤه ويجوز
أن تتكلم بكلام غضبان ووجهك راض أو بكلام راض ووجهك غضبان
ومتى لم أميز بين هذين هلكت قال صدقت ولكن تلزمنا فقلت لزوم الفرض الواجب
فوصلني بعشرة آلاف درهم ولزمته. وتنبأ رجل في أيام المتوكل فأدخل عليه
فقال له ما آيتك قال أحيي الموتى قال اذهبوا به إلى بعض المقابر يحيي بعض أهلها
فقال يا أمير المؤمنين إني لم أبعث إلى العامة والرعاع وإنما بعثت إلى الملوك وأهل النبل
قال ومن تحيي إذا قال الواثق فأطرق المتوكل ساعة كارها لذلك ثم قال هات غيره
فنظر إلى ابن خاقان وزيره فقال يا أمير المؤمنين اضرب عنق هذا الفتح بن خاقان وعلي
أن يحييه فبقي الفتح مبهوتا وقال يا أمير المؤمنين أعلي تقع التجربة فقال المتنبي
يا أمير المؤمنين فإن كره ذلك فليفتد فضحك المتوكل وأعطاه ألف دينار
وخلى سبيله وقال المبرد كانت للمتوكل منازعة جرت بينه وبين الفتح

بن

بن خاقان في تأويل آية وتنازع الناس في قراءتها فكتب إلى محمد بن القاسم والي البصرة
ليحملني مكرما إليه فلما اجتزت بناحية النعمانية بين واسط وبغداد بدير هرقل
فذكر لي أن فيه جماعة من المجانين يعالجون فدخلت فإذا بفتى حسن الهيئة مليح
الصورة جالسا مع المجانين فقلت له ما يقعدك بينهم وأنت بائن منهم فكسر جفنه
ورفع عقيرته وأنشأ يقول

أرقوني فناحل الجسد ... أو فتشوني فأبيض الكبد
أنحل جسمي وزاد في سقمي ... أن لست أشكو الهوى إلى أحد
وضعت كفي على فؤادي من ... حر الهوى وانطويت فوق يدي
آه من الحب آه من كبدي ... إن لم أمت في غد فبعد غد
كأن قلبي إذا ذكرتهم ... فريسة بين ساعدي أسد

فقلت أحسنت لله أبوك فزدني فأنشأ يقول

ما أقتل البين للنفوس وما ... أوجع فقد الحبيب للكمد
عرضت نفسي إلى البلاء لما ... أسرفت في مهجتي وفي خلدي
يا حسرتي إن أمت معتقلا ... بين اعتلاج الهموم والكمد
في كل يوم تفيض معولة ... عيني لعضو يموت في جسدي

فقلت أحسنت لله أبوك ولا فض فوك بعيشك زدني فأنشأ يقول

الله يعلم أنني كمد ... لا أستطيع أبث ما أجد
نفسان لي نفس تقسمها ... بلد وأخرى حازها بلد
وأرى المقيمة ليس ينفعها ... صبر وليس يعينها جلد
وأظن غائبتي كشاهدتي ... بمكانها تجد الذي أجد

فقلت لله أبوك ولا فض فوك فزدني فقال لي قد أنشدتك فأنشدني أنت
أيضا فقلت للذي كان معي أنشده أبياتا مما حضر فأنشد له

عذلوني وقد ودعت من رحلوا ... أي العيون على ذا البين تنهمل
تالله ما جلدي من بعدهم جلد ... وما اختزال دموع عنهم بخل
بلى وحرمة ما بيني من خليلي ... قلبي إليهم مشتاق وقد رحل

وددت أن البحار السبع لي مدد * وأن جسمي دموع كلها همل
وأن لي بدلا من كل جارحة * في كل جارحة يوم النوى مقل
لا در در النوى لو صادفت جبلا * لانهد منها وشيكا ذلك الجبل
الهجر والبين والواشون والإبل * طلائع يترى ما بينهما الأجل

فطرب المجنون وقال أحسنت وقد حضرني في معنى ما أنشدت شيء أفلا أنشده
فقلت هات لله أبوك ولا فض فوك فقال

ترحلوا ثم نيطت بينهم سحب * لو كنت أملكهم يوما لما رحلوا
يا حادي العيس عرج كي نودعهم * رفقا علي ففي توديعهم أجل
ما راعني قط شيء مثل فقدهم * حين استقلت علينا بالعما الإبل
إني على العهد لم أنقض مودتهم * فليت شعري وطال العهد ما فعلوا

قال المبرد فقال الفتى الذي معي ماترى فصاح المجنون ماتوا وأنا أموت وأنا والله
أموت ثم سقط فما برحنا حتى غسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه فوردت
إلى سر من رأى فدخلت على المتوكل وقد عمل الشراب فسألني عن الذي وجه عني
بسببه فأخبرته وبين يديه الشاعر فابتدأ ينشده وفي المجلس أبو العنبس
الصيمري فأنشد البحتري قصيدته التي أولها

عن أي ثغر تبتسم * وبأي طرف تحتكم
حسن يطير بحسنه * والحسن أشبه بالكرم

حتى بلغ قوله

قل للخليفة جعفر * المتوكل ابن المعتصم
المرتضى ابن المجتبى * والمنعم ابن المنتقم
أما الرعية فهي من * أمنات عدلك في حرم
يا باني المجد الذي * قد كان قوض فانهدم
اسلم لدين محمد * فإذا سلمت فقد سلم
نلنا الهدى بعد العمى * بك والغنا بعد العدم

فلما كمل مشى القهقرى للانصراف فوثب أبو العنبس وقال يا أمير المؤمنين تأمر برده

فقد والله عارضته في قصيدته هذه فأمر المتوكل برده فأخذ أبو العنبس
ينشد هذا لولا أني تركته الخير ما وردت منه فولا هنا فقال

أدخلت رأسك في الحرم * في أي سلك تنتظم
أدخلت رأس البحتري * وأبو عبيدة في الحرم

ثم وصل ذلك بما أشبهه من الشعر فضحك المتوكل حتى استلقى على قفاه وضرب
برجليه وقال يدفع لأبي العنبس عشرة آلاف درهم فقال الفتح يا سيدي فهذا
البحتري أشخصناه من بلاده وهجي وأسمع المكروه ينصرف خائبا فقال ويدفع
للبحتري كذلك قال يا سيدي وهذا البصري أيشارك هما فيما حصلاه قال وللبصري
كذلك قال البحتري فانصرفنا كلنا في شفاعة الهزل ولم ينفع البحتري جده
واجتهاده وقال المتوكل لأبي الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر
بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما يقول ولدا أبيك
في العباس بن عبد المطلب فقال علي بن محمد للمتوكل وما يقول أمير المؤمنين
في رجل افترض الله طاعة نبيه على خلقه وافترض طاعته على نبيه
فأمر له بمائة ألف درهم وإنما أراد أبو الحسن طاعة الله على نبيه عليه السلام
فهو قوله ما لم يعلم الجواب عليه وإنما كان قد سعي به إليه وقيل للمتوكل
إن في منزل علي بن محمد هذا سلاحا وكتبا وغير هذا وأنه قد عزم على
الخروج والوثوب على الدولة فوجه إليه عدة من الأتراك وغيرهم فهجموا
عليه في منزله على غفلة ممن في داره فوجد في بيت مغلق عليه و
حده وعليه مدرعة شعر ولا بساط إلا الرمل وعلى رأسه ملحفة صوف
وهو متوجه إلى ربه يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد فأخذوه على
ما وجدوه عليه وحملوه إلى المتوكل في جوف الليل والمتوكل يشرب وكأسه
في يده فلما رآه أعظمه وأجلسه إلى جنبه فأعلموه أنهم لم يجدوا في بيته
غير الرمل وهو في مصلاه فناوله المتوكل الكأس الذي في يده فقال ما خامر
لحمي ودمي قط فاعفني منه فأعفاه وقال له إذا فأنشدني فأنشده
هذه الأبيات

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غلب الرجال فما أغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عز من معاقلهم ... فأودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا ... أين الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمة ... من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءله ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طال ما أكلوا دهرا وما شربوا ... فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

قال فأشفق من حضر على علي بن محمد وظنوا أنه سيوقع به وإذا بالمتوكل قد بكى بكاء طويلا حتى بلت دموعه لحيته وبكى من حضر لبكائه ثم أمر برفع الشراب وقال له يا أبا الحسن أعليك دين قال نعم أربعة آلاف دينار فأمر بدفعها إليه ورده إلى منزله مكرما وحكى الفتح بن خاقان قال كنت عند المتوكل وقد عزم على الصبوح بالجعفري فوجه إلى الندماء والمغنين فجعلنا نطوف وهو متكئ علي وأنا أحدثه حتى وصل إلى موضع يشرف منه على الخليج وقبل جادته إذا بي بسفينة مشدودة بالقرب من وادي القرآن يعني الخليج وملاح بين يديه قدر كبيرة يطبخها فيه سكباج فقال المتوكل أما ترى ما أطيب رائحتها علي بها على حالها فبادر الفراشون فانتزعوها من يد الملاح فلما عاين الملاحون ما فعل بهم ذهبت نفوسهم فرقا فجاءوا إلى المتوكل بالقدر على هيئتها فوضعت بين يديه فاستطاب ريحها فدعا برغيف فكسر منه كسرة فدفعها إلي وأخذ هو أخرى فأكل كل واحد منا ثلاث لقم وأقبل الندماء والمغنون فجعل كل واحد منهم يلتقم لقمة من القدر ثم أقبل الطعام ووضعت الموائد فلما فرغ من أكله أمر بتلك القدر ففرغت وغسلت وأمر أن تملأ دراهم فجيء ببدرة ففرغت فيها وفضل من الدراهم ألف درهم فقال لأحد الخدم خذ هذه القدرة فامض بها إلى أصحاب السفينة وقل لهم هذا ثمن ما أكلنا من قدركم وادفع إلى من طبخها هذه الألف درهم لتجويد طبخها قال الفتح فكان المتوكل كثيرا ما يقول ما أكلت أطيب من سكباج أصحاب السفينة وقيل إنه لم تكن النفقات

في عصر

في عصر من الأعصار أكثر منها في أيام المتوكل لأنه أنفق على بناء الجوسق والجعفري أكثر من مائتي ألف ألف درهم في كل قصر منهما هذا مع كثرة المواكب والكنز والشاكرية ودور العطاء عليهم وقليل ما كانوا يقبضونه في كل شهر من الجوائز والهبات وكان أكثر جلوس المتوكل في الهاروني الذي بناه الواثق إذ كان أحسن القصور التي بناها المعتصم والواثق وأجودها مكانا وأطيبها هواء وأوسعها صحونا فجهد المتوكل أن يزيل عنه اسم الهاروني فلم يقدر فبنى البديع وتحول إليه ثم تركه ورجع إلى الهاروني ثم بنى العروس وانتقل إليه ثم رجع إلى الهاروني ثم بنى الغريب فأقام به مدة ثم رجع إلى الهاروني ثم بنى الشبداز وانتقل إليه ثم رجع إلى الهاروني ثم بنى الكامل فانتقل إليه ثم رجع إلى الهاروني فكان ينفق في هذه القصور الأموال الجليلة التي تبلغ ثلاثمائة ألف وأربعمائة ألف دينار ثم بنى القصر الذي يسمى البرج فأسرف في النفقة عليه وجعل فيه صورا عظاما من ذهب وفضة وصنع فيها بركة عظيمة وجعل بلاطها صفائح الفضة وجعل فيها شجرة ذهب عليها صورة طائر مكللة بأنواع الجواهر سماها شجرة طوبى وصنع سريرا من ذهب عليه صورة سبعي من ذهب والدرج من ذهب عليه صور السباع والنسور على صفة كرسي سليمان عليه السلام وجعل الحيطان كلها من داخل القصر وخارجه وسرادقاته ملبسة بالفسيفساء والزجاج المذهب فبلغت النفقة فيه ألف ألف دينار وسبعمائة ألف دينار ثم جلس فيه في ثياب وشي من ذلك أول سنة تسعة وثلاثين ومائتين وأمر الأيدي خلعه أحد الأثواب وشي أو ثياب ديباج وحضر كل صنف من أصناف الملاهي فقال له يحيى بن خاقان أرجو أن يشكر لك الله بناء هذا القصر فيوجب لك الجنة فقال وكيف ذلك قال لأنك شوقت الناس إلى الجنة فيوشك أن يدعوهم من رآه إلى الأعمال التي يرجون بها دخول الجنة قال فسر المتوكل بهذا القول ثم دعا بالطعام فأكل وأكل الناس ثم أراد النوم فامتنع عنه فقال له الفتح ليس هذا يوم نوم فجلس وأحضر الملهين فلما كان الليل لم ينم فجعل دهن البنفسج على رأسه واستنشقه فلم ينم فأقام كذلك ثلاث ليال فانتقل إلى الهاروني واتصلت

فيه على نفقة من العقلي ومعنى العادة وستجمل لئن العربي

به العلة وامر بهدم القصر واراد ان يبني مدينة ينتقل اليها بولده وقواده واجناده
فجعل يتخير المواضع فقيل له ان المعتصم كان عزم على ان يجعل الماثورة مدينة
قبل ان يختط سر من راى فعزم على ذلك وامر ان يبنى له قصرا على دجلة وان يقطع
به القطائع ويختط به الخطوط لولده وقواده واجناده وذلك في سنة خمسة
واربعين ومائتين فابتدأ في بناء القصر المعروف بالجعفري واراد ان يجري نهرا يجري
في وسط هذه المدينة الجعفرية ويجعل عليه قنوات تجري في شوارعها وارباضها
واسواقها فقدر يحيى المنفق الف الف دينار وسبعمائة الف دينار ولم يكمل واختط
القواد والناس في الجعفرية واستعمروا وبنوا الدور والمنازل والاسواق وانفق على القصر
خمسمائة الف دينار وسبعين الف دينار وتحول اليه لعشر خلون من المحرم سنة ست
واربعين ومائتين وفيه قتل هو ووزيره الفتح بن خاقان وكانت خلافة المتوكل
اربع عشرة سنة وتسعة اشهر وتسع ليال وقتل ليلة الاربعاء لثلاث خلون من شوال
سنة سبع واربعين ومائتين غدرا في مجلسهما فامر ابنه المنتصر وهو ابن احدى
واربعين سنة حكي عن البحتري انه حدث عن قتل المتوكل وكان خبيرا
بايامهم قال لما كان يوم الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع واربعين ومائتين
قال المتوكل للفتح يا فتح اني احب ان اصطبح في يومنا فقال له يا سيدي افعل
فامر باحضار الملهين والمغنين فحضروا وفيهم احمد بن ابي العلاء فلما جلس
دعا ابن ابي العلاء من بينهم فقال له غن واشرب فغناه

يا عاذلي من الملام دعاني   ان البلية فوق ما تصفان
زعمت بثينة ان رحلتنا غدا   لا مرحبا بغد فقد ابكاني

فنظر المتوكل اليه وقال ما هذا يا محمد كيف وقع لك ان تغني بهذا الشعر
فشغل قلب ابن ابي العلاء بما انكر له عليه ثم ذهب يغني غيره فغناه ثانية فقال
المتوكل يا فتح نسأل الله خير هذا اليوم ثم قال له اصرف الملهين وقام لصلاة
الظهر فلما فرغ قال له الفتح يا سيدي اتمم لذة يومك ودع هذا الفكر
الردي فيومنا بحمد الله طيب يوم فلم يزل به حتى دعا بالشراب فشرب
ثم دعا بخادم يقال له ميسرة فقال يا ميسرة جئني بكف من تراب فجاءه به فوضعه

في كمه

في كمه ثم قال يا فتح افعل مثل ما يفعله الجبابرة فيمسك التراب في يده اليسرى
واخذ منه فوضع على راسه تواضعا لله تعالى ومسح وجهه وعظم الله وحمده
ودعا بغسول فغسل وجهه وراسه وقال ادع لنا احمد بن العلاء ليغني فلما
حضر قال له يا احمد ويلك ما الذي كان منك اليوم اذ غنيت هذا الصوت
مرتين واخذ القدح يشرب وقال غني فاغمي على قلب ابن ابي العلاء حتى اعاد
الصوت بعينه ثالثة فاغتم المتوكل غاية الغم وقال نسأل الله خير يومنا هذا
فلم يزل الفتح يطيب نفسه وهو يدفع الغم بالشرب حتى كان الليل فما شعر ان دخل
عليه جماعة من القواد يقدمهم باغر فقال المتوكل تدخلوا علي من غير
اذني والله ما امرت بهذا فبدر باغر فضربه وتتابع القواد بالضرب فالقى الفتح
نفسه عليه فقتل معه ولفا في البساط الذي قتلا عليه وطرحا ناحية فلم يزالا
كذلك في ليلتهما وعامة نهارهما وجمع المنتصر الناس والاجناد وقرا عليهم
كتابا فيه ما تقولون فيمن كانت صفته كذا وكذا وذكر العيوب التي في ابيه
كلها قالوا القتل واجب عليه والحرق بالنار قال وان كان خليفة قالوا الخلع والقتل
قال هو ذا وكشف لهم عن ابيه وامر باخذ البيعة له فاخذت وتمت له ثم
كفنه وصلى عليه ودفنه وفي غدر المنتصر باخيه وفتكه فيه وفعله
الخبيث يقول البحتري من قصيدة طويلة

اكان ولي العهد اضمر غدره   فمن عجب ان ولي العهد غادره
فلا ملي الباقي تراث الذي مضى   ولا حملت ذاك الدعاء منابره

وكانت ايام المتوكل في حسنها ونضرها ورفاهية العيش بها وحمد
الخاص والعام لها ورضاهم عنها ايام سراء لا ضراء معها وقد قيل كانت ايامه
احسن من امن السبل ورخص السعر وطاب الحب وايام الشباب واحسن من الخصب
بعد الجدب والامن بعد الخوف والراحة بعد التعب والرضا بعد الضما ورثاه
علي بن الجهم فقال

عبيد امير المؤمنين قتلنه   واعظم افات الملوك عبيدها
بني هاشم صبرا فكل مصيبة   سيبلى على وجه الزمان جديدها

ورثاه الحسن بن الضحاك الخليع فقال من قصيدة يقول في بعضها

إن الليالي لم تحسن الى احد ∴ الا اساءت اليه بعد احسان
اما رايت خطوب الدهر ما فعلت ∴ بالهاشمي وبالفتح بن خاقان

وكان للمتوكل عدة جواري فلما قتل تفرقت جواريه فصار الى وصيف عدة منهن فيهن جارية تسمى محبوبة وكانت مولدة شاعرة مغنية وكانت حسنة الوجه والغنا في جملة اربعماية جارية كانت للمتوكل هذا قاله عبد الله بن طاهر فاصطبح وصيف يوما فامر باحضار الجواري فحضرن وعليهن اصناف الثياب والحلي متزينات متعطرات غير محبوبة فانها جاءت شعثة عليها ثياب بيض فغنين وطربن وشرب وصيف وطرب ثم قال لمحبوبة غني فاخذت العود وغنت وقالت

اي عيش يطيب لي ∴ لا ارى فيه جعفرا
ملكا قد رايته ∴ بعيني صريعا معفرا
كل من كان ذا سقام ∴ وحزن فقد برا
غير محبوبة التي ∴ لو ترى الموت يشترى
لاشترته بما حوته ∴ جميعا لتقبرا

قال فاشتد ذلك على وصيف وهم بقتلها فاستوهبها منه بغا فاعطاه اياها فاعتقها واطلق لها ان تمضي حيث ما احبت فخرجت من سر من راى الى بغداد فاقامت بها واخملت نفسها ولم تزل مكتئبة حزينة حتى ماتت رحمها الله

ذكر المنتصر بن المتوكل

هو محمد بن جعفر المتوكل يكنى ابا جعفر ولقبه المنتصر بالله امه رومية اسمها حبشية ولدته سنة اربعة وعشرين وماتين **بويع** في الليلة التي قتل فيها ابوه المتوكل وهو ابن خمس وعشرين سنة في القصر المعروف بالجعفري الذي احدث بناءه المتوكل وكان ابيض احمر يميل الى سمرة جميل الوجه ربعة صغير اللحية طويلها ممتلئ الجسم والبطن **وزيره** احمد بن الخصيب ثم ندم على وزارته وذلك ان احمد بن الخصيب ركب ذات يوم فتظلم اليه متظلم فاخرج رجله من الركاب فزج به صدره فقتله فتحدث الناس في ذلك فقال فيه احد الشعراء

قل للخليفة يا ابن عم محمد ∴ اشكل وزيرك انه ركال
اشكله عن ركل الرجال وان ترد ∴ مالا فعند وزيرك الاموال

واستكتب محمد بن محمد بن سهل وقدم على الجيوش وصيفا وبغا التركيين وصير على حجابته اوتاش التركي وعلى الشرطة محمد بن عبد الله بن طاهر واستقضى جعفر ابن محمد الهاشمي **نقش خاتمه** محمد بالله ينتصر ونقش خاتمه الصغير يوتى الحذر من مامنه وقيل انتصرت بالله ونقش طابعه انا من ال محمد **بنوه** محمد وعلي وعبد الله وعبيد الوهاب واحمد لا مهلت اولاد وكان واسع العطا كريم الطبع فصيح اللسان جسور القلب راجح العقل فسيح الصدر كثير الاحتمال عفيف الذيل محبا في اهل الفضل وكان ياخذ نفسه بمكارم الاخلاق وكثرة الانصاف وحسن المعاشرة لم يسبقه احد الى مثله وله شعر حسن وكان ال ابي طالب قبل خلافته في محنة عظيمة وخوف على دمائهم وقد منعوا زيارة قبر الحسين رضي الله عنه ومن كان من شيعتهم وكان الامر بذلك من المتوكل في سنة ست وثلاثين وماتين فامر المنتصر الناس بالكف عن ال ابي طالب وترك البحث عن اخبارهم والا يمنع احد عن زيارة قبر الحسين ولا قبر غيره من ال ابي طالب ورد فدك على ولد الحسن والحسين واطلق المعتقلين من ال ابي طالب وترك التعرض لشيعتهم ودفع الاذى عنهم وولى على المدينة علي بن الحسين بن اسماعيل بن العباس بن محمد ابن علي وقال له انما اخترتك لاهل هذا البيت بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين تدنا لهم المكي ول والضر فاردت ان تزيل عنهم ما كانوا فيه حتى يصيروا الى البهج والامن والسعة فقدم علي بن الحسين المدينة وجمع ال ابي طالب وذكر لهم ما قال المنتصر له فشكروا ذلك واكثروا له الوفا ووجه المنتصر الى ابي الحسن علي بن محمد بن علي الرضى وكان المتوكل

قد اشخصه من المدينة الى سر من رأى وكان يناله منه تهديد وعتاب وتهدد بي
فبر المنتصر واتى مه وقال له قد علمت ما كنت فيه واهل بيتك من الخوف وقد ازال
الله ذلك كله عنكم فوالله لابلغن من الاحسان اليكم والنصر والتقديم لكم ما لم
يبلغه احد قبلي وهذا شيء يجب لله ورسوله صلى الله عليه وسلم علي
فشكر له علي واكثر الدعاء له ووجه الى مشايخ ابي طالب فقال لهم مثل ذلك وامر
ان تدر عليهم الارزاق فلم يكن آل ابي طالب في وقت امرا احسن منهم حالا في خلافة
المنتصر وقال علي بن محمد بن الجهم ما رايت احدا مثل المنتصر ولا اكرم افعالا
منه من غير تبجح ولا تكلف ولقد رآني يوما وانا مغموم شديد الفكر بسبب
ضيعة مجاورة لضياعي وكنت احب شراءها فلم ازل اعمل الحيلة على مالكها
حتى اجابني الى بيعها ولم يكن عندي في ذلك الوقت ثمنها فسرت الى المنتصر
وانا على تلك الحال فتبين في وجهي الانكسار وشغل القلب فقال لي اراك مفكرا
فما قصتك فجعلت اروي عنه خبري واشتد قصتي حتى استحلفني فصدقته
عن خبر الضيعة فقال لي وكم ثمنها فقلت ثلاثون الف درهم قال وكم عندك
منها قلت عشرة الاف فامسك عني ولم يجبني بحرف وتشاغل عني ساعة
ثم دعا بدواة وقرطاس فوقع شيئا لا ادري ما هو واشار الى خادم كان
على راسه بكلام لم افهمه فمضى ذلك الخادم مسرعا واقبل المنتصر
يشغلني بالحديث ويطاعمني الكلام الى ان اقبل ذلك الخادم فوقف بين
يديه فنهض المنتصر وقال لي يا علي اذا شئت فانصرف فانصرفت الى منزلي
وقد كنت قدرت عنده مسالته ان يامر لي بالثمن او بنصفه فاتيت منزلي ولا اعقل
غما فاستقبلني وكيلي وقال لي ان خادم امير المؤمنين وصل الينا ومعه بغل عليه
بدرتان فسلمهما الي واخذ خطي بقبضي لهما فداخلني من الفرح والسرور
ما لم املك به نفسي ثم ذهبت وانا لا اصدق قول الوكيل حتى اخرج الي البدرتين
فحمدت الله تعالى على ما هيأ لي ووجهت في وقتي الى صاحب الضيعة فوافيته
الثمن وتسلمتها في يومي بلا شهادة على البايع ثم بكرت الى المنتصر من الغد
فما عاد علي حرفا ولا سألني عن شيء من خبر الضيعة حتى فرق الموت بيننا

وكان

بلغ بالأصل

وكان الموضع الذي قتل فيه المتوكل هو الموضع الذي قتل فيه شيرويه اباه المتوكل
وقتل ويعرف بالماحوزة فاقام فيه المنتصر بعد ابيه سبعة
ايام وانتقل عنه الى سر من رأى وامر بتخريب ذلك الموضع وحج المنتصر بالناس قبل
ان يلي الخلافة في حياة ابيه سنة ست وثلاثين ومائتين ولم يحج بعد وفي سنة ثمان
واربعين ومائتين خلع المنتصر اخويه المعتز وابراهيم من ولاية العهد الذي كان
المتوكل اخذ لهم في كتب كتبها وشروط اشترطها وافرد لكل واحد منهم
اجزاء من العمل وجعل ولي عهده والتالي لملكه محمد المنتصر وبعده المعتز
وبعده ابراهيم المؤيد واخذ لهم البيعة على الناس بذلك وفرق فيها اموالا وعم
الناس بالجوائز فتكلمت في ذلك الخطباء وانشدت الشعراء فيما اختير من قولهم
في ذلك قول مروان بن ابي الجنوب من قصيدة طويلة يطول تتبعها علينا ولكن
نذكر منها ما نحتاج اليه في معنانا يقول

ثلاثة املاك فاما محمد   فنور هدى يهدي به الله من يهدي
واما ابو عبد الاله فانه   شبيهك في التقوى وفي كرم مجد
وذو الفضل ابراهيم للناس عصمة   تقي وفي بالوعيد وبالوعد
فاولهم نور وثانيهم هدى   وثالثهم رشد وكلهم مهدي

وقيل انه كان المتوكل لما قدم المعتز في ولاية عهده على المنتصر
فاحفظه ذلك حتى فعل به ما فعل ولما خلعهما بايع لعبد الوهاب ابنه
بمعاودة ابن الخصيب ووصيف وبغى على ذلك اوتامش حاجبه وكان المنتصر
قد عزم على نفي موالي الاتراك فاخرج وصيف في جمع كثير الى غزاة الصائفة
بطرطوش ونظر يوما الى بغا الصغير وقد اقبل في القصر
ومعه جماعة من الاتراك فاقبل على الفضل بن المأمون وقال قتلني الله ان لم اقتله وافرق
جمعهم كما فعلت بالمتوكل فلما نمت الاتراك الى ما يفعل بهم المنتصر
وما قد عزم عليه وجدوا له الفرصة فاحتالوا له وذلك انه اشتكى ذات يوم
حرارة واراد الحجامة فاستدعى الحجام فاخرج له من الدم نحو ثلاثمائة درهم
وشرب بعد ذلك شربة فجلت فؤاده وقيل ان السم وضع له في مبزغ الحجام فكان

ذلك سبب موته وذكر عبد الملك بن سليمان أنه رأى في نومه المتوكل والفتح
بن خاقان وقد أحاطت بهما نار وقد جاء محمد المنتصر فاستأذن عليهما فمنع
الوصول ثم أقبل المتوكل علي فقال يا عبد الله قل لمحمد المنتصر بالكأس التي سقيتنا
تشرب فلما أصبحت غدوت للمنتصر فوجدته محموما فواظبت عيادته
فسمعته في آخر علته يقول عجلت فعوجلت فمات في ذلك اليوم وكانت
خلافته ستة أشهر وزعموا أنه خرج بعد قتله لأبيه إلى الصيد فسقط على
الأرض زر وكان فإذا فيه مكتوب قاتل أبيه يعيش ستة أشهر فكان كذلك
ومات يوم الأحد لخمس خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين
وله خمس وعشرون سنة وصلى عليه أحمد بن محمد المعتصم ودفن بسامرا
وأظهر قبره وهو أول خليفة من بني العباس أظهر قبره وذلك أن أمه حبشية
سألت ذلك فأذن لها فأظهرته

ذكر المستعين بن المعتصم

هو أحمد بن محمد المعتصم يكنى أبا العباس ولقبه المستعين بالله أمه أم ولد
صقلبية اسمها مخارق بويع في اليوم الذي توفي فيه المنتصر
وهو ابن عمه لحا وهو ابن ثلاثين سنة وكان أبيض مقرون الحاجبين ربعة أحمر
سمينا وله خال في خده الأيسر استوزر أبا موسى شجاع بن يزداد الفارسي ثم
أوتامش ثم أحمد بن صالح بن شيرزاد بعد قتل أوتامش واستكتب شجاع بن القاسم
والناظر في أمور الدواوين الحسن بن مخلد وأحمد بن إسرائيل وقاضيه أيضا
أحمد بن أبي الشوارب الأموي نقش خاتمه استعنت بالله ونقش
خاتمه الصغير الاعتبار غنا عن الاختبار وكان ذكي النفس عارفا
بأخبار الناس وسير من تقدم وبأيام العرب وأنسابها فصيحا قائما بمجالس الأنس
والمذاكرة لم يذكر بكرم ولا بخل ولا كان له أمر ولا نهي بل كان محجورا عليه
من الأتراك ومتى أراد أمرا منع منه فحكم مرة بنهر وأشرف على التلف فخاف
أن كانت ثانية أن يقتل وفيه يقول أحد الشعراء

خليفة

خليفة في قفص بين وصيف وبغا يقول ما قالا له كما تقول الببغا
وتقلد سعيد بن حميد ديوان الرسائل وكان حافظا لما يستحسن من الكلام والأخبار
وتنشاد من الأشعار متصرفا من فنون العلم ممتعا إذا حدث مفيدا إذا جولس
وله أشعار كثيرة وأقوال حسان فمن ذلك

الله يعلم والدنيا مولية … والعيش منتقل والدهر ذو دول
لأنت عندي وإن ساءت ظنونك بي … أحلى من الأمن عند الخائف الوجل
والفي أوان هلت فجيعته … عليك أخوف في قلبي من الأجل
وكيف أفرح بالدنيا ولذتها … والياس يحكم للأعداء في الأجل

وانحدر المستعين إلى بغداد وكان سبب انحداره أن باغرا بايع الأتراك على قتل
المستعين ووصيف وبغا حتى يكون الأمر له ولهم ويجلسوا ابن الواثق وعلي ابن
المعتصم فنما الخبر إليه من قبل زوجة مطلقة كانت لباغر فأخبرت بذلك
وصيفا وبغا فاحتالا إلى أن حصرا باغر في دار المستعين فقتلاه فشغبت
الأتراك شغبا شديدا خاف منه المستعين وبغا ووصيف على أنفسهم فانحدروا
في حراقة إلى مدينة السلام يوم الأربعاء لأربع خلون من محرم سنة إحدى
وخمسين ومائتين وتقدم خبر المستعين إلى محمد بن عبد الله بن طاهر
صاحب الشرطة فنزل متلقيا له فوقف عند ضفة الماء فقرب الحراقة فانكب
محمد على يد المستعين فقبله فقال له المستعين إنما جئتك ثقة بك وبأهلك
وقد اضطربت الأمور اضطرابا أرجو بذلك صلاحها فأجابه محمد بالشكر
ثم اضطربت الأتراك والفراغنة وغيرهم من الموالي بسر من رأى فاجتمعوا
على بعث جماعة إليه يسألونه الرجوع إلى دار ملكه فسار إليه كل من
وجوه الموالي ومعهم البردة والقضيب وبعض الخزائن ومائة ألف دينار وسألوه
الرجوع إلى دار ملكه واعترفوا بذنوبهم وأقروا بخطاياهم وتضمنوا
أن لا يعودوا ولا غيرهم من نظرائهم شيء مما أنكر عليهم وتضرعوا
وخضعوا فأجيبوا بما يكرهون وانصرفوا إلى سر من رأى فأعلموا أصحابهم
وأخبروهم بما نالهم وأيسوهم من رجوع الخليفة وكان المستعين

اغفل من المعتز والمؤيد حين انحدروا الى بغداد ولم يحدرهما معه وكان قد حدر
من عسكر ابن الواثق حين انحدر عليه بحدره معهم ثم انه هرب منه في حال الحرب
فاجتمع الموالي على اخراج المعتز والمبايعة له ومحاربة المستعين ببغداد
فانزلوه بالموضع المعروف بلؤلؤة الجوسق وبه كان معتقلا مع اخيه المؤيد
فبايعه يوم الاربعاء لاحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة احدى وخمسين
ومائتين وركب من غد ذلك اليوم الى دار العامة فاخذ البيعة على الناس وخلع
على اخيه المؤيد وعقد له عقدين اسود وابيض فكان الاسود لولاية العهد
من بعده والابيض لتقليد الحرمين وانشئت الكتب بخلافة المعتز بالله الى سائر
الامصار وارخت باسم جعفر بن محمود الكاتب وحدر اخاه ابا احمد مع عدة
من الموالي الى حرب المستعين فسار الى بغداد ونزل عليها فكانت اول حرب جرت
بينهم وبين اهل بغداد للنصف من صفر من هذه السنة فلما نشب الحرب بينهم
هرب محمد بن الواثق الى المعتز ولم تزل امور المعتز تقوى وحال المستعين
تضعف والفتنة عامة وعمر محمد بن عبد الله بن طاهر سور بغداد وحفر
خندقها وجعل على باب الشماسية الشداخات ونصب على الابواب المجانيق
وولى المستعين الحسن بن اسماعيل باب الشماسية ومحاربة الموفق فجرت بينهم
وقائع كثيرة على اهل بغداد وكان موسى بن بغا بحمص فكتب اليه
المستعين ان يلحق به وكتب اليه المعتز بمثل ذلك فعلق الامر واجاب كلا منهما
بما رضي به والمعتز مع ذلك يراسل ابن طاهر سرا وجهرا وقوي امر الاتراك
وضعف امر اهل بغداد ولما رأى محمد بن طاهر ذلك كاتب المعتز وجنح
الى الصلح على خلع المستعين فلما علمت العامة بمذهبه في خلع المستعين
اشتدوا وارادوا نصره فاحضره ابن طاهر على اعلى القصر وعليه البردة فخاطب
العامة وانكر ما بلغه من خلعه وشكر ابن طاهر ثم التقى ابن طاهر وابو احمد الموفق
بالشماسية فاتفقا على خلع المستعين على ان له الامان واهله وولده وما حوته
ايديهم من املاكهم وعلى انه ينزل بمكة بمن شاء من اهله او يقيم بواسطة
الحجاز الى وقت مسيره الى مكة فكتب له المعتز بذلك على نفسه كتابا

اشهد فيه على نفسه الحكام وغيرهم واتخذ له الايمان والعهود والمواثيق
على الوفاء به وانه متى نقض شيئا من ذلك فالله ورسوله بريئان منه والناس في حل
من بيعته فخلع المستعين نفسه من الخلافة يوم الخميس لثلاث خلون من المحرم سنة
اثنين وخمسين ومائتين وحدر الى دار الحسن ابن وهب ببغداد وجمع بينه وبين
امه وولده ثم حدر الى واسط وقد وكل به احمد بن طولون التركي قبل ولايته
وعلم عجز ابن طاهر عن قيامه بامور المستعين حين استجار به وخذلانه اياه
وميله الى المعتز عنه ففي ذلك يقول بعض الشعراء

احاطت به الاتراك حولا مجرما ... وما برحت من جورها ام عامر
اناخت على ذل بها ومهانة ... فلما بدت ابدت لنا لوم غادر
ولم ترع حق المستعين فاصبحت ... تعير عليه حادثات المغادر
لقد جمعت لوما وجبنا ودولة ... وابقت لها عارا على آل طاهر

ولما خلع المستعين وحدر الى واسط بعد ان اشهد على نفسه انه برئ من الخلافة
وانه لا يصلح لها لما رأى من الخلاف الواقع وانه قد جعل الناس في حل من بيعته فقالت
في ذلك الشعراء واكثرت ووصفته في شعرها فممن قال في ذلك الكناني

اذاراك من البين او جزوعا ... امسى الامام مسيرا اغلوعا
وغدا الخليفة احمد بن محمد ... بعد الخلافة والبهاء خليعا
كانت به الايام تضحك زهرة ... وهو الربيع لمن اراد ربيعا
فازاله المقدار عن رتب العلا ... هو ابواسط لا يحس رجوعا

وقدم على المعتز في اليوم الذي خلع فيه المستعين عبيد الله بن عبد الله بن طاهر
بالبردة والقضيب والسيف وجوهر الخلافة ومعه شاهد الخادم وكتب معه
محمد بن عبد الله بن طاهر الى المعتز في شاهد ان من اتاك بارث رسول الله صلى الله
عليه وسلم لجدير الا تخفر ذمته ولما كان في شهر رمضان من سنة اثنين وخمسين
ومائتين وجه المستعين سعيد بن صالح الحاجب ليلقى المستعين اذ كان قد بعث
في حمله من واسط قال شاهد الخادم كنت عديلا للمستعين عند اشخاص المعتز له
الى سامرا او نحن في عمارية فلما وصل الى القاطول تلقاه حشم كثير فقال يا شاهد

انظر من يبس القوم فان كان سعيد الحاجب فقد هلكت قلت هو والله فقال انا لله
وانا اليه راجعون ذهبت والله نفسي وجعل يبكي فلما قرب سعيد منه جعل يتبعه
بالسيف ثم اضجعه فقعد على صدره واحتز راسه وحمله الى المستعين بالله وتركت
جثته ملقاة على الطريق حتى تولى دفنها جماعة من العامة فكانت خلافته منذ
ولي الى ان خلع نفسه وسلم الامر للمعتز ثلاث سنين وثمانية اشهر وعشرين يوما وقيل
وسبعة اشهر وكان له منذ وافى مدينة السلام الى ان خلع نفسه سنة وكانت وفاته
يوم الاربعاء لست خلون من شوال سنة اثنين وخمسين وثلاثمائة بل ومائتين وهو ابن
خمس وثلاثين سنة وكان بين خلعه وقتله تسعة اشهر ه

ذكر المعتز بن المتوكل

هو محمد الزبير بن جعفر المتوكل يكنى ابا عبد الله ولقبه المعتز بالله
امه ام ولد رومية اسمها قبيحة بالضد لحسنها وجمالها ولذهاب العين عنها
وكانت من حظايا المتوكل خرجت الى المتوكل في يوم نيروز وفي يدها كاس
من البلور فيه شراب طاب فقال لها ما هذا قالت هديتي اليك في هذا اليوم عرفك
الله بركته فشربه وقبل خدها فقالت جارية من جواريها تسمى فضل وكانت
شاعرة مغنية فقالت في ذلك ۞

سلافة كالقمر الباهر ۞ في قدح كالكوكب الناظر
يديرها خشف كبدر الدجا ۞ فوق قضيب اهيف ناظر
على فتى اروع من هاشم ۞ مثل الحسام المرهف الباتر

فقال المتوكل لعلي بن الجهم وكان يانس به ولا يكتمه شيئا يا علي اذ دخلت
على قبيحة الساعة فوجدتها قد كتبت على خدها اسمي بالغالية على
بياض ذلك الخد الشريف فقل في ذلك شيئا وكانت محبوبة
جارية المتوكل جالسة من وراء الستارة تسمع ما قاله المتوكل وكانت
شاعرة مغنية متقدمة في الحالتين فسبقت علي بن الجهم على البديهة
وهي من وراء الستارة وانشدت

وكاتبة

وكاتبة في الخد بالمسك جعفرا ۞ بنفسي خط المسك من حيث اثرا
لئن كتبت في الخد بالمسك احرفا ۞ لقد كتبت في القلب بالحب اسطرا
فيا من لمملوك لملك يمينه ۞ يطيع له فيما اسر واظهرا
ويا من مناه في البرية جعفر ۞ سقى الله عذبا من ثناياك جعفرا

وانشدتها المتوكل فبقي علي بن الجهم مبهوتا وقد وجم ولا ينطق بحرف وسلم
بويع بعد خلع المستعين نفسه وهو ابن عمه لحا وبويع
وهو ابن ثمان عشرة سنة يوم الخميس لليلتين خلتا من المحرم وقيل لثلاث خلون منه
سنة اثنين وخمسين ومائتين وقيل يوم السبت لست خلون من المحرم بايعه القواد
والموالي والشاكرية واهل بغداد في الجانبين واستقامت الامور لديه واجتمعت
الكلمة عليه بعد قتل المستعين وكان ابيض سمينا ربعة الخلق ادعج مدور الوجه
جميلا استوزر جعفر بن محمد الاسكافي واستكتب صالح بن الفرات وقدم على
الاجناد وصيفا وبغا وصير حجابته الى مولاه سعيد وقاضيه احمد بن اسرائيل
نقش خاتمه العزة لله وكان غدارا قتالا سفاكا للدماء ناقضا للعهد غير انه
كانت له اخلاق حسان وشيم رضية وكرم بارع وادب غزير ونفس حرة
نحا منحا ابيه المتوكل في اظهار الزينة من الثياب فكان يلبس ثياب الوشي المذهبة
ويركب بها وهو اول خليفة اتخذ الكم الواسع فجعل عرضه ثلاثة اشبار بعد
ان كان شبرا واول من اتخذ الحلية المفضضة والمذهبة للسروج واللجم والمهامز
والسيوف وركب بها وكان من سلف قبله من خلفاء بني العباس وجماعة من بني
امية يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة في المناطق ولما ركب المعتز بحلية الذهب
اتبعه الناس في فعله ذلك كله وفي لباسه وكان يحب حضور الحلقة والرهان
وسباق الخيل في الميدان وضرب الاكر بالصولجان ولم يكن له حكم ولا تدبير مع
الاتراك لانهم والموالي والصقالبة قد حكموا على المملكة فيما يدبرونها
وهم يسوسون امرها ويشنون السرايا ويبعثون الاجناد الى اطراف البلاد والخليفة في قصره
يلعب بالكباش والديوك والحمام والسمان وكان له ابن يسمى عبد الله في غاية الفصاحة
والمعرفة والشعر الحلو الملوكي والتشبيهات الغريبة التي يجري بها المثل من ابن المعتز

في منامه كان قائلا ينشده شعر ولعله وهو هزل

انقضت دولة الهواجر عنا / واستراحنا من النهار الطويل

فتطير به وعلم أن نفسه قد نعيت إليه ومدحه أبو علي البصير عند ما بويع فقال

إن خير الإسلام خير مآبه / وغدا الملك ثابتا في نصابه
مستقرا قراره مطمئنا / بعد ما جد في نأيه واشتوايه
فاحمد الله وحده والتمس / فالعفو عنا بحسن ثوابه

وكان محمد بن عمران بن زياد مؤدب المعتز فلما ولي المعتز جعل إليه اختيار القضاة
قال فكلمه المعتز يوما بكلام أغضبه فتناول اللوح فكتب في أسفله شيئا وقام
يدخل فقرأت ما كتب فيه فإذا هو قد كتب فيه هذه الأبيات

إن المؤدب لا يزال مؤدبا / ولو ابتنا فوق السماء سماء
من كان في الصبا يصفوا عقله / حتى بني الخلفاء والخلفاء

واستأمر إلى المعتز كعب البقر وترنجة وعبد السميع والهاشمي فأخبر بذلك
المعتز فقال بديهة هذه الأبيات

أتانا ترنجة مستأمنا / وعبد السميع وكعب البقر
فأهلا وسهلا بمن جاءنا / وبعدا وسحقا لمن قد غبر

وعزل المعتز جعفر بن محمود عن وزارته ونفاه إلى تكريت ثم استوزر جماعة
فكانت الكتب تحرر باسم صالح بن وصيف كأنه موسوم بالوزارة وكان جعفر
بن محمود يتشيع ولم يكن له أدب بارع وكان أعداؤه ينسبونه إلى الرفض وهو
من ولد عبد الصمد بن علي فبعث إليه المعتز بالله يهنيه بالخلافة فتعجل صلته
بالحمد فلم يتم له ذلك بما أحب فكتب له رقعة فيها قصيدة كلها هزل
مضحك هجا فيها المستعير وهي على غير وزن ولا إعراب ولا قافية فمنها

فيا حمد الرفيع / ومن أكله الرجيع
أتنسى ما قد كان / فصيرك فهمان
فيا تيك بالسوق / من السوق والدقيق
فصرت الأمري العار / أما علمت يا فار

فإن الله

فإن الله يختار / ويعطي غيرك الملك
عزيزا يركب الفلك

في كلام متطاول فضحك المعتز منها وأمر له بألف دينار فألح على جعفر بن محمود
في طلب الألف فقال له جعفر عهدي ببني هاشم يأخذون الأموال بشرفهم وعلو
هممهم وجدهم وأنت تأخذ المال بالهزل والجهل فأنت عجب من بينهم فقال له أبو العبر
صدقت لعمري أنا عجب من بينهم كما أنت عجيب بين أهل السكاف كلهم فواجب
وأنت من بينهم رافضي ثم أنشده بيت جميل بن معمر وبثينة

بثينة قالت يا جميل أربتنا / فقلت كلانا يا بثينة أريب

فدفع إليه الألف دينار من يومه واستعفاه من معاودة هذا وفي خلافة المعتز مات
محمد بن طاهر وكان فيه من الجود والكرم وغزارة الأدب وكثرة الحفظ
وحسن الإشارة وفصاحة اللسان وملوكية المجالسة ما لم يكن عليه أحد
من نظرائه في عصره **قال أبو العباس** طالوت المبرد أتاح محمد بن
عبد الله بن طاهر يوما للمنادمة وقد حضره ابن طالوت وكان وزيره وأخص الناس
به وأحضرهم بخلوته فأقبل عليه وقال له لا بد لنا من يومنا هذا من ثالث نطيب به
المعاشرة وتلذ بمنادمته المؤانسة فمن ترى أن يكون وأعفنا أن يكون شرس الأخلاق
أو دنس الأعراق أو ظاهر الإخلاق فأعمل ابن طالوت الفكرة ثم قال أيها الأمير خطر
ببالي رجل ليس علينا من مجالسته مؤنة وقد خلا من إبرام المجالس وبرئ من ثقل
المؤانس خفيف الوطأة إذا أحببت سريع الوثبة إذا أردت قال ومن ذلك قال ماني
الموسوس قال أحسنت والله فليتقدم إلى أصحاب الثمانية والعشرين الربع في طلب
رقعة فاقتصه صاحب الربع فصار به إلى باب الأمير فأخذ وأدخل الحمام
ونظف وألبس ثيابا حسنة وأدخل عليه فقال السلام عليك أيها الأمير فقال محمد
وعليكم السلام يا ماني أما آن لك أن تزورنا على حين شوق منا إليك ومنازعة
قلوبنا نحوك فقال له ماني الشوق شديد والحب عتيد والمزار بعيد والحجاب صعب
والبواب فظ ولو سهل لنا في الإذن لسهلت علينا الزيارة فقال ألطف في الاستئذان
فليلطف لك في الإذن ثم قال لا يمنعن مانيا في أي وقت ورد من ليل أو نهار ثم أذن له

في الجلوس فجلس ودعا له بالطعام فأكل ثم غسل يده وأخذ مجلسه وكان محمد
قد تشوق إلى السماع من تونسة وهي جارية بنت المهدي فأحضرت فكان أول ما غنت
هذا الشعر

ولست بناس إذ غدوا فتحملوا   دموعي على الأحباب من شدة الوجد
وقولي وقد زالت بليل حمولهم   بواكر تحدى لا يكن آخر العهد

فقال لها ماني أحسنت يا جارية وبحق الأمير إلا زدت فيه

وقمت أناجي الفكر والدمع حائر   بمقلة موقوف على آخر الجهد
ولم يعدني ذا الأمير بوعده   على ظالم قد لج في الهجر والصد

فلما فرغت تغنيه فقال له محمد عاشوانت يا ماني فاستحيا وغمزه ابن طالوت
ألا يبوح له بشيء فيسقط من عينه فقال وهل بعد الشيب صبوة ثم اقترح محمد
على تونسة وقال لها غني هذا الصوت فلما فرغت تغني هذه الأبيات

حجبوها عن الرياح لأني   قلت يا ريح بلغيها السلاما
لو رضوا بالحجاب ولكن   منعوها عند الرياح الكلاما

فغنته وطرب محمد ودعا برطل فشربه فقال ماني ما على قائل هذا الشعر
لو زاد فيه

فتنفست ثم قلت لطيفي   آه إن زرت طرفها إلماما
خصها بالسلام سرا وإلا   منعوها لشقوتي أن تناما

فكان أثبت لمذهب الصبابة في الأحشاء والطف تغلغلا إلى كبد الصدا
من زلال الماء مع حسن نظامه والانتهاء بالمعنى إلى غاية تمامه فقال له محمد أحسنت
يا ماني ثم غنت تونسة ألحانها بالبيتين الأولين والغناء بهما ثم غنت هاذين البيتين

يا خليلي ساعة لا تريما   وعلى ذي صبابة فأقيما
ما مررنا بدار قوم هوينا   أهذي الدمع ستري المكتوما

فاستحسنه محمد فقال ماني لولا رهبة التعدي لأضفت إلى هاذين البيتين بيتين
لا يردان على سمع ذي لب فيصدران إلا على استحسان لهما فقال محمد إن الرغبة
في حسن ما تأتي به حائلة دون رغبة ورهبة فهات ما عندك فقال

ظبية كالهلال لو تلحظ الصخر   بطرف لغادرته هشيما
وإذا ما تبسمت خلته ما   ء رضاب أو لؤلؤا منظوما

فقال محمد أحسنت يا ماني فأجز هذا الشعر بمدح تونسة فقال

لم تطب اللذات إلا بمن   طابت بها اللذات تونسه
غنت بصوت أطلقت عبرتي   كانت بحبس الصبر محبوسه

فلما قال هذا الشعر قال له محمد أحسنت في قولك وشعرك يا ماني قال وزدت فيه

وكيف صبر النفس عن غادة   أظلمها إن قلت طاووسه
وجور إن سميتها بانة   في جنة الفردوس مغروسه
وغير عدل إن عدلنا بها   جوهرة في البحر مغموسه

ثم سكت فقال محمد صفها لنا يا ماني فقال ومن يطيق ذلك إلا أني أقول

جلت عن الوصف فما فكرة   تلحقها بالنعت محسوسه

فقال محمد والله لقد أحسنت فقالت تونسة وجب شكرك يا ماني وساعدك
دهرك وعطف عليك إلفك وقارنك سرورك وفارقك محذورك والله يديم
لنا ذلك ببقاء من اجتمع به شملنا فقال لها ماني عند قولها له وعطف
عليك إلفك مجيبا لها

ليس لي إلف فيعطفني   فارقت نفسي إلا بالطيل

ثم أنشأ يقول

أنا موصول بنعمة من   حبله بالمجد موصول
أنا مغبوط بزورة من   صبية بالنيل مأمول

فقال له محمد وجب جزاؤك يا ماني لشكرك على غيرك نعمة سبقت منا فأومأ
إليه ابن طالوت بالقيام فنهض وهو يقول

طاهر في مركبه   عرفه في الناس مبذول
دم من يشقى بطارمه   مع هبوب الريح مطلول
يا أبا العباس من أدبا   حد الدهر مفلول

فقال ابن طالوت ليت حساسة المرء لا يضاع المنتجع ولا تنوء العير مذهب

جوهرية الادب لم تكن في الانسان وما اخطأ صالح بن عبد الله حيث يقول

لا يعجبنك من يصون ثيابه ... خوف الغبار وعرضه مبذول
ولربما افتقر الفتى فرأيته ... دنس الثياب وعرضه مغسول

فأمر بالاجراء عليه رزقا سنيا فما زال يقبضه الى ان مات ولماني الموسوس اخبار
غريبة واشعار غريبة واحوال ظريفة مستحسنة ووقف يوما على الدجلة ناظرا
الى غلام يتطهر وكان حبيب بن اوس يجيبه فلما ان خرج الغلام من الماء قال ماني
الموسوس انظر يا حبيب ما صنع الماء وانشأ يقول

خشن الماء جلده الرطب حتى ... خلته لابسا غلالة خز

فقال له حبيب يا ماني ابعد الحج والجهاد تقول هذا فقال له ماني تحركني لبس
مثلك يخاطب ثم رفع كفيه الى السماء وقال

بكفيك تقليب القلوب وانني ... لفي ترح مما قاسيت فما ذنبي
خلقت وجوها كالدنانير فتنة ... وقلت اهجروها عز ذلك من خطب
فلما محنت الصب ما قد خلقته ... ولا زجرت القلب عن لوعة الحب

في غير هذا مما يطول تتبعه ويخرج بنا عن الغرض **ورجع**
الى المعتز ان اخاه المؤيد اراد القيام عليه وانه قد استمال جماعة من الموالي فحبس
المؤيد وابا احمد الموفق والموفق هذا والمؤيد لأم وأب ثم طولب المؤيد بان يخلع
نفسه من ولاية العهد فامتنع فضرب اربعين عصا الى ان اجاب واشهد على نفسه
بذلك ثم اتصل بالمعتز ان جماعة من الاتراك اجتمع رأيهم على ان يخرجوا
المؤيد من حبسه فلما كان يوم الخميس لخمس بقين من رجب سنة اثنين وخمسين
ومائتين اخرج المؤيد ميتا واحضر القضاة حتى رأوه ولا اثر فيه فقيل انه ادرج
في لحاف وشد طرفاه عليه حتى مات وضيق على ابي احمد الموفق اخيه ايضا
في حبسه وكان بين دخوله سر من رأى وما تلقى به الاكرام وبين حبسه ستة اشهر
وثلاثة ايام واثبت المعتز اخاه اسماعيل بن فتيحة فكان المؤيد وهو اخوه
لامه وابيه فجعله ولي العهد من بعده ثم اجتمع قواد الموالي الى المعتز فسألوه
الرضى عن وصيف وبغا فاجابهم الى ذلك ثم خرج بغا الصغير من سر من رأى

الى ناحية

الى ناحية الموصل في سنة اربعة وخمسين ومائتين فانتهت الموالي الى داره وانفض
من كان معه من الجيش واخذ متنكرا فوقع في بعض المغاربة بجسر سامرا فقتل
وصلب رأسه بسامرا ثم حمل الرأس الى مدينة السلام فنصب على الجسر وكان المعتز
في حياة بغا لا يلتذ بالنوم ولا يخلع سلاحه في ليله ولا نهاره خوفا منه وقال
لا ازال على هذه الحال حتى اعلم ان رأسي لبغا ام رأسه لي وكان يقول اني لأخاف ان ينزل
علي من السماء او يخرج علي من الارض وقد كان بغا عزم ان يخرج الى سامرا ليلا
ويضرب بالاتراك على المعتز ويقبض على الاموال فكان من قتله ما وصفنا
ولما رأى الاتراك اقدام المعتز على قتل رؤسائهم واستعماله الحيلة في فنائهم
وانه قد اصطنع المغاربة والفراعنة دونهم ساروا اليه باجمعهم فجاءوا
يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين فصاحوا على بابه
وبعثوا اليه ان اخرج الينا فاعتذر لهم بانه قد تناول دواء وامر ان يدخل عليه بعضهم
فدخلوا عليه وجروه برجله الى باب الحجرة واقيم في الشمس فكان يرفع قدما
ويحط اخرى وجعلوا يلطمونه على وجهه وهو يتقي بيده واتوا بالقاضي
والفقهاء وطلبوا منه الاموال وكان المعتز لذلك حاجبه صالح بن وصيف ومحمد بن بغا
قواد الاتراك فابى ان يكون قبله شيء منها وكان قد احضر المعتز في ايديهم بعثوا
الى مدينة السلام في شان محمد بن الواثق الملقب بالمهتدي وقد كان المعتز نفاه اليها
واعتقله بها في السجن فاتي به في يوم وليلة الى سامرا فتلقاه الاولياء في الطريق
فدخل الى الجوسق ليلة الاربعاء لليلة بقيت من رجب فلما سمع به المعتز اجاب
الى الخلع على ان يعطوه الامان الا يقتلوا وان يؤمنه في اهله وماله وولده فابى محمد
المهتدي ان يقعد على سرير الملك وابى ان يقبل البيعة حتى يرى المعتز ويسمع كلامه
فاوتي بالمعتز عليه قميص دنس وعلى رأسه منديل فلما رآه محمد بن الواثق
وثب اليه فعانقه وجلسا جميعا فقال له محمد المهتدي يا اخي ما هذا الامر
اخلعت ام خلعت نفسك قال يا اخي هذا امر لا اطيقه ولا اقوم به ولا اصلح
له فاراد المهتدي على ان يتوسط امره ويصلح الحال بينه وبين الاتراك فقال
المعتز لا حاجة فيه لي ولا يرضوني وقد خلعت نفسي فقال له المهتدي فانا في

فأنا في حل ممن يعنفني قال أنت في حل منها وسعة فلما جعله في حل صرف وجهه عنه فأقيم من حضرته ومشوا به حافيا في الحر فطلب نعلا فلم يعطه فأرخى سراويله ومشى عليه ورد إلى محبسه بعد أن خلع نفسه بستة أيام وكان خلع نفسه يوم الثلاثاء لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وكانت خلافته ثلاث سنين وسبعة أشهر ولم يحج فكر ودفن بسامرا وقالت الشعراء في خلع المعتز وقتله فأكثرت ورثته فما أحسنت ممن ذلك قول محمد بن دكين الشاعر من قصيدة طويلة يقول منها

أصبحت مقلتي بدمع سفوحا ◦ حين قالوا أصبح الإمام ذبيحا
قتلوه ظلما وجورا وغدرا ◦ حين أظهروا إليه حتفا مريحا
نضر الله ذلك الوجه وجها ◦ وسقى الله ذلك الروح روحا
أيها الترك سوف تلقون دهرا ◦ سيوفا لا تشتمل الجريحا
فاشعروا للسيف والحتف قهرا ◦ فلقد جئتم بفعلة قبيحا

وقال كثير من الشعراء في ذلك ◦

ذكر المهتدي بن الواثق

هو محمد بن هارون الواثق يكنى أبا عبد الله ولقبه المهتدي بالله أمه أم ولد رومية اسمها قرب توفيت قبل خلافته ولدته بالقاطول لخمس خلون من شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة ومائتين وقيل ثمان عشرة **بويع** قبل الظهر يوم الأربعاء لليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وهو ابن خمس وثلاثين سنة وعشرة أشهر بعد خلع المعتز نفسه بيومين وهو ابن عمه لحا وكان أسمر معتدل القامة والجسم صغير العينين أسملهما موصوفا بالحسن عظيم البطن عريض المنكبين واسع الجبهة طويل اللحية قد خالطه الشيب وزر له جعفر بن محمود ثم أبو صالح جعفر ابن أحمد بن عمار أياما ثم سليمان بن وهب ثم عيسى بن فرخانشاه في آخر أيامه وصاحب شرطته محمد بن طاهر مع خراسان وسجستان وكرمان وطبرستان وجرجان والسواد وشرطة بغداد إلى سليمان بن عبد الله بن طاهر وإلى موسى بن بغا الجبل إلى حدود خراسان والري وقزوين

وديوان

وديوان الخراج إلى أبي إسحاق بن منصور ثم إلى محمد بن نجاح وديوان الضياع إلى أحمد بن خالد والرسائل إلى عبيد الله بن محمد بن عبد الملك وصالح بن وصيف يتولى الأمر كله مع الجيش والشام وديار مصر والبصرة والحرمين وكان للمهتدي من الولد خمسة عشر أكبرهم عبيد الله ومن الإخوة عبد الله وأحمد ومحمد وكان إماما عدلا في غاية من العفة والطهارة والأمانة والصيانة والعبادة والزهادة وكانت سيرته حسنة وطريقة محمودة استوزر جملة فسلموا منه من القتل وغيره وكان يكون في الهاشميين كعمر بن عبد العزيز في الأمويين بنى قبة لها أربعة أبواب وسماها قبة المظالم فكان يجلس فيها للخاص والعام وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأمر بالعدل وكان يحضر في كل جمعة المسجد الأعظم ويخطب الناس ويؤم بهم وكان يقوم ثلث الليل مجيبي وزد له إلى أن يأتيه المؤذن بأن الفجر قد طلع فيخرج إلى الجامع فيصلي بالناس الصبح ويقيم به في تسبيح حتى تطلع الشمس فيركع الضحى ثم يجلس للحكومة بين الناس إلى الظهر فإذا زالت الشمس دخل داره فاستراح ثم خرج فيصلي بالناس الظهر والعصر وبقي في دار الحجا وبات إلى من خاطبه من جميع الأمصار حتى يصلي بهم المغرب والعشاء فكانت هذه سيرته ثم عمد إلى كل آنية في الخزانة من ذهب وفضة فضربها دنانير ودراهم وباع ثياب الحرير المذهبة وكسر أواني الخمر وهرق الخمر ونهى عنه وحرمه وكسر الطنابير وهجر القيان وكسر العيدان وجميع آلات اللهو كلها ومنع الغناء في بلاده والأسراب وملا لاهيا وقرب العلماء ورفع منازل الفقهاء وعمهم ببره وقلل في اللباس والفراش والمطعم والمشرب ووجد في الديوان نفقة المطبخ في كل يوم لبعض من تقدمه من الخلفاء عشرة آلاف درهم فردها عشرة دراهم فأكلها مع الضعفاء وذبح كباش اللعب التي كان يتناطح بها من بين يدي الخلفاء والديوك والحمام والسمان وقتل السباع المحبوسة ومحا كل صورة مزوقة في المجالس وغيرهم ورفع بسط الديباج وكل فرش لم ترد الشريعة بإباحته وضبط أمور المملكة وأبدها وشرها بالشريعة والعدل ومنع كل مسرف أن يمد يده إليها وكان يقول لبني العباس يكون الحق فيكم مثل عمر بن عبد العزيز في بني أمية وقدم رجل من الرملة فتظلم إلى المهتدي

فثبت له القول على خصمه فامر بانصافه والكتب له فبس الرجل بذلك ودعى له
فمن شدة سروره غشي عليه ساعة فعاتاه المهتدي فلما افاق قال له هذا العقل
وعلى في ما ترى فقال له المهتدي كم لزمك منذ خرجت من بلدك قال عشرون دينارا
قال المهتدي انا لله كان الواجب علينا ولكن ان ننصفوك في بلدك ولا نحوجك الى
تعب وكلفة فاذا لم نطق ذلك فهذه خمسون دينارا من بيت مال المسلمين خذها
لنفقتك فادما وراجعا واجعلنا من تعبك وتاخير ... في حل فجعل الرجل ذلك
وانصرف الى بلده فما راه ذلك اليوم احد ولا سمع هذا منه الا خشع قلبه وبكا
ودعا للمهتدي ولما راى الشعراء نسك المهتدي وجريه على المنهج القويم اخذوا
في مدحه كما كانوا يمدحون من كان قبله من الملوك وسلكوا طريقة اخرى
فقال المهلب في ذلك

حكى المهتدي بالله في عزماته ❁ غناء ابي حفص وهدي ابي بكر
له ساعة للخير وللعدل ساعة ❁ واخرى لاقام الصلاة وللذكر
امام يوم الحوليين يغافل ❁ لذي اليسر ان كان الركية في العسر

حكى صالح بن علي الهاشمي قال حضرت يوما من ايام جلوس
المهتدي للمظالم فرايت من سهولة الوصول ونفوذ الكتب عنه الى النواحي في جميع
ما يتظلم به اليه ما استحسنه فاذا رفع طرفه الى الطرفة فكانه علم ما في نفسي
فقال لي يا صالح احسب ان في نفسك شيئا تحب ان تذكره لي فقلت نعم يا امير المومنين
فامسك فلما فرغ من جلوسه امر ان لا ابرح ونهض فجلست جلوسا طويلا ثم دعا بي فدخلت
عليه وهو على حصير الصلاة فقال لي يا صالح اتحدثني ام احدثك فقلت بل
هو من امير المومنين احسن قال كاني بك وقد استحسنت ما رايت من مجلسنا فقلت اي خليفة
خليفتنا ان لم يكن يقول بخلق القرءان اكان ذلك منك فقلت هو والله الذي كنت
يا امير المومنين قال قد كنت على ذلك برهة من الدهر حتى اقدم على الواثق شيخ
طويل حسن الشيبة من اهل الفقه والحديث من اهل اذنة من الثغر الشامي فاد خلوه
عليه مقيدا في الحديد فسلم غير هايب ودعى واوجز فرايت الحياء منه في حماليق
عيني الواثق والرحمة له فقال له الواثق يا شيخ اجب ابا عبد الله احمد بن ابي دواد

القاضي

القاضي عما يسالك عنه وذكر المهتدي القصة بطولها المتقدم ذكرها في اخبار
الواثق قال فرجعت من ذلك الوقت عن تلك المقالة ورجع الواثق عنها **وقال**
محمد بن علي قلت للمهتدي ذات يوم وقد خلوت به وكان قد اكثر من ذكر
ءافات هذه الدنيا ومن مال اليها ومن انحرف عنها وزهد فيها قلت يا امير
المومنين ما بال الانسان العاقل المميز مع علمه بعظيم ءافات هذه الدنيا وسرعة
انقلابها وغرورها الطالبها وهو يحبها ويانس اليها فقال المهتدي يحول ذلك
بانه منه خلق فهي امه وفيها نشا وفيها اكتسب الخير فهي عيشه ومنها
قدر رزقه فهي حياته وفيها يعاد فهي كفاية فكيف لا ياخذ طريقا يا خذ
بسالكها الى الجنة في نعيم لا يزال خالدا مخلدا فيها ابدا ان كان من اهلها
وقال محمد ابن الفضل كانت للمهتدي قضية لم تكن لاحد قبله طالب
رجل بعض قواد الاتراك بين يديه بضيعة قد غصبه عليها فقال التركي
هي لي وفي يدي فقال له الرجل انت اخذتها مني وغصبتني فيها وهي
ضيعتي فقال المهتدي ما تقولون في هذا فقال الفقهاء الضيعة لمن هي في يده
وعلى خصمه البينة فاقبل المهتدي على التركي وقال له انك علمت هذا
وذهب على الذي علمك ان انت في الاسلام منقطع وحدك لا ارث لك
فلا يجوز لك ان تملك مثل هذه الضيعة الا باقطاع او شراء او ارث عن زوجة
قال بلى فاحضرني كتاب اقطاع عطاياها وكتاب شراء ابيك لها والا سلمتها اليه
فخرج التركي فاشتراها من الرجل بما اراد وعجب الناس من فطنته وحسن استخراجه
وذكائه وجودة عقله والله سبحانه وتعالى اعلم **ويروى**
ان هيبة المهتدي الذي لم يكن يدعه في كل وقت قوله الله في كل الامور
حسبي يعلم الغافل وما يقلبه وتظلم اليه رجل من رجل من بعض انسابه فاحضره
وحكم عليه بما صح عنده فقام الرجل وهو يشكره ويدعو له ويثني
عليه ثم قال له انت والله يا امير المومنين كما قال الاعشى

حكمته وافتها بينكم ❁ ابلج مثل القمر الزاهر
لا يقبل الرشوة في حكمه ❁ ولا يبالي غبن الخاسر

فقال المهتدي اما انت فاحسن الله جزاك واما شعرك فلا عشى فيما رايته ولكني قرات
اليوم قبل خروجي قول الله تعلى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس
شيئا الاية قال فما بقي في المجلس احد الا بكى وطعن رحمه الله طول ايام خلافته
وما افطر الا ايام ما اعتل في بعضها ودخل عيسى بن فرخانشاه
عليه وبين يديه رغيف سميد وسكرجات فيها خل وزيت فقال يا امير المومنين انك تتعب
وتصوم وتسهر فلو اصلحت بعد نعمك بما فوق هذا من الغداء فقال اخذ الاكل شيئا
تتوق نفسي اليه وان ذلك من نعم الله التي يخلص الشكر عليها ولاكني لا اديم ذلك
لواحدة فاني اذ ذكرت ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يجد في كل وقت مثل
ما يحضر من دون طعامنا وسلم ما يتفكه به ولكن عنده من يصنع مثله فنقص
ذلك على طيبه فانا اجتهد اكثر الايام لهذه العلة وانشد البحتري يوما بعد ان ساله
بالله ان ياذن له ويسمع منه قصيدته فاذن له

سقى دار ليلى حيث حلت رسومها ✤ عهاد من الوسمي وطف غيومها
اذا المهتدي بالله عدت خلاله ✤ حسبت سماء كلا تزهت نجومها
فقد حول الله الامام محمدا ✤ خصوص معال في قريش عمومها
اقوله بالفضل منه احمد ✤ فدان له معوجها وسليمها
ولو جحدته ذلك الحولم تكن ✤ لتبرح الا والنجوم رجومها
بنو هاشم في كل شرق ومغرب ✤ كرام بني الدنيا وانت كريمها
هجرت الملاهي خشية وتهجدا ✤ فلا بان ذكر الله يتلى حكيمها
واخليت باللذات وهي اوانس ✤ من ابعها مستحسنات رسومها
وما تحسن الدنيا اذا هي لم تعن ✤ باخرة حسنا ويبقى نعيمها
فلا زال فينا نعمة الله عندنا ✤ فنحن باوفى شكرها نستديمها

فقال له المهتدي احسن الله اجرك وجعلك ممن يرضى من عباده والله ما في ما لك
فضل لثوابك ولا ناول فيك على مال المسلمين ولاكن اخوتي يقضون حقك
عني فوكله الى اخوته وكان يبشر لنفسه حين ضاقت عليه الامور والتوت
كان كثيرا ما يقول

اي الغي ارجو النجاة لديه ✤ لكنني على ما قد وقعت اليه
لكنني عليه فارجاني وعرني ✤ ومن اتكالي في الامور عليه

وكان المهتدي حين افضت الخلافة اليه ولى احمد بن المدبر الكاتب خراج فلسطين
وكانت له معه اخبار ولابن المدبر هذا اخبار حسان فمن اخباره المستحسنة
المرونة انه كان قليل الجلوس للمنادمة وكان له سبعة ندماء لا يانس بغيرهم
ولا ينبسط الى سواهم قد اصطفاهم لعشرته واتخذهم لمنادمته وكل واحد
منهم قد انفرد من العلم لا يشاركه فيه غيره وكان الطفيلي يعرف بابن الدراج
وكان من اكمل الناس اديبا واخفهم روحا واشرهم في كل مليحة افتناحا فلم يزل
الطفيلي يحتال الى ان علم جلوس ابن المدبر للمنادمة فتزيا بزي ندمائه ودخل
في جملتهم فنظر حاجبه ان ذلك بعلم من صاحبه وانه يمع فئة من اوليك
الندماء فلم ينكر دخوله معهم فخرج ابن المدبر فنظر اليه بين القوم فقال لحاجبه
اذهب الى ذلك الرجل فقل له الك حاجة فقال له الطفيلي قل له لا فقال له ابن المدبر
ارجع اليه فقل له ما جلوسك وانا انا فقال له ما جلوسك هنا قم فانصرف فقال له
الطفيلي الساعة جلسنا فابغض حتى يسمعوا كلهم فقال له ابن المدبر اي شيء
انت فقال طفيلي يرحمك الله فقال ابن المدبر انت طفيلي قال نعم اعزك الله
قال ان الطفيلي يحتمل على دخوله لبيوت الناس وافساده عليهم ما يريدونه
من الخلوة بندمائهم والخوض في اسرارهم خصال منها ان يكون لاعبا بالشطرنج
او بالنرد او ضاربا بالعود او الطنبور فقال الطفيلي ايدك الله انا احسن هذه كلها
قال وفي اي طبقة انت منها قال في العليا من جميعها فقال لبعض ندمائه
لاعبه بالشطرنج فقال الطفيلي اعزك الله فان قمرت قال نعطيك الف درهم
قال الطفيلي ايدك الله المطلوب ان تحضر الالف درهم فان رآها فان في حضورها
قوة للنفس وابقانا بالظفر قال فاحضرت ولعبا فغلب الطفيلي ومد يده ليأخذ
الدراهم فقال الحاجب لينفي عن نفسه بعض ما وقع فيه يا مولاي ذكر انه في الطبقة
العليا وان فلان غلامك يغلبه فامر باحضار الغلام فغلبه الطفيلي فقالوا له انعرف
بدراهمك قال اذا فاحضرني النرد فاحضر ولوعب فغلب الطفيلي فقالوا له

انصرف بعد ان اهمه فقال يا سيدي يحضر العود فاحضر العود فضرب به فاجاد
وغنا غناء في النهاية من الجودة فقال الحاجب اعزك الله ان فلانا في جوارنا اعرف
منه فاحضر فكان احذق من الكميلي فقال له ابن المدبر قد فقتنا انت بكل جهد
فابت حرمتك الا طردي من منزلنا فقال يا سيدي بقيت معنا صنعة حسنة غريبة
قال ما هي قال تامر لي بقوس بندق مع خمسين بندقة من الرصاص ويقام هذا الحاجب
على اربع وارميه في دبره بهن جميعا فان اخطات بواحدة ضربت رقبتي قال فضج
الحاجب من ذلك وجزع ابن المدبر في ذلك شفاء نفسه من عقوبته ومكافاته على ما فرط
منه من ادخال الكميلي فامر باحضار لكل منهما فاحضرا وجعل احدهما فوق الاخر
وشد الحاجب بينهما وامر بالقوس والبندق فدفع الى الكميلي فرماه به فما اخطا
واحدة وخلا الحاجب وهو يتناول المه فقال الكميلي على باب الاستاذ اعزك الله
من جسر من هذا شيئا فقال له الحاجب يا قرنان ما دام ابن جاسر امسي ملانا به ولما حمل
المهتدي الخاصة والعامة على الواضحة تقلت لذلك عندهم وطاته واستطالوا
خلافته وملوا ايامه واستثقلوا احكامه وراوا بكثرة اجتهاده في اقامة الحق
وقمع الباطل ان يدفعه دفعة واحدة فانتخب قتله ظلما صراحا وذلك
ان موسى بن بغا الكبير وكان متولي امر الاجناد وكان غائبا بالري مشتغلا
بحروب الرحى طالب فلما نما اليه قتل المعتز وما كان من امر صالح بن وصيف
والاتراك في ذلك قفل من تلك الديار متوجها نحو سامرا منكرا لما جرى على المعتز
ولما اتصل بالمهتدي مسير موسى بن بغا الى دار الخلافة انكر ذلك وكاتبه بالمقام
في موضعه والا يعجل ثم كرر الحاجة فيه اليه فابى موسى الا عزل السير والسرعة
فيه حتى وافى سامرا لاحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ست وخمسين
وما يتير واختفى صالح بن وصيف الذي كان يدبر الامر حين علم بموافاة موسى
وبقي قوم وكان رجلا من قواد الاتراك يقال له يابكباك قد غلب على الامر ايضا
وترأس فدخل موسى سامرا وانتهى الى مجلس المهتدي وهو جالس للمظالم والدار
غاصة بخواص الناس وعوامهم فتبع اصحاب موسى قد خلوا الدار وجعلوا
يخرجون الناس باشد ما يكون من الهجب بالدبابيس والضرب زينات فضحك العامة

فقام

فقام المهتدي من مجلسه مغضبا منكرا عليهم فعلهم لمن في الدار فلم
يعجوا على قوله فتحا مغضبا فقدم له فرس فركبه وقد استشعر منهم
الغدر فمضى به الى دار يارجوخ وموسى قد انحرف على دار المهتدي لما نظر
الى حجة العامة فيها فنزل تلك الدار التي يسير بالمهتدي اليها فاقام فيها ثلاثا
عند موسى بن بغا فاخذ عليه موسى العهود والمواثيق الا يغدر به وكان اكثر
الجيش مع موسى بن بغا وكانت فيه ديانة وتشغف ولم يكن يشرب النبيذ وكانت
في اخلاق المهتدي شراسة فنافر موسى وكاد الامر ان ينفرج بينهما والخلاف
يتسع غير ان موسى تعطف عليه واعملا الحيلة في قتل صالح بن وصيف
وخاف موسى ان يكون صالح بن وصيف يعمل الحيلة عليهم في حال اختفائه فبث
موسى في طلبه العيون حتى وقع عليه فلما علم صالح بهجومهم عليه
قاتل ومانع عن نفسه حتى قتل واخذ راسه واتي به الى موسى بن بغا وقد قيل انه احمي
وحمي له حمام وادخل فيه حسبما فعل هو بالمعتز فمات وقيل انه اخذ راسه
فنصب في باب العامة ونودي عليه هذا جزاء من قتل مولاه وقوي امر ساور الشاري
ودنا في عساكره من سامرا وعم الناس الاذى وانقطعت السبل وظهرت الاعراب
فاخرج المهتدي موسى بن بغا بجيوشه وبايكباك الى حرب الشاري وخرج مشيعا
لهما فهزم الشاري وبلغ الخبر المهتدي بذلك فنزل عن سريره وسجد طويلا على
التراب واكثر حمد الله تعالى وقرا هذه الاية ان ينصركم الله فلا غالب لكم الاية
واعطى الذي جاءه بالبشارة خمسين دينارا وقال له لقد فرجت على المسلمين
كي بتهم فخذ هذا من مالهم ثم قبلا من عيران يلقيا شرا فلما استشعر المهتدي رجو
عهما خرج بعسكر سامرا في جميع المغاربة والفراغنة وغيرهم ليحارب
بايكباك وموسى بن بغا وكتب الى موسى بن بغا بمثل ذلك يامره بقتل بايكباك
وانهما علما بتعصب الامر بينهما فرجعا عما خرجا اليه واشرف بايكباك
على المهتدي فكانت بينهما حرب عظيمة قتل فيها كثير من الناس وانكشف
بايكباك وظهر المهتدي عليه فخرجت كمائن بايكباك على المهتدي وفيها
يارجوخ وقيل له اردت ان تحمل الناس على سيرة عظيمة لم يعرفوها فقال اردت

ان احملهم على سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم واهل بيته والخلفاء المهديين قبلي
الرسول صلى الله عليه وسلم كان مع قوم قد زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة
كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم اجمعين وانت انما رجالك ترك وخزر
وفرغانة وغير ذلك من انواع الاعاجم لا يعلمون ما يجب عليهم من امر
آخرتهم وانما غرضهم ما يستعجلونه من هذه الدنيا فكيف تحملهم على
ما ذكرت من الواضحة فكثر منه ومنهم الكلام والمراجعة في هذا واشباهه
ثم انقادوا اليه على ما ظهر للناس من ذلك فلما كان الامر الذي تم له قام فيهم
سليمان بن وهب الكاتب فقال هذا سوء منكم وخطأ في تدبيركم ان اعطاكم
بلسانه فتبينه فيكم غير ما قال وسيأتي عليكم جميعا وتعم وشملكم فلما سمعوا
هذا القول منه استوحشوا ورصد المهتدي بالخناجر فكان اول من طعنه بخنجر
في اوداجه ابن عم لبابكيال التركي واكب عليه فالتقم الجرح والدم يفور
واقبل يمص الدم حتى روي منه وهو سكران فلما روي من دمه قام قائما وقد
مات المهتدي رحمه الله تعالى فقال قاتله يا اصحابنا قد رويت من دمه كما رويت هذا
اليوم من الخمر فلما مات المهتدي داروا به ينوحون عليه ويبكون وندموا على ما كان
منهم في قتله لما تبينوا من نسكه وزهده وفضله وقيل انه لما قتل استخرج
رحله من الموضع الذي كان يأوي اليه فاصيب له سفط مقفل فظنوا ان فيه مال
وجوهر فلما فتحوه وجدوا فيه جبة شعر وغل من حديد فسألوا من كان يخدمه
فقال كان اذا جن الليل لبس هذه الجبة وغل نفسه بهذا الغل وبات يركع ويسجد
الى ان يأتي عليه الصباح ووجدت له رحمه الله وصية بخطه نسختها هذا ما اوصى
به محمد بن هارون بن محمد المهتدي بالله امير المؤمنين اوصى وهو يشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له وان محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله ارسله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فبلغ الرسالة ونصح
الامة وجاهد في السبيل وعبد ربه حتى اتاه اليقين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله
الطيبين ثم انه كتب هذه الوصية بخطه عند بلوغ جهده وخذلان من
خذله من اخوانه موالي له ولمن مضى من آبائه الخلفاء وترك جنده نصرته ومعاونته

لهم وله في اعناقهم الايمان المؤكدة التي لا كفارة لها ولا استثناء معها لنا كدها ولا
تباع ولاته ورعيته اياهم على ترك نصرته القوي منهم والضعيف عن اشرافه
على تلف نفسه اذ اطاع الله عز وجل في احياء الحق بعد اماتته واماتة الباطل بعد احيائه
في محاربة من تخوف عنده انه جاهل حائر مجاهر لله بمعاصيه مستحل لفيء
المسلمين والمعاهدين ينفقه في شرب الخمر وانتهاك المحارم وايثار الفواحش وقتل
النفس التي حرم الله بغير حقها والسعي في الارض بالفساد وقد قال الله تعالى انما جزاء
الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع
ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض الآية فحاربتهم اذ بارزني لذلك
وعلمت انه لا حجة معي ولا معذرة عند ربي فاخترت ما يبقى وكنت في ذلك
كما قال تعالى فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم
الى قوله وبشر المؤمنين واوصى من يخلف من ولده واخوته ومن اطاعه من رعيته
بما اوصى به يعقوب بنيه فانه قال ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم
مسلمون واوصى انه يحلف بالله الذي لا اله الا هو لا تقوم السموات والارض الا باذنه
انه لا يخلع قميصا قمصه الله به من الخلافة وانه لا يحل لاحد ممن له
في عنقه بيعة ان يتخلف عنه حتى ينصره على العدو والاحسان في حياته فان
مات او قتل فلم تظلمه من بعده خليفة طلب بدمه مع من كانوا منزلة
في اعناقهم بيعة اشهد محمد بن هارون المهتدي بالله امير المؤمنين على ما في هذا
الكتاب الله سبحانه وكفى بالله شهيدا والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ورسول رب العالمين وقائد المتقين
وعلى آله الطيبين واصحابه الاكرمين وسلم ورحم وكرم ومجد وعظم
وكانت خلافته احد عشر شهرا وقتل رحمه الله قبل ان يستكمل الاربعين
سنة يوم الاربعاء لاربع وعشرين من رجب سنة ست وخمسين ومائتين ودفن بسر من رأى
وصلى عليه جعفر بن عبد الواحد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس وقال في جنازته الكاتب

قتل الامام محمد خير الورى ... صلى عليه الله من مقتول
قد كان مهتديا الى سبل الهدى ... ونصير كل مظلم مخذول

ذكر المعتمد بن المتوكل

هو احمد بن جعفر المتوكل يكنى ابا العباس وقيل ابا جعفر ولقبه المعتمد على الله
امه ام ولد كوفية تسمى فتيان **بويع** في اليوم الذي مات فيه محمد
المهتدي وهو ابن عمه ايضا وهو ابن خمس وعشرين سنة وكان اسمر ربعة واسع
العينين ممتلئ الجسم مدور الوجه واللحية اسودها جميل الوجه استوزر عبيد الله
بن يحيى ابن خاقان وزير ابيه ثم مات فاستوزر بعده الحسن بن مخلد ثم استوزر سليمان
بن وهب ثم عزله وصير الوزارة الى صاعد واستكتب عبد الله بن الحسين واستقضى
بكار بن قتيبة وصير حاجبه صاعدا مولاه ثم خفيف السمرقندي وولى اخاه محمد
بن المتوكل على جيوشه وحربه ولقبه بالموفق فقلده الخلافة وشغلها وحسنها
واعزها وشرفها لانه ابعد الاذى عنها من الامر والنهي وردهم الى العدل والصلح وكان
المعتمد اول خليفة تغلب عليه فلم ينفذ له امر ولا نهي ولم يكن له من
الخلافة الا اسمها ولا من الامارة الا رسمها في كل سفساف سافك النسب خامل
الحسب فكانوا يلعبون الزمر والنقف وغير ذلك وربما لعب هو معهم واثر اللذة
ومال الى الراحة واعتكف على البطالة والخلاعة وجرى في ميدانها جهده
لا استطاعة **قال الصولي** كان المعتمد جهير الصوت اذا خطب
سمعه اقصى الناس وكان يمثل بينه وبين المستعين في السخاء فيقال ما ولي لبني العباس
اسخى منهما وكان جيد التدبير مهيبا بالامور جليلا في قلوب الناس فلما فوض
امره الى غيره وغلب على تدبيره نقصت حاله عند الناس وخلع على اخيه
الموفق وعلى مفلح يوم الخميس مستهل شهر ربيع الاول عام ثمانية
وخمسين ومائتين واشخصهما الى البصرة لمحاربة صاحب الزنج يوم الثلاثاء لاثنتي
عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى في العام المذكور فاصاب مفلحا سهم منهم
في صدغه فاصبح يوم الاربعاء ميتا وحمل الى سر من راى فدفن بها وانصرف الموفق
عن محاربة صاحب الزنج فجعل المعتمد اليه امر المشرق وجعل ابنه جعفرا
ولي عهده ولقبه المفوض الى الله وجعل اليه امر المغرب فغلب الموفق على الامر

وقام

وقام به احسن قيام ومال الناس اليه وسار المعتمد اليه سنة سبع وستين ومائتين يريد
مصر لمكاتبة جرت بينه وبين احمد بن طولون في ذلك فلما بلغ الموفق الخبر وهو
يقاتل صاحب الزنج انفذ اسحاق بن كنداج فرد المعتمد وسلمه الى صاعد بن مخلد
فانزله دار ابن الخصيب بسر من راى وحجر عليه الموفق وحال بينه وبين الاموال
واجرى عليه ما يقوم به من غير اسراف وابقى عليه الخطبة والسكة واسم
امير المومنين واستبد هو بالامر والنهي وكان على غاية من الحزم والعزم والسماحة
والنجدة فشخص لمحاربة صاحب الزنج في صفر سنة سبع وستين ومائتين وقدم
ابنه ابا العباس في ربيع الاخر الى سوق الخميس اذ كان الشعراني صاحب العلوي قد
تحصن بها في جمع كثير من الزنج ففتح ابو العباس هذا الموضع وغنم كل
ما كان فيه وفتح معه مواضع كثيرة وقتل من كان فيها من الزنج ثم سار
الموفق الى الاهواز فاصلح ما افسده الزنج ثم عاد الى البصرة فلم يزل الموفق
منازلا لصاحب الزنج حتى قتل صاحب الزنج فكانت مدة ايامه اربعة عشر
سنة واربعة اشهر يقتل الصغير والكبير والذكر والانثى ويحرق ويخرب وقتل من اهل
البصرة في وقعة واحدة ثلاثمائة الف وكان المهلبي من علية اصحاب علي بن
محمد صاحب الزنج قد اتى بعد هذه الوقعة الى البصرة فنصب منبرا في الموضع
المعروف بمقبرة بني يشكر وكان يصلي يوم الجمعة بالناس ويخطب على المنبر
لعلي بن محمد ويترحم بعد ذلك على ابي بكر الصديق وعمر ولا يذكر عثمان
ولا عليا في خطبته ويلعن جبابرة بني العباس وابا موسى الاشعري وعمرو
بن العاص ومعاوية بن ابي سفيان ولما ركن اهل البصرة الى هذا الفعل من المهلبي اجتمعوا
في بعض الجمع فوضع فيهم السيف فمن مقتول وغريق واختفى كثير منهم
في الدور والابار فكانوا يخرجون في الليل فيطلبون الكلاب والسنانير والفيران فيذبحونها
وياكلونها حتى افنوها فرجعوا ياكلون الموتى ومن قدر منهم على قتل صاحبه
قتله واكله ثم عدموا الماء العذب فذكر عن امراة منهم انها حضرت
امراة تنازع ومعها اختها وقد احتوشوا ينتظرون موتها فياكلون لحمها قالت
المراة فما ماتت حسنا حتى ابتدرناها فقطعنا لحمها واكلناه فجاءت اختها

الى النهر ومعها الراس فقيل له ويحك مالك تبكين قالت اجتمعوا على اختي فما تركوها
ماتت حسنا حتى قطعوها وظلموني فلم يعطوني من لحمها الا راسها هذا ومثل
هذا كثير وبلغ من امرهم انه كان ينادى فيهم على المراة من ولد الحسن والحسين والعباس
وغيرهم من ولد بني هاشم وسائر العرب بالدرهمين والثلاث ويقول المنادي هذه ابنة
فلان وكان عند كل زنجي منهم العشرة والعشرون والثلاثون يطؤهن الزنج ويخدمن
الزنجيات ولقد استغاثت الى محمد بن علي امراة من ولد الحسن بن علي بن ابي طالب
رضي الله عنهما وكانت عند بعض الزنج بان ينقلها عنه الى غيره
من الزنج او يعتقها مما هي فيه فقال لها هو مولاك واحق بك من غيره وقد تكلم الناس
في مقدار ما قتل من الخلق فمكثر ومقل فالمكثر يقول انه شيء لا يحصيه الا خالقهم
والمقل يقول قتل خمسمائة الف الف وذلك كله ظن لانه لا يضبط عددهم ولا يبرح
وكان سبب قيام علي بن محمد بالزنج في العراق انه كان بالبصرة ثلاثون الف جنان
في كل جنان اسود واسودان وثلاث فاغراهم علي بن محمد ومناهم حتى انقادوا
له وقاموا معه فكساهم وحباهم وفر بهم فتسامع بذلك السودان فاقبلوا
اليه من جميع الجهات فنازل بغداد وضيق عليها حتى كاد ان يغلبها وتذهب
الخلافة فخرج اليه الموفق فهزمه وقتله ودخل براسه بغداد وذلك سنة سبعين
ومائتين وكان علي هذا فصيحا فمن كلامه تركتموهم من الين مقتولين مشردين
مع دير شاسعين عن الاحباء متباعدين عن الاقرباء مرة العيون من الدموع خمص
البطون من الجوع حفاة عراة يصلون الايام بالشهور والسنين بالدهور لا يامنون
البقاع خوفا ولا يرون ضوء النهار خيفا ايامهم في المكان يختلفون وبالليل
من بلد الى بلد يسيرون وغادرتهم في الاقدام مكبلين وبالسواجر مغللين وفي الاغلال
مصفدين لا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون وكان المعتمد قبل
وحرب خرج عليه يعقوب بن الليث الصفار في سنة اثنين وستين ومائتين وسار
نحو العراق في جيوش عظيمة حتى نزل دير العاقول على شاطئ دجلة بين واسط
وبغداد وكان يعقوب هذا صفارا في صغره فارته السعادة وخدمه الجد الى ان
دخل بلاد سجستان وهي بلاد فيروز بن كبك وحارب رتبيل ملك الهند ودخل الى بلاد

هوات

هوات ثم بلخ ونيسابور وقبض على محمد بن طاهر بن عبد الله بن الحسين ثم دخل الى بلد
طبرستان ووافع الحسن بن زيد الحسني فلما نزل الصفار دير العاقول خرج المعتمد فعسكر
يوم السبت بالموضع المعروف باصطربند بين السيب ودير العاقول فهزم الصفار واستبيح
عسكره واخذ من اصحابه نحو عشرة الاف دابة وذلك انه بحر عليه النهر المعروف
بالسيب فغشي الماء الصحراء فعلم الصفار ان الحيلة قد توجهت عليه وقد كان حمل
على المعتمد في ذلك اليوم بضع عشرة حملة وعرف ابراهيم بن سيما وقتل بين يديه
خلقا كثيرا وكان الصفار قد قصد الميمنة وعليها موسى بن بغا وقتل
كثيرا من الناس منهم المغربي المعروف بالمغربي فخرج الصفار بنفسه والخواص من اصحابه
واتبعه جيش المعتمد واهل القرى والسواد فغنم الاكثر من ماله وعسكره واستنقذ
محمد بن طاهر من الاسر وكان عنده مقيدا ومعه علي بن قريش وعلي بن الحسين
بن قريش كلهم كانوا عند الصفار اسارى فاتى محمد بن طاهر فقطع قيوده وخلع
عليه ورده الى موضعه وقيل ان السبب في هزيمة الصفار مع ما ذكرناه من بحر النهروان
نصير الديلمي مولى سعيد بن صالح الحاجب كان في الشذوات في بحر دجلة فوافى
مؤخر العسكر الصفار وسواده فخرج من الشذوات فحرق النار في الابل والبغال والخيول
وكان في عسكر الصفار خمسة الاف جمل بخت فنفرت الابل في العسكر وشردت
البغال والحمير والخيل واضطرب الناس في مصاف الصفار لما سمعوا وراوا في عسكرهم
وسوادهم ممن ورائهم فكانت الهزيمة ويقال ان الصفار قال في صحته هذه ابياتا
وانه خرج منكرا على المعتمد ومن معه من الموالي اضاعتهم الدين واهمالهم
ابن صاحب الزنج حتى قتل تلك الامم وفتك في حريم المسلمين فقال في ذلك

خراسان حزنها واكناف فارس — وما انا في ملك العراق بايس
اذا ما امور الناس ضاعت واهملت — ورثت فكانت كالرسوم الدوارس
خرجت بعون الله نصبا ونجدة — وصاحب رايات الهواجر حارس

وتوفي الصفار بجند سابور يوم الثلاثاء لتسع بقين من شوال سنة خمس وستين
ومائتين وخلف في بيت ماله خمسين الف الف درهم وثمانية الف دينار فقيل ان الموفق
اخذه اسيرا وادخله بغداد وعليه حلة مذهبة وعلى راسه طرطور ريش

مكللا وهو على نجيب ووجهه الى قبله وعلى النجيب اصناف الحلي والديباج المذهب
ومقاود الحرير الملون وفي عنقه سلوك الجوهر واوقفه الناس سماطين فكان
لا يهوله شيء من ذلك بل كان ينظر اليهم شزرا ويعض على شفتيه ويلحس بلسانه
وكان سبب اسره انه فر من الهزيمة مع عشرين فارسا من خاصته الى قرية من قرى فارس
واراد ان يتحصن بها فعرف واخبر به الموالي فتلقاه وانزله ونحله وقال له نحن عبيدك
وبين يديك وكتب في السر الى الموفق ووضع الصفار طعاما ثم تقدم ياكل معه
فزجره وقال له فمن العبيد تاكل مع الموالي فقال له نعم انا اخطات ثم خرج
فاتى بكبل وحداد وقال له تتفضل مولانا وتجعل رجله في هذا الكبل يا عيار
الى مناك حتى ياتي من هو مثلك يتولاك فقطعت هذا جزاؤك ثم مضى به الى
الموفق وحكى عبد الله ابن خرداذبة انه دخل على المعتمد ذات يوم
وفي مجلسه عدة من ندمائه من ذوي المعرفة والحجا فقال له اخبرني عن اول من اتخذ
العود قال له قد قيل في ذلك يا امير المومنين اقاويل كثيرة منها ان اول من اتخذه
لامك بن متوشلخ بن خنوخ بن يرد بن مهلاييل بن قاين بن شيث عليه السلام
بن آدم عليه السلام وذلك انه كان له ابن يحبه حبا شديدا فمات فعلقه
في شجرة وقال انظروا اليه تاسيا مني على فراقه ابد الآبد وحسرة عليه فلم يزل
كذلك ينظر اليه حتى تقطعت اوصاله وبقي منه فخذاه مع الساق والقدم والاصابع
فاخذ خشبا فرققه ولصقه فجعل صدر العود كالفخذ وعنقه كالساق وراسه
كالقدم والملاوي كالاصابع والاوتار كالعروق ثم ضرب به وناح عليه فنطق
العود مجاوبا له على شانه فقال الحمدوني

وناطق بلسان لا ضمير له ** كانه فخذ نيطت الى قدم
يبدي ضمير سواه في الحديث كما ** يبدي ضمير سواه الخط بالقلم

واتخذ لومك بن ناقل الطبول والدفوف واتخذ ضلال بنت لامك المعازف واتخذ قوم
لوط الطنابير يستميلون بها الغلمان يعني الصبيان ثم اتخذ الرعاة والاكراد
نوعا تطرب فيه فكانت اغانيهم اذا نفرت صغارها فاجتمعت واتخذ الفرس
البم للعود والزنامل للطنبور والسوناي للطبل وجعل المثنى ضعف وزن الزير والمثلث

ضعف وزن الزير والبم ثلاثة اضعاف وزن الزير فهذه اسماء اوتار العود وكان غناء
الفرس بالعيدان والصنوج ولهم النغم والايقاعات والمقاطع والطرق الملوكية
وهي سبع طرق وكان غناء اهل خراسان وما والاها بالمزج وعليها سبعة اوتار
وايقاعه يشبه ايقاع الصنج وكان غناء اهل طبرستان والري والديلم بالطنابير
وكانت الفرس تقدم الطنبور على كثير من الملاهي وكان غناء النبط والجرامقة بالقنورات
وايقاعها يشبه ايقاع الطنابير وقال فندوس الرومي جعلت الاوتار الاربع بازاء
الطبائع الاربع فجعل الزير بازاء المرة الصفراء والمثنى بازاء الدم والمثلث بازاء البلغم
والبم بازاء المرة السوداء والروم من الملاهي الارغن وعليه ستة وعشرون
وترا وله صوت بعيد المذهب وهو من صنعة اليونانيين ولهم السلبان وله اربعة
وعشرون وترا من كل وجه وتفسيره الف صوت ولهم اللورا وهو الرباب وهو
من خشب وله خمسة اوتار ولهم القيثارة ولها اثنا عشر وترا ولهم الصنج من جلود
العجاجيل وكل هذه المعازف مختلفة الصنعة ولهم الاغرز وهو ذو منافيخ
من الجلود والحديد وللهند الكنكلة وهو وتر واحد يمد على قرعة يقوم مقام العود
والصنج وكان الحداء في العرب من قبل هذا شانهم الحداء وذلك ان مضر بن نزار بن معد
ابن عدنان سقط عن بعير في بعض اسفاره فانكسرت يده فجعل يصيح يا يداه
يا يداه وكان من احسن الناس صوتا فاستوسقت الابل وطاب لها السير فاتخذته
العرب حداء برجز الشعر وجعلوا كلامه اول حداء فمن قول الحادي هادي يا هادي
على قوله يا يداه يا يداه وكان الحداء اول السماع والترجيع في العرب ثم اشتق الغناء
من الحداء ونحن نساء العرب به على موتاهم ولم تكن امة من الامم بعد فارس والروم اولع
بالملاهي والطرب من العرب وكان اول من غنى لهم الجرادتان وكانتا قينتين على عهد
عاد لمعاوية بن بكر وكانت العرب تسمي القينة الكرينة وغناء اهل اليمن بالمعازف
وجميع ايقاعها جنس واحد ولم تكن قريش تعلم من الغناء الا النصب حتى قدم
النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف نحو العراق وافدا على النعمان بالحيرة
فتعلم ضرب العود والغناء عليه فقدم مكة فعلم اهلها فاتخذوا القيان قال
والغناء يرقق الذهن ويلين العريكة ويبهج النفس ويسرها ويشجع القلب ويسخي البخيل

وله مع النبيذ تعاون على تنشيط القلب وتفريج الكرب والغنا على الانفراد يفعل ذلك
وفضل الغنا على المنطق كفضل المنطق على الخرس والبرء على السقم وكذا قال الشاعر في المعنى

لا تبعثن على همومك اذ ثوت ... غير المدام ونغمة الاوتار

فلله در حكيم استنبطه وفيلسوف استخرجه اي غامض الفكر واي مكنون
كشف وعلى اي دقيق دل والى اي علم وفضيلة سبق لقد كان فصيحا وحاذقا وفريد
دهره وكانت ملوك العجم لا تنام الا على سماع مطرب يسرح في عروقها السرور
او على سمر لذلك والعرب تقول الكيسة لا تنوم ابنها وهو يبكي ابدا خوفا ان يسري الهم
في جسده ويدب في عروقه ولكنها تغنيه وتضاحكه حتى ينام وهو فرح
مسرور فينمو جسمه ويصفو دمه ويشب عقله والطفل يرتاح الى الغنا ويستبدل
بكائه فرحا قال يحيى بن خالد البرمكي الغناء ما اطربك فارقصك او ابكاك
فاشجاك وما سوى ذلك فبلاء وهم فقال له المعتمد قد قلت فاحسنت ووصفت
فاطنبت وافهمت في هذا اليوم سوق الغنا وغيره من انواع الملاهي وان كان مثله مثل ثوب
الوشي يجتمع فيه الاحمر والاصفر والاخضر وسائر الالوان فما صفة المغني الحاذق
قال ابن حزم ان المغني الحاذق من تمكن في انفاسه وتلطف في اختلاسه وتفرع في
اجناسه قال المعتمد فعلى كم اقسام الطرب قال على ثلاثة اوجه وهي طرب
محرك مستخف اريحية يتغشى النشيم عند السماع وطرب شجو وحزن لا سيما
اذا كان الشعر في وصف ايام الشباب والتشوق الى الاوطان والمراثي لمن فقد الاحباب
وطرب يكون في صفاء النفس ولطافة الحس لا سيما عند سماع معرفة جودة التاليف
واحكام الصنعة اذ كان من لم يعرفه ولا يفهمه لا يسر له فتراه مشتغلا عنه
بل تراه كالحجر الجلمد والجماد الصلد سواء وجوده وعدمه وقد قال بعض الفلاسفة
المتقدمين وكثير من حكماء اليونانيين من عرضت له آفة في حاسة الشم كره رائحة
الطيب ومن غلظ حسه كره سماع الغنا وتشاغل عنه وعابه وذمه فقال له
المعتمد فما منزلة الايقاع وانواع الطرق وفنون النغم قال قلنا في ذلك ما تقدم ان
منزلة الايقاع من الغنا منزلة العروض من الشعر وقد وضعوا الايقاع ووسموه
بسمات وسموه باسماء ولقبوه بالقاب وهو خمسة اجناس ثقيل الاول وخفيفه

وثقيل

وثقيل الثاني وخفيفه والايقاع هو الوزن ومعنى وقع اي وزن ولم يوقع اي خرج عن الوزن
والخروج ابطاء عن الوزن او سرعة وتعجيل فالثقيل الاول نقرات ثلاثة ثلاثة متواليات الا ان بين
كل ثلاثة وثلاثة وقفة وثقيل الثاني نقرتان اثنتان متواليتان وواحدة بطيئة وثنتان مزدوجتان
وخفيف الرمل نقرتان اثنتان مزدوجتان بين كل زوج وقفة والهزج نقرة واحدة مستويات
ممسكة وخفيف الهزج واحدة واحدة مستويات في نسق واحد اخف قليلا من الهزج
والعرب ابو ثمانية الاول والثاني وخفيفهما وخفيف الثقيل منهما يسمى الماخوري وانما
سمي بذلك لان ابراهيم بن ميمون الموصلي وكان من ابناء فارس وسكن الموصل وكان
كثير الغنا في هذا الماخور فبهذه العربية سماه وكذلك الرمل وخفيفه والهزج
وخفيفه ويتفرع من كل واحد من هذه الطرق ايقاع مزموم ومطلق ويختلف في مواقع
الاصابع فيها فتحدث لها القاب تتميز بها كالمحصور والمحصول والمجنب والمجزع
والادراج والعود عند اكثر الامم وجل الحكماء انما هو يوناني صنعه اصحاب
الهندسة على هيئة طبائع الانسان فان اعتدلت اوتاره على الاقدار الشريفة جانس
الطبائع فاطرب والطرب هو رد النفس الى الحال الطبيعية دفعة واحدة وكل وتر
من اوتاره مثل الذي يليه ومثل ثلثه والدستان الذي يلي الانف موضوع على خط التسع
من جملة الوتر فهذه يا امير المومنين جوامع في صفة الايقاع ومنتهى حدوده
ثم قال له صف لي انواع الرقص والصفة المحمودة في الرقاص وشمائله قال يا امير
المومنين اهل الاقاليم والبلدان يختلفون في رقصهم لكن جملة الايقاع في الرقص
تسعة اجناس الخفيف والهزج والرمل وخفيف الرمل والثقيل وخفيف الثقيل الثاني
وثقيله وخفيف الثقيل الاول وثقيله والرقاص يحتاج الى اشياء في طباعه واشياء في خلقته
واشياء في عمله فاما ما يحتاج اليه في طباعه فخفة الروح وحسن الطبع على
الايقاع واما ما يحتاج اليه في خلقته فطول العنق والسوالف وحسن الدل والشمائل
والتمايل في الاعطاف ورقة الخصر والخفة وحسن اقسام الخلق والمناطق واستدارة اسافل
الثياب ومخارج النفس والصبر على طول الغاية ولطافة الاقدام ولين الاصابع وامكان
تثنيها في نقلها ولين المفاصل والاعطاف وسرعة الانفتال في الدوران واما ما يحتاج
اليه في عمله فكثرة التصرف في الوان الرقص واحكام كل حد من حدوده وحسن

الاستدارة وثبات القدمين على ما وراءهما واستواء ما يحمل بيمنا رجليه ويسراهما حتى يكون
ذلك واحدا ولو وضع الاقدام ورفعهما وجعل احدهما ابرا بذلك الا يقاع فهو
في الحث والخبب سواء واما ما ينسب الطابه فاكثر ما يكون في الخبب وهو فيه امكن واحسن
فليكن ما يوافق فيه الايقاع وقفا وما يتباطى فيه متثاقلا قال ففرح المعتضد في هذا اليوم
وخلع على ابن خرداذبة وعلى من حضر من ندمائه ومغنيه وقطه عليهم

وكانت خلافة المعتمد ثلاثة وعشرين سنة ومات ببغداد مسموما
فقعد يوما وهو مصطبح في الحسن على المسناة الشرقية على دجلة مع المغنيين فغنى احد
المغنيين في شعر ابي نواس

يا كثير النوح في الدمن ۞ لا عليها بل على السكن

فتطير بذلك المعتمد فلما كان عند العصر قدم الطعام فقال للموكل به ما فعلت
الرؤوس برقابها وقد كان امر ان تهيا له رؤوس فطلبت فيها رقابها فقدمت له وكان
معه على المائدة رجلان من ندمائه وسماره يعرف احدهما بخلف المضحك والملقم
فاول من ضرب يده الى الرؤوس الملقم فانتزع اذن واحد منها ولفها في الرقاق وغمسها
في الاصباغ واهوى بها الى فيه وامعن في الاكل فاما المضحك فانه كان يقلع اللهازم
والاعين فاكلوا واكل المعتمد واتوا يومهم فاما الملقم صاحب اللقمة الاولى
فانه تهرى في الليل واما المضحك فمع الصباح واما المعتمد فاصبح ميتا قد لحق
بالقوم ودخل اسماعيل بن اسحاق ابن حماد القاضي الى المعتضد وعليه السواد فسلم
عليه بالخلافة فكان اول من سلم عليه بها وحضر الشهود واشهدوا على المعتمد
وبرى علامة المعتضد بعضهم يقول هل ترون به باسا او اثرا وانما قتله من اوسنه
على شرب النبيذ فغسل وكفن وجعل في تابوت وحمل الى سامراء ودفن بها

ذكر المعتضد بن الموفق

هو احمد بن محمد الموفق بن جعفر المتوكل يكنى ابا العباس ولقبه المعتضد
لقبه بذلك اسماعيل بن اسحاق القاضي امه رومية اسمها ضرار ولدته في شهر ربيع
الاول سنة ثلاث واربعين ومايتين بويع في اليوم الذي مات فيه

عمه

عمه المعتمد وهو ابن سبع وثلاثين سنة وكان نحيفا ربعة خفيف العارضين يخضب
السواد استوزر عبيد الله بن سليمان ثم ابنه القاسم بن عبيد الله واستكتب محمد بن غالب
وقاضيه اسماعيل بن اسحاق بن حماد واستقضى بعد موت ابن حماد يوسف بن يعقوب
وحاجبه بدر مولاه نقش خاتمه الاضطرار يزيل الاختيار ولم يقدم على الجيوش
احدا بل كان يتولاها بنفسه ويقوم بامرها شهامة منه ونجدة وكان من اكمل الناس فهما
وعقلا واعلاهم همة واكثرهم تجربة قد حلب الدهر اشطره وعاقب بين شدته
ورخائه وسمي السفاح الثاني لانه جدد ملك بني العباس بعد اخلاقه وقتل اعدائه
وقد مدحه علي بن عباس الرومي يعني بابي العباس السفاح فقال مهنيا

شرف الخلافة يا بني العباس ۞ اليوم جددها ابو العباس
وافى بحفظ فروعها فكانه ۞ كان المسير مواضع الاغراس
هذا الذي رفعت يداه بناءها ۞ العالي وذاك موطئ الاساس
ذاك الذي ابقاه الزمان ذخيرة ۞ من ذلك الجبل العظيم الراسي
فلان من الحر في سكنانه ۞ ثلج الضمائر بارد الانفاس
نغرو ضبا التبعر الرقاو بقلبه ۞ احلا واعذب من ظباء كناس
وكان حمل السيف يفطر غربه ۞ انسا يميز به حمل الكاس
فجرا امير المومنين اغرته ۞ غضا كنور المروءة الميلاس
وبعثت في قلب الخلائق فرحة ۞ دخلت على الخلفاء في الارماس

فلما افضت الخلافة الى المعتضد سكنت الفتن وصلحت البلاد وارتفعت الحروب
ورخصت الاسعار وهدا الهرج وسالمه كل مخالف لانه كان شجاعا مهابا وللجلاد
مجربا قد دانت له المشرق والمغرب وكان قتالا سفاكا جماعا يبغي فيما لا ينبغي فيه
العوام وكان يضرب به المثل فقال النجر من المعتضد وامر ان ينقص من حشمه ومن كان
يجري عليه الازراق فنقص من كان رغيفا او فيه وامر ببيع الخبز قال ابن النديم فتعجبت
من اوامره في ذلك ثم نظرت في مقدار ما يجتمع منه فاذا هو يتوفر منه في كل شهر
مال عظيم ولذلك خلف في بيوت امواله تسعة الاف الف دينار واربعين الف الف درهم
ومن الخيل والبغال والحمير والجمال اثنى عشر الف راس وكان قليل الرحمة سريع الغضب

فقد كان يعطل العقل بالجوهر

شديد البطش ممثلا بالناس في قتلاته فمن قتلاته البشيعة وعقوباته الشنيعة انه يامر
بالجاني فيجعل في لوح الكابية على ظهره ووجهه للناس ظاهر ويردم بالتراب ويركى
عليه ويجيء به في الحايط ويبقى وجهه ينظر اليه الناس حتى يموت وبعضهم يلقيه
في الحفرة على راسه ورجلاه الى فوق ويردم عليه التراب ويبقى مثله حتى تخرج
روحه من دبره وبعضهم يجعله غرضا وبرجاسا ويرمى عليه بالنبل حتى
يعود جسمه كالقنفد بكثرة النبل وبعضهم يركب على دابة شموس نفر من كل
شيء وتعلق معه الجلاجل والاجراس ويشد بحبال ويلقى على ظهرها ويوصلون
عليها بالدبادب والابواق والانفار يتبعون تلك الدابة الشموس وتطلق في الاسواق
فلا تزال ترمح وتجمح وهو مايل عليها معلق معها حتى تنقطع اوصاله شيئا بعد
شيء وبهذه القتلة مات يعقوب بن الليث الصفار وكان ايضا يدخل الجاني في سفود
حديد يدخله من دبره فيخرجه من فيه ويقلب على النار حتى يعود كالفحم
ومن اخباره الغريبة وغيرته على الحرم وانكاره على من اجترى واجترم ان شيخا
خياطا كان يخيط في حانوت فمرت امراة مجتازة وقد هجم عليها غلام وادخلها
دار بعض امراء الاتراك بعد العصر وهي تستغيث فنزل الشيخ وضرب الباب فخرج
اليه الغلام فضربه وشتمه فرجع وقد غلبت عليه الغيرة في الله وغوث فاجتمع
الناس فضرب الباب ثانية كرة فرجع اليه الغلام فضربه ومرته وذلك عند اصفرار
الشمس فاتى قصر الملك فطلع الى صومعة كانت هنالك واذن فجر الناس اليه
محمولا الى المعتضد فقال له ما هذا الاذان في غير وقته فاخبره بالقصة فامر ياتونه
بهما فسيقا اليه فوجه مع المراة من شفع لها عند زوجها واستعذر عنها
وانه مغلوب عليها وامر للشيخ الخياط بصلة ومال وخلع عليه وقال له مهما رايت
شيئا من هذا او غيره فاذن علي في اي وقت كان وامر ان يدخل التركي في عدل جمال
ويربط عند راسه ورجليه وضرب بالاعواد حتى رجع عجنا وجعل الغلام برجيسا
للنبل ولم يكن للمعتضد من الدنيا نصيب الا النساء فبنا قصرا سماه الثريا انفق عليه
اربعماية الف دينار وكان طول القصر ثلاثة فراسخ وعرضه فرسخين وقدم الحسين
بن عبد الله ابن الجصاص من مصر رسولا من عند خمارويه بن طولون ومعه هدايا

كثيرة

كثيرة ونثار واموال جليلة وذلك في شوال سنة تسع وتسعين ومايتين فخلع عليه
وعلى سبعين نفرا معه وسعى في تزويج قطر الندا ابنة خمارويه من ابنه علي المكتفي
اذ كان خمارويه جعل نكاحها الى ابن الجصاص واشهد على نفسه بذلك فقال المعتضد
انما اراد ان يتشرف بنا انا اتزوجها فتزوجها واصدقها مائة الف دينار وتولى ابن الجصاص
حملها وجعل جهازها فقال انه حمل معها جوهرا لم يجتمع مثله عند خليفة
قط فاقتطع ابن الجصاص بعضه واعلم به قطر الندا وانه مودع لها عنده الى
الوقت حاجتها فماتت والجوهر عنده فكان سبب غلاه واستعلائه وافتخر ابن
الجصاص سببه مع المقتدر فقبض عليه واخذت منه اموال جليلة وحدث
احمد بن الحسين بن منقذ قال دخلت يوما على ابن الجصاص واذا بين يديه سفط
مبطن بالحرير فيه جوهر قد نظم منه سبحا فرايت شيئا حسنا ووقع في نفسي ان
عددها يجاوز عشرين سبحة فقلت جعلني الله فداك كم عدد ما في كل سبحة
فقال في كل سبحة مائة حبة وزن كل حبة كوزن صاحبتها لا تزيد شيئا
ولا تنقص وبين يديه سبايك ذهب يوزن فيها كما يوزن الحطب فلما خرجت
من عنده تلقاني ابو العينا فقال لي يا ابا سعيد ما حمدت الله على العمى الا في وقت
هذا فقلت لم فخبر حال ابن الجصاص باي شيء ختم تلك السبح فقال بياقوتة حمراء
قيمتها اكثر مما ختمتها وكان ببغداد رجل يتكلم على الطريق
ويقص على الناس انواعا من الاخبار والنوادر والمضاحك ويخرج الوجوه ويعرف
بابن المغازلي وكان في نهاية الحذق ولا يستطيع من يراه ويسمع كلامه الا يضحك
قال ابن المغازلي فوقفت يوما في خلافة المعتضد على باب الخاصة اضحك
وانا ادور في حلقتي بعض خدم المعتضد فاخذ في حكاية الخدم فاعجب الخادم
بحكايتي وشغف ثم انصرف عني فلم البث ان عاد الي واخذ بيدي وقال لي انما انتهيت
من حلقتك دخلت فوقفت بين يدي امير المومنين وذكرت بعض حكاياتك ونوادرك
فاستضحكت فرآني فانكر ذلك مني وقال ما لك ويلك فقلت يا امير المومنين
على باب الخاصة رجل يعرف بابن المغازلي يضحك ويحاكي ولا يدع حكاية الا
حكاها ويخلط ذلك بنوادر تضحك وقد امرني فطلب فقلت له وقد طمعت

في الجارية السنية يا سيدي انا ضعيف وعلي عيلة وقد من الله علي بك فما عليك
ان لو اخذت ربعها او سدس سهما فابى الا نصفها فرضيت بالنصف فاخر سيدي فلما دخلت
عليه فسلمت ووقفت في الموضع الذي وقفت فيه فرد علي السلام وكان ينظر
في كتاب فنظر فيه ساعة واطبقه ثم رفع راسه الي وقال ما انت ابن المغازلي الذي
بلغني انك تاتي بحكايات عجيبة ونوادر غريبة وتخرج الوجوه وتضحك الثكلى
قلت نعم يا امير المومنين الحاجة تفتق الحيلة فانا اجمع الناس بذلك واتقرب الى قلوبهم
بحكايات اتيسر بها برهم واتعيش بما انا له منهم قال فهات ما عندك وخذ
في فنك فان اضحكتني اجزتك وان لم اضحك فما لي عليك فقلت الخير والخيرة يا امير
المومنين ما معي انا فقال فسل ما احببت وتحكم فيه بما شئت فقال لي قد انصفت
فان اضحكتني فلك ما ضمنت وان لم اضحك صفعتك بذلك الجراب عشر صفعات
فقلت في نفسي ملك ما يصفع الا شيئا قليلا بشيء خفيف هين ثم التفت فاذا انا
بجراب ادم ناعم في زاوية البيت فقلت في نفسي ما اخلف ظني ولا اخطا حدسي وما
عسى ان يكون من جراب فيه ريح ان انا اضحكته ربحت وان انا لم اضحكه فامر بعشر
صفعات بجراب منفوخ هين ثم اخذت في النوادر والحكايات وتفننت فيها فلم
ادع نادرة ولا حكاية الا حكيتها واتيت بها حتى نفد جميع ما كان عندي
وتصدع راسي وانقطعت وسكنت وفترت وبردت وهو جالس بحيث يده في لحيته
مقطب لا يضحك ولم يبق لي خادم ناهم ولا غلام الا ذهب لما استفزهم
الضحك فلما سكت قال لي هيه هات ما عندك فقلت يا امير المومنين لقد والله نفد
جميع ما عندي وتصدع راسي وما رايت والله قط مثلك وما بقيت والله الا نادرة
واحدة فقال هاتها فقلت يا امير المومنين وعدتني ان تصفعني عشر صفعات
وجعلتها مقام الجائزة فاسالك ان تضعف لي الجائزة وتضيف اليها عشرة اخرى
فاراد ان يضحك فامسك وتمالك ثم قال لي نفعل ذلك ثم قال يا غلام خذ بيده
فاخذ بيدي ومددت قفاي فصفعني بالجراب على قفاي فكانه اسقط على
قفاي قلعة واذا فيه حصى مدور كانه منجان فصفعني به عشرا كاد ان ينفصل
رقبتي وتكسر كتفي وطنت اذناي وقدح الشعاع في عيناي فلما استوفيت العشرة

صحت

صحت يا سيدي نصيحة فرفع الصفع عني بعد ان كان عزم على انفاذ ما سالته
من اضعاف الجائزة فقال لي ما نصيحتك فقلت يا سيدي انه ليس في الديانة احسن
من الامانة واقبح من الخيانة واني قد ضمنت للخادم الذي ادخلني نصف هذه الجائزة
على كثرتها وقلتها وامير المومنين اطال الله بقاءه بفضله وكرمه قد اضعفها
وقد استغرب لما كان سمعه مني من قبل واطال في الضحك حتى دمعت عيناه
وكلما كان صبر له وتمالك عليه فما زال يضحك ويضرب بيده ورجليه ويمسك
مراق بطنه حتى خشينا عليه الهلاك من شدة الضحك والتوغل فيه والقهقهة
زمنا طويلا فلما سكن ضحكه ورجعت اليه نفسه قال علي بفلان الخادم فاوتي
به وكان طويلا فامر بصفعه فقال يا امير المومنين اي شيء قصتي وما جنايتي
فقلت له هذه جائزتي وانت شريكي فيها وقد استوجبت نصفها واني قد استوفيت
نصيبي وبقي نصيبك منها فلما اخذه الصفع وطرق قفاه الوقع اقبلت اقول له
قلت لك اني ضعيف معيل وشكوت لك الحاجة وقلت لك يا سيدي لعلك تاخذ
ربعها او سدس سهما وانت تقول لا اخذ الا نصفها فضمنت لك ورضيت بالنصف
ولو علمت ان جوائز امير المومنين اطال الله بقاءه صفع وهبتها لك كلها قال فعاد
المعتضد الى الضحك من قول الخادم وعتابه اياه حتى خشينا عليه الهلاك فلما
استوفى صفعه وسكن امير المومنين من ضحكه اخذ من تحت متكئه صرة
قد كان اعد فيها خمسماية درهم ثم قال للخادم وقد كان اراد الانصرا
ف فوقف فقال لي هذه كنت اعددتها لك فبفضولك لم يدعك حتى
احضرت لك شريكا فيها فقلت ولعلي كنت امنعها منها يا امير المومنين وابن الامانة
وقبح الخيانة ووددت اني كنت دفعتها اليه كلها وتصفعه مع العشرة عشرة
اخرى فقسم الدراهم بيننا وانصرفنا وخرج عليه وصيف الخادم في اطراف الشام
فنهض اليه وجد في طلبه وخاض سماوة حتى لحقه واوقع به ولحقه في مسير
ذلك تخلو في جسمه فرجع متالما ثم ظهر له في قصره شخص يتصور تارة
في صورة راهب عليه مسح شعر وبيده عكاز ويتصور تارة في صورة شيخ
ابيض الراس واللحية خضيب بالحناء قصير القامة وتارة في صورة حدث بيده سيف

مشهور وهو يحمل عليه فداخله منه خوف فزاد في السم واشتد ما به من سقمه فمات
وكانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر وتوفي بمدينة السلام يوم
الأحد لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين وهو ابن سبع وأربعين
سنة ولم يحج معا وقيل إنه كان يتشيع وصلى عليه أبو عمر والقاسم بن جعفر بن
عبد الواحد الهاشمي القاضي ه

ذكر المكتفي بالله بن المعتضد

هو علي بن أحمد المعتضد يكنى أبا أحمد ولقبه المكتفي بالله أمه أم ولد اسمها جبو
وقيل ظلوم ولدته بمدينة السلام غرة شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين ومائتين
بويع بمدينة السلام في اليوم الذي مات فيه المعتضد أبوه
وهو ابن خمس وعشرين سنة وكان المكتفي حينئذ بالرقة وأخذ له البيعة القاسم
بن عبيد الله وكان وصوله إلى مدينة السلام من الرقة لتسع ليال خلون من جمادى الأولى
سنة تسع وثمانين ومائتين ونزل في الحسني على دجلة وكان أبيض جعد الشعر
جميل الوجه حسن العينين أجلهما ربعة لا بالطويل ولا بالقصير حسن النغمة فصيح
اللسان كريم الأخلاق كثير الحلم حافظا لأخبار الناس وأيامهم محبا للعلم وأهله
عالما بنسب بني هاشم وكان حريصا على جمع مال بيت مال المسلمين ولم يتقلد
الخلافة إلى آخر من ذكرت في هذا الكتاب من اسمه علي بعد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
رضي الله عنه إلا المكتفي وكان سبب تلقيبه بالمكتفي عبيد الله بن عبد الله بن طاهر
مدح المعتضد بالله لمولى العهد بعد المعتمد وخلع جعفر المفوض بقصيدة أولها

حمدا وشكرا لله على الذي ... أعطى وجاد من النعماء
أحياكم وجميع موتاكم لهم ... شرف على الأموات والأحياء
وكذا الأبوة والبنوة منكم ... فضل على الآباء والأبناء
والجاهلية أنتم أشرافها ... في كل يوم علا ويوم سناء
وبهاشم تفتخر يوم فخارها ... وبهاشم تسمو إلى العلياء
ضحك الزمان وأزهرت أنوارها ... للدولة الميمونة الزهراء

خصت

خصت أبا العباس سيدنا الذي ... نرجو وعمت سائر الدهماء
فهو الولي لعهدنا في يومنا ... وهو الإمام غدا بغير مراء
يا رب بلغنا له أملا لنا ... حتى نراه وارث الخلفاء
ونرى الإمام محمدا هو ابنه ... بالعهد يحمم السر الخطباء
وأقر أعيننا بعهد أميرنا ... وسليله ابن السادة النجباء
المكتفي بالله في أحواله ... واجعله نحلته من الأسماء

فكونيت المكتفي بأسماء اخترت له فقال هذا اسم سماني به عبيد الله بن عبد الله بن
طاهر وما كنت لأختار غيره وكان أول ما أمر به المكتفي حين صار إلى قصره الحسني
أن أمر بإحضار إخوته فضمهم إليه وعزاهم ومناهم وخلع على القاسم ابن
عبيد الله الوزير ست خلع وقلده سيفا وحمله على مطية بسرج ولجام
من ذهب وأمر بتكنيته ولم يخلع على أحد من القواد وأمر بهدم المطامير التي اتخذها
الموضع إلى أهلها وفرق فيهم الأموال فمالت قلوب الرعية إليه وكثر الداعي إليه
بهذا السبب وغلب عليه وزيره القاسم وبانك مولاه وكان القاسم عظيم الهيبة
شديد الإقدام سفاكا للدماء وكان الصغير والكبير على رعب منه وخوف
لا يعرف أحد منهم لنفسه نعمة منه ثم توفي فاستوزر العباس ابن الحسن فغلب
عليه هو وبانك وأمر المكتفي بطلب داود بن ديلم النصراني المتطبب والهجم
عليه فأخذ عليه خمسة وعشرين بغلا وأثاثا كثيرا ونودي عليه وبذل المس
وحمل ألف دينار وقبضت ضياعه ومنازله لشر سمعه من المكتفي فاشتد ثم
رضي عنه بعد ذلك ورد عليه ضياعه وكان يمازحه ويمازح بين يديه وكان
داود هذا يغضب إذا ذكر الجماع والذكر أو شيء من أمور الباه غضبا شديدا
قال الصولي فقال لنا المكتفي يوما ونحن نشرب بين يديه وابن ديلم هذا
واقف مع جملة من الأطباء أنا أعرف للذكر أسماء كثيرة ولا أعرف له كنية فكنوه
فقال ابن حمدون هو أبو اللحم وقال يحيى بن علي هو ابن الحزن وقال آخر هو أبو الهيلون
فقال المكتفي أريد كنية أخص من هذا فقلت له أبو الكرفس فقال هذه كنية مليحة
لأنه يفتح السدد فجعل ابن ديلم يثلبني والجماعة يضحكون ويقول كنت أرى أنه

من خيرهم فاذا هو من شرهم فقال له المكتفي لا يغرنك سكوتنا عنه فانه مخرج الطبع
ولقي المكتفي بدر في طريق الثريا فترجل كل من كان مع المكتفي لبدر فلما كان ذلك من
القوم ترجل له المكتفي غيظا فرمى بدر بنفسه وجعل يقبل الارض بين يديه ويقول من انا
يا مولاي ما انا الا عبد من عبيدك تعرضني بهذا الفعل للتلف قال فسكن المكتفي منه وجعل
يتمثل ويقول

لا تامنن فوت نفس من ته ... اذ ارى الدهر ذا نقض وامرار

قال ابو بكر الصولي كان المكتفي لما وصل بغداد كتب الى بدر المعتضدي
برأي القاسم بن عبيد الله ان يقيم بفارس مع من شاء من قواده ويعلمه حسن نيته له ووجه
اليه بمال البيعة له ولاصحابه وكان القاسم قد تنكر لبدر في اخر ايام المعتضد وفعل
افاعيل احنقه عليه بها فمنع بدر من حيلة تنفذ اليه من القاسم وعرف طبع المكتفي و
عقله وعلم ان الامر على نفسه فعمل في ان قبل اليه فاوقع القاسم في نفس المكتفي
انه مقبل لنقض بيعته والحيلة عليه وحذره ان ياكل طعاما يعمل غير غلمانه
فتخوف من ذلك وامتنع من النبيذ فلما شك به حتى انقضى امر بدر وكاتب القاسم بن
عبيد الله القواد الذين معه يعني مع بدر بالمسير الى باب السلطان فتسللوا وزايلوه
وحملوا الكتب الى بدر وقالوا له سر معنا حتى نقعد بين يدي المكتفي فقال لهم انا منتظر
جوابي قالوا فاذن لنا في الرحيل قال قد اذنت لكم ولا انا اخر عنكم قال وكتب القاسم
متواترات الى بدر ان يقيم بالمكان الذي يصل اليه فيه الكتاب فلما سار الى واسط هرب من كان
معه من خاصته فلما قرب بدر قال القاسم للمكتفي ينبغي ان تكون على ثقة من امرنا
ويخرج امير المومنين الى معسكره فيجتمع اليه الناس فخرج ثم رجع اليه بغلمان
فلقوا بدرا بقرية من فرات النهروان الاسفل فاصعدوه الى الشط وقتلوه يوم الجمعة لست خلون
من شهر رمضان وتولى وهب بن سعيد امر ضياع بدر واقطاعه وكتب محمد بن غالب
في شان بدر وقتله يقول اما بعد فان لكل خبر ظهورا يتبين به الحق من
الباطل وارباب الشك من اولياء الحق ليجزي الذين اساءوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا
بالحسنى والحمد لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون
وقد كان من حال بدر وجلايل المنعم التي سلفت لديه وان حوادث غدره وايسه له بذل النفس

علاني

في ادنى ذراعي الطاعة ولم يزل امير المومنين يرث ما تقدم اليه حافظا ولتغيير الاحسان
كارها على ما كان دام من مذهبه فاستانف به النعمة فلم يحل شيء قبل ورود الخبر
باستيحاشه من دولة امير المومنين وتتابعت الاخبار بما انكرته تعديه وما وليه وامير
المومنين في كل ما ينتهي اليه من كل معاتب له متحرز لما انتهى اليه ومستثبت فيه
الى ان كتب امير المومنين الى وجوه القواد يحذرهم احتيال بدر اياهم بحبائل غدره ويامرهم
بالقفول الى بابه فعجلوا الخروج وتسارعوا اليه وقطع العواير ايابه فنهاهم عنه وناظروه
فيه بالواجب فجهلوه وحاولوا منعهم فاربوا عليه واعجزوه فسولت له نفسه ان يجعل
المواهب عليه عونا على كفرها والعز الذي اعزه سلطانا على معزه واليد التي اطيلت
له منبسطة الى مطيلها وباسطها فوجهت لامير المومنين على نفسه الحجة في الا
ينتقم ممن عقد الطاعة فاظهر الله بالغادر بدر وشتت امره وبتر عمله وتوافت
بغوث امير المومنين التي كانت معه شاكرين لله تعالى على الراحة من بدر كانوا يشيرون
بعضه لسوء سيرته فيهم ويشكون من شكواه لتسلطه بما بسط امير المومنين
من يده عليهم وبقوا من اخبائه ما كان على امير المومنين حائلا بفضل ما اعطاه
الله من الهيبة فيهم والسلطان عليهم فالحمد لله الذي جعل مبادي نعمة
المحبرات على ايدي اوليائه متممة مربوبة بان اوفاها بالمزيد ويختمها بحميد
العواقب ثم ابتدات بالقاسم العلة التي توفي منها في شهر رمضان سنة احدى وتسعين
ومائتين فلم يزل تطلق العمال من المحابس ويطلق من في الحبس من العلوية الذين اخذوا
ظلما بسبب القرمطي الناجم في الشام وزادت علته فتخلف عن المضي على
المكتفي واستخلف ابنه ابا احمد عبد الوهاب فلما رآه المكتفي لم يرضه ولا
وقع منه الموقع الذي قصده به القاسم الى ان توفي القاسم يوم الاربعاء لست
خلون من ذي القعدة قال ابو بكر الصولي لا نعلم وزيرا اجتمع له ما اجتمع
للقاسم بن عبيد الله من شباب وجمال وادب وبلاغة وحنكة وجلالة وتمكن ويسار
وظفر بكل ما اراد واتساع ضياع وقبول وخفة روح ووجه ابن صدر النهار من يوم
وفاته بابي الحسن بن علي بن عيسى وبابي العباس بن الحسن الى المكتفي وكتب معهما
كتابا انه في اخر ساعة من الدنيا ويسال التفضل على ولده ويخلفه بما هو اهله فاستوزر

المكتفي العباس بن الحسن عند موت القاسم وخلع عليه واسم الذي هو علي بن عبد الله
خرج بالشام في محرم عام تسعين ومائتين وادعى انه طالبي واهله من الكوفة وهو
ولد زكرويه ابن مهرويه اقام في البر مع كلب سنين كثيرة يستعين بهم واخوه احمد صاحب
الرقة محاربه صاحب الرقة فهزمه الذي مكي وقتله وهزم جماعة ممن حاربه
حتى جيش المكتفي اليه واقام بالرقة ووجه الجيوش اليه فاخذ اسيرا ومن كان معه وحملوا
الى الرقة ثم الى بغداد وادخل الذي مكي الى فة على جمل وقد جعل له فرنار من
جانبي راسه وفي سنة خمس وتسعين ومائتين وردت الى مدينة السلام هدية
زيادة الله بن عبد الله بن الاغلب من افريقيه وكانت الهدية مائتا خادم سودا
ومائة وخمسين جارية ومائة فرس من الخيل المغربية وغير ذلك من الطرايف
وقد كان هارون الرشيد قلد ابراهيم بن الاغلب ارض افريقيه في سنة اربع وثمانين
ومائة فلم يزل ال الاغلب امراء افريقيه حتى خرج عنها زيادة الله هذا
في سنة ست وتسعين وقيل في سنة خمسة وتسعين اخرجه عنها ابو عبد الله
المحتسب الداعية ظهر في كتامه وغيرها من احياء البربر يدعو الى عبيد الله
صاحب المغرب وكانت وظيفة المكتفي في كل يوم عشرة الوان وجديا وثلاثة
جامات حلوا ووكل على مائدته بعض خدمه وامر ان يحصى ما يفضل من الخبز
فما كان من المكسر عزله للثريد وما كان من الصحيح رد على مائدته من الغد
وكذلك كان يفعل بالبوارد والحلوى وامر ان يجزله قصر بناحية الشماسية بازاء
فعي يد فاخذ بهذا السبب ضياعا كثيرة ومزارع كانت في تلك النواحي بغير ثمن
وكثر الدعاء وكان فعله هذا مشاكلا لما فعله ابوه المعتضد في بناء المطامير
فلم يستتم ذلك البنا حتى توفي واشتدت عليه علة الذرب فاحضر محمد بن يوسف
القاضي وعبد الله بن علي بن ابي الشوارب فاشهدهما على وصيته بالعهد الى اخيه
جعفر **وكانت** خلافته ست سنين وسبعة اشهر واربعة عشر
يوما وتوفي يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة بعد صلاة
العصر سنة خمس وتسعين ومائتين وهو ابن احدى وثلاثين سنة وسبعة اشهر وكان
يتشيع ودفن في دار محمد بن عبد الله بن طاهر

ذكر

ذكر جعفر المقتدر ابن المعتضد

هو جعفر بن احمد المعتضد يكنى ابا الفضل ولقبه المقتدر بالله امه ام ولد اسمها
شغب ولدته يوم الجمعة لثمان خلون من شهر رمضان سنة اثنين وثمانين ومائتين
بويع في اليوم الذي توفي فيه اخوه المكتفي بالله وهو ابن ثلاثة عشر
سنة وشهر بعد ان شهد اخوه المكتفي القضاة والفقهاء في مرضه الذي توفي فيه بتوليته
العهد بعد ان شهد عنده انه بالغ وكان المقتدر موصوفا بالكرم والطهارة
والعفة والرغبة في الخير والصيام والصدقة حتى لم يكن في كثير ممن سلف
من الخلفاء مثله وكان له حنو على بني هاشم وبر واكرام زاد في ارزاقهم وبلغهم
الى دينارين في اليوم فكان الرجل ياخذ في الشهر ستين دينارا ولما دخل القصر المعروف
بالحسني امر ان يمسك له حصير بمصلاه فصلى اربع ركعات ومازال يرفع صوته
بالدعاء والاستخارة ثم جلس على السرير فبايعه الناس وحضر الوزير ابو احمد العباس
بن الحسن وابنه احمد وخلع عليهما يوم الاثنين خلعا مشهورة الحسن
وقلد العباس الوزارة وامر بتمكينه وان يجري الامور مجاريها ونزل ابنه محمد بن
العباس العرض عليه وكتابة اخويه هارون ومحمد وكتابة السيدة واطلق العباس
مال البيعة فاعطى الفرسان ثلاثة اشهر والرجال ستة اشهر وكان في بيت مال الخاصة
خمسة عشر الف الف دينار وفي بيت مال العامة ستمائة الف دينار ومن الجوهر
والفرش والثياب ما تزيد قيمته على جملة العين في البيتين ومن الخيل خمسة الاف
ومن الكراع اثنا عشر الفا واطلق للجلساء رزقا لكل واحد وطالبوه بثالث حتى
يكونوا اسوة الفرسان فوعدوا بصلة ودنوا فقبلوا يد المقتدر فقال ابو بكر
وكتب العباس بن الحسن الى الناس كتابا على نسخة واحدة وهو فقضى الله عز
وجل في وفاة امير المومنين المكتفي بالله رحمة الله عليه ما قضاه في انبيائه
وجعله حتما على جميع خلقه وخص بخلافته امير المومنين المقتدر بالله جعفر
بن المعتضد بالله اطال الله بقاءه وادام توفيقه وارتقاءه واحسن معونته واعاد
الامر في نصابه واقر الملك في قراره وكمل به النعمة على كافة المسلمين الفضايل

التي خصه الله بها وآثره بالإحسان فيها بقيامه بشرائع دينه والعمل بكتابه وسنة
نبيه صلى الله عليه وسلم واستشعاره التقوى في سر أمره وجهره وإفاضته العدل
في رعيته وأخذ منه فاجتمع الخاصة والعامة على الرضا به والاغتباط بدولته
وأقبلوا من غير أمر سامعين طائعين مطيعين له بإخلاص نياتهم وانشراح صدورهم
وانفساح آمالهم وقوة عزائمهم وأبقوا أهواءهم مطيعين بالبيعة صفقة
أيمانهم وثنيو ألسنتهم عالمين بما في ذلك من اجتماع الكلمة ودوام الألفة
ولم الشعث ووثو الفتوق وعموم النفع وحياطة الحريم وأمن السبل وقمع العدو
ورعي اليمن وصلاح أمر المسلمين شاكرين لله عز وجل على ما بلغهم إياه من تمليكه
وأسبل عليهم من الستر والصيانة بخلافته ووفقهم له من حسن طاعته
وابتدأ أمير المؤمنين من الله أيامه وحرس من الغير دولته وأعوامه من التفضيل والإ
نعام والتشريف والإكرام والتقديم والإيثار بما يشبه المحل الذي أحله الله تعالى
به من الخلافة والسنا والرفعة وكنت في هذا وأنا في شرف مجلسه أبقاه الله وعن
قربه وبحضرته أهل بيته وقواده ومواليه وغلمانه وسائر طبقات أوليائه فقد
غمرني بطوله وبره وبلغني فطرا العجز عن القيام بشكره وأمرني أن أتكنا على
كل من كاتبه وتكون كتبا بنعم التي بما راه من ابتداء الله بفضل المنن له التي حضي
بها وبسنائها وشرفها وأسأل الله بقاء أمير المؤمنين في دوام العز والتأييد والعلو
والتمكين وأن ينهضني بتأدية حقوقه وأستفرغ الطاقة في طاعته ويعينني
على بلوغ مرضاته وما يكون كفاء النعمة لدي وإحسانه لدي وعرفتك ذلك
لتأخذ بنصيبك به وتجري عملك عليه حامدا لله تعالى على النعمة فيه وشاكرا
على ما وهب منه إن شاء الله تعالى وأقر الوزير أصحاب الدواوين على ما كانوا عليه وخلع
على سوسن مولى المكتفي وعلى ابن عمرويه وهو على شرطة بغداد وعلى أحمد
بن كيغلغ وعلى غيرهم ورد المقتدر بالله رسوم الخلافة إلى ما كانت عليه من
التوسع في الطعام والشراب وإجراء الوظائف وإقامة المحل مثل الشمع التي كانت تقام
للخلفاء وفرق في بني هاشم خمسة عشر ألف دينار وتصدق في سائر الناس مثلها وأمر
بأن تعاد رسوم الأضاحي وتفرق في شرائعها جمع ويوم التروية ويوم عرفة من البقر

والغنم

والغنم ثلاثين ألف رأس على القواد والغلمان وأصحاب الدواوين والقضاة والجلساء على
مراتبهم وأمر بإطلاق جميع من في المحابس ممن لا خصم له ولا حق لله عز وجل
في حبسه ورفع إليه أن العلية التي بناها المكتفي في رحبة باب الطاق وقد
اتخذت للمتعيشين وأن هذه أمكنة كانت للضعفاء والمتحملين يجلسون
للتجارة فيها بلا أجرة لأنها طرق واسعة فسأل المقتدر عن غلتها فقيل له تغل في
كل شهر ألف دينار وستة زيد على ذلك فقال وما مقدار هذا في صلاح المسلمين
واستجلاب دعائهم فأمر بها فنقضت وأعيدت إلى ما كانت عليه وتكلم
الناس في بلوغ المقتدر فقال قوم ولي ولم يبلغ وقال قوم ولي وقد بلغ قبل ذلك
بشهور وهو الصحيح كان أخاه المكتفي ما زال يتعرف ذلك حتى صح عنده
بلوغه فكتب له ولاية العهد **قال الصولي** قال لي الوزير العباس
أجمع لي شيئا في صفة الأحداث والشبان فألفت في ذلك كتابا فما أكملته
حتى ولي الوزارة علي بن محمد بن الفرات فأوصلت الكتاب إليه وجعلت الخطاب
له فكان مما في صدر الكتاب السن لا تقدم مؤخرا ولا تؤخر مقدما بل ربما كان
بجليل الأمور وفهم الخطوب إلى كلمة الفتيان لاستقبال أيامهم وسعة حركتهم
وحدة أذهانهم وتيقظ طباعهم ولأنهم على ابتداء العمر أحرص
وإليه أحب وأحوج وقد أخبر الله عز وجل أنه آتى يحيى بن زكرياء على نبينا
وعليه السلام الحكمة في سن الصبا فقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة
وآتيناه الحكم صبيا فلم يمنعه صغر سنه أن آتاه الله الحكمة وأهله
لحملها والقيام بها والاستقلال بالكتاب ثم جعل استقلاله إياه بقوة وقد قال
ابن عباس رضي الله عنه ما بعث الله نبيا إلا شابا ولا أوتي العلم عالم إلا وهو
شاب ثم تلا هذه الآية قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم قلت
وقد استخلف النبي صلى الله عليه وسلم على مكة عتاب بن أسيد وسنه
يومئذ ثماني عشرة سنة وأمر أسامة وكان حدث السن وقدمه على شيوخ
المهاجرين والأنصار في البعث التي بعثه فيه وقيل كان سنه حينئذ ثماني
عشرة سنة **قال الصولي** وكان نصر الحاجب المعروف بالقوشوري

يقول كثيرا ويسر ذلك الذي والى من يخصه لو لم يتعرض على أمير المومنين المقتدر في الرأي
ويحيى في عروجه إرادته لكان الناس معه في عيش رغد وحالة حسنة ما تقول
في خليفة يصلي أكثر ليله ويصوم تطوعا كثيرا ولكن لا رأي تكثر عليه فيمضي في جمل
عن طبعه لا حدث ولم يجالس الرجال ولا جرب الأمور ولا ساس صغيرها فيقيس عليه
كبيرها ولا قرأ السير ولا عني بالأخبار فهو أحسن نية وأزكى من طوية **قال الصولي**
وكان أول حوادث أيامه قتل العباس الوزير وسعي الجماعة في خلعه وتولية
عبد الله بن المعتز فسلم الله المقتدر بمعروفه وجميل نيته وسابق قدر الله فيه وفي مدته
وكان العباس الوزير قد ركب الى الحيرة لا يعلم صاحبه بما عزم عليه القوم
وبلغ الخبر الى العباس فلم يحفل فسل الحسين بن حمدان سيفه فضرب به على رأسه
فسقط على يديه وضربه أخرى وأخرى فسقط ميتا وضرب ابنه أحمد
ضربة في وجهه وجاء فاتك المعتضدي كالمنكر لما فعلوا فضربه ضربة حلت
كتفه فسقط ميتا وقيل إن العباس يشرب عند الحسين فسكر فأخذ
خاتمه من إصبعه وهو لا يعلم ووجه إلى جاريتيه يستدعيهما لتغنيا له
وقيل غير ذلك ونهبت دور العباس وما يليهما من دور الناس وكان سبب قتله حسد
الناس له لغلبته على أمر الخلافة وفعله فيها ما يريد ولا معارض له في رأي ولا
مشارك له في تدبير ولا يهاب الخليفة ولا يفزع منه وقل ما احتمل الناس هذا لأحد
لا سيما إذا علموا أن الذي يفعل على غير رضى الخليفة فإنه لا بد أن يبتدر قوم
لإزالته وكان العباس قد رد أمر الدواوين إلى الكفاة من الكتاب فجعل ديوان
السواد وبعض الأزمة إلى علي بن محمد بن الفرات وديوان المغرب وبعض الأزمة
إلى علي بن عيسى بن الجراح وجعل ديوان الجيش وتدبيره إلى داود بن الجراح وكان
لهم في أيام المكتفي منصفا في إذنه مقبلا عليهم في لقائه فلما استمر له
في أيام المقتدر وملك الخلافة تجبر على القواد والخاصة وتكبر ومشوا بين يديه فلم
يأمرهم بالركوب وامتنع من مخاطبة صغار الناس وأن يقف في بعض الأوقات كما
كان يفعل قبل فلما انتقل عن عادته معهم تغيرت عليه نفوسهم وخبثت نياتهم
وفسدت له نياتهم وكتب إليه كتاب الدواوين يستعطفونه ويسألونه إجراءهم

على

على عادته في سعة إذنه وطلاقة وجهه فأغلظ لهم في الجواب فلما اشتدت
جبريته وتغيرت أخلاقه قال فيه بعض الشعراء

يا أبا أحمد لا … تغتر بأيام مكن لكنا
واحذر الدهر فكم … أهلك أملاكا وأفنى
كم رأينا من وزير … طار في الأجواء رهنا
أينما كنت تراهم … درجوا قرنا فقرنا
فتجنب مركب الكبر … وقل للناس حسنى
ربما أمسى بحزن … من في الصباح تهنا
وقبيح بمطاع … الأمر لا يتأنى
أن ترى الناس وبا … مك بينهم تتمنى

قال الصولي وما علمت العباس إلا جميل الرأي حسن الخلق كثير
الصدقة والمعروف ولما قتل العباس بن الحسين الوزير وطلب الظهر من يوم
السبت وذلك لعشر بقين من شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتين وجه
محمد بن داود بن الجراح إلى عبد الله بن المعتز فأخرجه من دار إبراهيم المازني
على دجلة ووجه إلى القواد فأخذ عليهم البيعة فجاءه ابن عمرويه صاحب
صاحب الشرطة وعلي غلام المكتفي ووصيف ونزار بن محمد والحسين بن
حمدان وإبراهيم بن كيغلغ والقاسم بن سيما وغيرهم وساروا بعبد الله بن
المعتز إلى الدار التي للمكتفي على دجلة ووجه إلى محمد بن يوسف القاضي وجميع
العدول يشهدون كما عزموا على خلع المقتدر لنفسه والبيعة لغيره فحضرت
صلاة المغرب فضرب بالطبل بباب من القصر الحسني دار المقتدر وضرب بعد بباب
أخرى من الدار التي فيها عبد الله بن المعتز وكذلك في صلاة العتمة وصلاة
الغداة في يوم الأحد وشغل محمد بن داود بن الجراح عن أحكام التدبير بالكتب
إلى النواحي بخلافة ابن المعتز واستوزره إياه ولقب ابن المعتز المنتصف بالله وجعل
الناس يبايعونه وأحضر عبد الله بن أبي الشوارب قاضي المدينة فطلب بالبيعة
فلجلج قليلا وقال ما فعل جعفر المقتدر فدفع في صدره فنفعه ذلك عند المقتدر

ووَلِيَ القضاء ببغداد وعزل محمد بن يوسف عن القضاء ولم يشك الناس أن الأمر تام
لابن المعتز لاجتماع أهل الدولة عليه وكان أجل من تخلف عنه سوسن الحاجب
لأنه كان في دار المقتدر وقد كان كاتبه فبايعه على أن يكون حاجبه فبلغه في ليلة
الخبر أن يمنا غلام يجيء ويذهب فرام بن المعتز ثا الحاجب وكان عن اليمين وكان سوسن
قد واطأ بن المعتز على أن يوجه إليه بالمقتدر ويطفي الحرب فلما بلغه أمر يمن
رجع عن عزمه وشد لهم وأحكمه وفرق نفسه صافي ومونس الخازن وأحضر
الغلمان الذين في الدار ووعدهم الزيادات وأقام ابن المعتز في يوم الأحد والناس كلهم
عنده ومعه وكان قرأ على الدار من جهة الماء يمنا ومن جهة الحلبة الحسين بن حمدان
وأمر أن يجلس الجند في الحراقات والطيارات إذا جاءت وأن يصاحوا بها إليه فلم يقبل منه
ووجه محمد بن داود بن الجراح إلى صاحب الكسوة أن وجه التي يخلع يلبسها أمير
المؤمنين المنتصف بالله وبالبردة فرد عليه أن المقتدر قد لبسهما وصلى ابن المعتز بالناس
الغداة من يوم الأحد ثم التفت إلى القاضي والعدول والقواد من الحوان ينتضح والبلاكل
أن ينتضح فما جلوسنا نركب إلى الدار فقال له محمد بن داود ننتظر قليلا إلى أن ينفض
الخبر من علامة نعرضت فيه فقال الذي هو أول هم معنا أو علينا فقال ليسوا معنا
فقال ابن المعتز ليس يوجب بواحد من ظلوم أن أهل بغداد كانوا مع المستعين
على أبيه المعتز وهم الآن مع المقتدر عليه وجعل جماعة ممن حضر يكتب
لفظ ابن المعتز كلما تكلم بشيء بادروا بكتبه فجز ابن المعتز في الركوب إلى
الحسني فقدم محمد بن داود بين يديه وابن عمرويه صاحب الشرطة ومعه
جماعة من الجند فخرجوا إلى الشارع فلقيهم جماعة من الغلمان والحشم فرموهم
ومنعوهم النفوذ ولحقت العامة بالرجم فلم يجدوا مخلصا ولا مسلكا ووجه
المقتدر بشذوات وطيارات فيها غلمان ومعهم عجيب خاله فصعد فلما
قاربت الدار التي فيها ابن المعتز فجوا وكبر العامة حول دار ابن المعتز فجعل الناس
يتسللون لواذا فهرب ابن المعتز ومحمد بن داود بن الجراح وسائر القواد المبايعين
له واشتغل أصحاب المقتدر بمحاربة ابن حمدان من ناحية الحلبة عن طلبهم فما زال
الحسين يحاربهم إلى العصر ثم أصابه سهم نزف منه وبلغه هرب أصحابه فرجع إلى داره

فاخذ

152

فأخذ كل الذي أراده وقبض على يوسف بن مرداس ومعه جماعة من القواد وجعل يتلهف
على ابن المعتز أن لا يظفر به ويتوقف تأملا لذلك وكان ابن المعتز حين هرب تلثم مع فرد
خادم لابن الجصاص الجوهري وكان ابن الجصاص ممن بايعه وحضر داره فأومى
إليه فمضى معه إلى دار ابن الجصاص فعلم بخبره بعض غلمان ابن الجصاص
فسعى بابن المعتز وقيل ابن الجصاص أمره بذلك ثم أخذ ابن المعتز وحمل في كبار
إلى باب الخاصة **قال الصولي** فوقفت حتى رأيته من حيث لم يرني
وقد أخرج من الطيار حافيا عليه غلالة نصف فوقها مبطنة ملح خراسانيا إلى
الصفرة قليلا وعلى رأسه مجلسيا فلما صار إلى سوسن وهو واقف عند باب الخاصة
لطمه فانكب على وجهه فجعل جماعة يقولون ما هذا الذي فعل به المراد منه
أعظم من ذلك ولكنه عم الخليفة وابن عم أبيه يجب أن يستخف به أحد والله لو
كان المعتضد حيا وبلغه هذا الفعل من سوسن فأدخل ابن المعتز الحبس فمات فيه
بعد أيام فوجه إلى داره بالسمرات فغسل وكفن وصلى عليه أبو الحسن العلوي في
المعروف بابن البطحي وكان صديقه وجاره وخلو من جيرانه وإخوانه ودفن
في داره فرثاه علي بن محمد بن بسام حيث قال

لله درك من ميت بمضيعة ناهيك في العلم والآداب والحسب
ما فيه لو ولا ليت فتنقصه وإنما أدركته حرفة الأدب

قال الصولي ودخل فارس غلام أحمد بن إسماعيل إلى بغداد
فاستوهب من المقتدر ذنب الجماعة ففعل وقال من الحق الواجب على أن استديم
نعم الله بالشكر له على ما أولانيه بالعفو عن هؤلاء القوم ولقد استقبلت من أمري
ما استدبرت ما قتلت أكثرهم ولقد غلبت على رأي فيهم وكنت أرى المنة عليهم
وإخراجهم إلى الثغور ليكونوا ردءا للمسلمين وكان الناس من أهل العلم والسماع
يتحدثون أن المقتدر بالله لا بد يخلع فظنوا أن هذا هو الخلع الذي كانوا يحدثونه
حتى كان في أول أيام نازوك والقاهر ما كان فعلمهم أن ذلك الذي كانوا يروونه
والسبب في هذا أن الناس يقولون أن كل سادس ممن يقوم بأمر الدين من أول الإسلام
لا بد أن يخلع فاستوى لهم ذلك فلم يقع فيه حزم ولا شر إلا في الستة التي يتلون

الاول فانهم تاولوا لها والاولا من كرها وبيان ذلك ان اول الاسلام انعقد الامر لسيد
ولد ادم المصطفى صلى الله عليه وسلم ثم قام بعده ابو بكر الصديق
رضي الله عنه ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم علي بن ابي طالب رضي
الله عنهم اجمعين فهؤلاء خمسة اولهم النبي صلى الله عليه وسلم ثم تابع
الناس السادس وهو الحسن بن علي رضي الله عنهم اجمعين فخلع نفسه وصالح
معاوية على ذلك ثم كان بعد هؤلاء معاوية بن ابي سفيان ثم يزيد بن معاوية ثم معاوية
بن يزيد بن معاوية ثم مروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان ثم عبد الله بن
الزبير فهؤلاء ستة اولهم معاوية واخرهم عبد الله الزبير فخلع ابن الزبير وقتل
رحمة الله عليه وهو الذي ذكر انه لم يستتر كاستتار ما قبله ولا ما بعده
وكان بعد هؤلاء الوليد بن عبد الملك ثم سليمان بن عبد الملك ثم
عمر بن عبد العزيز ثم يزيد بن عبد الملك ثم هشام بن عبد الملك ثم الوليد
بن يزيد وهو السادس من هؤلاء والثاني عشر من اول العدد خلع وقتل ولم يكن
بعده من ملوك بني امية من يتم عددهم ستة انما كان بعدهم ثلاثة ثم
زال الامر عنهم ثم ظهرت دولة بني العباس فكان اول من ملك منهم ابو
العباس السفاح ثم اخوه ابو جعفر المنصور ثم المهدي بن المنصور ثم الهادي
بن المهدي ثم هارون الرشيد بن المهدي ثم محمد الامين بن هارون وهو السادس
خلع وقتل ثم ولي بعده المامون بن هارون ثم المعتصم بن هارون ثم الواثق
بن المعتصم ثم المتوكل بن المعتصم ثم المنتصر بن المتوكل ثم المستعين
بن المعتصم وهو السادس خلع وقتل ثم ولي بعده المعتز ابن المتوكل ثم
المهتدي بن الواثق ثم المعتمد بن المتوكل ثم المعتضد بن الموفق ثم المكتفي بن
المعتضد ثم المقتدر بن المعتضد وهو السادس والثاني عشر من ملوك بني العباس
خلع مرتين ثم رد وقتل بعد ذلك قلت وكان سادس من ولي بعد المقتدر
الطايع لله وهو المستنصر بالله خلع وقتل ولما مات العباس الوزير امر المقتدر باحضار
علي بن محمد بن الوزارة فخلع عليه لثمان بقين من شهر ربيع الاول سنة ست
وتسعين ومايتين وخلع ايضا على مونس الخادم وولاه شرطة بغداد مع

الجانبين

الجانبين وما يتصل بها من السواد وجعل الوزير بن الفرات يركب في الوزارة كما كان
يركب وهو صاحب ديوان السواد ونهى ان يترجل له احد ولم يخرج الى ديوان من يومه
وديوانه كما يخرج قبل الوزارة ولما خلع عليه ركب الناس معه الى داره بسوق
العطش وتكلم في العطاء وجماعته فاذن له المقتدر في ذلك فتم في سبيل الطاهر
بن علي ونزار بن محمد والمادرائي وابن الجصاص ووضع العطاء للغلمان والاولياء
الذين كانوا مع المقتدر وصلة ثمانية للفرسان ثلاثة اشهر وللرجال ستة اشهر وتقدم
لمونس الخازن بالنداء على محمد بن داود بن الجراح ويحيى ومحمد بن الوفا حتى
وغيرهم ممن سلك سبيلهم وان يبذل لمن جاء بابن الجراح عشرة الاف
درهم فنودي عليهم وظهر لقوم منهم فقتل بعضهم وعفي عن بعضهم
فاما الذين قتلوا منهم محمد بن الجراح ومحمد بن عبدون وابو المثنى القاضي
ووصيف وحطارمش ويمن غلام المكتفي وخلع على ابن ابي الشوارب لقضاء
جانب بغداد وعظم امر سوسن الحاجب غلام المكتفي وتجبر واتى من الجهل
بما لم يات به احد من قبله واتهمه المقتدر فوجه اليه خذ من الرجال ما شئت ومن
السلاح ما شئت وخذ من الاعمال ما شئت وخل عن الدار حتى توليها من تريد
فابى وقال ان اخرجته بالسيف لا اسلمها الا بالسيف فاحتكم عليه ابن الفرات مع
المقتدر وكان يدخل معه الميدان ومعه جماعة من الغلمان والاصحاب ليستجمع بهم
فدخله يوما وتعالل طايح الجرمي وجلس في زقاق في طرف الميدان فنزل سوسن
ليعوده فوثب اليه جماعة من الغلمان والخدم فاخذوا سيفه وادخلوه بيتا فلما
سمع ذلك من كان معه تهافتوا وقبض على كاتبه انوش النصراني اخذ وحبس معه
فمات في الحبس بعد ايام وقلد الحجابة ابو القاسم نصر القشوري وضم اليه من كان مع
سوسن وكان نصر من اهل العقل والفضل وولد المستكفي في سنة سبع وتسعين
ومايتين ابو العباس محمد الراضي بالله ليلة الاربعاء لخمس خلون من شهر ربيع الاخر
قال الصولي وعملت قصيدة وبعثتها الى غريب خال المقتدر فاوصلها اليه اولها

بالسعد والاقبال والحمد ... والطاير الميمون والسعد
هنالك يا خير الورى قادها ... فاقبل الى البيعة والعهد

مبارك الطلعة ميمونها ∴ مؤمل للحل والعقد
لو خير المنبر عن نفسه ∴ شكا إليه شدة الوجد
وأسعى الناس إلى غاية ∴ تبادر الخاتم والبرد
زارك عن شوق إلى قربه ∴ زورة معشوق إلى وعد
تنكر بالسودد أعطافه ∴ كنكر عيسى وهو في المهد
بين الرشيد المرتضى هديه ∴ والسيد المنصور والمهدي
شد به الله ذوي نصحكم ∴ وزادكم رشدا إلى رشد
متعنا الله بأيامه ∴ حتى نرى منه أبا جد

وفي جمادى سنة تسع وتسعين ومائتين وصل من مصر مال مبلغه خمسمائة ألف دينار وهدايا فيها عجائب زعموا أنه كان فيها تيس له ضرع يحلب منه لبنا وفي يوم الثلاثاء لثلاث خلون من ذي الحجة من هذا العام قبض على أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات الوزير وعلى كاتبه وأصحابه في النواحي ونهبت دورهم واجتمع من ذخائرهم وأموالهم وودائعهم ومصادرهم سبعة آلاف دينار وكانت وزارته ثلاث سنين وثمانية أشهر واثني عشر يوما ولا يعرف وزير جلس في الوزارة وملكه من العين والورق والضياع والأثاث ما يحصى عشرة آلاف ألف غير ابن الفرات وكانت له أيام جليلة ومناقب جمة جميلة وفضائل كثيرة وعطايا غزيرة ولم ير وزير أودع من الأموال وجوه الناس جميعا سواه فإنه لم يكن ببغداد قاض ولا عدل ولا تاجر مستور حالا ولابن الفرات عنده وديعة وأكثر الودائع كانت له قبل الوزارة وبلغت غلاته ألف ألف دينار وأحضر أبو علي محمد بن عبيد الله بن خاقان دار المقتدر يوم الأربعاء لأربع خلون من ذي الحجة فقلد الوزارة وانصرف إلى منزله في طيارة وركب في اليوم الثاني فخلع عليه وحمل وقلد سيفا وأمر بطلب من نهب دور بني الفرات وأسبابه من العامة فأخذ منهم جماعة فطيف بهم بالسياط ثم لما دخلت سنة ثلاثمائة وافى علي بن عيسى بن داود بن الجراح من مكة غداة يوم الاثنين لثلاث خلون من المحرم فمضى به من فوره إلى دار المقتدر فقلده الوزارة وقبض على محمد بن عبيد الله بن خاقان وابنيه وكانوا

قد ركبوا

قد ركبوا إلى الدار وقدروا أن يخلع عليهم وأن يسلم علي بن عيسى إليهم فسلموا إليه فكان الأمر بضد ما قدروه وبخلاف ما ظنوه وخلع على علي بن عيسى وقلد سيفا وورد كتاب من صاحب البريد بالدينور يذكر أن بغلة ولدت فلوة ونسخة الكتاب الحمد لله الموقظ بعجائبه قلوب الغافلين والمرشد بآياته نفوس العارفين الخالق لما يشاء بلا مثال ذلك الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى ومما قضاه الله المصور في الأرحام ما يشاء أن المتوكل بخبر المتطوف ربع برزكي أن بغلة لرجل ولدت فلوة ويصف اجتماع الناس لذلك وتعجبهم مما عاينوا منه فوجهت بمن أحضر البغلة فوجدتها كميتا خلوقية ورأيت الفلوة سوية الخلق تامة الأعضاء منسدلة الذنب يشبه لغيات الدواب فسبحان الله القدوس لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ثم حبس محمد بن عبيد الله وابناه وناظره علي بن عيسى فقال له أخربت المملكة وضيعت الأموال وزدت على السلطان أكثر من ألف ألف دينار في السنة ووليت بالعناية أهل الخيانة وضامنت على الولايات فكنت تأخذ مال الرجل فتوليه بالغداة وتعزله بالعشي وتولي غيره وتأخذ رشوة أخرى فقال ما كنت أفعل إلا ما أراه صوابا وكان محمد بن عبيد الله داهية من الدواهي وكان ابنه عبيد الله كاتبا بليغا حسن الكلام مليح الخط أديبا جوادا ووصل عبيد الله ابن حمدون جليسه مدة ولايته من ماله بسبعين ألف دينار وأطلق محمد من السجن في جمادى الآخرة مع ابنه عبيد الله وأمرهما بلزوم منزلهما وفي سنة أربع وثلاثمائة قبض على الوزير علي بن عيسى ونهبت منازل إخوته وأسبابه وخدمه وجلس في دار أمير المؤمنين وتقلد الوزارة علي بن محمد بن موسى بن الفرات وخلع عليه سبع خلع وحمل على دابة وسرج من ذهب ولجام من ذهب ورد عليه أكثر ضياعه ولما ولي زاد ثمن الشمع في ذلك اليوم في كل من قيراط ذهب وزاد في ثمن القراطيس لكثرة استعماله لذلك وعد الناس ذلك من فضائله ثم قبض عليه يوم الخميس بعد العصر لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثمائة وعلى من وجد من أسبابه وكانت وزارته في يوم النيروز سنة أربع وثلاثمائة إلى أن قبض عليه بعد سنة وخمسة أشهر وتسعة عشر يوما

وقربه من المجلس ثم أخرج وجيء به إلى دار السلطان وأدخل على حامد بن العباس
بغداد لليلتين خلتا من جمادى الأولى ووصل يوم الثلاثاء إلى المقتدر فخلع عليه وقلده
الوزارة ثم رأى السلطان ضعف حامد وكبره فعلم أنه لا بد له من معين فأخرج علي
بن عيسى من محبسه وأنفذه إلى حامد ومعه كتاب من الخليفة إليه يعلمه أنه لم يأت به
عن جناية ولا شيء ينكره ولكنه والاه استعفاء فأعفي وقد أنفذته إليك لتوليه
الدواوين وتستخلفه وتستعين به فإن ذلك أجمع لأمرك وأعون على جميع نيتك
قال فسلم الكتاب إلى الوزير شفيع المقتدري فتطاول لعلي حين دخل إليه وأجلسه
إلى جانبه فأبى علي وجلس منزولا قليلا وقرأ الرقعة وأجاب عنها بالشكر
والقبول ثم دارت بينهما ملاطفات خرجا معها إلى التهاتر **قال أبو بكر**
الصولي لما دخلت سنة تسع وثلاثمائة وجه علي بن أحمد الراسبي الحسين
بن منصور المعروف بالحلاج فأدخله بغداد هو وغلام له على جملين
وذلك في شهر ربيع الآخر وكتب إلى السلطان أن البينة قد قامت عنده بأن الحلاج
يدعي الربوبية ويقول بالحلول فأحضره علي بن عيسى الوزير وأحضر
الفقهاء وناظره فأسقط من لفظه ولم يحسن من القرآن ولا من الفقه ولا من
حديث الرسول عليه السلام ولا من أخبار الناس ولا من الشعر واللغة شيئا فقال له
علي بن عيسى تعلمك لطهورك وفرضك أجدى عليك من رسائل لا تدري ما تقول فيها
كم تكتب ويلك إلى الناس تبارك ذو النور الشعشعاني الذي يلمع بعد شعشعته
ما أحوجك إلى أدب وأمر به فصلب في الجانب الشرقي ثم بالجانب الغربي ثم
حمل إلى دار الخليفة فحبس فجعل يتقرب بالسنة إليهم فظنوا أن ما يقول حق وقد
كان يقول في أول أمره ويدعو إلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم
فسعي عليه فضرب بالسوط بناحية الجبل وكان يري الجاهل شيئا من شعوذته
ثم يتحول إذا وثق به ويقول إنه الإله يفعل ما يريد فدعا فيمن دعا أبا سهل
النوبختي فقال لرسوله أنا رأس مذهب وخلفي ألوف من الناس فيتبعونه باتباعي
إياك فينبت لي في مقدم رأسي شعر فإن الشعر قد ذهب منه ما أريد غير هذا
واتبعه وحرك يوما يده فنثر على قوم مسكا وحركها أيضا فنثر دراهم

واقعة الحلاج

فقال له

155

فقال له بعض من يفهم أرى دراهم معروفة ولكني أومن بك وخلق معي إن أعطيتني
درهما عليه اسمك واسم أبيك فقال وكيف وهذا لم يصنع فقال من أحضر ما ليس
بحاضر صنع له ما لم يصنع وقد كان ابن الفرات حبسه في وزارته فأفلت وغلام
له يعرف بالكوثرانية وعني بطلبه موسى بن خلف فألفي هو وغلامه ووجدت
له كتبا فيها حماقات وكلام مقلوب فدفع عنه نصر الحاجب لأنه قيل له
أنه رجل من أهل السنة وأن الكتاب رفضة يريدون قتله فقيل له فالوزير بن حامد
بن العباس البلخي سنين قال نعم قيل يسلمه إليه قال افعلوا فأسلمه إليه فجفا فيه
غير مرة وقد أحضره وأمر بصفعه ونتف لحيته وأحضر له صاحب يعرف
بالسمري فقيل له أما زعمت أنه ينزل عليكم من السماء أغفل ما تكونون قال بلى
قال فلم لا يذهب من حبسي فإني قد حبسته في دار وحده غير مقيد ثم أحضر
القاضي محمد بن يوسف والفقهاء فخطت عليه شهادات بما سمع منه وجبت
قتله فأفتوا بذلك وكان من أعظم آفاته قوم كانوا معه قد وقفوا على أمره
كله فجاء القول إذا وقفوا على ضعف عقله وكذبه وكانت في كتبه أني مغرق
قوم نوح ومهلك عاد وثمود وكان يقول لأصحابه أنت نوح وأنت موسى
وأنت محمد قد أعدت أرواحكم في أجسادكم ووقع الوزير المقتدر بأمره
فأمر صاحب شرطته محمد بن عبد الصمد أن يخرجه إلى رحبة الجسر ويضرب
ألف سوط ويقطع يديه ورجليه فأخرجه وفعل به ذلك ثم أحرقه بعد ذلك
بالنار وذلك في آخر سنة تسعة وثلاثمائة **قال أبو بكر الصولي**
رأيت الحلاج مرات كثيرة وخاطبته فرأيت رجلا جاهلا يتعاقل وعييا يتبالغ
وفاجرا يتزهد وظاهره أنه ناسك صوفي فإذا علم أن أهل بلدة يرون
الاعتزال صار عندهم معتزليا وإذا رأى قوما يميلون إلى الإمامة صار إماميا وأراهم
أن عنده علما من إمامهم القائم الذي ينتظرونه وإذا رأى قوما من أهل السنة صار
سنيا وكان مع ذلك خفيف الحركة مشعوذا قد عالج الطب وجرب الكيمياء
وما يفي به الناس وكان عنده مع جهله خبث وكان يتنقل في البلدان
وروي عن أبي عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي قال خرجت من شيراز

فاصل زيارة ابي المغيث الحسين بن المنصور الحلاج كي اسمع من مستحسناته وغرايب
كلماته فدخلت بغداد فسمعت انه سجن فاتيت حاجب المقتدر وسالته الدخول
عليه فاخذ بيدي وجاء بي الى السجان وقال له اذا وقت جاءك هذا الشيخ يقصد
الدخول على الحلاج فلا تمنعه فدخلت عليه وسلمت عليه برفيع صوتي
فرفع الي راسه وقال وعليك السلام يا ابن خفيف فورد علي من ذلك سرورا
عظيما وقلت كيف عرفتني ولم تكن لك بي معرفة تقدمت قبل ذلك فقال لي
ما تقول العامة فيّ فقلت يا سيدي بعضهم يقول كافر وبعضهم يقول
ساحر وبعضهم يقول مجنون كل قايل على قدر عقله قال يا ابن خفيف هذا
كلام العامة فما سمعت عن الخليفة المقتدر قلت يقول نقتله فتبسم وقال حسب
الواحد افراد الواحد ثم انشا يقول

احرف اربع بها هام قلبي ∴ وتلاشت به همومي وفكري
الف قد تالف الخلق بالصنع ∴ ثم لام على الملامة تجري
ثم لام زيادة في المعاني ∴ ثم هاء بها اهيم اتدري

قال فكتبتها عنه وحفظتها منه فلما كان في اليوم الثاني عدت اليه فقال

انا هجرت فمن لي ∴ ومن ذا يحمل كلي
لقد سالتك بعضي ∴ فقد ذهبت بكلي
يا كل كلي كن لي ∴ ان لم تكن فمن لي

قال فكتبتها عنه وحفظتها منه فلما كان في اليوم الثالث عدت اليه فقال

حبيب يزورني في الخلوات ∴ حاضر غايب عن اللحظات
ما تراني اصغي اليه بسمعي ∴ كي اعي ما يقول من كلمات
كلمات من غير شكل ولا نطق ∴ ولا نغمة مثل نغمة الاصوات
فكاني مخاطب كنت اياه ∴ على خاطري بذاتي لذاتي
حاضر غايب قريب بعيد ∴ جل لم تحوه رسوم الصفات
هو ادنى من الضمير الى الوهم ∴ واخفى من لايح اللحظات

قال فكتبتها عنه وحفظتها منه فلما كان في اليوم الرابع عدت اليه فقال

لبيك

لبيك لبيك يا سري ونجوائي ∴ لبيك لبيك يا قصدي ومعنائي
ادعوك بل انت تدعوني اليك فهل ∴ ناجيت اياك ام ناجيت ايائي
يا عين عين عياني يا مدا املي ∴ يا منطقي وعباراتي واهوائي
يا كل كلي وكل الكل ملتمس ∴ وكل ذلك ملبوس بمعنائي
يا كل كلي ويا سمعي ويا بصري ∴ يا جملتي وتباعيضي واجزائي
يا من به كلفت روحي وقد تلفت ∴ وجدا فصرت رهينا تحت ايمائي
ابكي على شجني من فرقتي سكني ∴ طوعا ويسعدني بالنوح اعدائي
ادنو فيبعدني خوفي ويقلقني ∴ شوق تمكن من مكنون احشائي
فكيف اصنع في حب كلفت به ∴ يا حب قد مل من سقمي اطبائي
قالوا تداووا به منه فقلت لهم ∴ يا قوم كيف يداوى الداء بالداء
حبي لمولاي اضناني وارقني ∴ فكيف اشكو الى مولاي مولاي
اني لارمقه والقلب يرمقه ∴ وما يترجم عنه غير ايمائي
كانني غرق تبدو انامله ∴ تغوثا وهو في بحر من الماء
يا ويح نفسي من نفسي ويا اسفي ∴ مني علي فاني اصل بلوائي
هو العليم بما لاقيت من دنف ∴ وفي مشيئته موتي واحيائي
يا غاية السول والمامول يا املي ∴ يا عيش روحي ويا ديني ودنيائي
قلبي فديتك يا سمعي ويا بصري ∴ كم ذا اللجاجة في بعدي واقصائي
ان كان بالغيب عن عيني محتجبا ∴ فالقلب يرعاك من بعد وترائي

قال فكتبتها عنه وحفظتها منه فلما كان في اليوم الخامس عدت اليه فوجدته
مغيبا فجلست الى جانبه فلما استفاق قال هذه الابيات

الف الف اذا تلا ∴ لزاني في بروز الزمان
وله ذات تمام ∴ ثم من كل المعاني
وله عين عيان ∴ كنه اصوات حسان
لك قرب في بعاد ∴ وبعاد في تداني
ان يكن غير التعظيم ∴ عن عين العيان

فلقد ابنتك الوجد ، من السر المعلى ،
فتحققتك في سري ، ويا بك لساني ،
قيل من تعني بهذا ، قلت اعني من عناني ،

ثم قال لي يا ابن خفيف اذا كان من اليوم الى خمسة عشر يوما يكون من امري كيت وكيت ثم قام وتوضأ للصلاة وكان في السجن حبل ممدود فيه خرقة فرأيت الخرقة في يده وهو ينشف بها وجهه وكان المتوضأ من المكان الذي كانت فيه نحو من ان يعبر دراعا فلا ادري اكانت الخرقة اليه ام مد يده فاخذها فبقيت متعجبا من ذلك وبهت شاخصا ففهم عني واشار بيده الى الحائط فاذا به قد انفتح ورأيت دجلة والفرات والسماريات والناس قيام على الشاطئين فاخذني ذلك ثم اشتغل عني فخرجت من عنده وكنت عزمت على الخروج الى بلدي فصبرت حتى ارى ما يكون من امره فلما كان بعد خمسة عشر يوما دعى به المقتدر فقطع يديه ورجليه على طرف الجسر فمشى الى الخشبة التي صلب عليها تسعة عشر خطوة على كعب رجليه الى ان صلب عليها فجاء حامد بن العباس البلخي عند خشبته فقال له الحمد لله الذي امكن منك يا عدو الله فكيف رأيتك تقبل الناس يديك ورجليك وقولهم لك يا سيدي ومولاي وانت راض بذلك فالتفت اليه الحسين ابن منصور الحلاج وقال له اسمع يا لكع ان كنت تحسن تسمع ثم انشأ يقول

، تأمل الوجد وجل ، والعقل في الوجد وجل ،
، والبعد لي منك قبل ، والقبل لي منك بعد ،
، فكيف يثبت شأني ، وانت للعهد فرد ،
، تجوز قلبي المعاني ، وليس من ذاك بد ،
، والشيء اثبات غيري ، والشيء لا شك جحد ،
، لا موضعي في مكاني ، ولا الذي رسل ،
، فجاء من ذا كاني ، بوصف غيري اعد ،
، اعد في الناس مولى ، لانني فيه عبد ،

قال ابن خفيف فقمت عليه في الليلة الثانية من التي صلب فيها فما رأيته على

خشبة

خشبة فرجعت وانا متفكر في امره فاذا به ينادي ان اقبل التي فاقبلت اليه فاذا به على خشبته التي صلب عليها فقال لي اذ كنت يا ابن خفيف تجعل بنا ما ترى فلما اصبحنا جاء حامد بن العباس الوزير ومعه موكب وصاحب الشرطة محمد بن عبد الصمد فتقدم حامد الى الخشبة فاخرج من كمه درجا فناوله لمحمد بن عبد الصمد فنشره فاذا فيه شهادة اربعة وثمانين رجلا من الفقهاء والقراء ان قتله في قتله صلاح المسلمين ودمه في رقابنا فانزل من خشبته وتقدم السياف ليضرب عنقه فقال الوزير للشهود امير المومنين بري من دمه وصاحب الشرطة محمد بن عبد الصمد وانا بريئان من دمه فقالوا نعم فتقدم اليه السياف فتبسم الحلاج وانشا يقول

، نديمي غير منسوب ، الى شيء من الحيف ،
، سقاني مثل ما يشرب ، كفعل الضيف بالضيف ،
، فلما دارت الخمر ، دعى بالنطع والسيف ،
، كذا من يشرب الراح ، ويمزجها من الصيف ،

يعني ان العجم كانت تمزج الخمر في زمن الصيف الثلث خمر والثلثان ماء ثم ضربت عنقه فبقي جسده ساعتين من النهار قائما وراسه بين رجليه يتكلم بكلام لا يفهم الا ان اخر كلامه احد احد فتفقدت اليه فاذا الدم الذي كان يجري مكتوب على الارض الله الله احد احد في نيف وثلاثين موضعا ثم حرق بالنار **قال** ابن خفيف فرجعت الى شيراز وبقيت مفكرا في امره مدة ان بعد يوما فنمت في بعض الليالي فرأيت كان القيامة قد قامت والناس في الحساب وانا اقول سيدي الحسين بن منصور ولي من اوليائك سلطت عليه خلقك فنودي من الحق علمته اسما من اسمائي يدعو به الخواص فباح به بين خلقي فسلطت خلقي عليه وللحلاج اخبار مشهورة اعرضنا عنها خشية التطويل وله اشعار مذكورة يطول تتبعها والناس فيه مختلفون المذاهب والاقوال سالكون في امره سبيل النظر والجدال والله تعالى اعلم بحقيقة مذهبه وكيفية مذهبه **وفي سنة** احدى عشر وثلاث مائة سنة قبض على محمد ابن العباس وقلد الوزارة علي بن محمد بن الفرات وهي المرة الثالثة ثم قبض عليه واستوزر بعده وزراء ولم يسمح

بالخليفة استوزر من الوزراء ما استوزر المقتدر وكلهم لم يسلم من نكبة اما في نفسه
او في ماله فمنهم ابو احمد العباس ابن الحسين وابو الحسن علي بن محمد بن الفرات
وابو علي محمد بن عبيد الله الخاقاني وابنه عبد الله وابو الحسن علي بن عيسى
بن الجراح وابو حامد بن العباس بن الفضل البلخي وابو العباس احمد بن محمد بن الخصيب
وابو علي محمد بن علي بن مقلة وابو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد وابو
القاسم عبيد الله بن محمد الكلوذاني وابو علي الحسين بن القاسم بن عبيد
الله بن وهب وابو الفتح الفضل بن جعفر وفي سنة اربعة عشر وثلاثمائة عزل
المقتدر احمد بن اسحاق بن البهلول القاضي وكان على قضاء مدينة المنصور احمد
بن سهل الاشناني ثم ندم على ذلك فانفذ قهرمانه مفلحة وام موسى
وكتب معهما يامره بالرجوع الى القضاء فقال قد كبرت سني وفي رقبتي علم احب
اخرجه الى الناس والقاه اليهم وانا اسال امير المومنين اعفائي منه ثم اخرج رقعة
من تحت وسادته فقراها عليهم وانفذها مع الذي كتبه من المسالة له في ا
عفاء عن القضاء وفيها

تركت القضاء لاهل القضاء	واقبلت اسمو الى الاخرة
فان يك فخرا جليل الثناء	فقد نلت منه يدا فاخرة
وان يك وزرا فابعد به	فلا خير في نعمة وازرة

فلما دخلت سنة سبعة عشر وثلاثمائة وافى في اول يوم منها من الرقة
مونس المظفر الى بغداد بعد ان لقيه عبد الله ابن حمدان بنصيبين مرارا فاخبره ان
ابن غريب الخال يرصد للامارة واحكم معه ما اراده هو ونازوك فدخل مونس
كارها ولم يمض الى دار السلطان فسار اليه ابو العباس ابن المقتدر والوزير ابن مقلة
فحياه ونشوا امير المومنين اليه فاعتذر عن تخلفه لعلة شكاها فارجف الناس
بتنكره ووثب الرجالة ببعض حاشيته فواثبهم اصحابه ووقع في قلب مونس
ان ذلك من الرجالة بامر من السلطان فجلس في طيارة وسار الى باب الشماسية وعسكر بها
ونزل حوله اصحابه وخرج اليه نازوك في جميع جيشه وقد كان عظم امرهم وكثر
فلما بلغ المقتدر ذلك صرف جميع من كان معه على بابه من الجيش وكاتب مونسا

فاجمل

فاجمل خطابه وقال فيه واما نازوك فلست سبب عتبه واستيحاشه وما له ولا لاحد
من الجماعة عندي الا ما يجب فيستحق كل واحد بما احب لنفسه بعد ان لا يخلع
الطاعة ولا ينقض البيعة فاني مستسلم لامر الله غير مسلم حقا خصني الله به
فاعل ما فعله عثمان بن عفان رضي الله عنه ولست انتصر الا بالله فلما قرئ
الكتاب في العسكر وثب وجوه الجيش وقالوا نمضي الى دار السلطان نسمع منه
ما يقول فبلغ ذلك المقتدر فاخرج من كان يحمل سلاحا وجلس على سريره وفي حجره
مصحف يقرا فيه وامر بفتح الابواب فاقامهم حول سريره فسار المظفر الى باب
الخاصة وعرف حقيقة ما كتب به الخليفة من حرب الناس عن حال جميلة وسار
اكثرهم الى منازلهم مسرورين بالسلامة ورجع المظفر الى داره فلما كان يوم
الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من المحرم عاود اصحاب نازوك وسائر الفرسان
الركوب بالسلاح وساروا الى دار المظفر فاخرجوه الى المصلى العتيق على كره منه
لذلك وقد غلب نازوك على التدبير وركب نازوك يوم الجمعة بعد الصلاة والناس
معه في السلاح فوجدوا الابواب مغلقة فاحرقوا بعضها ودخلوا وقد تكامل
من الجند اثنا عشر الفا فلما قربوا من المقتدر دخل هو وابنه داخل القصر ونزل ابن مقلة
الى دجلة فركب طيارة وسار الى منزله وبادر نازوك واصحابه فدخلوا الدار على
دوابهم ولم يكن مثل هذا قط الى ان صاروا في مجلس الخليفة كالسيل له فلما
راى المظفر ذلك سال بعض الخدم عن مكان الخليفة فاعلمه بمكانه فاحتال
حتى وجه به وبالسيدة والخالة وبعض ولده فاقامهم فيها وطلب علي بن
عيسى فاخرجوه من المكان الذي كان فيه معتقلا فمضى به الى منزله ونهب الجند الدار
وهتكوا حرمة الاسلام وعفوا رسم الخلافة وصار من اخذ الجوهر والطيب والالات والثياب
والفرش الى امر عظيم ووكل المظفر اصحابه بالقصر وابوابه واجمع راي نازوك
وعبد الله بن حمدان على اجلاس محمد بن المعتضد في الخلافة فاحضر ولي العهد ليلة
السبت وقام اليه المظفر بعد عوله بكرسي وخاطبه ثم انصرف مونس الى منزله
واقام نازوك معه لانه تولى الحجابة الى ما كان يليه من الشرطة وانصرف عبد الله
بن حمدان ووجه نازوك من انتهب دار هارون بن غريب ونهب الناس طول ليلة السبت

فكانت على المسلمين من اقسام الليالي واصبحوا على مثل ذلك الى ان ركب نازوك وضرب
اعناق قوم وجد عندهم شيئا من النهب وكف الامر قليلا ولقب محمد بن المعتضد القاهر
بالله وسلم عليه بالخلافة ووجه بالقاضي محمد بن يوسف وجماعة من العدول
ليحضروا المقتدر على الخلع فامتنع منه واخر نازوك اعطاء الجند والرجالة فبكى والي الدار
للمطالبة له بمالهم فدخل نازوك وخادمه عجيب معه الى البحر المعروف بالتسعيني
ودخل الرجالة الى الدهليز وهم يشتمون نازوك لتاخره عنهم الاعطاء والمزايدة
ثم دخلوا الى البحر فقتلوا عجيبا خرج نازوك لعداوتهم لنازوك وحرصهم له
من اول امارته وقد كان نازوك سد الطرق والممرات التي في الدار فلما قتلوا عجيب
خدمه هرب نازوك فوجد اسدي وجهه فلحقه رجلان فقتلاه وصلب بعض
جسده في الوقت على بعض ما يلي دجلة وصلب غلامه عجيب على داخل حياله
وصاحوا زيد الخليفة المقتدر بالله فوثب القاهر مع جماعة من خدمه فجلس
في طيار وسار الى منزله ونهبت دار نازوك في ذلك الوقت ودار ابن نفيس وقيل ان مونسا
لما راى غلبة نازوك على الامر وجه الى نقباء الرجالة فواطأهم على ما فعلوا
بنازوك وخدمه وكان عبد الله بن حمدان في ذلك الوقت الذي قتل فيه نازوك بين
يدي القاهر فلما هرب القاهر طلب ابن حمدان من بعض الخدم جبة صوف كانت
عليه وضمن له مالا يدفع له الجبة فلبسها وبادر الى بعض الابواب فاثبته قوم
من الغلمان والخدم فما زالوا يرمونه بالنشاب حتى قتلوه واخذوا راسه واخرج المظفر
المقتدر وطالبه بالمسير الى الدار فاستعجله فلم يدعه حتى ردوه في طيارة فلما صعد
القصر سال عن عبد الله بن حمدان فاخبر بقتله فساءه ذلك اذ كان يعتقد انه
لم يرد ما اراده ولا ما اراد نازوك ولا ظن ان الامر يبلغ الى ما بلغ فخاطب المقتدر الناس
بنفسه فقال للرجالة لكم علي ستة اشهر وزيادة دينار وقال للغلمان لكم علي
رزق اربعة اشهر وقال للسلاح الجند لكم علي رزق ثلاثة اشهر وزيادة خمسة دنانير
لكل فارس منكم وما عندي نعام تفي بهذا ولكني ابيع ثيابي ووضع شيء وما
اتركه شيابتة وابيع ضياعي وضياع من يجوز امري عليه فبايعه الناس
بيعة جديدة واجتهد في توفيتهم قال ابو بكر الصولي

ولاعي

ولا عرف خليفة ناله ما نال المقتدر لان محمد الامين لما ان المقتدر اعطي خطه فاما دخول
الخيل وركضها في دار الخليفة ومجالسه فشيء ما عمل مثله قط واقبلت من السجن
كان اعرف لص وخارب وقاتل واضح في البلد الوان وولى المقتدر بغداد ابراهيم
ومحمد ابنا رايق مولى المعتضد وخلع عليهما فقاما بالامر احسن مقام وقيام
وضبطا البلد اشد ضبط وفي سنة ثمان عشرة وثلاثمائة صرف
ابن مقلة عن الوزارة ووكل به في الدار واحضر محمد بن ياقوت صاحب الشرطة ابا القاسم
سليمان بن الحسن بن مخلد فوصل الى الخليفة فقلده الوزارة وخلع عليه فكانت
ايامه محمودة الى ان خلت سنة تسع عشرة فوكل به لخمس بقين من رجب وكتب
مونس المظفر الى المقتدر يصف كفاية ابي القاسم عبيد الله بن محمد الكلوذاني من ولد
اردشير من بابك وثقته واصابته واعتماد الوزراء عليه فوجه المقتدر اليه فخلع
عليه لاربع بقين من رجب ولقبه باجمل لقب وعرفه محبته وعبيد الله كان لذلك
كله فاجبر على الولاية فانصرف والخلع عليه فما رده وزير اقل اكتفاء بالوزارة منه
ولا اقل سرورا بها منه فان ذلك في طرفه ولفظه وكتب كتابا من نجله الى العمال جرى
مجرى التوقيع من غير نسخة له بان رتبة جعلى له الخليفة وهو كتابي اليك من حضرة سيدنا
امير المومنين اطال الله بقاءه وقد رجعني ايده الله الى العز جند العليل من خدمته ووسمني
بوزارته وردي الى النظر في اعماله وامواله وجعلني بينه وبين كفيه ورجاله وشم
اختصاصه ايام عندي تخلع ثم مضى بها فلبستها وانا بمنزلي بعدكم فاطال
الله بقاء امير المومنين وثبت وطأته ولا ازال عن ظله وانهضني بما حملنيه واعانني
على ما كلفنيه استقبل عبدك وابلغ من النصيحة والشكر كما انه سميع فعال لما
يشاء فرايك اعزك الله في السكون الى ما يحدث من المعاملة فانك تستحمده
وترتضيه وما ادع غاية في ...... ولا نهاية في مسرتك ولا حيلة في اختصاصك
ومنزلتك الا بلغتك ايامها وانهيت بك اليها ما اعتنى على ذلك باجمل الاثر
فيما تليه والمناصحة فيما تريده وتنحوه فيه وتكاتب مع الانباء باخبارك وما تجدد
عليه امورك مكاتبة واثق بما له عندي مطمئن بما حل في عقد مرقبل ان شاء الله
تعالى ثم جد في انفاذ الاعمال والمطالبة بالاموال باحسن معاملة واحزم سياسة وسل

أمير المؤمنين في إخراج سليمان بن الحسن إليه ليصادره ويرده إلى منزله فوجه به إليه
ولم يتول هو مناظرته لاستحيائه منه فصودر على مائة ألف دينار ونيف معجلة ومؤ
جلة ولا تعرض لمستتر ولا تتبع بمطالبة حرم ولم يزل محمد وحامد موصوفا بالحمل
عن نفسه في مروته وكرمه فتجرت أموره على أجمل الأمور إلى أن وافى جمع من أصحاب
عريب الخال من الجبل فطلبوا بأرزاقهم فأفحشوا في مطالبته ووقفوا عند بابه فلما خرج
من طيارته ثبوا به وبغلمانه وأفلت من أتلف فقد خلا داره وكان مؤنس المظفر
وحاشيته قد ضمنوا له أن لا يجري عليه شيء يكرهه فحلف بأيمان البيعة أن لا يعمل
عملا وجلس في منزله وكتب مستعفيا وحرفه إلى أن أعفي ووجه من يحفظ
منزله وأسبابه ووجه إلى الحسين بن القاسم بن عبيد الله فأحضر وقلد الوزارة آخر
شهر رمضان وخلع عليه وكان الساعي في ذلك شفيع المقتدري وجماعة من
الغلمان والخدم فانصرف إلى منزله ولقي الناس لقاء جميلا وبعد توقيع المقتدر برد
ما بقي من ضياع جده وأبيه عليه فاتسعت حيلته في جميع المال وأمر المقتدر
بتكنيته فكتب بذلك ثم أمر بتلقيبه فاختار عميد الدولة فكانت الكتب تخرج
عنه أنا تنها من عميد الدولة أبي علي بن ولي الدولة وكتب عميد الدولة على
الدراهم والطرز وباع بعض ضياعه مستظهرا بمالها على تمشية أمره
وبسط يده بالتوقيع والنقل والزيادات رجاء أن يمشي أمره ويستصلح من تعادى بدنه

قال أبو بكر الصولي ثم دخلت سنة عشرين وثلاثمائة فصرف
المقتدر الحسين بن القاسم عن وزارته لليلتين بقيتا من شهر ربيع الآخر وأحضر
أبو الفتح الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات فقلده وزارته وخلع عليه وذلك
بإشارة ابن الخال لأنه لما قدم من الجبل ملك أمر المقتدر كله وأمر الناس وركنوا إليه
ولاذوا به فأقر الناس على أعمالهم وانفتح باب المطالبة على الفضل بن جعفر الوزير
بالأرزاق والأنزال فعجز عن الاستقلال فقوى نفسه وضبط أموال بنو البريدي ولاهم
كور دجلة والبصرة وكور الأهواز فمشى أمر الفضل بن جعفر بهم وبكفايتهم
واتصل ودام شغب الجند بالحضرة وأحرقوا الطيارات والحراقات وزيادة مطالبة
الهاشميين المرتزقة وأخرجهم سوء الحال والضرورة إلى أن منعوا الأئمة يوم الجمعة

من الخطبة وتكلموا بالعظائم وكثر غوغاء العامة واتصلت الفتنة أياما وشغب الجند
وراموا الطيار بالفضل الوزير وقتلوا آله وتسلل الجند إلى مؤنس المظفر عندما وصل
من الرقة إلى الحضرة وكثرة الأراجيف فأمر المقتدر أن يضرب له مضرب بباب الشماسية
في مؤنس فلما عزم على الخروج إلى الشماسية لبس ثيابه وجلس على مسورة وقال
لأمه يا أمه استودعك الله هذا يوم مثل يوم الحسين رضي الله عنه
ثم يقول علي بن العباس الرومي حيث قال

كأن من حشاك بارد من كل موقع ... بين ما يحب من
وإذا حزت من الأمور مفرا ... وهي بيت منه

وركب في يوم الأربعاء لثلاث بقين من شوال في [illegible]
وعمامة سوداء والبردة على كتفيه وأعلام الملك والقضيب وحوله جماعة
من الأعلام بأيديهم المصاحف ومعهم أعلام صفر وكذلك كانت أعلامهم
مع النبي صلى الله عليه وسلم صفرا وبين يديه ابنه عبد الواحد ولم يركب مثل
هذه الركبة منذ ولي الخلافة فكثر جهال الناس له وسروا به وتجددت له في
قلوبهم محبة كانت قد درست فلما برز من باب الشماسية وجد محمد بن ياقوت
وهارون بن غريب الخال وأحمد بن كيغلغ وصافي النحرير وجماعة من القواد
يحاربون علي بن يلبق فسار إلى موضع يعرف بالتل ووجه إلى من بباب الشماسية أن يلحق
من في الحرب إليه فاستأمن جماعة من قواده وأقبل علي بن يلبق في جمع كثير فانهزم
الناس وأسلم أحمد بن كيغلغ وصافي النحرير ومحمد بن ياقوت وثبت الحاجبان
ابنا رائق مع المقتدر ثم حملا على ابن يلبق فلم يظهر التوجع من تلك الحال
والاغتمام لخروجه فغمز بعض من معه فضربه رجل أسود بسيف على عاتقه
فقال لا إله إلا الله لا حول ولا قوة إلا بالله ثم تغاوروا عليه واحتزوا رأسه على
سيف ومضوا بعمامته إلى مؤنس الخادم فبكى ووجه بأحمد بن خاقان
إلى ضبط مدينة السلام والسجون وجاءت العامة فسترت الجسد المقتدر ثم
خرج الناس إليه من غد فلم يجدوا الجسد ولا يعلم خليفة قتل في المصاف وحمل
إلا المقتدر ولم يل الخلافة من اسمه جعفر ويكنى أبا الفضل إلا المقتدر وجده

كمل بلغ بالأصل

المتوكل قتلا جميعا قتل هذا يوم الاربعا وقتل المتوكل ليلة الاربعا وكانت
خلافته اي المقتدر اربعة وعشرين سنة واحد عشر شهرا وخمسة عشر يوما
وتوفي ببغداد يوم الاربعا وقت صلاة العصر لثلاث بقين من شوال سنة عشرين
وثلاثمائة ورثاه في الوقت الامير ابو العباس الراضي ولده حيث يقول

بنفسي ثرى ضاجعت في ساحة البلا ∴ لقد ضم من الليث والغيث والبدرا
فلو ان عمري كان طوع مشيئتي ∴ واسعدني الاقدار شاطرته العمرا
ولو ان حيا كان قبرا لميت ∴ لصيرت احشائي لاعظمه قبرا

ولكن هذا اخر ما بلغنا من اخبارهم والله سبحانه وتعالى اعلم
وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليما وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين
على يد افقر الورى الى رحمة الله الغني المولى
محمد بن عمر الجزيري جعله الله بينه وبين
النار حجابا مستورا يوم لا ينفع مال
ولا بنون الا من كان عمله مبرورا
وسعيه مشكورا اللهم
استر عوراتي وآمن روعاتي
واجعل آخر كلامي
من الدنيا
لا اله
الا الله
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

ووافق الفراغ منه لاثنى عشر ليلة خلت من جمادى الاخرة سنة سبع وثلاثمائة والف ١٣٠٧